آخر الباشوات

غلوب باشا، فلسطين واليهود

بيني موريس

ترجمة : فؤاد سروجي



آخر الباشوات
غلوب باشا.. فلسطين واليهود



الأهلية للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية ، عمّان
وسط البلد ، خلف مطعم القدس
هاتف ٤٦٣٨٦٨٨ ، فاكس ٤٦٥٧٤٤٥
ص .ب : ٧٧٧٢ عمان/ الأردن

آخر الباشوات

غلوب باشا، فلسطين واليهود

بيني موريس

ترجمة : فؤاد سروجي

الطبعة العربيّة الأولى ، ٢٠٠٣

تصميم الغلاف :

الصف الضوئي : الوسام للخدمات المطبعيّة ، عمّان ، هاتف ٤٦٥٧٨٦٩

بيني موريس

آخر الباشوات

غلوب باشا، فلسطين واليهود

ترجمة : فؤاد سروجي



شكر وتقدير

أود أن اشكر البروفيسور جيمي وينبلات ، عميد كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة بن غوريون في بئر السبع ، لمساعدتنا في تحويل هذا الكتاب وتجهيزه للنشر . لقد ظل صديقاً وعوناً دائماً لنا طوال هذه السنين الأخيرة ، ويستحق من الفضل اكثر مما تستطيع الكلمات التعبير عنه .

كذلك أقدم امتناني وشكري الى لجنة البحث والنشر في كلية العلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة بن غوريون برئاسة البروفيسور أورين يفتاحيل ، والتي قدّمت لنا مساعدة جليلة في عملنا .

وأتوجه بالشكر والامتنان الى مؤسسة روكفلر التي استضافتني أنا وليا في مكاتبها ببيلاجيو ، ووفّرت لنا جواً من الراحة والاهتمام ، بحيث تم اصدار المسودة الاولى من هذا الكتاب . (من الصعب تخيُّلِ مكان يختلف بهذا الشكل عن البلاد التي تبنّاها غلوب) .

واخيراً أرغب في تقديم الشكر للسيد جيف آبل لمساعدته في تهيئة الكتاب للنشر ولمحاولاته الدؤوبة (التي حققت نجاحاً ضئيلاً) في جرّي نحو عالم الرقمية ، ولبقائه الى جانبي طوال الثلاثين عاماً الماضية .

واخيراً لكتابته هذه الكلمات .



لي

المحتويـــات

مقـدمة

عـاش جـون باغـوت غلوب مـعظم حـيـاته المديدة (١٨٩٧ - ١٩٨٦) في انكلترا حيث ولد ومات . ولكنه امضى ٣٦ عاماً من حياته العسكرية في منطقة الشرق الاوسط ، قضى معظمها في إمارة شرق الاردن التي اصبحت تدعى بعد عـام ١٩٤٨ بالمملكة الاردنيـة الهـاشـميـة . وهنا ، في هذه المملكة ، قـدَّم غلوب مساهمته الرئيسة في التاريخ .

ولد غلوب في برستون بانكلترا عام ١٨٩٧ ، لدى عائلة انكليزية تنتمي الى الطبقـة الوسطى وتعـمل في الخدمـة المدنيـة والعـسكرية ، وكـان من بين أسـلافـه القدامى الاقل ارستقراطية عضوٌ في البرلمان (عن منطقة أوك هامبتون بمقاطعة ديفون عام ١٣١٣) كما عمل والده فريدريك مانلي غلوب في سلاح الهندسة الملكية حيث وصل مع نهاية الحرب العالمية الى رتبة لواء . وقد تبع غلوب مبدئياً خطوات والده . إذ درس في كليـة شـيلتنهـام وتشـرّب منها احـترامـه للعـقـائد المسيحية واكتسب ذوقاً للموسيقى الكلاسيكية والصيد . . وسواها من المفاهيم العامة الخاصة بالعهد الفيكتوري ،مثل الشَّفه العليا المتصلبة ، والاحساس باللهو المعتدل وبأهميـة الحفـاظ على المظاهر والالتزام بأعـراف اخـلاقـيـة لا تتزحـزح . تخـرَّج غلوب من الاكـاديميـة الملكيـة العـسكرية في وولويتش كـمـلازم أول في سلاح الهندسة الملكية ، وتم إرساله بعدها إلى خنادق فلاندرز أواخر عام ١٩١٥ حيث امضى الثلاث سنوات اللاحقة وجُرح مرتين (احداها جراحاً بليغة) . وقد أعطى غلوب لاحقاً تقديراً كـبيراً لذكريات القتال في تلك السنين وظلَّ ينظر اليها على اساس أنها قضية عادلة رغم ما شهدته من المآسي والخسائر . واصبح بعد ذلك ينظر الى العسكرية على أنها أنبل مهنة فيقول : «الناس الذين

لم يمارسوا العسكرية في حياتهم ، يتخيلون أنها مهنة قاسية وان العمل الاساسي للجنود هو قتل الآخرين» . والحقيقة هي أن الجنود يقضون معظم وقتهم في إنجاز مهماتهم ، وتحكمهم وتربط بينهم أواصر الاخوة والصداقة الحميمة . وكرجل متكتم ومنعزل ، عاش غلوب ثلاثة فترات من الصداقة الحميمة في حياته – في الخنادق مع رفاقه الانجليز خلال الحرب العالمية الاولى ، ومع مجنديه من البدو في فرقة الهجّانة في العراق خلال أعوام عقد العشرينات من القرن العشرين واخيراً بين عام ١٩٣٠ وعام ١٩٥٦ في صفوف الجيش الاردني والفيلق العربي ، أولها كضابط من المُرَتّب الاعلى ولاحقاً كقائد لهذا الفيلق .

ولكن ، رغم اعتباره العمل العسكري مهنة نبيلة ، كان غلوب يتفهم ويلات الحرب بعد أن خبر معتركها وشهد قبل كل شيء مصرع رفاقه من الجنود والضباط والخسائر التي كانت تلحق بالمدنيين والابرياء ،والدمار الذي يضرب الامن ويدّمر الممتلكات . وكان يقول دائماً « الحروب لا تنهي الحروب ، بل أن كل حرب ، وعلى العكس من ذلك تفتح الطريق أمام حروب أخرى يتنازعها العنف والانتقام والكراهية » .

اين يوجد مكان في العالم افضل من الشرق الاوسط ، تثبت فيه مصداقية هذه المقولة . بدء عهد غلوب في الشرق الاوسط بعد نهاية الحرب العالمية الاولى إثر تسريح معظم القوات البريطانية . وقد تطوع غلوب للخدمة في بلاد ما بين النهرين التي سمّيت لاحقاً بالعراق . وكانت تلك المنطقة قد احُتلَّت من قبل بريطانيا واصبحت على وشك الوقوع تحت الانتداب البريطاني .

عام ١٩٢٠ ، وصل غلوب الى تلك المنطقة التي كانت تتنازعها الخلافات الدينية والقبلية . في ذلك الوقت ، لم يكن غلوب يعلم شيئاً عن الشرق الاوسط – تاريخه وحضارته – ولكنه كان تواقّاً الى المغامرة والعمل المثير . دخل في الخدمة اساساً كمهندس ولكنه عُيِّن عام ١٩٢٢ كضابط مخابرات (ضابط خدمات خاصة) للعمل بين القبائل التي تقطن على طول الحدود الجنوبية للعراق . وكانت المنطقة تشهد غارات متواصلة تُشَنُّ من أراضي العربية

السعودية وتُواجهَ في بعض الاوقات بتدُخل من سلاح الطيران الملكي . كان عمل غلوب هو توجيه الطائرات الى اهدافها . وفي أواخر عقد العشرينات من القرن العشرين نظَّم غلوب وقاد فيلق الهجَّانة في الصحراء الجنوبية . وكان هذا الفيلق يسيِّر دورياته عبر حدود المملكة الواقعة تحت الانتداب البريطاني ، ويدافع عنها أمام هجمات المغيرين ومغتصبي الاراضي القادمين من سوريا ومن العربية السعودية . وتدريجياً ،تعلَّم غلوب لغة عرب الصحراء وطرقهم وعاداتهم ونمت المودة بينه وبينهم . أما هم فبادلوه تلك المودة إذ كان له قدرةً مميزةً على كسب ود العرب ، حسب ما ذكره «أليك كيركبرايد» الذي عمل مدةً طويلة كممثل لبريطانيا في عمان . (وقد لَّمح كيركبرايد الذي كان شخصاً يدرك الامور بوضوح ، أن ذلك عائدٌ الى كون غلوب نصف إيرلندي ونصف اسكتلندي ، عوضاً عن كونه انكليزياً صرف وعلى مرِّ السنين ، صار غلوب يتكلم اللغة العربية بطلاقة ،لدرجة أن أحد المسؤولين الاردنيين في عقد الخمسينات من القرن العشرين وصف اتقان غلوب للغة العربية بأنه رائع وسلس لا يجاريه فيها الا القلة من العرب .

وبلا شك ، فقد ساعدت تلك القدرة اللغوية على تعميق محبة أهل البلاد الاصليين لغلوب . وفي عام ١٩٣٠ ، انتقل غلوب الى الاردن الذي كان يعاني الامرَّين جراء غارات البدو وجراء تعرضه المتواصل للتهديد من التوسع السعودي . وقد عُيّن غلوب حينها نائباً لفريدريك بيك مؤسس الفيلق العربي (اعترض بيك على تعيين غلوب لكونه غريباً تماماً وشخصاً غير تقليدياً ، ولكن تمّ تجاهل الاعتراض) . وألقيت على غلوب ، كضابط قيادي في الصحراء ، مسؤولية حفظ النظام ودحر المغيرين في مناطق الحدود الصحراوية مع العربية السعودية وسوريا . ولتحقيق هذه المهمة قام غلوب بانشاء فيلق دعاه «دوريات الصحراء» .

وفي آذار من عام ١٩٣٩ ، خلف غلوب فريدريك بيك في قيادة الفيلق وبقي محتفظاً بهذا المنصب مدة ١٧ عام .

خلال الحرب العالمية الثانية ، كانت إمارة شرق الاردن هي الدولة العربية

الوحيدة التي وقفت بكل قوتها الى جانب قضية الحلفاء وناصرت بريطانيا في السراء والضراء (ظلَّ غلوب يشدد على هذه النقطة في مراسلاته مع الوايتهول ، محاولاً انتزاع المزيد من الدعم الاضافي والاسلحة) . وخلال الشهور الاولى للحرب ، تمَّ توسيع الفيلق ، تحت الرعاية البريطانية ، وتحويله من دوريات صحراوية بسيطة الى جيش صغير مؤلل . وفي ربيع وصيف عام ١٩٤١ ، ساهم هذا الجيش في سحق حكومة رشيد عالي الكيلاني المؤيدة لقوات المحور في بغداد كما ساهم مع البريطانيين في هزيمة حكومة سوريا التي كانت تحت سيطرة قوات فيشي الفرنسية المؤيدة للمحور . وقد شكلت هذه المعارك أول تذوق لطعم الحرب من قبل غلوب خلال وجوده في وضع قيادي عالٍ . واصبح الفيلق ، الجيش العربي الوحيد الذي امتلك خبرة قتالية في الحرب العالمية الثانية وبعد العراق وسوريا ، استخدم الفيلق من قبل القيادة البريطانية في الشرق الاوسط لحراسة مواقع وقواعد وحاميات استراتيجية في الشرق الاوسط . ومباشرة بعد انتهاء الحرب العالمية وحتى شهر ايار من عام ١٩٤٨ ، أُلحقت وحدات من الفيلق بالجيش البريطاني العامل في فلسطين وتولت حماية عدد من القواعد والمنشأت على طول البلاد .

وفي عام ١٩٤٨ ، وخلال الحرب العربية الاسرائيلية ، قاد غلوب الفيلق بنجاح كبير لدى احتلاله للضفة الغربية والقدس الشرقية ، وخلال حروبه ضد قوات منظمة «الهاجانا» التي شكلت لاحقاً جيش الدفاع الاسرائيلي .

استمر غلوب في قيادة هذا الفيلق خلال الاعوام ١٩٤٩ وحتى ١٩٥٦ وهي أعوام تميزت بمعارك متقطعة على الحدود العربية الاسرائيلية وبتخوف متواصل من احتلال اسرائيل للضفة الغربية . وفي آذار عام ١٩٥٦ ، وتحت ضغط من القوميين والجمهوريين العرب ، قام الملك حسين الحفيد الاكبر للملك عبد الله وحاكم الاردن منذ عام ١٩٥٣ ، بطرد غلوب نهائياً من الاردن وإعادته الى انكلترا .

لم يزر غلوب الاردن بعد ذلك أبداً ، وأمضى العقود الثلاثة اللاحقة من

حياته متقاعداً ، يكتب مجلدات من المذكرات والتحليلات السياسية ، اضافة الى سيرة ذاتية لحياة النبي محمد . واحداث أخرى معروفة ، قديمة وحديثة ، عن تاريخ الشرق الاوسط . اصبح غلوب مسيحياً متجدداً (عمل كرئيس لمؤسسة «دنبري» التابعة لجمعية اطفال كنيسة انكلترا) ثم نشر كتاباً بعنوان «طريق الحب عبر من حياة طويلة» (هودروستوتون ، لندن ١٩٧٤) وهو كتاب روحي حول الاعمال المسيحية . الى أن توفي يوم ١٧ آذار عام ١٩٨٦ في منزله بمايفيلد ، سسكس .

لعب غلوب أدواراً رئيسة في أحداث الشرق الاوسط بين الاعوام ١٩٣٠ و١٩٥٦ وقد ساعد كونه نائباً للقائد العام للفيلق العربي بإمارة شرق الاردن على حماية الامارة وصون حدودها . وبعد ذلك ، وعندما اصبح قائدا للفيلق ، ارسل غلوب جنوده لنصرة الجيش البريطاني في هجومه على العراق وسوريا عام ١٩٤١ . وعندما كانت احوال الحلفاء عبر العالم في تراجع ، قام غلوب بقيادة الفيلق في افضل الاوقات نحو نصر محدود في الحرب العربية الاسرائيلية . وقد أدىً هذا النصر الذي يعزى الى ترتيبات غلوب المحنكة وقيادته الاكثر حنكة ، الى احداث تغيير جذري في الحدود الجغرافية والسكانية للإمارة .مما حمل بالنتيجة مضامين بعيدة المدى على المنطقة وعلى شعوبها خلال العقدين اللاحقين من الزمن .وربما تعدّى ذلك الزمن في بعض الامور الهامة .

وخلال الاعوام التالية ، استمر غلوب بقيادة الفيلق عبر جهاز من الحكام العسكريين والشرطة والمخابرات الاردنية (وهذه جميعها شكلت اجزاءً من الفيلق) وقد حكم هذا الفيلق الضفة الغربية واشتبك مع الاسرائيليين في معارك متقطعة على الحدود . أما في عمان فقد شكل الفيلق الدعامة الاساسية للنظام الهاشمي . وخلال شهري كانون أول ١٩٥٥ وكانون الثاني ١٩٥٦ استطاع ان يحافظ على المملكة في أحلك أزماتها الداخلية . وعلى كل الاصعدة ،وقف غلوب خلال الأزمة كالصخرة ، في الوقت الذي شُلَّ فيه تفكير العديد من السياسيين الاردنيين ، أو فقدوا أعصابهم .

تميزت الفترة بين الاعوام ١٩٤٩ - ١٩٥٦ بموجات من عمليات تسلل العرب الى داخل اسرائيل ، وبردود اسرائيلية واعتداءات على الاردن (وقطاع غزة) وشكلت هذه الاحداث نمطاً مسلكياً لدى الجانبين ، طغى على العلاقات الاسرائيلية العربية لمدة عقود من الزمن . وكانت لحنكة غلوب في معالجة شؤون الفيلق إضافة الى التفكير الهادئ المتزن في القصر الملكي بعمان خلال تلك السنين العصيبة ، أثراً كبيراً في ارجاء الهجوم الاسرائيلي على الضفة الغربية حتى عام ١٩٦٧ .

والى جانب دوره في تأسيس الاردن الحديث وفي الصراع العربي الاسرائيلي ، يعد غلوب محور اهتمام كواحد من آخر وبالتأكيد من أكثر* الضباط والمسؤولين البريطانيين المستشرقين ، الذين ساهموا بتحريك مرجل الشرق الاوسط ما بين الحرب العالمية الاولى وهزيمة السويس عام ١٩٥٦ . وتدّل قصته - إضافة الى السياسات التي ساهم في تشكيلها والتفاعلات التي خاضها - على شخصية الرجل الابيض المتحمل للمسؤولية ،وهي شخصية افتتن بها العرب . كذلك تشير الى الدور الذي لعبه النفوذ البريطاني صعوداً ثم تراجعاً في الشرق الاوسط .

وخلال السنين التي قضاها في الاردن ، ظلّ غلوب يزود الوايتهول - بمكاتبه الحربية والاستعمارية والخارجية - مباشرة أو غير مباشرة ، بالمعلومات والتحليلات التي ساهمت في صياغة السياسة البريطانية في الشرق الاوسط . وعلى وجه العموم ، ووجهت طروحاته بالتقدير ، وأحياناً بالاعجاب من المسؤولين ، كذلك خصوبة تفكيره ، التي تمخضت عن فيض من التفسيرات والحلول لمختلف المشاكل . لكن غلوب كان يجنح أحياناً للمبالغة واثارة المخاوف تاركاً العنان لمخاوفه بأن تجري معه . وكما ذكر جون بيت ، من مكتب وزارة الخارجية ، تعليقاً على احدى مذكرات غلوب حول مصر عام ١٩٥٦ «كان ذكاء غلوب بالعادة جيداً ، عندما يستخدمه في ظروف تدعو للإثارة» .

وكان غلوب يعتبر من قبل الناس الذين عرفوه ، شخصاً بسيطاً رغم ذكائه ،

مستقيم الاخلاق ، شريفاً منطقياً وهادئاً في تعامله مع الازمات ومتعاطفا في المحن . حتى أن أحد ألد خصومه وهو موشيه دايان رئيس اركان جيش الدفاع الاسرائيلي خلال الفترة ما بين كانون أول ١٩٥٣ وحتى كانون ثاني ١٩٥٨ قال عنه :«إنه يبدو شخصاً مستقيماً» . ووصفه الجنرال وليم رايلي قائد اركان قوات مراقبة الهدنة التابعة للامم المتحدة في الشرق الاوسط في أوائل عقد الخمسينات من القرن العشرين بأنه «شخص منصف وغير متحيز» .

ولكن يبقى هناك رأي آخر ، وهو رأي ضمن الاقلية ،ينظر الى غلوب كضابط بريطاني مستقيم تحول ذكائه تدريجياً تحت تأثير ٣٠ عاماً من العمل الدبلوماسي والعمل العسكري غير المنظم في الشرق الاوسط الى المخادعة وسرعة الخاطر التي تحتاجها حرب الصحراء ومناورات القلاع .

وقد وصف أحد الضباط البريطانيين في الفيلق العربي الوضع كما يلي :

« لا تستطيع ان تتكهن ما الذي يحصل مع غلوب . . . فقد بدء ذهنه يعمل كالعرب . كان يطفح بالمكر ، واصبح لديه ذهنية تستطيع تفهم اللامنطقية في تفكير العرب كما تستطيع توقعها . تعامل مع القصر الملكي كعربي وتعامل مع العشائر كبدوي وتعامل مع لندن كضابط بريطاني» لم يستطع أحدٌ سوى غلوب الالمام بكل ما يحدث» .

لقد قمت بالتركيز على دور غلوب في الصراع العربي الصهيوني نظراً لأهميته في فترة من الوقت ، ونظراً لأن دراسته تقدم منفذاً لتفهم المنظور غير العادي لشخص كان يشكل في نفس الوقت مفتاحاً ولاعباً ذكياً واجنبياً .وكأنكليزي ، لا بد أن غلوب ظل في بعض النواحي بمنأى عن الصراع العربي الصهيوني على الاقل لحين تورط الاردن به . وقد اعترف بكونه كذلك في بعض المناسبات ، ولكنه في الحقيقة لم يكن .فعلى الجانب الصهيوني ، كان غلوب يعتبر مرتزقاً نصيراً للعرب وغامضاً الى حدً ما . أما في الاشهر الحاسمة من عام ١٩٤٨ ، فقد اصبحت المجتمعات الاسرائيلية في فلسطين تنظر الى غلوب كعدو الشعب رقم ١ . وفي عقدي الاربعينات والخمسينات من القرن

العشرين ، تحول غلوب في نظر هؤلاء الى انكليزي معادٍ للسامية ، باع روحه لشيطان العرب واصبح يشكل رأس حربةٍ في القتال ضد الدولة اليهودية . حصل هذا في الوقت الذي كان فيه معظم الاوروبيين يتعاطفون مع كفاح الدولة اليهودية على خلفية المذابح التي ارتكبها النازيون ضد اليهود .وتأكيداً على ذلك ،طالب بن غوريون في أيار ١٩٤٨ - وكان حينذاك أول رئيس وزراء ووزير دفاع في اسرائيل - باستدعاء غلوب للمثول امام محكمة بتهمة ارتكاب جرائم حرب . وكانت منظمة شتيرن الارهابية (لوحامي - حيروت سابقاً أو المقاتلين من أجل حرية اسرائيل) قد اصدرت أوامرها باغتياله في أقرب وقت ممكن . وقد بقيت كتابات المؤرخين المناصرين لاسرائيل لاحقاً متحيزة ضده . ولكني سأقوم في معرض دراستي هذه بالتدقيق فيما لو كان غلوب يستحق مثل هذه الكتابات السيئة .

أدَّى كشف العديد من الملفات الارشيفية مع مطلع العقدين السابقين ، وخاصة في بريطانيا واسرائيل الى زيادة امكانية تقييم هذه الصورة . كذلك فقد مرت ٤٠ - ٥٠ سنة على هذه الاحداث . وبالتأكيد فإن تقييم غلوب من خلال مذكراته وسيرة حياته والتي ذكر فيها أن التاريخ هو الحكم الأصدق دائماً عندما تخمد نيران النزاعات» هو قول اصبح الآن أجدر بالملاحظة والاخذ بالاعتبار .

في الصفحات التالية ، سوف أقوم بفحص واستنباط مواقف غلوب تجاه اليهود والعرب ، وتجاه الصراع العربي الصهيوني والسياسات اليهودية والعربية خلال عقد الثلاثينات من القرن العشرين وفي الفترة بين عامي ١٩٦٤ - ١٩٤٨ وخلال السنوات التي أدّت الى حرب سيناء / السويس عام ١٩٥٦ . وكذلك خلال عقود تقاعده العشرين فيما بعد والتي قضاها في الكتابة حول الشرق الاوسط . ثم سأقوم بعد ذلك بعرض وتحليل أعماله آملاً في تقديم تقييم لمساهمته في مسيرة التاريخ ، مع التركيز على فترة تصاعد الثورات وعام ١٩٤٨ ، عام الحرب .

خلال عقد الثمانينات من القرن العشرين ، ظهرت عدة كتب تتحدث عن

العلاقات بين الهاشميين واسرائيل ولعل أهم تلك الكتب كان كتاب آفي شلايم «مؤامرة عبر الاردن» وكذلك كتاب يوري بارجوزيف «أفضل الاعداء» وكتاب إيلان بابي «بريطانيا والصراع العربي الاسرائيلي ١٩٤٧ - ١٩٥١» .

ولو أخذنا جميع هذه الكتب بعين الاعتبار ، لوجدنا أنها تقدم تفسيراً جديداً أو تسجيلاً جديداً لتاريخ العلاقات الاردنية الاسرائيلية التي سلطت بدورها ضوءاً جديداً وحافزاً للتفكير في العلاقات العربية الاسرائيلية بشكل عام وعلى جانبي الصراع خلال عام ١٩٤٨ . كما أنها تشكل تقويضاً للروايات التقليدية التي قدمت من كلا الجانبين حول الصراع بين العرب والصهيونية .

ودفاعاً عن الروايات الرسمية الصهيونية ، وعن أجداده ، قام ايتامار رابينوفيتش وهو أحد أعمدة الاتجاه الاسرائيلي الاكاديمي المحافظ في جامعة تل أبيب بمهاجمة تلك الأعمال الجديدة في كتابه «الطريق التي لم تُسلك» . وتبعه في ذلك عدد من المؤرخين الصهاينة أمثال شابتاي تيفيت وأنيتا شابيرا . . . وغيرهم ممن روعتهم كتابات آفي شلايم وبارجوزيف وبابي في تصويرها للتعاون الوثيق الذي جرى خلال حرب ١٩٤٨ بين اسرائيل والاردن . ويبدو أن النقد الذي قدّمه هؤلاء المحافظون ضد المؤرخين الجدد قد أحرز بعض النقاط .

وفي كتابي هذا ، قمت بإعادة فحص الوثائق التي استخدمت . كما قمت بالاستفادة من عدد كبير من الوثائق الاضافية والتي جاء معظمها من ارشيفات جيش الدفاع الاسرائيلي والهاغانا . وكانت هذه الأرشيفات مغلقة عند صدور الاعمال السابقة . كما كان لا بد من حصول بعض التداخلات التي آمل أن تسقط أمام تفوق التفسيرات والمواد الجديدة . وآمل فقط في نهاية المطاف أن يتمكن هذا الكتاب من اضافة شيء الى فهمنا لغلوب ومحيطه ، والقاء الضوء على تلك الاحداث التاريخية المنعزلة ولكن القريبة ، وعلى تاريخ العلاقة غير العادية بين الاردن واسرائيل .

الفصل الاول

غلوب : حول العرب واليهود

الموقف من العرب :

يعتبر فهم تفكير غلوب وأعماله خلال السنوات التي قضاها في الفيلق العربي ، أمراً حاسماً في تفهم موقفه تجاه العرب .

كتب غلوب في مذكراته «جندي مع العرب» التي نشرت عام ١٩٥٧ : «لقد أمضيت ستة وثلاثين سنة من عمري بين العرب ، قضيت أول تسعة عشرة سنة منها بكاملها معهم . وكنت نادراً ما أقابل أوروبيين وقد مرَّت عليَّ أسابيع كاملة دون أن انطق بكلمة انكليزية واحدة . . (وبعد عام ١٩٢٥ قررت) أن أكرّس حياتي للعرب . كان قراري عاطفياً بشكل عام فقد وقعت في حبهم» .

وفي لحظة ما من الفترة التي قضاها في الشرق الاوسط بدء غلوب ينظر الى حياته على أنها رسالة إذ يقول :

« لقد اختبرت في نفسي ، كما اعتقدت ، امكانية العيش في وقت واحد كعربي بين العرب وكانكليزي بين الاوروبيين . كانت فكرتي تقوم على مساعدة العرب من خلال تزويدهم بتلك المهارات والاساليب والمنتجات التي تميزت بها اوروبا ، وكنت آمل أن يبقى العرب على عهدهم ، عربا متشبثين وفخورين بصفاتهم وتقاليدهم الرائعة التي ورثوها عن اجدادهم . ولكني كنت آمل ايضاً في نفس الوقت ان استطيع مساعدتهم في الحفاظ على حضارتهم وسط هذا العالم الحديث » .

لم يكن الأمر سهلاً ، فقد كانت احدى المشاكل هي أن الاردن (ناهيك عن الدول العربية الاخرى وبالتأكيد الجزء الاكبر من آسيا ، اصبح اكثر عداءً وكراهية للغرب) . كما أن الاردنيين الذين دعاهم غلوب (شعبي) لم يكونوا محصَّنين تماماً ضد هذه الكراهية . فالوحدة بين شرق الاردن وفلسطين (الضفة الغربية عام ١٩٤٨ - ١٩٥٠)

الحقت بالبلاد شعباً جديداً عانى من ظلم رهيب نتيجة للسياسات الغربية . وبالتدريج غرق الشرق الاردنيون في هذه الموجة وتفتتت الصخرة الاردنية المعروفة بالاعتدال وسعة القدرة على استيعاب مفاهيم الشرق والغرب أمام هذا الفيض من الكراهية .

كتب غلوب بين عامي ١٩٥٦ - ١٩٥٧ ، مباشرة بعد واقعة طرده المؤلمة على يد الملك حسين .

« لقد فشلت فشلاً ذريعاً في المهمة التي نذرت لها حياتي - وهي تطوير علاقات أقرب من التعاون والتفاهم بين الشرق والغرب» .

ولكن ارتباطات غلوب العاطفية بالعرب تجاوزت صدمة الطرد كما تجاوزت أعوام النفي في بريطانيا بعد ذلك . وبالتأكيد ، أذا أردنا أن نحكم على غلوب من خلال فيض الكتب التي أطلقها خلال فترة تقاعده ،فسوف نجد أن محبته للعرب قد ازدادت مع الايام وبعد المسافات . ولكنه ظل طوال الوقت انكليزياً جداً وعسكرياً شديد المحافظة . وخلال قيادته للفيلق العربي احتفظ بمسافة بينه وبين المجتمع الاردني وسائر مرؤوسيه من العرب . وقد ذكر أحد الضباط البريطانيين السابقين في الفيلق ، في اواسط عقد الخمسينات من القرن العشرين : لقد أدهشني أن غلوب لم يدخل بيتاً عربياً (سوى في الحفلات أو الزيارات الرسمية) وعلى حد علمي لم يدر بينه وبين أي عربي حواراً أصيلاً . ومن المثير للغرابة القول انه في الحقيقة ورغم تمضيته ٣٥ عاماً من عمره في الشرق الاوسط ، بقي جاهلاً تماماً وغير عابئٍ بمزاجية وفكاهة وشخصية أي عربي مهذب .

وقد حاول الرائد في جيش الدفاع الاسرائيلي (لاحقاً عميد) دوف شتايجر (لاحقاً لقب نفسه زيون) أن يضع إحساس غلوب بتأدية رسالة ضمن سياق انجليزي عربي أوسع واكثر وضوحاً فقال : «كان غلوب يحاول تطبيق المبادئ الرومانسية لمجموعة من رجال الدولة والضباط البريطانيين الذين كانوا يرون ضمن مهماتهم الحياتية ، اعادة بعث الشعوب العربية» . «وفي قلب هذا الموقف ، تقف رؤية أو شخصية البدوي ، العربي النبيل النقي ، الطيب السلالة والمتوحش الذي لم تدنسه أو تقيده الحضارة الغربية» .

وأضاف زيون يقول : « كان غلوب مسحوراً بمبادئ البدو ، ينظر الى البدوي كمخلوقٍ يمتلك ذكاءً فطرياً ، ومحاربٍ شجاع مستقيمٍ ومتفانٍ في الولاء » .

وبالطبع ، كان غلوب واحداً ضمن سلسلة طويلة من البريطانيين الذين سحرتهم طبيعة وطريقة الحياة البدوية في الصحاري العربية .

وقبل هذا ، بقرنٍ من الزمان ، كتب السير وليام جونز ،وهو مستشرق بريطاني بارز واصفاً العرب في الحجاز بقوله : «عيونهم تمتلئ حيوية وحديثهم واضح ودوّار ، وسلوكهم رجولي ونبيل واستيعابهم سريع ، أما بديهيتهم فحاضرة ومتيقظة دائماً وتبرز روح الاستقلالية حتى بين أقلهم مستوى » .

ومثله مثل معظم الانكليز المستعربين ، قدّس غلوب في البدوي ، الفضائل السامية لدى السيد الانجليزي النبيل . وعودةً الى عام ١٨٢٦ حين كتب أحد الرحالة الانجليز عن إمام مسقط قائلاً : « انه كان الأسيوي الوحيد الذي رأيته والذي أوحي لي بأفكار يقوم عليها معنى السيد الانجليزي النبيل » . أو كما وضعها غلوب في احدى مذكراته حين قال : «ان البدو يجسدون اهم الفضائل التي يمثلها السيد البريطاني النبيل» . . كان البدوي يشكل الفكرة التي كانت تختمر في رأس الانجليز حول السيد النبيل على الطبيعة وكان البدو يجّسدون بالنسبة لغلوب ولعدد من أسلافه المفكرين ، صفات الاستقلالية الممزوجة بالثقة والصلابة والصراحة والتبعية السليمة (بدون خنوع) اضافة الى الفروسية الجيدة وغيرها من صفات الشجاعة . وفي الواقع ، قامت المحللة البارزة لتاريخ الرومانسية الانجليزية مع العرب ، كاثرين ثيدريك بمقارنة مقنعة بين تنشئة هؤلاء السادة المستعربين من الرحالة والعلماء والاداريين والضباط الذي كانوا يمثلون بريطانيا وامبراطوريتها في الشرق الاوسط وبين تنشئة البدوي فكتبت تقول :

« توجد بعض الصفات المشتركة بين الحياة في المدارس الانجليزية العامة وبين حياة البدوي في مضاربه : القسوة ، ورجولية الصداقة ، والاستمتاع بالرياضة والمطاردات الخارجية ، وتكرار تلاوة الشعر البطولي » . وقد انعكس ولاء تلميذ المدرسة الانجليزية لبيته ومدرسته في ولاء البدوي لقبيلته وعشيرته ، وفي كلا المجتمعين ، كان يوجد مزيج دقيق من المساواة والاحترام للسلطة . كلاهما مارس نوع من الحكم المحلي من خلال الكبار عند البدو أو التلاميذ المفوضين في المدرسة . كما كانت حياة الترحال تشكل عنصراً مشتركاً بين الطرفين : الولد الانكليزي في تنقله المتكرر بين المدرسة ، والبيت البدوي في ترحاله المنتظم بين موسم الجفاف وموسم المطر طلباً للكلأ » .

وبالنسبة للعديد من الرجال الانجليز ، فقد ظلت هذه التجارب التي خبروها في

بدايات حياتهم ترافقهم (وكذلك البدو) عبر سنين بلوغهم وعملهم واصبح الامر في الحقيقة بالنسبة للاداري او المستشار أو الضابط الانجليزي في القوات البدوية على الشكل التالي :

« مثلّت المشاركة في الحياة البدوية ، في بعض جوانبها ، نوعاً من إطالة فترة المراهقة وهي فترة من الحياة تبدو وكأنها قد ترسخت في نفوس طبقة من الرجال الانجليز في ذلك الوقت . فقد تعرفوا على انفسهم وسط هؤلاء القوم البدائيين ، المرتحلين دائما والمتميزين بمشاعرهم الجماعية القوية وتقاليدهم المترفعة والذين فتحت لهم الامبراطورية مجال الاحتكاك بهم . كان البدوي احد هؤلاء الاقوام . . .

وأمام هذا الاعجاب بثقة البدوي ، بدا من الطبيعي أن يقوم غلوب باختيار مجندي دوريات الصحراء التي ترئسها في شرق الاردن عام ١٩٣٠ من بين رجال القبائل . وحين أتم سيطرته على الفيلق العربي وقام بتوسيعه بعد عقد من الزمان ، بحث بين هذه القبائل عن نواة قواته . وكان الكولونيل فردريك بيك الذي أسس الفيلق ما بين الاعوام ١٩٢٠ - ١٩٢١ ثم قام بتوسيعه تدريجياً خلال العقدين التاليين قد اعتمد على تجنيد رجال المدن والفلاحين بدلاً من البدو . وفي الحقيقة ، عندما قام غلوب بالجولة الثانية من توسيع الفيلق خلال عقد الخمسينات من القرن العشرين ، لم يقتصر اعتماده فقط على رجال القبائل في الاردن بل امتد الى قبائل أخرى في شبه الجزيرة العربية حيث تم تجنيد الرجال حتى حدود الخليج الفارسي ، ويعود الفضل لغلوب بأن الفيلق العربي اصبح مرادفاً للبدو اللذين ظلوا حتى اليوم يعتبرون نواة العسكر خاصة في أقسامه القتالية الرئيسة كالمشاة وغيرها من التشكيلات المسلحة .

ولكن موقف غلوب من البدو ، كما هو أيضاً من العرب ، وبشكل عام ، كان أكثر تعقيداً بكثير مما أوحى به زيون . «لم يكن غلوب مؤيداً بشكل أعمى للعرب ، بل كان يتفهم العقلية العربية اكثر من أي أوروبي آخر أعرفه» هكذا كتب جيفري فيرلونغ ، السفير البريطاني في عمان عام ١٩٥٣ وأضاف «ومن الطبيعي أن يبدي غلوب تعاطفاً أكثر مع الناس الذين قضى معهم معظم حياته . ولكنه كان كذلك يدرك اخطائهم » .

وعن العرب بشكل عام ، كتب غلوب عام ١٩٤٥ :

هم قوم يدركون بألم مدى تخلفهم وضعفهم وعدم نضوجهم . وتظهر عليهم جميع

النزعات العاطفية وصفات عدم الاستقرار التي تظهر على المراهقين . كما أنهم يتميزون بحساسيتهم واستعدادهم للهجوم لدى أي تنازل يقدمه كبارهم . وتنفجر فيهم نوبات من الغضب والتحدي العنيف إذا ما عاملتهم بازدراء . ومثلهم مثل الاطفال يمكن ان يصبحوا قساة احياناً ، واحياناً أخرى يغرقون في اليأس والاستخفاف بالذات . .

ومن الخطأ العام ، الظن بأن العرب اقلّ ذكاءً منا أو أنهم لذلك ليسوا بقادرين على القيام بشؤون الادارة أو قيادة الجيش أو تنفيذ أعمال كبرى في الحقيقة ، ربما يكونون اسرع منا بديهة وذكاءً . أما لماذا لا يستطيعون ادارة الامور بكفاءة فذلك عائدٌ الى قلة إحساسهم بالواجب وبالخدمة العامة فهم ينزلقون بسهولة في نزوات محاباة الاقارب والخداع والمحسوبية . وهم يدركون ذلك تماماً في داخلهم رغم عدم رغبتهم في الاعتراف بذلك » .

إضافة الى ذلك ، كتب غلوب عام ١٩٤٦ يقول : «جميع العرب اليوم يشعرون بعقدة نقص تجاه الاوروبيين . . . وهم يستاؤون من أي شيء يتضمن اعتبارهم عرقاً أدنى درجة . . . ويسقطون بسرعة أمام الاطراء . ولكنهم يردُّون بعنف عجيب امام التحدي . وإذا ما استطاعوا تجاوز الشك بأنهم قد تعرضوا للإهانة ،يمكن عندها ان يصبحوا اصدقاء ممتعين وحلفاء أمناء » .

على الرغم من ذلك ، فإن غلوب ، وكما سنرى لاحقاً لم يكن ينظر الى العرب كعرقٍ واحدٍ يمكن أن نتبع أثره .

احدى الصفات العريضة التي يشترك فيها معظم العرب ، والتي تميزهم عن الاوروبيين هي أن العرب بشكل عام يتميزون بطباع حادة إضافة الى كونهم سريعي التهور والاستثارة ، فخورين وحساسين . ولكن على الرغم من أن حدة طباعهم تزيد من شدة أحقادهم إلا انها تجعل منهم ايضاً اصدقاء حميمين .

ولا يوجد عرق اطيب منهم وأشد سحراً واكثر بديهية وروحاً فكاهية . وحتى تاريخ اليوم ، ما زال لدي اصدقاء في البلاد العربية اكثر مما لدي في انكلترا . (هكذا ورد في حديث غلوب عام ١٩٥٧) .

كان موقف غلوب تجاه العرب ، محكوماً ، مرة أخرى ، مثله مثل من سبقوه من المستشرقين مثل ريتشارد بيرتون ، بمنظور عرقي وتاريخي وعالمي . كانت نظرته الى العالم

تبدو عرقية بغلو ووضوح . (على الرغم من أنه ندد بتعاظم الروح العرقية النازية التي امتدت عبر اوروبا في عقد الثلاثينات من القرن العشرين ، وراحت تشق طريقها حسب رأيه الى داخل الشرق الاوسط) ورغم قوله بأن علم النفس الجماهيري لدى الأمم لم يكتشف تماماً بعد(٣٢) الا انه كان مأخوذاً بوضوح بالنظريات العرقية ، بما فيها نظريات الفراسة وعلم الملامح كما يتبين في الفقرة التالية من كتابته :

العلم يعزز التجربة ويؤكد بأن العرب في بلاد حوض البحر التوسط يختلفون عرقياً عن عرب الداخل . يوجد الكثير من الناس ذوو الوجوه الدائرية في سوريا ولبنان وبين عرب فلسطين في حين ان سكان آسيا الوسطى يتميزون بوجوههم الطويلة .

وضع غلوب تمييزا أساسياً بين عرب المشرق أو الساحل الذين يؤلفون سكان غرب سوريا ولبنان وفلسطين ومصر وحضر العراق وبين البدو الرحَّل الذين يعيشون في الصحارى الداخلية . وفي نظر غلوب ، فإن معظم الذين يُسَّمون عرباً في القرن العشرين لم يكونوا عرباً أبداً أو على الاغلب ليسوا عرباً أقحاح . فالعرب هم فقط الذين يعيشون في عصب الصحراء التي تربط سوريا الشرقية والاردن وجنوب غرب العراق والجزيرة العربية .وباختصار ، كان غلوب يؤمن بأن البدو فقط هم العرب الحقيقيون .

وفي عام ١٩٥١ ، وضع غلوب افكاره على شكل مذكرات رسمية جاء فيها :

« ما تزال صفات عرب الصحارى الداخلية اليوم ، كما كانت منذ ١٣٠٠سنة . فالحياة في وسط الجزيرة قاسية جداً . وتمضي حياة العرب فيها وسط صراع مرير للبقاء ضد اعداءهم وضد قوى الطبيعة المتوحشة . وليس لديهم الوقت للتمتع بالاحاديث الفكرية الرقيقة مثل الاقوام الذين يعيشون على سواحل المتوسط اللطيفة والغنية . فالبدو يتعلمون كيف يطلقون النار أولاً ثم يسألون عن الامر بعد ذلك وهم رجال اعتادوا على الافعال بدل الاقوال ويشكلون مادة خامة ممتازة للحياة العسكرية لم تصلها بعد عدوى الفيروس القومي المنتشر عند الاوروبيين » .

لقد فرضت الفتوحات الاسلامية في القرن السابع الميلادي ، اللغة العربية على بلدان الشرق الاوسط ، كما فرضت الى حد ما الديانة الاسلامية والحضارة العربية .وبعيداً عن هذا الحدث التاريخي ، كان سكان الدول الواقعة على ساحل المتوسط - لبنان ، فلسطين ، مصر - ينظرون الى اوروبا كمصدر لحضارتهم بدلاً من الجزيرة العربية . وكانت شعوب هذه الدول تتألف من مزيج من الاعراق الاوروبية

والسلالات العربية القادمة من الاراضي الداخلية . واليوم كما في الأمس ، ما تزال افكار هذه الشعوب بمعظمها مأخوذة بالدرجة الثانية من الغرب الا انهم في الثلاثين سنة الاخيرة أصبحوا يسمون انفسهم عرباً . وعليك أن تدرك في الأساس ان كلمة (عرب) (كما تستخدم اليوم) لا تعني عرقاً ، بل تشمل مناطق حضارية تعيش فيها مجموعات مختلفة من السلالات العرقية . فاللبنانيون مثلاً ليسوا مثل السعوديين . تماماً كما ان النرويجيون ليسوا يونانيين . والقومية العربية بشكل عام ، تقتصر على الدول الشمالية التي تنطق باللغة العربية والتي تجري في عروق سكانها القليل من الدماء العربية مقارنةً بدول الداخل .

لعل من الممكن تسمية هذه الشعوب بالمشرقيين ، ولكن هذا الاسم يعطي دلالة بالازدراء ، إذ أن هذه الشعوب ليست شعوباً وضيعةً على الاطلاق ، بل هي تفوق معظم الاوروبيين ذكاءً ولكن مهارتهم الفكرية المتطرفة تقودهم دائماً نحو جدل سفسطائي لا ينتهي . وبالتالي تضيع مواهبهم وسط هذا التشعب الفكري ونادراً ما تؤدي بهم الى الوصول لنتائج عملية . إضافة الى ذلك ، فإن مهارتهم هذه تفضي بهم الى عدم الاستقرار السياسي . إن بعض الغباء قد يكون ضرورياً من أجل فرض الاستقرار السياسي والنصر في الحرب .

فعرب المشرق إذن ، بالنسبة لغلوب هم هجائن تلوثت أعراقهم بالاعراق التي وصلت الى المنطقة عبر القرون . والفلسطينيون هم جزءٌ صغير من المشرقيين وقد كتب غلوب عنهم عام ١٩٣٩ إثر الهزيمة التي حلت بهم في نهاية ثورتهم ضد الانجليز :

«ان عرب فلسطين ، لا يجري في عروقهم سوى اليسير من الدماء العربية . وأهل الريف والحضر في فلسطين لا ينحدرون من العرق الذي تنحدر منه قبائل الصحراء العربية» . وتعتبر هذه الافكار التي طرحها غلوب مألوفة لدى عدد من البريطانيين الذين خدموا في المشرق . وقد كتب ستيوارت بيروين عام ١٩٢٦ وكان يعمل حينها استاذاً في كلية التدريب العربية بالقدس كما عمل سابقاً كسكرتير للمطرانية الانجيلية في القدس كذلك :

«السكان هنا ليسوا عرباً ، بل مشرقيون يتكلمون اللغة العربية ، ومنهم من يتكلم اليونانية أو التركية أو العربية وهم اكثر ميلاً الى الغرب منهم الى الشرق وتعلمهم اللغة الانجليزية لا يعني تحطيم قوميتهم لانهم وبشكل رئيسي لا يملكون أدنى فكرة عما قد تعنيه قوميتهم .

وبعد مضي عقد من الزمن ، اسهب غلوب في هذا الموضوع بعد أن ألّم به إلماماً واسعاً :

يظهر الفلسطينيون نفس الصفات الرئيسة المرتبطة بالاعراق المشرقية . واكثر هذه الصفات قياساً هي حدة الذهن ، والمزاج الفكاهي والطباع اللطيفة اضافةً الى انغماس شديد في السياسة وميل لقضاء النهار كله جالسين يتحدثون في المقاهي حول مواضيع السياسة وشتم الحكومة . ولكن غزارة كلماتهم وطبيعة أفكارهم الناقدة نادراً ما تعود عليهم بنتائج إيجابية يقال أنه (حيثما تجد عشرة يهود ،فإنك ستجد احدى عشرة فكرة سياسية) والقول نفسه ينطبق على الفلسطينيين . إذ أنك عندما تتعامل معهم ، يصبح من الضروري أن تعود نفسك على سماع تصريحات متواصلة للفئة المثقفة ، مشحونة بالكراهية ضد الحكومة . ومن العجيب أنك حين تقابل هؤلاء المتآمرين ، تجدهم يبتسمون وينحنون لك احتراماً .

وإضافة الى هذه الصفات الطبيعية التي تعود الى قرون أو ربما ألوف من السنين هناك صفات افرزتها الثلاثون سنة الاخيرة . وأول هذه الصفات هي : التعالي الفكري تجاه العرب غير المثقفين مثل (البدو) ولكن هذه المقاييس الثقافية العالية لم تؤدي بالنتيجة الى بلوغ الحكمة . وتوجد ثلاثة صفات بارزة لدى سكان المدن الفلسطينيين ولدى موظفي الحكومة اليوم : (أ) الكراهية للأجانب وخاصة الغربيين (ب) الفساد والاستعداد لتقبل الرشوة (ج) التآمر على بعضهم البعض .

وفي وقت لاحق ، أضاف غلوب صفة أخرى (فيها بعض التضارب) تميز بين فلسطينيي الريف وفلسطينيي المدن : «رجال العشائر والفلاحين يشكلون جنوداً ممتازين ، ولكن رجال المدن نادراً ما تجد فيهم صفات عسكرية . مرة أخرى نجد أن السبب وراء هذا كان عرقياً . فسكان المدن ينحدرون من سلالات مختلطة ، فيما بقي الفلاحون قرناً بعد قرن ، يتزاوجون بين بعضهم البعض .

عموماً ، فشل غلوب بإقامة تمايزات بين مختلف فئات الفلسطينيين ، إذ قام بتجميعهم معاً دون تمييز واستخدم في رسم صورتهم فرشاة عرقية عريضة ومتنافرة . كان غلوب يعتقد بأن موقع فلسطين كتقاطع طريق تقليدي بين آسيا واوروبا وافريقيا قد أفسد سكانها على المدى الطويل بسبب تعدد التأثيرات الاجنبية التي مرت بهم . كذلك نجح الفلسطينيون على مر السنين في إفساد جيرانهم . « فثورة العقل التي تضرب أي عربي

يعيش ولو لمدة قصيرة في فلسطين ، يمكن ملاحظتها في الواقع إذ تنحرف شخصيته ويميل الى الدناءة والعدائية والتشكك . . . بعد أن يعتاد على فكرة الفوضى والعنف» . مرة أخرى نجد أن ثورة العرب في فلسطين قد أثرّت وبلا شك على نظرة غلوب في ذلك الوقت . وهناك صفة أخيرة سلبية وجماعية ، اضافها غلوب الى الفلسطينيين وهي عدم الوفاء .فهم لا يبدون امتنانهم لبريطانيا التي قامت بتحسين احوالهم وحمايتهم خلال سنين الانتداب . كما أنهم لا يبدون امتناناً ايضاً (كما يتهمهم غلوب) للاردن وللفيلق العربي الذي أنقذ العديد منهم من الغزو اليهودي في الضفة الغربية عام ١٩٤٨ .

ومع ذلك ، ورغم ذلك كله ، يبدي غلوب تعاطفاً مع الفلسطينيين في صراعهم ضد الصهيونية ويتعاطف مع معاناتهم وخاصة خلال الاعوام التي تلت نكبة عام ١٩٤٨ . فقد خرج غلوب من عام ١٩٤٨ مفعماً بالاعجاب بصبر الفلسطينيين وقدرتهم على التحمل حين كتب يقول :

« لقد خفي عمق هذه النكبة على العالم بسبب الصبر الشديد والتكيف الصامت الذي صدر عن الضحايا . فقط هؤلاء الذين اختلطوا بهم عن قرب ، استطاعوا ان يدركوا عمق المآسي التي حلت بالمدنيين في كهوف تلال السامرة أو تحت أشجار زيتونها» . ولعل ما يؤشر على صدق مشاعر غلوب ، هو قيامه بتبني طفلين من لاجئي بدو فلسطين وقد أطلق على الفتاة اسم ماري وعلى الشاب إسم جون ، إضافة الى ابنه الاصلي جودفري الذي دعاه فيما بعد باسم فارس وابنته بالتبني «نعومي» وهي يتيمة بدوية من شرق الاردن .

بالنسبة لغلوب ، تطورت الحضارة العربية الخالصة ، وعاشت فقط في قلب الصحراء العربية (نجد) . «لقد عاشوا في الصحراء حيث الهواء اكثر نقاءً والسماء اكثر انفتاحاً والله اكثر إلفة» . هكذا كتب غلوب عن رجال فيلقه من البدو مستعيناً بتعابير أوريجون التي استخدمها في وصف أوائل النساك المسيحيين .

بالنسبة لغلوب ايضاً ، لا يمكن فصل البدو عن الصحراء .فقد كان غلوب منجذباً الى الصحراء ، كأنه يحقق اتصالاً روحياً مع هذه المساحات الشاسعة الفارغة . كانت الصحراء في ذهنه مرتبطة بصورة نقية للتاريخ المسيحي مثل عزلة النُسَّاك والقديسين طلباً للالهام والوحي مع ذكر أعمال المسيح نفسه . وقد مثلت الصحراء لغلوب العالم الطبيعي الحقيقي . أما الساحل فكان مصطنعاً من كثرة ما تدخل به الانسان .

كتب غلوب مرة عن الصحراء العراقية يقول : في ذلك الصباح ، بدا فراغ الصحراء الشاسع مليئاً بالمعاني بشكل اكبر من الطبيعي . بدت أمامه تلك الزخرفة المدنية تافهة تماماً . وكتب عن نفسه وهو بين البدو في الصحراء يقول :

« فقط ، هؤلاء اللذين اختبروهم ، يمكنهم أن يتفهموا افراح المساء في الصحراء والتحلق في دائرة حول نار الخيام فوق الرمال النظيفة الناعمة وتحت النجوم العربية المتلألأة وسط أشعة البدر البيضاء الساكنة « .

وفي تعلقه بالصحراء ، بدا غلوب وكأنه يتتبع مرة أخرى ، خطى المستشرقين البريطانيين الذين اطنبوا في وصف الصحراء وكيف أنها تُيسِّر الاتصال بالطبيعة والوجود وترفع من إحساس المسافر بنفسه ومن قدرته على التخيل . يقول ناصر النشاشيبي ان الصحراء أسرت روح غلوب .

غالباً ما كتب غلوب عن صفات البدو الجسدية التي كان يعتبرها رمزاً للنقاء العرقي الممثل فيهم . «هؤلاء الرجال» كتب غلوب «شديدو التجانس ، يتشابهون في أنوفهم المميزة الرفيعة المستقيمة والضيقة» . وقبل ذلك بسنين ، كتب ريتشارد بيرتون أحد أسلاف غلوب من المستشرقين حول الصفات الجسدية المتفوقة للبدو بما فيها قضبانهم الصغيرة المتناسقة تماماً .

ولكن مع كل هذا الاعجاب الذي يصل الى حد العبادة ، بقي غلوب يتمتع للعجب بنظرة واضحة حول البدو . ولهذه النظرة جذورها في ملاحظات أسلافه وانماطهم التي وضعوها عن العرب الرحَّل . كتب الكابتن جورج سادلير وهو رحالة بريطاني تنقل عبر الجزيرة العربية أوائل القرن التاسع عشر :

عليَّ فقط أن أكرر ان طباع المماطلة والنفاق والخداع والغدر والاحتيال التي يتصف بها البدوي لا يمكن وضعها في لغة تُمكِّن الاوروبيين من استيعاب الشخصية الحقيقية لهذه القطعان من اللصوص .

لم يكن غلوب بالطبع مثل سادلير مسافراً بريئاً ومخدوعاً بكثرة ولكنه كان في كل من العراق والاردن قائداً لفرقة عسكرية بدوية ، واحد حكام المملكة الاردنية التي يعتمد عليها العديد من الناس في اعمالهم وانتمائهم . كان غلوب بشكل عام يُعاملُ بالكثير من الاحترام . ومع ذلك لم تكن عينه لتغفل عن اخطاء البدو وظل على الدوام يتحدث عن عاطفتهم وطفوليتهم .

«لا توجد فائدة في إبلاغ ضابط بدوي (بدون رتبة) بأنه إذا اساء التصرف فسيفقد فرصة الحصول على معاش تقاعدي . لا يوجد بدوي ينظر الى هذا المدى فجميع البدو محكومون بعواطف لحظيةً . والمقارنة بين البريطانيين كعرق وبين البدو العرب تشبه المقارنة بين رجال بالغين وأولاد المدارس فالبدو يملكون شعوراً حاداً ويبدون فرحاً اكبر عند النجاح وإحباطاً اكبر عند الفشل .

وكرجل عسكري وفارس ، اظهر غلوب وبشكل طبيعي احتراماً أكبر لرفقة البدو وميولهم وصفاتهم العسكرية .

« البدو هم اكثر الاعراق الانسانية جاذبية» . فهم يحتقرون العمل أو الزراعة وينظرون الى ركوب الخيل وتربية الماشية والاعمال العسكرية كوسائل العيش الوحيدة المتوفرة للرجل الكريم . وولائهم الوحيد هو لشخصهم ولقبيلتهم . وهم لا يملكون أي شعور قومي بل يفاخرون بالقتال كمرتزقة للذي يدفع لهم اكثر كما أنهم صريحون في حديثهم عن الاخطاء وديمقراطيون الى حدً بعيد .

وفي عام ١٩٤٢ كتب غلوب مذكرة داخلية يقول فيها :

« إن الصفات المميزة للبدو هي : (أ) الزهو والخيلاء عند نقطة الشرق (ب) التقلب وعدم المواظبة على أي أمر . . . والبدو شديدو الكرم وشديدو الحساسية ايضاً ، يتفاعلون تلقائياً مع الذين يتعاطفون معهم ويكرهون بمرارة من لا يتعاطف معهم . والرفاقية تقليد رائع بينهم ينم عن شدة الوفاء والاخلاص . وباختصار ، البدوي يظهر في الغالب مختالاً ، حساساً ، متقلباً ، طفولياً ولحوحاً . ولكنه حريص على الشرف ومحو العار ، سريع ، ذكيٌ ، فكه المزاج وقادر على التضحية والشجاعة كما أنه في العادة مخلص لرفاقه « .

لم يكن غلوب يرى في رجال القبائل رفاقاً مطيعين على الدوام ، يسهل التعامل معهم . فقد كتب عنهم قبل سنوات : « انهم قبائل غير متحضرة ، يرضعون الكراهية والحقد وعندما يصل الامر بهم الى حد اليأس يتحولون الى الكذب والخداع والسرقة لكي يتفوقوا على حكامهم . وفي عام ١٩٣١ ، كتب غلوب لدى استشعاره بوادر تمرد في شرق الاردن ضد الانجليز :

« البدو أرواح بسيطة ، عنصرها الاساسي هو الغزو والعنف والقتل . ولكن عندما يحكمون من سلطة قوية ، كريمة وديمقراطية ، ينقلبون الى اتباع صريحين ، فكهي المزاج

وشرفاء . يقال بأنه إذا جرح ذئب ضمن قطيع ذئاب ، يتحول الآخرون الى الجنون أمام رائحة الدم وينقلبون الى تمزيق رفيقهم . ان البدو وبلا شك يشاطرون الذئاب في هذه العقلية فهم دائماً جاهزون لتمزيق والتهام الضعيف أو الجريح .وانوفهم الحساسة تشم رائحة الدم بسرعة وحينها تستفيق في اذهانهم احلام التمرد والغزو والنهب والفوضى ، والتي ربما تكون قد اصبحت شبه منسية خلال ستة سنوات من الهدوء والكسل » .

وخلافاً للجيل الاوروبي الحديث ، لم يتعرف البدو على قيمة السلام ومنافعه ، بل على العكس ظلوا ينظرون الى الصراع على أنه الحالة الطبيعية للشؤون الانسانية فالامير الذي يكتفي بالجلوس للتمتع بحكمه الطبيعي فقط هو شخص مخنث وجبان . كذلك لا يعجبهم الامير الذي يهزم اعداءه فقط ففي السياسة العليا يتوجب عليه أن يتقن مهارات الخداع والكذب لانها هي التي تكسبه الاعجاب والتقدير » .

ولعل أقل العرب احتراماً بالنسبة لغلوب ، كما هو بالنسبة لمن سبقه من المستعربين ، هم المصريون . فهؤلاء في نظر غلوب (اضافة الى سكان المغرب العربي بشكل عام) ليسوا على الاطلاق عرباً حقيقيين وهم يشكلون عرقاً مختلفاً تماماً عن الفلسطينيين .

وقد كتب غلوب في هذا الموضوع :

« الميزة الرئيسة لدى المصري هي التبجح والتباهي ، فهو يسعى بنهم الى أن يبدو مهماً وحائزاً على الاستحسان . وبشكل عام ، هو غير فعَّالٍ في العمل وكلاًمه الكبير لا ينتج عنه شيء . أما في العسكرية فالمصري قادر على الصبر والتحمل والدفاع . ولكن الضباط المصريين نادراً ما يملكون الشجاعة أو المبادرة في الهجوم . ومع ذلك فلا يجب الانتقاص من قدرة المصريين على التحدث ، فهو سلاح رائع في ايديهم .

« فالمصري محاط بأعراق مزاجية الطباع وسهلة الاثارة ، يشترك معها في نفس اللغة العربية . ولذا فهو قادر على دفع جيرانه نحو السعار والجنون وارتكاب أي شيء . فبالصوت الاذاعي في الراديو يستطيع خطباء الدهماء المصريين تحريك الشعوب العربية من المغرب حتى الخليج الفارسي . كذلك تملك مصر أكثر الصحف وضوحاً في الشرق الاوسط وهي صحف تزينها صور الفتيات الشابات لجلب انتباه شباب المدن في الشرق ، ولدى العديد من المصريين ميلاً ليصبحوا حكاماً وزعماء » .

واضاف غلوب :

« يميل المصريون كعرق الى البلادة ويزدادون بدانة بعد تخطيهم منتصف العمر . وهم بارعون جداً في السياسة والدهاء ونصب المكائد . ولعل بلادة الجسم حين تجتمع مع حدة الذهن تدفع الناس الى الجلوس والمناقشة . والمصريون مشهورون باللف والدوران في حين تنحطّ هذه الصفة لدى حكامهم لتتحول في بعض الاوقات الى الغرور » .

كل من هاتين الفقرتين كتبتا تحت تأثير التدمير الذي قامت به الناصرية في الاردن ، وفي القطعة الاخيرة بدا غلوب وكأنه يشير الى الرئيس المصري جمال عبد الناصر .

الموقف من اليهود

عبر العقود ، عمد الاسرائيليون واليهود ، الى وضع أي نقد شديد موجه ضد اسرائيل في مصاف معاداة السامية أو نابع منها . وقد وصم الصهاينة غلوب بمعاداة السامية وكان هو يدرك تماماً هذا الامر . وقد كتب في مذكراته عام ١٩٥٧ : « هناك عدد من الاشخاص ، يهود أو غير يهود ، يميلون لتصنيف أي نقد للسياسة الاسرائيلية على أنه هجوم ضد السامية . وهذا الاتهام ينطوي على زلةٍ أخلاقية وأنا ارغب في الدفاع عن نفسي لأرد هذه التهمة . إن معادة السامية ، على ما اعتقد هو شعور يتسم بالكراهية تجاه اليهود بشكل عام ، سواء انطلق من وجهة نظر عرقية أو دينية . وأنا أصرِّح بشكل مطلق بأني لا اشعر بهذا الشعور ولا يبدو لي أمراً عادلاً أو منصفاً أن يوصم أي شخص يقوم بانتقاد الحكومة الاسرائيلية بوصمة عار مثل هذه . . أي معاداة السامية » .

وأضاف غلوب يقول : « أنا لم أشعر بأي كراهية تجاه اليهود » . وفي الحقيقة كان غلوب ، كلما أتيحت له الفرصة ، يكيل المديح الى الحضارة الاسرائيلية القديمة والغنية لليهود . وقد تابع يقول : « كذلك لدي العديد من الاصدقاء اليهود ، ويذكر الجميع أنه يوجد بين اليهود مواطنون صالحون ورجال اعمال ناجحون وموسيقيون مبدعون وفنانون متحضرون .والكثير من هذا صحيح ، على الاقل بين يهود أوروبا الغربية » .

على أن هذه التهمة ، مهما بلغت في تأكيدها ، لم تثن غلوب عن إعلان مواقفه المناصرة للعرب أو عن التحرك لتغييرها . يقول : « أنا أعتقد أن انشاء دولة اسرائيل والحفاظ على وجودها بقوة السلاح ، كان خطاءً . وهذا يبدو واضحاً من النتائج المدمرة

التي لحقت بالانجليز وبالعرب . ويبدو لي انه لن يكون من غير المتوقع في النهاية أن تظهر نتائجها المدمرة على اليهود انفسهم » . كتب غلوب هذا عام ١٩٥٧ .

ولكن ، لدى الحكم على كتاباته ، وخاصة بعد عام ١٩٤٨ ، تبدو مواقف غلوب المعادية للصهيونية مشوبةً بدرجةٍ من معاداة السامية . فقد مال غلوب الى تعريف اسرائيل باليهودية ، وأشار الى الاسرائيليين على أنهم يهود . وفي الحقيقة برزت في كتاباته حول المعارك بين العرب واليهود وبين الاردن واسرائيل مؤشرات تدل على قناعته بأن المعركة هي ضد اليهودية العالمية .

وتزخر العديد من الفقرات المبعثرة هنا وهناك ضمن كتاباته عن سيرة حياته ، بالتلميحات والملاحظات الجانبية التي تشير الى معادة السامية . فعلى سبيل المثال ،وبعد سرده لقصة معركة القدس التي جرت في أيار ١٩٤٨ بين الاردن واسرائيل ، يصف غلوب حواراً أجراه مع كاهن يوناني قصير القامة وذي لحية بنية اللون وكثيفة وابتسامة لطيفة ، ويدعى الاب ثيودوسوس . حيث قام الاخير ، ورغم انشغاله برعاية بعض اللاجئين الفلسطينيين ، باطلاع غلوب على صورة رجم القديس اسطفان وهزَّ رأسه بحزن وتنهيد قائلاً : « انهم اليهود ! دائماً يثيرون المتاعب » . ولا يوجد في سجلات كتب غلوب ما يخالف قول الكاهن أو يصححه .

وقد كتب غلوب في وصفه لتاريخ فلسطين القديم أنه عندما غزا اليهود فلسطين في الالفية الثانية قبل ميلاد المسيح ، كانت البلاد مأهولة بسكان ذوي حضارة متقدمة مقارنة مع العبرانيين أو اليهود الذين كانوا في ذلك الوقت قبائل متخلفة من الرحَّل . ووصف اليهود العائدين الى فلسطين من سبيهم البابلي في القرن السادس قبل الميلاد بقوله : « لقد نشؤوا على تلك العزلة التي أبقتهم شعباً غريب الاطوار حتى يومنا هذا » .

يظهر أن غلوب قد بلغ سن الرشد دون أن يكون له اصدقاء من اليهود .في حين ظل يتشرب ذلك الشعور السطحي وغير الحاد من العداء للسامية والذي صبغ طبقته وتنشئته في تلك الفترة من الزمن . وبالمناسبة يمكننا ان نسمع في كتاباته الاخيرة اصداء لتلك الفترة ، في إشارته الى اليهود كوسطاء وتجار محتالين . ولكن موقف غلوب من اليهود اصبح اكثر صلابة وأشد انتقاداً خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٥٦ والفترة التي اعقبتها ، عندما اضطره الوضع لمحاربتهم شخصياً . وقد بدا الامر وكأن اليهود (الاسرائيليين في الحقيقة) قد زودوه ببراهين متواصلة عن نزعاتهم السيئة .

معززين بذلك تحامله الاساسي والظاهري . وقد صعدت العداوات المتواصلة بين اسرائيل والاردن - مع كون جيش الدفاع الاسرائيلي هو المعتدي دائماً ومع بقاء الاردن دوماً في الجانب المدافع والاضعف والاكثر تعرضاً للهجوم في الفترة بين الاعوام ١٩٤٨-١٩٥٦ من نزعاته المعادية للسامية . وكذلك فعلت السياسات والاعمال التي ارتكبها الاسرائيليون خلال تلك السنوات والتي اعتبرها غلوب مخالفة للاعراف والمسلكيات العسكرية . وخلال عقد الثلاثينات من القرن العشرين ، واندلاع الحرب العالمية الثانية وما تلاها من الحروب ، وربما تحت تأثير معاداة السامية التي اطلقها النازيون اضافة الى قصص « المحرقة » ، اصبحت كتابات غلوب ، وهو الانسان العادل الذي ينظر بعين العطف الى الضعيف ، اكثر تضارباً وازدواجية فيما يتعلق باليهود فقد كتب عام ١٩٤٦ يقول :

« إن حياة الشعب اليهودي هي مأساة لا تنتهي . إذ يتم دفعهم بلا مبالاة من بلد الى بلد وهناك يتم استقبالهم في البداية ثم يطردون أو يقتلون . إذ لا يمكن لأحد ان يتحملهم طويلاً لأنهم لا يتكيفون بسهولة مع الاوضاع ويصبحون بالتالي دولة داخل دولة . وهذه المأساة تدور في حلقة مفرغة . فالشعوب الاخرى لا تحبهم بسبب اختلاف صفاتهم . وهذه الصفات نفسها ناتجة عن اضطهادهم من قبل الشعوب الاخرى . والاضطهاد والكراهية ولدّا مرارة عند اليهود . والشعب الذي يكره ويزدري الشعوب الاخرى لا يلقى ترحيباً عند جيرانه . وقد جاء الحل الصهيوني ليخرجهم من وسطهم غير اليهودي ويجمعهم في بلاد خاصة بهم . وقد يكون هذا الحل مثالياً لو أمكنهم الذهاب الى جزيرة في المحيط الهادئ . ولكن المغالطة التي وقعت بها الصهيونية هي أن فلسطين ليست جزيرة . . ولا توجد الا نهاية واحدة لهذا الصراع : (على فلسطين) - مذبحة منظمة لم يحلم التاريخ بمثلها - واذا ما استمر الاستيطان اليهودي في نزاعه مع المقاومة العربية ، فقد ينتهي الأمر إن عاجلاً أو آجلاً بكارثة على اليهود أنفسهم . لقد حافظ الصليبيون على موطئ قدم غير مستقر في الشرق الاوسط لمدة مائتي عام ولكنهم في النهاية انتهوا ولم يبق لهم أثر . إن قرن أو قرنين لا يشكلان شيئاً عبر التاريخ . والصهيونية تقوم بجرّ هؤلاء اليهود التعساء الى واحدة من اسوء كوارث تاريخهم » .

على الرغم من أن هذه الفقرة تظهر تعاطفاً متضارباً مع المأزق الذي وقع فيه اليهود ، الا انها تتجنب إي ذكر واضح للمحرقة بل وتتجاهل ضمنياً وقوع مثل هذا الحدث .

مثلاً : حين يذكر غلوب عبارة «مذبحة منظمة لم يحلم أحد بمثلها» . أي مذبحةٍ يمكن أن تكون افظع من تلك التي بالكاد قد انتهت حتى قبل ان يكتب غلوب مثل هذه الكلمات .

خلال الفترة بين الاعوام ١٩٤٨ - ١٩٥٦ ، هاجمت القوات الاسرائيلية ، المناطق العربية من فلسطين وطردت مئات الالوف من سكانها (العديد منهم انتهوا كلاجئين في الاردن) وقتلت المئات من رجال فيلق غلوب العزيز على قلبه . كما قتلت وبشكل منتظم ، العرب الذين كانوا يتسللون الى اسرائيل (وصلت حصيلة القتلى الى الألاف ، معظمهم من اللاجئين المعدمين أو المزارعين أو الرعاة) وكررت هذه القوات غاراتها على القرى الاردنية والقواعد العسكرية موقعة قتلى وجرحى بين المدنيين والعسكريين .وربما كان من الطبيعي أن تغذي عمليات القتل اليومية هذه شعوراً كامناً لدى غلوب بمعاداة السامية .

وقد اصبحت ميول غلوب المعادية للسامية ، أو على الاقل ألفاظه ، اكثر وضوحاً إثر طرده من الخدمة العامة وعودته عام ١٩٥٦ من الشرق الاوسط الى لندن . وربما كان غلوب ينظر الى طرده على يد الملك حسين ، وكأنه نتيجة جزئية وغير مباشرة لممارسات اسرائيل . وكلما ازداد به العمر ، كلما استحوذت عليه اكثر تلك الأفكار والمفاهيم العرقية . ففي محاضرة له عام ١٩٦٧ تحدث غلوب عن مشكلة الانف اليهودي ودافع عن مقولته بأن القبائل العبرية التي غزت أرض كنعان (او فلسطين) خلال الالفية الثانية قبل الميلاد كانت وبلا شك أقل عدداً من سكان البلاد الاصليين . وخلال القرون التي تلت ، ضاعت الفروقات بين الحاكم والمحكوم من خلال عمليات التزاوج التي جرت بين الطرفين . لذا فإن الانف اليهودي لم يعد أنفاً سامياً بل حثياً أو آرياً . وهي أنوف اهل البلاد الاصليين الذين احتلت بلادهم من قبل العبرانيين .

وعاد غلوب يتذكر الانف اليهودي عام ١٩٧١ حين قال : «ان الحجة الرئيسة التي تؤيد اعتبار اليهود فئة عرقية تكمن في تشابه ملامح الوجوه بينهم - أنف كبير ، بشرة شاحبة وشعر أسود - ولكن لا يملك اليهود كلهم تلك الملامح المميزة ، كذلك فإن تلك الملامح تعتبر شرق أوسطية أكثر منها يهودية . فاليهود الروس على سبيل المثال ، لا تجري في عروقهم الا القليل من الدماء الشرق أوسطية ويتكون معظمهم من الوثنيين السلاف الذين دخلوا حديثاً في الدين اليهودي أو من يهود الخزر الاتراك . والعديد من يهود

شرق اوروبا يملكون شعوراً شقراء وعيوناً زرق . كذلك فإن اليهود الحاليين لا ينحدرون من سكان يهوذا . . بل أن عرب فلسطين ربما يكونوا اكثر شبهاً فيما يتعلق بالجينات من اهل يهوذا في معظم الاحيان . فالروس والألمان قوم حديثو العهد باليهودية" . هنا يمكن ملاحظة نقطة معادية للصهيونية (كما هي معادية للسامية) فالفلسطينيون لهم حق سياسي اكبر في فلسطين من اليهود لأنهم وعلى عكس اليهود الحاليين ، يُعتبرون السلالة الحقيقية التي انحدرت من السكان اليهود أو من اليهود الذين كانوا يملكون أراض في حينها (وخلافاً لذلك ، غالباً ما كتب غلوب أن الفلسطينيون العرب أو الكنعانيون هم جينياً ابناء السلالة الحقيقية لسكان فلسطين قبل ظهور اسرائيل) .

وفي عام ١٩٧١ ، كرّس غلوب معظم كتابه الضخم «السلام في الارض المقدسة" ، لتاريخ فلسطين واليهود . وقد جاء الكتاب وبشكل واضح ، نتيجة تأثير السنين الاولى للاحتلال الاسرائيلي الوحشي للأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة . كان غلوب يبدو مغتاظاً من فكرة سيطرة اليهود على الاماكن المسيحية المقدسة في القدس الشرقية وبيت لحم . وشهد عرض غلوب وتحليله ضمنياً حالات صريحة ضد السامية . وقد حاول غلوب أن يبرهن في الكتاب ان الصهيونية وطبيعة ممارساتها تجاه عرب فلسطين لم تكن فقط مظهراً من مظاهر الهجمة الامبريالية الغربية للسيطرة على سكان العالم الثالث ، بل جاءت نتيجة مباشرة وطبيعية لثلاثة آلاف سنة من التاريخ اليهودي . وقد ربط غلوب الاحداث على عدة أصعدة : ففي نظر غلوب ، جاء اجتياح الصهاينة لفلسطين خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الاخيرين تكراراً لاجتياحهم البلاد في القرنين الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد .

كما أن اضطهاد المسيحيين والاديان الاخرى لليهود عبر العصور ولّد صفات عدوانية وانتقامية لدى اليهود ، والتي ما أن ملكت السلطة حتى اطلقت العنان لممارساتها الشريرة ضد العرب . وفي الحقيقة يناقش غلوب هنا ، أن العقلية والتقاليد اليهودية والمواقف اليهودية من باقي الاعراق الانسانية قد تواصلت دون توقف من الخَلَفْ الى السلف عبر الاجيال .

بدا غلوب وكأنه يلمح ضمنياً الى أن المسلكية والعقلية اليهودية هما منبع الدعايات المعادية للسامية مثل كتاب «بروتوكولات حكماء صهيون والشروحات اليونانية القديمة التي تصف اليهود بأعداء الجنس البشري» . وإنه لمن المدهش (بحد تعبير غلوب) كيف

انتقلت هذه التعابير عبر التاريخ وربما وصل التضامن اليهودي في وجه العالم ذو الاديان الاخرى الى حد تصديق كراهيتهم وعدائهم لسائر البشرية .

يبدء غلوب كتابه بتحذير يؤكد على أن المشاكل التي تحدث في الشرق الاوسط ، تعود جزئياً الى سياسة الغرب الرعناء والمجردة من المبادئ الاخلاقية ، والتي جاءت نتيجة لترك الايمان بالله . فالرجال الذين يفقدون منظورهم الروحي ، يعاملون بعضهم البعض كالوحوش الكاسرة . والسلام يقوم على تفنيد الفكرة القائلة بأن غزو ارض كنعان من قبل الاسرائيليين الاوائل كان عملاً صالحاً ، وان تسمية الله لليهود بإسم «شعب الله المختار» - والذي لم ينازعه الكاتب - لم تكن مبنية ابداً على مناقبهم الاخلاقية .وينتقد الكاتب بقسوة سياسات الملك داوود التوسعية ويقول :

« كانت الركيزة الرئيسة لاصلاحات عيزرا ، تقوم على منع التزاوج بين اليهود وباقي البشر لأن العرق المقدس يجب أن يبقى مصاناً ومعزولاً عن البشرية . وقد ظل الاسرائيليون يتزاوجون بحرية مع سكان ارض كنعان ولمدة ثمانمئة عام . وظهر عيزرا هنا كشخص رجعي يُمنّي نفسه بإحياء أيام جوشوا وتجديد عهده باحتقار الفاتحين للسكان الاصليين . وتعتبر اصلاحات عيزرا مخالفة تماماً للرأي العام اليوم ففكرة وجود عرق متفوق ، يتلوث دمه إذا ما اختلط بدم الآخرين ، اصبحت فكرة مذمومة [هتلر لم يأت بجديد حين طرح مفهوم العرق المتفوق » .

ولكن بعد أن يهاجم عيزرا بهذه القسوة ، يحاول غلوب التملص كمن يمارس خدعة إخراج ارنب من قبعته . إذ بعد أن يشير بوضوح إلى اليهود (عيزرا) بأنهم اساس نظرية وسياسة العرق المتفوق ، يتجه غلوب بإشارته اتجاها آخر فيقول : «يُحكى عن ارسطو طاليس أنه أخبر الاسكندر الشاب بأن العلاقة بين اليونان وبين الشعوب من الاعراق الاخرى تشبه العلاقة بين البشر والحيوانات . ولعل هذا الغرور الضيق الذي يصيب مجتمعاً ما فيجعله مؤمناً بتفوقه على سائر البشر ، قد ظل يدغدغ وبشكل متواصل عبر الزمن بعض المشاعر الانسانية التافهة ، لدرجة أوصلت حتى اليونان الى ارتكاب جريمة التفكير بأنهم عرق متفوق . وربما أدخل غلوب ،قصة ارسطو طاليس في هذا السياق ليجنب نفسه التعرض لاتهام بمعاداة السامية» .

ويستمر غلوب بالقول : (تظهر قصة عيزرا بأن نفس التشويش الداعي الى العزلة والذي وقع بين الدين والعرق ما زال يربك اليهود ويدعوهم الى التفريق بين اليهود وبين

باقي ابناء البشر) . ولكن غلوب بنظرته المنصفة يتدارك الامر فوراً بقوله (بناءً على قصص العهد القديم امثال قصص يوحنا وروث ، يتبين لنا أنه طالما ترافق لدى اليهود تياران فكريان متناقضان ، فبعض اليهود الذين تشتتوا في انحاء العالم اصبحوا من اقوى المدافعين عن الموقف المتسامح تجاه كل الشعوب في حين أصرَّ آخرون على الاستمرار بالمفهوم الضيق لعزلة الامة المقدسة) .

وإذا كان هناك رابطاً مباشراً بين معتقدات اسرائيل القديمة وبين ايمان اليهود بأنهم العرق السيد في العالم ، فهناك ايضاً ، على رأي غلوب ، رابطاً بين النازية والممارسات الاسرائيلية الحالية ضد العرب . وقد كرر غلوب خلال الاعوام ١٩٤٨ - ١٩٥٦ ، مقارنته للممارسات الاسرائيلية التي كان يدعوها اليهودية بممارسات هتلر وستالين . فعلى سبيل المثال ، وعند ذكره للمطالب الاسرائيلية في مفاوضات الهدنة التي جرت عام ١٩٤٩ بين الاردن واسرائيل ، والتي أقرَّت بضم جزء من الضفة الغربية للاردن . علق غلوب بالقول : « ان المطلب الاسرائيلي لا يعدو كونه سياسة هتلرية صرف . وقد أجبر الاردن على توقيع الاتفاقية » ، واضاف غلوب : « ان اليهود (الاسرائيليون) يمارسون سياسة القوة بفجاجةٍ مثل الروس ولكن على نطاق اصغر » .

وعلى الصعيد الفلسفي ، اكتشف غلوب بعد عام ١٩٥٦ وجود طبقة أعمق من السببية والترابط ، تعود الى ايام الهيكل اليهودي الثاني . فيقول :

« تماماً ، مثلما أدىً الاضطهاد النازي الى نشوء دولة العسكر الاسرائيلية المعتدية ، كذلك حوَّلت المقاومة الباسلة التي أبدتها عائلة مكابي أو الحشمونيون في القرن الثاني قبل الميلاد ضد الملك اليونان السليوسيدي (انتيوفوس ابيفانوس) ،شعب يهودا الى قوة عسكرية متعصبة وعدوانية . حيث قام جون هيركانوس (الحفيد الاكبر للاخوة مكابي بالاعتداء على جميع جيرانه وبإجبار الادوميين على اعتناق الديانة اليهودية - وهي سياسة عززت تفنيد الادعاء اليهودي بالصفاء العرقي . . وهكذا كانت طبيعة الحشمونيين والتي سنراها مرة أخرى » .

والغريب في الأمر ، أن غلوب وعلى الرغم من موقفه المؤيد للفلسطينيين ، أدان بشكل خاص ، حركات التمرد التي قام بها اليهود ضد روما : الثورة الكبرى في الاعوام ٦٦ - ٧٣ بعد الميلاد وثورة بار كوفا بين الاعوام ١٣٢ - ١٥٣ بعد الميلاد . وبدلاً من أن يقف في صف السكان المحليين المظلومين ، اعتبر غلوب أن هذه الثورات قامت بدفعٍ من

فئات استبدادية ، ومتعصبة دينياً وقومياً . وهنا بدا أن غلوب الذي أمضى حياته عميلاً للامبراطورية البريطانية ، اعتبر نفسه اقرب الى الامبراطورية منه الى اتباعها المظلومين . فبالنسبة له ، وقع التمرد عندما قام اليهود وعلى طول البلاد بقتل السكان غير اليهود الذين قاموا بالرد عندما سنحت لهم الفرصة . وقد وصف المتمردين برجال العصابات المتعصبين . ووصف أحد قواد الثورة في الشمال وهو يوحنا القيشالي بأنه رجل عصابات محلي . كما وصف ثورته بأنها عمل ناتج عن التعصب الاعمى والكراهية للغرباء .

« لم يكن المتطرفون الذين تمردوا على روما يشكلون اغلبية اليهود في فلسطين . ولم تكن دوافعهم دينية بل كانت قائمة على الطمع وكره الغرباء والنزعة الى السيطرة . ولعل من الحق القول أن المجتمعات اليهودية كانت محمية وغير مضطهدة من قبل الزعماء الرومان تيتوس وفاسبانيان . صحيح أن معاملة السجناء كانت وحشية من قبل الرومان ولكنها كانت مترافقة مع تقاليد ذلك العصر . . وعندما استولى اليهود على السامرة ، قاموا بذبح جميع السكان . . وقد أدركت الفئات المثقفة بأن الثورة ستنتهي الى الفشل إذ أن المدافعين عن القدس كانوا فلاحين جهلة » .

وباختصار ، كتب غلوب : « استمرت يهودا تحت الحكم الروماني ، كما تحت حكم الحشمونيين وللمرة الثانية ، في مزاجٍ انعزالي عسكري مرير أدَّى الى انهيار الروحانية الدينية وتصاعد الاحقاد العرقية » .

بكلمة اخرى ، تم اعتبار الثورة ضد محتل اجنبي غاشم ، على انها نوع من الانعزالية العسكرية المريرة .

بعد ذلك ، قام غلوب بتخصيص مقاطع طويلة من كتابه « السلام » للحديث عن تاريخ العلاقات المريرة بين المسيحية واليهودية . وهنا ايضاً أبرز غلوب بأن اليهود المضطهدون هم الطرف المذنب . فهم الذين اخرجوا للعلن ، تلك الافكار والعادات حول الاضطهاد الديني . وهم الذين اطلقوا فكرة تسلسل تقديم الضحايا . ففي القرن الاول ومنتصف القرن الثاني الذي تلى ظهور المسيح ، اظهر اليهود تلك العقلية الاضطهادية ضد المسيحيين مطلقين بذلك سلسلة من ردَّات الفعل المضطَّهدة لهم والتي تواصلت حتى يومنا هذا . واضاف غلوب : « ولكن اليهود كانوا اصحاب بدعٍ في هذا الشأن في حين انحصر اهتمام الحكومات في العصور القديمة بممارسات اتباعهم وليس بمعتقداتهم . اما اليهود فقد ابتكروا الاضطهاد الديني ضد معتقدات الشعوب . وإثر ذلك ظل اليهود

واكثر منهم المسيحيون يضطهدون الشعوب ويعاقبوها على أفكارها ، رغم كون تلك الشعوب غير مذنبة في ممارساتها) .

« من الطبيعي إذن ، أن تتعاظم عند المسيحيين مشاعر الكراهية ضد اليهود ، خلال قرن ونصف من الاضطهاد ، الى أن اصبحوا أقوياء بما فيه الكفاية ، متعطشين للانتقام بروح لا تمت الى المسيحية قط . وعندها اضطهد المسيحيون اليهود ، إلا أن هذا الاضطهاد لم يكن متواصلاً . ومع حلول القرن الخامس ، كما يقول غلوب لحق المسيحيون بركب اليهود في درجة عنفهم . الا ان ذلك لا يعني تبرئة اليهود من أي ذنب . فقد استمروا في استفزاز الناس ، ولم يتوخوا الحكمة في مكرهم . وظلت الرسومات الكاريكاتيرية للمسيح والتهكم الساخر على صلبه تثير حفيظة المسيحيين .

ويتابع غلوب (لم يكن المسيحيون وحدهم بين اصحاب الاديان الاخرى الذين استثارتهم الاستفزازات لاضطهاد اليهود . فالمعاملة السيئة التي ابداها المسلمون لليهود تجذرت ايضاً بسبب ممارسات اليهود أنفسهم) . وفي كتابه «السلام في الارض المقدسة» كتب غلوب حول ظهور الإسلام في القرن السابع يقول : «ادعى محمد أن الاسلام هو دين ابراهيم وموسى . وكان يأمل ان يجد دعماً من اليهود . ولكن للأسف ، سخر يهود المدينة من رسالته وايحاءآته . ونتج عن ذلك أن قام محمد بطرد قبيلتين من القبائل اليهودية الثلاث في المدينة . أما القبيلة الثالثة فظلت تتعامل مع اعداء محمد خلال حصار المدينة من قبل أهل مكة . وعندما انسحب المكّيون تمت إبادة ٧٠٠ من افراد هذه القبيلة . فقد كان محمد ينظر الى ممارسات هؤلاء الناس على أنها معارضة منظمة لرسالته التي عهد الله له بها . ولكن الحق يقال ، فقد سمح للافراد من اليهود بالبقاء في المدينة دون أن يمسهم سوء ولم يقم أحد بإكراه المسيحيين أو اليهود على اعتناق الاسلام» كما كتب غلوب وبدون شك ، فقد تمتع اليهود تحت الحكم الاسلامي بحرية دينية وأمنوا كما أمِن المسيحيون على ممتلكاتهم على الرغم من اضطرارهم لدفع ضريبة خفيفة على شكل جزية ولكنهم في المقابل أُعفوا من الخدمة العسكرية . ويقول غلوب أن هذا الاعفاء لم يكن بناءً على طلب من اليهود ، وقد أدى هذا الأمر على مدى الزمن الى حصول تمييز مؤثر . كل ما قاله غلوب حول هذه النقطة هو : (أن هذا الأمر اعتبر صفقة مربحة ضمن المنظور اليهودي) . (هذه العبارة نفسها تحمل في طياتها نغمةً معادية للسامية) .

قدَّم غلوب المزيد من المعلومات حول علاقات محمد والاسلام مع اليهود في كتابه حول سيرة النبي محمد : «حياة وأيام محمد» . وقد تم نشر الكتاب عام ١٩٧٠ . يقول غلوب في الكتاب (بناءً على نصوص قرآنية واسلامية أخرى) . أن يهود المدينة قد تحدّوا محمد مراراً في محاولة لاظهار جهله وتسفيهه . (ويقارن غلوب هذه الاحداث بالقصص الواردة في العهد الجديد والتي تظهر كيف حاول كهنة اليهود إرباك المسيح خلال أحاديثه) . ثم يكتب غلوب عن الأمل الذي كان يحدو محمد بأن ينضم اليهود اليه في صراعه ضد الكفار . فيقول : لو كان يهود المدينة أشخاصاً ذوي حكمة وبعد نظر ، لتمكنوا من الوصول الى وسيلة للتعايش السلمي مع المسلمين ،ولكن كيف يمكن ليهود المدينة ان يكونوا حكماء وواسعي الادراك ؟ فهم انفسهم ينحدرون من أوائل العرب الذين اعتنقوا اليهودية . (يشير غلوب هنا الى الاصول الجينية غير اليهودية لليهود) . ولم يستطع كهنتهم مقاومة اغراء اظهار تفوقهم وذكائهم بإبراز مغالطات الرسول بالنسبة لقصص العهد القديم . لقد حاولوا تسفيه محمد واظهاره بمظهر سخيف) .

كما صور غلوب اليهود على انهم شديدو المكر . وذكر أن هذا كان سبب تراجعهم .

وبناءً فقط على نصوص إسلامية ، يتابع غلوب : «ان نفي أو اضطهاد القبائل اليهودية (في منطقة المدينة) لم يكن نتيجة الحقد على دينهم ولكن نتيجة لمواصلتهم زرع الشكوك في رسالة الله . وقد تمنى محمد في احدى المراحل ان يتحالف معهم ولكن تفاهة قبائل اليهود في المدينة حالت دون ذلك وأدت الى احباط أمله فيهم» .

وفي تحريف كبير لتاريخ العلاقات الاسلامية اليهودية - والتي ساد فيها المسلمون وبقيت الاقليات اليهودية تُعامل كمواطنين من الدرجة الثانية ، وأفرادها يقمعون ويذبحون بين الفينة والاخرى ومن مكان الى آخر - يقول غلوب : (من المهم أن نلاحظ هنا أنه عندما توقف الخطر اليهودي على مسيرة الاسلام ، تحالف الدينان ضد المسيحية وبقيا كذلك حتى ظهور الصهيونية في القرن العشرين) .

إن مثل هذا الوصف الذي يصور الاسلام واليهودية بمجتمعاتهما الصغيرة المعدمة والمضطهدة والمتناثرة عبر العالم الاسلامي ، كحلفاء ضد المسيحية ، أو يصور الموقف الاسلامي تجاه اليهود بأنه يتسم بالمساواة وعدم التمييز والتسامح ، هو وصف سخيف ولكن هذا ما فعله غلوب .

وينهي غلوب كتابه عن محمد (وهو كتاب موجه للقارئ الانجلو السكسوني) بالتماس مؤثر يطلب فيه اظهار التسامح تجاه الاسلام :

« لمعظم الاوروبيين ، يبدو الاسلام كدين قاسٍ متوحش ، يتمثل في وجه رجل مسلم متعصب ، له أنف يشبه انف الصقر ، يشهر سيفاً معقوفاً بيده . ووراء رأسه ترفرف راية الهلال ، وقد تم تعزيز مثل هذه الصورة في العشرين سنة الاخيرة ، نتيجة للتهديدات الطنانة التي اطلقها السياسيون المشرقيون وخاصة المصريون منهم ، حول إبادة اسرائيل » .

يقول غلوب : « إذا كان يهود العصور الوسطى ، قد تمكنوا من العيش برغدٍ وسط عالم إسلامي . فإنهم ساروا على نفس النهج وسط العالم المسيحي كذلك . وحين كانوا يقعون تحت نصل عدم التسامح ، فقد كان ذلك يعود الى عيوبهم الخاصة » . ويضيف غلوب : « في الفترة الواقعة بين عام ٧٠٠ الى عام ١٥٠٠ للميلاد ، عاش اليهود وسط علاقات تسامح من الكنيسة وفي ظل حمايةٍ من الحكام الموَّحدين . ولكنهم كانوا مكروهين من قبل جماهير الشعب بسبب عملهم كمرابين وكجامعي ضرائب ، وبسبب انطوائيتهم ورفضهم المشاركة في المناسبات العامة أو حتى تناول الطعام والشراب مع المسيحيين وكذلك حقدهم الحقيقي أو الوهمي على من هم من غير دينهم . وفي العصور الوسطى الاخيرة في شمال اوروبا ، تعامل اليهود مع من هم من غير دينهم بمكرٍ ودهاء . وحين كانوا يعوا ذاتهم ، يظهرون تذللاً أو غروراً . وفي نفس الوقت ، يقول غلوب ،قام الذين تحولوا الى اليهودية في اسبانيا إبَّان العصور الوسطى بمناصرة الملك ضد عامة الشعب . مرة أخرى نجد اليهود في التاريخ وقد تحرروا من القمع ، ينهضون بسرعة ليسيطروا على البلاد التي يعيشون فيها . بينما تقوم الشعوب الناقمة على سلطتهم بالانقلاب عليهم وتبدء فترة جديدة من القمع والاضطهاد » .

بشكل عام ، يؤكد غلوب ، أن اليهود في ظل حكم المسيحية ، عانوا من الاضطهاد أقل بكثير مما عاناه المنشقون المسيحيون . واقل مما عاناه المسيحيون في العالم الاسلامي . وبالاشارة الى غزوات المغول للشرق الاوسط ، يقول غلوب : « بالتأكيد ، إن معاناة اليهود أو المنشقين المسيحيين في اوروبا ، لا تقارن بنقطة بتلك المآسي التي لحقت بالمسلمين بين الاعوام ١٢٢٠ - ١٤٠٥م » ، وفي نفس الوقت ، يلُمح غلوب ضمنياً الى أن المذابح التي ارتكبها المسيحيون بحق المسيحيين جاءت بطريقة ما نتيجة لتحريض اليهود . مثال على

ذلك : عندما يكتب بأن جوشوا وجدعون وصاموئيل لعبوا دوراً رئيساً في ثورة اوليفر كرومويل ولعل هذا ما يفسر المذابح التي ارتكبت في دروغيدا ووكسفورد بايرلندا عام ١٦٤٩ .

ومع كل ما جاء من قبل ، فإن غلوب بعد عام ١٩٥٦ ، لم يكن مجرداً من أي عاطفة تجاه الشعب اليهودي . فقد كتب عام ١٩٧١ يقول : حتى اليوم ، ما زال هناك شعور بالشفقة العميقة على اليهود في محنتهم . وفي معظم الاحيان نجد انفسنا مضطرين للتعاطف مع يهود العالم في هذه المحنة التي يواجهونها سواء كان لزاماً عليهم ان يتجانسوا مع سائر الانسانية أم لا . ولكن بشكل عام ،تبقى نظرة غلوب الى اليهود ، كما نستشفها من كتاباته خلال فترة تقاعده ، نظرة صفراوية وغير دقيقة ، وفي معظم الاحيان معادية للسامية بشكل صارخ . فهي تخلط في تركيزها بين الانعزالية اليهودية والشعور بالتفوق العرقي مع اتهامها بالتسلط وعدم التسامح .

ومنذ بداياته في عقد الثلاثينات من القرن العشرين وحتى اعوام تقاعده ظل غلوب يندب ويهاجم بعنف ما أسماه بسيطرة اليهود على الجزء الاكبر من الصحف والإذاعات في العالم . فبالنسبة لغلوب : تعتبر سيطرة اليهود على الاعلام تفسيراً لهيمنتهم الواسعة على الراي العام العالمي ومساندة حكومات العالم لقيام الدولة اليهودية .

وقد كتب عام ١٩٤٩ يقول :

« يبدو أنه من المستحيل ، نشر مقالة واحدة في الصحف الاميركية ، مؤيدة ولو بشكل متواضع للحق العربي . ان مثل هذه السيطرة على المؤسسات الاعلامية العالمية تمكن اليهود من لعب سياسة «جيكل وهايد» . فهم في صحف العالم الضحايا الفقراء المضطهدين ولكنهم في فلسطين جيوش فاتحة ، متغطرسة تقوم بطرد المدنيين من بيوتهم وتهدد بالقيام بعمل عسكري ضد كل من يرفض الاعتراف بادعائها الحق بالسيطرة على الشرق الاوسط » .

في ذلك الوقت ، لم يكن لدى غلوب فكرة واسعة عن القيادة الصهيونية الاميركية . ولعل من الجائز أن يغفر ذلك له ، كما حصل مع موشيه شيرتول (شاريت لاحقاً) مدير الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية والذي اصبح لاحقاً أول وزير خارجية الاسرائيل وكما حصل كذلك مع أشعيا برلين المسؤول في السفارة البريطانية

بواشطن حين كتب برلين الى لندن يقول : ان شيرتوك يدعي بأن الصهاينة (المحليين) هم مجموعة مروّعة من عديمي الكفاءة والمخادعين السخفاء وهذا الكلام هو في الحقيقة صحيح تماماً .

الموقف من الصهيونية

كان غلوب يعتبر الصهيونية نتيجة طبيعية لليهودية وللتاريخ اليهودي ووليدة للامبريالية الغربية . وقد بيَّن غلوب عام ١٩٧١ بأنه في القرن الثامن عشر في عهد التنوير ، سعى بعض اليهود للاندماج مع المجتمعات المسيحية لكي يصبحوا مواطنين عاديين . ولكن البعض الآخر فضَّل الانعزال والتفرد . (وكان على الصهيونية التي انبثقت بعد قرن من ذلك الزمان ان تصبح واحدة من ظواهر الخوف من الاستيعاب أو الاندماج) . وفي نفس الوقت كونت الصهيونية نفسها في عصر الامبريالية ووضع (اليهود) خططهم للاستيلاء على فلسطين متجاهلين تماماً وجود سكان اصليين في الشرق الاوسط . وبقيت الصهيونية واتحاد جنوب افريقيا وحدهما يحملان عقلية الاستعمار حتى يومنا هذا .

ومع ذلك فقد كان غلوب يتفهم ويتعاطف الى حد ما (خاصة قبل عام ١٩٤٨) مع بواكير ظهور القومية اليهودية . فقد كتب عام ١٩٤٨ :

« غالباً ما وقع اليهود ضحايا للاضطهاد أو على الاقل للنبذ والتمييز ، ولم يعودوا يحتملون ذلك بل تعبوا من كونهم أقليات في بلاد أخرى . وقد قرروا في هذه المرة ان يكون لهم بلداً يتولون به هم السيادة على انفسهم . ولقرون عدة بقيت اليهودية تعتبر ديناً ، ولكن التأثيرات القومية الحديثة حولتها الى أمة . ولا نستطيع ان نلوم العرب أو اليهود لانهم ابتليوا بروح القومية فقد كانت اوروبا الغربية هي السبب في نشوء القوميات . ان مأساة اليهود تعود في أصولها الى الامم المسيحية في اوروبا وامريكا . ولكن الضمير المسيحي استفاق اخيراً عندما قام بدعم الصهيونية » .

وحتى في الفترة التي تلت عام ١٩٥٦ ، ظل غلوب يكتب عن الصهيونية بمقياس متعاطف : « ليس من الصعب ان نتفهم رغبة اليهود بدولة يكون كل من فيها يهودياً ، ويكون شعبها حرّاً وبعيداً ليس عن الاضطهاد فحسب بل عن الاهانة والتحقير الاجتماعي » .

ولكن نبرة غلوب تراوحت بشكل عام بين السلبية والسلبية المتطرفة عندما كان يجادل في وضع الصهيونية والصهاينة . فقد ذكر غلوب أن حاييم وايزمان ، الزعيم الصهيوني البارز الذي أعقب هرتزل باني الحركة ومؤسسها ، كان يمثل اليهود الروس وهم اعداء الداء للاندماج زادت مرارة الاضطهاد من انعزاليتهم . وإضافة الى ذلك - وهنا يمكن للمرء ملاحظة نبرة أخرى معادية للسامية ، والتي اصبحت روتيناً ، في اتهام غلوب لليهود بالولاء المزدوج أو عدم الولاء للدولة المسيحية التي تستضيفهم - يقول غلوب : « تعطي سيرة حياة وايزمان انطباعاً لدى القارئ غير اليهودي حول مدى جاهزية الصهاينة لتغيير بلدهم . فقد ولد وايزمان في روسيا ، وعاش في المانيا وسويسرا وبريطانيا» ، ويضيف غلوب متجاهلاً الاسباب التي دعت وايزمان للانتقال من بلد لآخر ، ومتجاهلاً مساهمته العلمية الكبيرة في مجال انتاج الاسلحة البريطانية خلال الحرب العالمية الاولى . . (كما عاش مساعدوه حياة مشابهة مع بقاء ولائهم لليهودية فقط) . ويضيف غلوب : (ومثلهم مثل وايزمان ، ظلت اغلبية اليهود الروس الذين تدفقوا الى فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة في العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر والعقود الاولى من القرن العشرين ، يعتبرون انفسهم يهوداً أولاً ويدينون بولاء أقل درجة الى الدولة التي يعيشون فيها) .

منذ البداية ، كتب غلوب « وضع الصهاينة تصوراً لانشاء دولة يهودية ولتصفية سكان فلسطين . ومن أجل تنفيذ مشروعهم ، قام الصهاينة باتباع أسلوب الهضم التدريجي . وكان وايزمان على الرغم من التصور النهائي الذي وضعه للاستيلاء على كامل فلسطين ، يطالب دائماً بحقوق صغيرة متواضعة . . كذلك اتبع الصهاينة فوراً سياسة التضييق ، وهي سياسة استطاعوا تطويرها بشكل واسع ، مواصلين الضغط على الاشخاص الذين يشكلون مواقع التأثير . وفي النهاية كان المترددون يذعنون لمطالبهم سعياً وراء حياة هادئة في حين كان المناوئون يلتزمون بالصمت اتقاءً لشرهم » .

كتب غلوب بدقة واقعية : « كان الصهاينة دائماً - يموهون أو يخفون نواياهم الحقيقية - انشاء الدولة وطرد السكان الاصليين تحت ستار من الكلام المخادع » . وخلال حكم الانتداب البريطاني ، واصلوا التهامهم للبلاد جزءاً جزءاً وتدريجياً اكسبهم خداعهم نقطة إثر نقطة على صعيد السياسة العالمية وعلى صعيد الارض في فلسطين ، في ظل تمتعهم بدعم وحماية الامبراطورية البريطانية (خلال جميع أعماله إتخذ غلوب

موقفاً متضارباً من الامبريالية البريطانية ، مناصراً لها مرةً ومنتقداً مرة أخرى خاصة عندما يكون الموقف معادٍ للمصالح العربية أو مؤيداً للصهيونية) .

(ومن هم ضحايا الصهيونية ؟ كان الشعب العربي الفلسطيني شعباً ذكياً لطيفاً ولكنه لم يكن نداًّ للتحدي الذي فرضته الصهيونية) . . ويقول غلوب : (كان الصهاينة سياسيون واعلاميون من الدرجة الاولى في حين كان الفلسطينيون اطفالاً أمامهم ، ارتكبوا اخطاءً تقترب من الانتحار ، بسبب جهلهم بالعالم الغربي . واحدى هذه الاخطاء كانت اعتمادهم نهج مقاطعة التحقيقات السياسية) . كان وصف غلوب للطبائع المتناقضة لدى الصهاينة ، وللسياسة العربية الفلسطينية ، وصفاً قوياً وملامساً للهدف . فقد كان اليهود يقبلون أي مكسب وأي وعد يمكن ان يحصلوا عليه حتى ولو شكل هدفاً أقل من آمالهم . وعندما يضمنون الحصول على هذا المكسب ، يتقدمون بطلب المزيد ويقومون بتعميق معنى الوعد الذي حصلوا عليه . في حين سلك العرب منهجاً مغايراً . اذ كانوا يطالبون ببرنامجهم كاملاً ويرفضون أي مكسب ينقص مثقال ذرةٍ عن نصوص مطالبهم . وكانت النتيجة كارثية . فقد انتقل اليهود من نصر لنصر ، محققين مكسباً تلو الآخر في حين ظل العرب يطالبون بكل شيء أو لا شيء وفي النهاية حصلوا على لا شيء .

هذا التحليل الموجز لمواقف غلوب من العرب واليهود ومن الصهيونية سوف يساعدنا على تفهم طريقة تفكيره وطريقة عمله خلال عقود الثلاثينات والاربعينات والخمسينات من القرن العشرين . فقد تمكن غلوب من قيادة الفيلق العربي بنجاح ولمدة طويلة من خلال نظرته المعجبة (ولكن المتحفظة) نحو البدو . وكانت ممارساته تجاه الفلسطينيين سواء في الاعوام ١٩٣٦ وحتى ١٩٣٩ أو خلال حرب عام ١٩٤٨ ، متجذرةً في أفكاره العرقية التي كوَّنها سلفاً . كذلك كان موقفه المعادي لليهود وللمستوطنين الصهاينة وللمشروع الصهيوني في فلسطين ، على الرغم من ان المرء يمكن ان يشتَّم بين السطور ، تعاطفاً مع معاناة اليهود يخالطه الإعجاب بما حققه الصهاينة على الارض عسكرياً وسياسياً واقتصادياً .

الفصل الثـاني

ثورة العرب في فلسطين : ١٩٣٦ - ١٩٣٩

اندلعت الثورة في فلسطين ضد حكومة الانتداب البريطاني وضد المشروع الصهيوني ، في الفترة ما بين شهري نيسان وأيار من عام ١٩٣٦ . وكان غلوب حينها ، الرجل الثاني في قيادة الفيلق العربي الذي أنيطت به مسؤولية حفظ النظام والقانون وحماية حكم الامارة في شرق الاردن والمناطق الصحراوية التابعة لها . ومع نهاية الثورة عام ١٩٣٩ . اصبح غلوب قائداً للفيلق خلفاً لفريدريك بيك .

قامت الثورة بقيادة مفتي القدس الحاج محمد أمين الحسيني ، وكانت سرّيةً في البداية ثم تحولت الى العلن . وقد جاءت الثورة أساساً نتيجة للتدفق البشري الهائل للمهاجرين اليهود القادمين الى فلسطين من وسط وشرق اوروبا . كان هؤلاء قد فرّوا من الاضطهاد المعادي للسامية .ففي عام ١٩٣٥ وحده وصل الى فلسطين اكثر من ٦٠,٠٠٠ مهاجر يهودي . وكان عدد العرب الفلسطينيين في ذلك الوقت يقارب المليون . وخشي هؤلاء إذا ما استمرت موجة الهجرة الى فلسطين ان يصبح اليهود الذين كان عددهم في ذلك الوقت ١٥٠,٠٠٠ ، اكثرية في فلسطين ، وأن تصبح فلسطين دولة يهودية .

وكان أمل الثوار على المدى الافضل ان يطردوا الانكليز ويقيموا دولة عربية في فلسطين ، وعلى المدى الاقصر ، اقتصرت اهدافهم على اجبار الانكليز ان يخفضوا من تدفق هؤلاء المهاجرين .

وكانت بريطانيا في ذلك الوقت ، تواجه تهديداً من المانيا النازية في أوروبا ومن حكومة إيطاليا الفاشية في حوض المتوسط وافريقيا ومن الامبراطورية اليابانية في الشرق الاقصى .لذلك كانت تعاني من عجزٍ في اهدافها وضعف في قوتها العسكرية على كافة الاصعدة . وقد ساعد هذا الوضع ، وبلا شك ، على انفجار التمرد العربي في فلسطين . وكان غلوب قد حذّر حينها في ايلول ١٩٣٥ ، وإثر اندحار الهجوم الايطالي على الحبشة من ان عرب فلسطين قد ينتهزوا فرصة الارتباك الاوروبي ليقوموا بمذبحة كبيرة ضد اليهود .

وفي الفترة ما بين شهري نيسان وأيار من عام ١٩٣٦ ، انتهز العرب فرصتهم ، اما غلوب الذي كان تعاطفه متضارباً مع معاناة الثوار واهدافهم فقد سار منذ البداية على خطى مليكه ، الذي كان يشاركه الاشمئزاز من قائد تلك الثورة ، اذ اعتبره الاثنان ارهابياً ، متطرفاً وخبيثاً . وقد كتب عنه غلوب عام ١٩٥٧ ، بعد سنوات من الصراع الذي خاضه غلوب ضد الصهيونية فقال :

(كان الحاج أمين سياسياً متعصباً - على الرغم من عدالة القضية التي كان يخدمها - وقد قاد المقاومة ضد الاعتداء المسلح على شعب فلسطين الذي انتفض احتجاجاً على الهجرة الجماعية لليهود الى فلسطين والتي جاءت خلافاً لارادة اغلبية السكان . ولكن أساليب المفتي كانت لا أخلاقية ، وتفتقر الى الحكمة ، مثل التصلب المطلق ، والرفض التام للحلول الوسط ، وقتل وارهاب الفلسطينيين الذين كانوا يختلفون معه في الرأي) .

ولكن المشكلة لم تكن في شخصية زعيم الثوار ، ففي حين توافق غلوب تماماً مع الحسيني ومؤيديه من الفلسطينيين بوجوب ايقاف تدفق الصهاينة غير العادل الى فلسطين ، بقي معادياً بطبيعته لكل من يثور ضد العرش البريطاني أو يقتل البريطانيين . كذلك بقي غلوب يبدي حذره من رغبة الفلسطينيين بالاستقلال . ففكرة السيطرة على فلسطين (وكذلك على باقي سوريا الكبرى) ظلت تستحوذ ولمدة طويلة على ذهن سيده عبد الله . وجاءت الثورات العربية في فلسطين والرد البريطاني عليها لتعزز من هذه الرغبة .وبدا الوضع في النهاية وكأنه يدغدغ طموح الهاشميين بالاستيلاء على معظم أو بعض اجزاء فلسطين . لذلك اثار تمرد الفلسطينيين سلسلة من المشاعر والعواطف المتناقضة داخل نفس غلوب لم يتم حلها الا بعد أن تم سحق الثورة من قبل الجيش البريطاني والشرطة في الفترة بين ربيع وصيف عام ١٩٣٩ . وقد تحطمت بذلك آمال الفلسطينيين بدولة مستقلة .

ولكن الانجليز ، ورغبة منهم بتعويض الثوار المهزومين وتهدئتهم ، قاموا بتخفيف هجرة اليهود الى فلسطين . ففي أيار من عام ١٩٣٩ ، اصدر الانجليز «الورقة البيضاء» والتي اعلنت حكومتهم فيها عن موقف معاكس تماماً لما ورد في وعد بلفور المؤيد للسياسة الصهيونية ، والذي صدر في شهر تشرين ثان من عام ١٩١٧ . (قامت الحكومة البريطانية بتقليص عدد المهاجرين اليهود الى ١٥,٠٠٠ سنوياً ولمدة خمس سنوات ، على الا يسمح

بعدها لاحد منهم بالهجرة الى فلسطين الا بعد أخذ موافقة سكانها العرب والذين ، كما كان واضحاً ، لن يكونوا مرحبين بتلك الهجرة أبداً) وأدى هذا الأمر الى تقليص مشتريات الاراضي عند اليهود وبالتالي تقليص امكانية إقامة المستوطنات . كما اطلقت بريطانيا وعداً مبهماً بمنح سكان البلاد - وتعني بهم الاغلبية العربية التي اطمئنت الى اجراءات كبح الهجرة - استقلالهم خلال عشرة سنوات .

ولكن مع حلول ربيع عام ١٩٣٦ ، ظهر أن هذا التغيير المفاجئ نحو معاداة الصهيونية ما يزال بعيد المنال . أما بالنسبة لشرق الاردن وغلوب فقد أفسحت الثورة مجالات واسعة للتحدي . وكان الخطر يكمن في تعاظم المشاعر المعادية للبريطانيين وربما انتقال العنف من فلسطين الى شرق الاردن التي كانت تعيش فيها جالية فلسطينية صغيرة ولكنها قوية النفوذ إضافة الى ذلك برز الخوف لدى السلطات من أن تتحول الاحقاد والمشاحنات القبلية ، معززة بازدياد المد القومي بشكل سري بين الفلاحين والبدو ، الى هيجان ضد الانجليز وربما ضد الهاشميين . فقد بدأت مشاعر التعاطف تظهر بين المغتربين الفلسطينيين وسكان شرق الاردن ، مع المجتمع العربي المجاور في فلسطين ، نتيجةً للزحف الصهيوني القادم من اوروبا ونتيجة للقمع الذي اظهره الحكم البريطاني (في مواجهة عملية العصيان) .

ظهر قلق غلوب أساساً على الوضع البريطاني في شرق الاردن ، فقد كانت بريطانيا تدعم النظام الاميري هناك ، ولم يكن هذا النظام يملك أية مصادر دخل محلية . كذلك دعمت بريطانيا الفيلق العربي (وابدى غلوب قلقه ايضاً على سلامة البريطانيين من امثاله الذين يعيشون هناك) وكان الفيلق العربي انذاك ، عبارة عن تشكيل شبه عسكري صغير ، يضم في صفوفه إضافة الى ذلك رجال الشرطة والمخابرات الاردنية .

وبالنسبة لاشخاص مثل غلوب ، كانوا في وقت ما موالين لامير عربي وتابعين أوفياء للعرش البريطاني ، شكلت الثورة مأزقاً صعباً وذي حدين . فيما يتعلق بالولاء المزدوج (ربما كان هذا هو السبب الذي دفع غلوب الى انتقاد الولاء المزدوج لليهودية البريطانية طوال حياته) .

الا يمكن للولائين لمصالح العرشين ان يصطدما ؟ . بالنسبة للانجليزي الذي عمل مع العرب ، كان الموقف مأساوياً . فقد كتب غلوب في حزيران ١٩٣٦ بعد ستة اسابيع

من اندلاع الثورة غرب النهر يقول :

« لقد تعاون العديد منا مع العرب . . وشهد هذا التعاون الكثير من التذبذب سواء هبوطاً أم صعوداً . كما حافظنا على عدد لا يحصى من الصداقات . . وعلى الرغم من الاختلافات المحلية ، فإن الغالبية الساحقة من العرب ظلوا على ايمانهم بأن بريطانيا هي الاعظم والاكرم والاكثر صداقة بين الدول العظمى . ومن المؤسف أن نرى ذلك الايمان وتلك الصداقة يتحولان على مرأى من اعيننا الى خداع وكراهية . الله وحده يعلم كيف ينتهي هذا الأمر » .

وكتب في أيار ١٩٣٦ :

(إن مأساة فلسطين غطت على كل مثيلاتها . . اصبحت عمان تنبض عطفاً ومناصرةً لعرب فلسطين . . واستمر الحفاظ على النظام والقانون (حتى الآن) ليس بسبب نقص التعاطف مع عرب فلسطين او بسبب انعدام الكره للبريطانيين واليهود . . ولكن بسبب اظهار القدرة على الحكم (والسيطرة على المشاعر) أمام العرب . خارج عمان ، ظل الريف هادئاً لان رجال القبائل لم يكونوا موجهين سياسياً) . ولكن زعماء العشائر ، كما كتب غلوب ، (بدؤوا يتلقون رسائل من فلسطين تحثهم على غزوها دعماً للثوار . وبرزت هناك مؤشرات على ظهور تحريض ديني راح يستغل هذا الوضع . وقد علق غلوب حينذاك بأن افتتاح الاذاعة ادى الى تثوير جماهير غفيرة في بلدان متخلفة عديدة حول العالم) ، وكان هذا الامر (وجود راديو) يعني في الشرق الاوسط أن بلاداً مثل نجد وهي مركز العربية السعودية قد قفزت اربعة قرون الى الامام بالنسبة لاخبار الدنيا . . فقبل ست سنوات كان هناك شك كبير حول إذا كانت أخبار الثورة في فلسطين ستصل الى مسامع أهل نجد . أما اليوم فقد اصبحت هذه الثورة مدار نقاش وحماس واهتمام عالٍ من الجميع ولم يكن الوضع في شرق الاردن يختلف عن ذلك .

في تقريره ، أوائل تموز ، حول الوضع الذي كان سائداً بين قبائل شرق الاردن في الشهر السابق ، كتب غلوب :

(غطى الوضع في فلسطين على الحياة في شرق الاردن . وقد مرَّ من الوقت ما يكفي (منذ انطلاقة الثورة) للسماح بدخول الدعاية المتطرفة الى ابعد المضارب البدوية وأشدها فقراً . وقد جاءت هذه الدعاية ملتهبة ومشبعة بالشعور الديني الذي يستطيع ان

يثير القبائل اكثر مما تثيرهم السياسات القومية . وبدأت مشاعر التمرد تتأجج بين البدو المعروفين سابقاً بقلة احترامهم للسلطات . كل هذا أدّى الى ارتفاع شعبية ابن سعود القادم من العربية السعودية بين عشائر شرق الاردن على حساب عبد الله ، حليف البريطانيين آنذالك . فقد تابع رجال القبائل الشرق الاردنية ، بحماس ، الاخبار القادمة من فلسطين . واصبح واضحاً ان من الخطأ الكبير الظن بأن البدو ليسوا سوى فرقٍ صغيرة متخلفة) .

رأى غلوب أن نشطاء الفلسطينيين في شرق الاردن كانوا يعتزمون الانطلاق ضمن خطين : (١) تجنيد عناصر للدخول الى فلسطين ومساندة كفاح أهلها (كان يعتقد أن هذا الامر لن يلقى صدىً واسعاً) (٢) القيام بعصيان محلي في شرق الاردن . وكان هذا الخط الاخير يشكل أملاً لدى زعماء الثوار في فلسطين لاعتقادهم أنه سيخفف الضغط عنهم بنقله نصف الجيش البريطاني في فلسطين شرقاً عبر نهر الاردن .

لاحظ غلوب وجود انقسام في صفوف حكومة عبدالله ، ولكن معظم زعماء القبائل ظلوا على ولائهم للحكومة رغم قلق غلوب من بعضهم . وقد كتب في هذا الصدد : وقعت القبائل تحت نير الفقر بسبب قلة المعونات الخارجية وقد وصل الامر بحديثه الخريشا ، أحد أقدر شيوخهم في قبيلة بني صخر ، حداً من الفقر لم يكن ليجد فيه قوت يومه . وفي الشتاء الاخير عاش هو وعائلته يقتاتون على شعير الماشية الرخيص . كما ان الشيخ الآخر وهو مثقال ابن فايز ، اضطر الى الاقتراض من اليهود ليدبر أمر معيشته . وفي الشهر السابق ألقى مثقال بكل ثقله الى جانب النشطاء المؤيدين للعنف في شرق الاردن أملاً أن يقوم اليهود بشطب ديونه كوسيلة لشراء صمته . ورأى غلوب انه كان من الخطأ عدم اعطاء زعماء العشائر دعماً شهرياً .

وفي عمان نفسها ، كان مصدر القلاقل بالنسبة لغلوب هم «النوابلسة» وقصد غلوب بهذا اولئك الفلسطينيين الذين استقروا في العاصمة منذ الحرب العالمية الاولى والذين كان من بينهم عددٌ من المسؤولين الحكوميين في عمان بمن فيهم رئيس الوزراء ابراهيم باشا هاشم . وامام الوضع الحالي في فلسطين بدء النوابلسة (نسبة الى مدينة نابلس في فلسطين) بانتهاز جميع الفرص الدعائية للتمرد ، مثل نشر تقارير زائفة أو توجيه اللوم اللاذع لرؤساء القبائل لفشلهم في حمل السلاح (وكان غلوب قد اقترح عام ١٩٣٥ تقديم دعم مالي الى شيوخ العشائر لتفادي حدوث تمرد) .

كما رأى غلوب ان هذا الهيجان سوف ينتهي الى تمرد ، فقط في حالة تضافر اهل المدينة الساخطين مع سخط رجال العشائر . ولكن غالبية سكان شرق الاردن البالغ عددهم ٣٥٠,٠٠٠ ، لم يكونوا يشعرون بالضيم تجاه الهاشميين أو تجاه البريطانيين كما الحال مع عرب فلسطين . لذا ، وكما رأى غلوب ، لن تحصل قلاقل في الوقت الحالي .

ولكن بقي على البريطانيين ان لا يظهروا ضيمهم . وقد حذر غلوب من أي رد فعل طائش أو من استخدام مفرط للقوات البريطانية وللطيران ضد المتظاهرين الشرق أردنيين . إذ أنه في غياب أية شرارة تشعل الفتيل ، ستعود إمارة شرق الاردن الى عهدها السابق من الهدوء .

كان السيد سي . إنش . إف . كوكس ، ممثل بريطانيا في عمان ، يعتقد بأن غلوب يعتمد أسلوب الانذارات وينبه دائماً الى اخطار لا داع لها . وقد كتب في احدى رسائله الى السير آرثر ووشوب المندوب السامي البريطاني في فلسطين وشرق الاردن والموجود في القدس . يقول : لقد أوصلت القلاقل المتواصلة في فلسطين الوضع في الاردن الى حافة الغليان ، ولكن سلطة الامير عبد الله ما تزال قوية ، وعازمة على حفظ النظام . وقد تبنى كوكس تحذير غلوب من قمع الشرق أردنيين باستخدام طائش للقوة المفرطة . ولكن غلوب ، على حد قول كوكس ، كان مبالغاً في تقدير قوة النوابلسة بمن فيهم رئيس الوزراء . ولمحَّ كوكس في حديثه الى ان الوزير الاكبر (او رئيس الوزراء كما اصبح يدعى بعد العام ١٩٣٩) وحتى النوابلسة انفسهم لم يبدوا أي حماس زائد فيما يتعلق بثورة فلسطين أو بالحاج أمين الحسيني . الا أن كوكس ابدى ملاحظة مميزة ، غفل عنها غلوب أو أسقطها من حسابه ، فقد قسّم غلوب الشرق الاردنيين الى حضر وبدو وغفل عن ذكر الفلاحين الذي شكلّ زعمائهم قوة لا يستهان بها . ولربما هي أقوى بحسب ظني من البدو . واستمر كوكس محاولاً ايضاح موقف مثقال ابن فايز ، احد كبار زعماء عشائر بني صخر واحد أغنى ملاّك الاراضي في شرق الاردن ، حيث أكدّ أنه استدان مبلغ ١٠٠٠ باوند من اليهود الذين قاموا باستغلال إسمه لاظهار مدى استعداد الشرق الاردنيين لتقبل الهجرة اليهودية (خلال اعوام عقد الثلاثينات من القرن العشرين دار لغط كبير بين المسؤولين الصهاينة حول شراء اراضي في شرق الاردن أو الاستيطان فيها . وقد أشار مثقال ابن فايز بوضوح أنه حتى ولو قامً ببيع اراضٍ لليهود فسيقوم لاحقاً بتدميرهم) وقد اعتمد ووشوب جزئياً على تقارير غلوب في ذلك الصيف

حول استنتاجاته التي قال فيها : «من أجل تفادي امتداد القلاقل الى شرق الاردن ، فإن علينا أن نبدء بتقديم الدعم للقبائل البدوية» . . وقال (أنا أقترح ان يناط أمر توزيع الدعم بالامير عبدالله) . وقد طلب المندوب السامي من لندن الموافقة على دفع فوري لمبلغ أساسي يصل الى ٥٠٠٠ باوند . وبعد مضي شهرين كتب ووشوب الى سكرتير المستعمرات وليام اورمسباي - غور ، رسالة يقول فيها أنه يوافق على قيام الرائد غلوب بإنفاق المبالغ التالية :

صغار شيوخ بني صخر القاطنين حول عمان ٢٠٠ باوند

تركي الحيدر : ٢٥ باوند . . الخ

واضاف ووشوب بأن عبد الله نفسه قد قام بانفاق ما مجموعه ٣٥٠٠ باوند على الشكل التالي :

دفعات الى شيوخ البدو :	١٥٩٠ باوند
دفعات الى الوجهاء :	٦٦٠ باوند
دفعات الى عملاء في فلسطين :	٣٥٠ باوند
دفعات الى الصحافة في فلسطين وسوريا :	١٣٠ باوند
دفعات الى شخصيات دينية في فلسطين :	٢٠٠ باوند
مصاريف خاصة بالامير + مصاريف استخباراتية خاصة :	٥٧٠ باوند

وتابع ووشوب :

«ان كل من الممثل البريطاني والرائد غلوب يحمل نفس الفكرة التي تنص على أن دعم شيوخ القبائل قد أثبت فعاليته وان سمو الامير يعلق اهمية كبيرة على هذه الطريقة من أجل ضمان ابقاء البدو تحت السيطرة» .

ان رد الفعل الطبيعي لاي عربي من شرق الاردن سواء كان شيخاً بدوياً ام وجيهاً من وجهاء الفلاحين : عندما يتم استدعائه لاداء خدمة للحكومة او لتجنب القيام بعمل غير مرغوب به من قبلها ، هو طلب شيء في المقابل مثل دفعة مالية او منحة على شكل ارض او عفو عن قريب . واعتقد ان النجاح الذي حققه سموه في تفادي انتقال القلاقل من فلسطين الى شرق الاردن خلال الاربعة شهور الماضية ، يعود جزئياً الى الاستخدام الحكيم لاموال الدعم .

واقترح مواصلة دفع ٥٠٠ باوند للرائـد غلوب اضافةً الى مبالـغ اضافية لعبد الله .

شهد شهر تموز من عام ١٩٣٦ تعاظم جهود الناشطين من اجل حشد الدعم للتمرد في شرق الاردن ، كما شهد فشلها . وسرت شائعات عن وصول رسائل تحريض من قبل الحاج امين الحسيني الى كل من شرق الاردن والحجاز . واصبح ذكر اسم بريطانيا مثار للبغض في العربية السعودية ، كما اشار غلوب الذي تابع يقول : «قد تمر سنين قبل ان نستطيع اقتلاع الحقد والاستياء العميق الذي عم قلوب الشعب تجاه قمع الانجليز الكفرة للمسلمين» . اما في شرق الاردن فقد قام مثقال ابن فايز بترتيب اجتماع يوم الثاني من تموز يضم شيـوخ العشـائر في الامـارة من اجل مناقشة التـدخل في فلسطين . وكـان الاجتـماع قـد ارجـئ بموافقـة الوزير الاكـبـر ولكن بقيت هناك مخـاوف من قيـام بعض الخطباء بالقاء كلمات حماسية قد تؤجج العنف وتدفع بالبلد كلها نحو دوامة التمرد .

تم تحذير عبـد الله ، الذي رمى بكل ثقله من اجل تعطيل الاجتـماع ، وقد نجحت مساعيه في نهاية الامر ، ولم يحضر الاجتماع أي من زعماء العشائر . وحضره فقط بعض الفلاحين وعدد من السياسيين في عمان ، اضافةً الى الكشافة واعضاء النوادي الشبابية (الذي يرتدون القمصان السوداء ويعتبرون ارضاً خصبة للقلاقل السياسية) .

وأضاف غلوب : «على صعيد العشائر ، مُني الاجتـماع بالفشل وانتهى الامر الى تعزيز سلطة الحكومة على مناطق القبائل والعشائر .

ومع حلول منتصف تموز ، كـان مد التمـرد قد انتهى في شـرق الاردن ، وبلا شك ، كان هذا نتيجةً لمرور الوقت وتراجع حدة الثورة نفسها . وقد عزى غلوب تراجع الحماس خاصة الى فشل اجتماع مثقال ابن فايز والى النقود الاضافية التي وزعت على شيوخ العشائر وادت مفعولها تماماً .

وهنا عاد غلوب ليضغط من اجل تثبيت دفعات منتظمة بدلاً من المبالغ التي تدفع مرة واحدة والتي كان توزيعها يعطي انطباعاً بالضعف والخوف . بعد ذلك ، بدأت تقارير غلوب الشهرية تتعدى الحدود المرسومة لشخص في المركز الثاني لقيادة فيلق مسؤول عن صحارى شرق الاردن . وفي الحقيقة اصبحت التقارير اكثر اطلاعاً وعمقاً واوسع نطاقـاً ، مع مـيل الى اثارةً المخـاوف واطلاق الانذارات ، وفي هذا دلالة على ظهـور طموحات اكبر للعب دور سياسي مستقبلي في الامارة .

راى غلوب كذلك ان الثورة التي قامت في فلسطين فتحت نافذة على طبيعة السياسات القومية في القرن العشرين وارتباطها بالشرق الاوسط فكتب في ايلول : لا يوجد شك ان الثورة التي قامت في فلسطين قد ساهمت بعمق في تأجيج الشعور القومي العربي والديني الاسلامي .

وقد ادى تدخل الملوك والحكام العرب في العراق والسعودية واليمن اضافة الى توجه مجموعات المتطوعين من سوريا والعراق نحو فلسطين الى فتح افق جديد للعلاقات العربية في المستقبل .

فقد استكملت الثورة في فلسطين جميع العناصر المطلوبة لتحريك مشاعر كل الفئات العربية - على الصعيد السياسي والقومي لتحريض المثقفين - وعلى الصعيد الديني حيث صورت اليهود والمسيحيين في حرب مع المسلمين - كذلك اثارت المتطرفين والعامة امام مشاهد انتهاك اعراض النساء والتي هيجت العرب بمختلف فئاتهم وطبقاتهم . وحتى لو وضعت الثورة اوزارها فإن مركز بريطانيا في بلاد العرب (استخدم غلوب هذا التعبير ليغطي العالم العربي باكمله) لن يعود الى سابق عهده .

ومن الجدير ملاحظته هنا فيما يتعلق بمسألة العلاقة مع ثورة فلسطين ، بأن الحجج القديمة قد اعيد احيائها لدرجة تصوير التأثيرات الايجابية التي جناها العرب مادياً ومالياً نتيجة وجود اليهود والبريطانيين مما يعني بأن هذه الثورة بغيضة وغير مبررة . . وهذه الحجج تنم عن جهل اساسي للطبيعة البشرية التي تحركها بالاساس الدوافع الروحية وليس المادية . لا يمكن محي الجماهير بصفحة ميزانية او برسالة حول الاقتصاد السياسي . فالجنس البشري وخاصة الشباب منه يطمح الى البطولة . . ولهذا نجحت الفاشية في ركوب موجات الشباب في العالم ، فما بالك في بلاد العرب . . سوف يتبع الشباب الزعماء الذين يطالبونهم بتقديم التضحيات وليس الزعماء الذين يعطونهم مكاسب مادية .

ومع نهاية شهر تشرين الاول ، انتهى ما كان يعتقد انه المرحلة الاولى من الثورة في فلسطين . وقام الملوك العرب بناء على توصية سرية من الحاج امين بمناشدة الفلسطينيين القاء السلاح واعطاء الفرصة للجهود الدبلوماسية . واستجاب الثوار لذلك واثر ذلك وعد البريطانيون ، بأنه في حالة توقف القتال سيقومون بارسال بعثة ملكية للتحقيق في

المسألة الفلسطينية وفي معاناة عرب فلسطين بهدف اقتراح حل للمشكلة . وفي اوائل تشرين الثاني وصلت بعثة بييل وقد امضت هذه البعثة ثمانية اشهر في التجول حول فلسطين ومحاورة المسؤولين البريطانيين واليهود والفلسطينيين العرب والزعماء العرب في الخارج وقامت بوضع توصياتها التي نشرت (وتم تبنيها رسمياً من قبل الحكومة البريطانية) في تموز من عام ١٩٣٧ .

وقد نصت التوصية الرئيسة على تقسيم فلسطين بين سكانها العرب واليهود واقتطاع ٢٠٪ من البلاد لاقامة دولة يهودية مع اقتراح بالحاق باقي البلاد بحكومة شرق الاردن لاقامة دولة عربية موحدة تحت حكم عبد الله . والابقاء على ٥٪ من فلسطين بما فيها القدس وبيت لحم اضافة الى ممر ضيق على المتوسط تحت الحكم البريطاني . وكذلك اوصت البعثة بنقل السكان العرب في المناطق التي تخضع للدولة اليهودية طوعاً (او طردهم بالقوة اذا لزم الامر) الى خارج حدود هذه الدولة .

رفضت الزعامات الفلسطينية وكذلك العالم العربي في صحوته (ما عدا عبد الله) هذه التوصيات كما رفضت فكرة تسليم أي جزء من فلسطين الى السيطرة اليهودية . ومع حلول شهري ايلول وتشرين اول من عام ١٩٣٧ ، كانت الثورة قد تجددت وضاعفت قوتها ، وفي منتصف عام ١٩٣٨ وضعت الحكومة البريطانية توصيات بييل على الرف ،معتبرة اياها غير صالحة للتطبيق ، بما فيها افكار التقسيم واقامة دولة يهودية ونقل العرب . واستمرت المرحلة الثانية والنهائية من الثورة العربية حتى الفترة ما بين ربيع وصيف عام ١٩٣٩ عندما تم قمعها من قبل الجيوش البريطانية المدعومة باعداد من اليهود .

وخلال فترة الهدوء التي سادت ما بين تشرين ثاني ١٩٣٦ وايلول ١٩٣٧ ، تمكن غلوب من مراجعة الاحداث والتأمل فيها : فكتب يقول :

«صحيح بأن الثورة لم تؤثر مباشرة على الحياة السياسية في الامارة ولكن الامور في الحقيقة لم تعد كما كانت قبل حدوث القلاقل في فلسطين . وفي السابق لم يكن احد في شرق الاردن يعتقد ان السلطة البريطانية يمكن ان تكون مهددة بجدية . اما الآن فان احتمال اخراجها لا بل هزيمتها اصبح وارداً في مخيلة الجميع» . وفي غضون ذلك ، كتب غلوب : «انشغل الحسيني بتمهيد الطريق لاثارة القلاقل في شرق الاردن في حالة رغب الاخير بتغيير مسلكه» . . وقد اوضح غلوب هذه النقطة قائلاً : «خلال وقوع قلاقل

جديدة في فلسطين ، ظل الزوار الاردنيون في فلسطين يتعرضون للمناشدة من قبل عملاء الثوار الذين لم يترددوا في محاولة تجنيدهم . فقد تم سحب ابن لاحد شيوخ الكرك ، كان قد سافر حديثاً لتلقي العلاج في القدس الى المجلس الاسلامي الاعلى الذي يهيمن عليه الحسيني ، حيث تمت مخاطبته بلهجة عنيفة من اجل دفعه الى تحريض القبائل واغتيال الضباط البريطانيين في شرق الاردن . كما ابلغوه بان الحسيني سيكافئه بمبلغ ٣٠٠ باوند نظير خدماته في هذا الاتجاه . وفي حالة مشابهة أُجبر احد ضباط الفيلق العربي الذي كان يسافر بثياب مدنية من اجل إجراء فحص لعينه في مستشفى سانت جون للعيون في القدس ، على الاستماع لخطب رنانة حول الخيانة التي ارتكبتها عشائر شرق الاردن للقضية العربية والاسلام عندما لم يقوموا بالثورة في الصيف الماضي .

كما تم اغرائه هو ايضاً بالمال من اجل قتل ضباط بريطانيين . وقد عاد معظم الشرق الاردنيين من زيارة القدس مصعوقين من حدة التهجم على الامير عبدالله «الذي كان ينظر اليه كعميل بريطاني» كما كتب غلوب .

لاحظ غلوب ان رياح العنف والدمار قد عبرت النهر ، وفي نيسان من عام ١٩٣٧ أورد في تقريره عدة حوادث اطلاق نار في شرق الاردن وعبر الحدود ، وعزا هذا الامر بطريقة غير مباشرة الى القلاقل في فلسطين . وكان رأي غلوب ان مجموعات كبيرة من عشائر بني صخر القاطنين حول عمان وفي وادي الاردن قد تأثرت بشكل خاص بهذه الاحداث .

أدى نشر توصيات بعثة بييل ، اضافة الى تجدد الثورة في فلسطين ، حاملة معها تهديداً بزعزعة الحياة عبر النهر ، الى توفر بُعد اكبر للتأملات عند غلوب حول مشكلة فلسطين وحول القومية والشرق الاوسط . وقد ابدى غلوب اهتماماً خاصاً بالبند الذي ورد في توصية البعثة حول انتزاع ما يقارب ٢٢٥٫٠٠٠ - ٣٠٠٫٠٠٠ من السكان العرب من اراضيهم التي كانت ستخصص لاقامة الدولة اليهودية بحيث لا تظهر هذه الدولة الى الوجود وهي تضم بين ظهرانيها اقلية عربية عملاقة ، عدائية وغير راضية .

من حيث المبدء ، دعم غلوب توصيات بعثة بييل ، فهي بعد كل شيء وعدت بتوسيع إمارة عبد الله . وبما انه قد تم تبنيها من الوايت هول فهي اذن في صلب السياسة الرسمية لحكومة صاحب الجلالة في بريطانيا . كذلك لاقت التوصيات ترحيبا لدى

المسؤول الأعلى عن غلوب ، قائد الفيلق العربي الكولونيل بيك ، فقد كتب بيك في ايلول يقول : ن(حن الآن وسط مخاض من الجدل حول تقرير البعثة الملكية . وكما كان متوقعاً فإن هذا التقرير لم يرضي العرب ولا اليهود .

اما بالنسبة لي ، فانا اعتقد بانه كان حلاً جيداً لان على المرء ان ينظر الى المستقبل . واذا استمر الوضع على ما هو عليه فاننا سوف نكسب عداوة كل العرق العربي) .

لم يكن بيك مدفوعاً بأي حب للسامية بل كان بعيداً عن ذلك كما تبين في كتاباته في تشرين الثاني .

(اخشى ان الزمن الذي كان يمكن ان يكون فيه حكم هؤلاء الناس غير الراضين باسلوب مباشر مربحاً او ممكناً ،قد ولى فهم يريدون ان يحكموا انفسهم والى حين يفعلون ذلك سيكون امر حكمهم مباشرة من قبلنا صعباً لدرجة اننا سنضطر للتخلي عنه في النهاية . من الطبيعي ان الامر كان سيكون افضل لو لم يكن هناك يهود ولكنه الآن اصبح غير ممكناً . خطأ أو صواباً ، يبقى هنا في فلسطين ٤٠٠,٠٠٠ شخص على الاقل لا يمكن التخلي عنهم لذا فان علينا ان نفعل شيئاً تجاهم وهذا الشيء هو التقسيم الذي يعتبر في رأيي افضل طريقة للقيام بمهمة سيئة) .

ولكن مع حلول نهاية العام التالي ، ومع تخلي حكومة جلالته عن مشروع التقسيم ، رفع بيك شكوى لا تخلو من العنف (ربما كانت تعكس مواقفه الحقيقية في تجنب الشر) .

(ان مجموعة تشيريل ، ايدن ، واميري (اليهودية الميول) تثير حنقي لانها ستدفع انكلترا الى الحرب لصالح بعض التشيك الغامضين والذين ظلوا لسنين طويلة يعاملون الاقلية الالمانية معاملة مشينة) .

أملي الوحيد فقط هو ان يرتفع تشامبرلين الى حجم المسؤولية لارساء السلام في فلسطين حتى ولو كان هذا الامر يعني قلب سياستنا التي اتبعناها في السنة الاخيرة رأساً على عقب . ليس هناك شك في امكانية ترويع العرب نحو استسلام مؤقت ، ولكن بعد انسحاب الجيوش ، سيعود العرب الى الثورة مرة أخرى ما لم نعدل معهم وننصفهم في حقوقهم .

ولكن مهما بلغت مقترحات التقسيم من القدرة على تحقيق الامل بسلام نهائي يوماً ما ، الا ان المرء لا يمكن ان يغفل وجود العديد من الاشراك والاخطار التي تقف في طريقها) .

هكذا كتب غلوب الحكيم (وعودة الى عام ١٩٧١) نجد ان غلوب كان ينظر نظرة وردية الى توصيات بييل ، ويعتبرها افضل حل علمي مقترح . أما اهتمامه الرئيسي في صيف عام ١٩٣٧ فقد انصب على الاندماج المقترح بين الاجزاء العربية في فلسطين وبين شرق الاردن ، وقد كانت المنطقتان تختلفان كثيراً ، فقد تباعدت عقليات الناس اكثر واكثر خلال السبعة عشرة سنة الاخيرة (١٩٢٠ - ١٩٣٧) .

وفي هذا الصدد يقول غلوب : «اذا استثنينا عمان ،فإن سائر مناطق شرق الاردن ما زالت قبلية محافظة بمسلميها وعربها . اما في فلسطين ، فقد حولت هجرات اليهود المتعاقبة اليها واضافة الى وجود الاجانب و ١٧ عام من الادارة البريطانية المباشرة ، البلاد الى منطقة شرق اوسطية اقرب الى عقلية حوض البحر المتوسط منها لعقلية العرب . وإذا ما تم الدمج فإن الفلسطينيين (الاكثر ثقافة) سوف يحتكرون جميع المناصب الحساسة كما ستُخلق ضغينة بينهم وبين الشرق اردنيين» .

كذلك فإن مقترحات النقل اثارت ايضاً مشكلة اكثر تعقيداً . فالفلاحون متشبثون بشدة بارضهم الاصلية ويرفضون التزحزح عنها حتى لو قدمت لهم أراضٍ افضل في امكنة اخرى .وهذه المشاعر عميقة جداً في نفوسهم ، لا يقبلون مجرد مناقشتها . ولكن الصعوبة هنا ليس فقط في اخراج العرب من فلسطين ولكن في زرعهم بشرق الاردن ، او أي مكان اخر ، ولعل حقيقة ان الحكومة قد تقوم بانفاق الاموال لاصلاح الاراضي (من اجل السماح بتوطين اللاجئين الفلسطينيين) لن يؤدي الى إرضاء الشرق الاردنيين في مسألة جلب الفلسطينيين عندهم (فالعديد منهم يختلفون نوعاً ما في تقاليدهم وحضارتهم) .

كذلك ، لاحظ غلوب وجود مشاكل اخرى متعلقة بهذا الشأن : هل ستكون نابلس أو عمان عاصمة للدولة الجديدة ؟ كيف ستكون ردة فعل ابن سعود على فكرة توسيع امارة شرق الاردن ؟ وكيف يمكن مصالحة العدوين اللدودين عبدالله والحسيني ودفعهما للتعايش معاً . . فالدستور الجديد يحجِّم المفتي حتى العدم . ولكن حتى ولو تم اقصاء المفتي ، فمن الصعب أن نتوقع من سموه الموافقة على دستور ملكي لدولة عربية مستقلة

يتكون برلمانها من محامين فلسطينيين ! بدون شك فإن مثل هذه السياسة سوف تتحطم أمام القلاقل الداخلية .ولكن العرب معتادون على القلاقل وهم قادرون على العمل حتى من داخلها . فهم استطاعوا احتلال نصف العالم تقريباً بينما كانوا يخوضون حروباً اهلية متعاقبة فيما بينهم في نفس الوقت .

وباختصار ، يقول تي - أي - لورنس ، (ان القدوم الى بلاد العرب لاشعال حرب ، يشبه جلب الفحم الى نيوكاسل أو كما يقول العرب بيع التمور لاهل خيبر . لكننا لا يمكن أن نخفي احساسنا بأنه إذا تم إطلاق سياسيي فلسطين بين قبائل شرق الاردن فإن الاسلم للمحايدين الذين يقدرون قيمة حياتهم ، أن يقفوا أسفل الخط) .

لاحظ غلوب أن ابن سعود كان مشغولاً برفض التقسيم ، وراح يقيم اتصالات مع الناشطين ، عاقداً العزم على إعادة إشعال الثورة . . على جبهة الجهاد ضد الكفار في فلسطين . وقد علق غلوب على ذلك بقوله : (ليست هذه هي المرة الاولى في التاريخ التي تتحرر فيها فلسطين مع شمال بلاد العرب . ففي فترة حكم الصليبين ، استغرق الامر مئة عام من الزمن حتى يتم توحيد قوى مصر وسوريا والعراق ضد الغزاة الاوروبيين . ولكن الامور تجري بسرعة أكبر هذه الايام ، على الرغم من أنه لم يخرج من بين صفوف العرب أي صلاح دين بعد) .

في الاسابيع التي تلت عودة اندلاع الثورة في ايلول من عام ١٩٣٧ ، فرَّ العديد من زعماء الثوار ، بمن فيهم الحسيني الى بيروت ودمشق لتفادي الاعتقال من قبل البريطانيين . وكما رأى غلوب الامور ، فقد أوجد هذا الوضع تهديداً جديداً وخطيراً لشرق الاردن - وقد أشغله هذا الامر تماماً ، بشكل أو بآخر حتى انتهاء الثورة ما بين ربيع وصيف عام ١٩٣٩ .

وفي تشرين الثاني من عام ١٩٣٧ ، ذكر غلوب بأن زعماء الثوار قد تركزوا في دمشق وكتب : لِـ (حماية هذه المدينة ، يقوم هؤلاء بتنظيم القلاقل والاضطرابات في شرق الاردن وفلسطين . . وعلى جميع النواحي ، فإن أسهل طريق من دمشق الى فلسطين هي من جهة شرق بحيرة طبريا وعبر الزاوية الشمالية لشرق الاردن . وطالما بقيت سلطة النظام والقانون في هذا البلد ، تبقى هناك امكانية كبيرة لعرقلة مرور السلاح والاشخاص الى فلسطين . لذلك ، فإن إيجاد اوضاع مضطربة في هذا البلد ، يعتبر بنداً مهماً في برنامج دمشق) .

اقترح غلوب وضع سياج على الحدود الفلسطينية مع شرق الاردن . وتدعيمه بالأسلاك الكهربائية وابراج المراقبة . وفي الشهر الذي تلى ذلك ، توسع غلوب في شرح هذا الموضوع ، ربما بناءً على معلومات استخباراتية جديدة ، اذ بدا أن عملائه قد التقطوا معلومات مؤكدة مفادها أن الزعماء العرب في دمشق قرروا القيام بمحاولة جدية لزعزعة النظام في امارة شرق الاردن واعطى غلوب لذلك التبريرات التالية :

(الامل بأن تتسبب هذه الاضطرابات الداخلية في شرق الاردن في اشغال السلطات والقوات المسلحة وجعلهم غير قادرين على السيطرة الدقيقة على الحدود السورية . . ووضوح الرؤى بالنسبة لعدم قدرة (العرب الفلسطينيين) وحدهم على احراز النصر . . كانوا يعتقدون ان الامل الوحيد لاحراز النصر من خلال السلاح هو بتوسيع نطاق القلاقل ليشمل شرق الاردن . . ايضاً ، دفعت الاحقاد الشخصية بقِلّةٍ من الشرق اردنيون الى الانضمام لزعماء عرب فلسطين في دمشق وحثهم على تركيز الجهود لاشعال الثورة في شرق الاردن) .

وكانت خطة الحملة التي تم وضعها في دمشق تنص على تجنيد عصابات من الرجال (اساساً من الطبقات الفقيرة في دمشق) للعبور من شمال امارة شرق الاردن والقيام بنشر الفوضى والتوتر من خلال قطع اسلاك التلغراف واستهداف المباني الحكومية ، وقطع الطرق ، وهي اساليب شبيهة بتلك التي استخدمت في فلسطين ، وكان الامل هنا ان تزداد اعداد هذه العصابات تدريجيا بانضمام متطوعين من شرق الاردن الى صفوفها) . وفي عمان ردت السلطات بقوة : مبدئياً يمكنك اظهار القوة دون ان تضطر لاستخدامها . . تم استدعاء عدد من افراد ضباط الفيلق العربي وفرقة من القوات الفلسطينية شبه العسكرية العاملة تحت إمرة البريطانيين ، والتي تدعى قوات حدود شرق الاردن ، وتم ارسال هذه القوات الى اربد في شمال الامارة . ادت هذه الاجراءات بالاضافة الى اعتقال عدد من الشرق اردنيون المتعاطفين مع المتأمرين الى نشر الرعب في صفوف الاخيرين ، وتم تأجيل الثورة التي كانت ستبدأ في تشرين الثاني الى السادس من كانون الاول . ولكن ظل من المتوقع مع استمرار الاضطرابات في فلسطين ان تتم بعض عمليات العبور لهذه العصابات الى شرق الاردن .

بدا أن من بين الخطط التي وضعها الثوار ، كانت هناك محاولات للاعتداء على حياة بعض افراد الفيلق مثل بيك وغلوب وعبد القادر الجنيدي احد كبار الضباط

العرب العاملين في القوة . ولكن هذه الخطط لم ترى النور ، وظلت امارة شرق الاردن بمنأ كامل من الثورة التي كانت تتأجج على ابوابها ، ولكن بين شهري تموز وآب من عام ١٩٣٨ ، أثارت القنابل التي زرعتها عصابات اليمين من اليهود (الارغون) والتي ادت الى تفجير عدة مباني حكومية فلسطينية ، حفيظة الشرق الاردنيين ، وساد جوٌ من التوتر مناطق شمال الامارة لفترة من الوقت . مرة اخرى قام غلوب بتحليل سوسيولوجية موقف الدعم في الامارة لثوار فلسطين واستنتج ان اكثر العناصر الوطنية بين السكان كانوا موظفين حكوميين اضافة الى سكان مدينة عمان ، وكلما كان التأثير الاوروبي اكثر بين طبقة او منطقة كلما كان الشعور الوطني على اشده ، ولكن المسؤولين الحكوميين الذين قدم معظمهم من اصول فلسطينية لم يترجموا تعاطفهم في عمل بسبب مواقفهم الرسمية ، اما سكان مدينة عمان القادمين من اصول دمشقية او فلسطينية فكانوا غير مبالين البتة بمصير امارة شرق الاردن ، بل كانوا على استعداد لرؤية البلد تحترق اذ كان هذا الامر سيفيد الوضع في نابلس . ولكن النوابلسة أحجموا عن تأييد الثورة بسبب كونهم تجاراً وبسبب التأثير السلبي للقلاقل على اعمالهم التجارية .

وفي ايلول ، دب القلق في غلوب إثر سيطرة الثوار لفترة وجيزة على مدينة بئر السبع الفلسطينية الحدودية واستيلائهم على مركز البوليس والاسلحة الموجودة فيه وقد تلى هذا انسحاب فرقة بوليس الانتداب ومخافرها على طول حدود وادي عربة وفي ام رشراش (ايلات حالياً) الواقعة على خليج العقبة ، بحيث اصبحت الفرقة معزولة يتعذر الدفاع عنها .

وقد خشي غلوب ان تؤدي انتصارات الثوار هذه الى تحريك القبائل في جنوب الاردن نحو التمرد او الثورة ، لذلك قام بتعزيز المواقع الشرق اردنية على طول حدود وادي عربة ، وقاد بنفسه طابوراً مؤللاً الى بلدة العقبة الساحلية (عبر الطريق من ام رشراش) في استعراض للقوة . وقد قارن غلوب شرق الاردن بهولندا ابان الحرب العالمية الاولى حيث ظلت المعارك تدور على حدودها دون ان تعبر اليها او تنتشر بداخلها ، رغم بقاء امكانية حصول ذلك في أي وقت . وقد زاد هذا الوضع من الاعباء المالية على الامارة ولم يعد هناك مناص من توسيع الفيلق كما اشتكى غلوب .

ومع حلول شهر تشرين الثاني ، اعاد البريطانيون السيطرة على بير السبع (رغم

فشلهم في اعادة تنشيط مركز البوليس) وبقي غلوب قلقاً من موقف بني صخر إذ انهم لم يكونوا واقعين تحت تأثير التعاطف مع اشقائهم في الكفاح بقدر ما كانوا تحت تأثير الانطباع بأن الحكومة قد بدأت تنهار . اصبح موقف رجال القبائل متغطرساً وراحوا يرددون فكرة أن الحكومة قد انتهت مما صعب عملية جباية الضرائب واخذت العلاقة في التدهور بين قبيلة بني صخر وبين جيرانهم المسيحيين من سكان مدينة مادبا الواقعة جنوب الامارة . وكان هذا يشكل انعكاساً لما يجري بين الفلاحين والبدو . كان المسيحيون أفضل ثقافة وحنكة وتقديراً من البدو كما انهم كانوا أكثر ثراءً . في حين ظل البدوي جاهلاً ، متغطرساً ، مبذراً وقصير النظر مما أوقعه في حبائل بعض المسيحيين فكانوا يشترون منه أرضه بثمن بخس عندما يحتاج الى بعض المال . وكان هذا دليلاً واضحاً على قصر النظر . وقد قام غلوب بتهدئة بني صخر حين حاصر احدى مضاربهم واعتقل عدداً من مثيري الشغب .

أضاف غلوب قلقاً آخر الى قلقه ، في بقاء صحراء النقب بعيدة عن السيطرة الدائمة من الشرطة مما كان يشجع على تحدي القانون عبر الحدود في جنوب الاردن . فمع بداية عام ١٩٣٩ ، بدء الاستيطان اليهودي ينتشر في النقب حاملاً معه استفزازاً للبدو على جانبي الحدود ، ودفعهم للنقمة والتمرد . ولعل ما اثار قلق غلوب كان نشر مقال في مجلة رويال سنترال آسيان سوسيتي (الجمعية الملكية لآسيا الوسطى) العدد الخامس والعشرين والصادر في نيسان ١٩٣٨ ، صفحة ٢٠٤ - ٢١٨ ، بعنوان "جنوب فلسطين واحتمالات الاستيطان" . وقد كتب المقال الجنرال سي . إس . جارفيس وهو حاكم سابق لسيناء (وكان قد كتب مقالاً سابقاً في شهر اكتوبر ١٩٣٨ وفي نفس المجلة عدد ٢٤/٤ صفحة ٦٦٣ - ٦٦٩ ، بعنوان الربع الخالي) ودافع جارفيس في مقاله عن الاستيطان اليهودي في المنطقة الواقعة جنوب بير السبع . وقد علق غلوب على هذا الموضوع محذراً .

«ان تجربة السنوات الثلاث الاخيرة ، قد بينت لنا ان المسألة الملتهبة بين العرب واليهود في فلسطين لا تدفع بالضرورة الى تحريك المناطق القبلية المجاورة نحو التعاطف مع الثورة . ولعل الموقف المؤيد لعرب فلسطين كان مبنيا في الاساس على قومية وسياسة ووعي عرقي .

وهذا الوعي العرقي يعتبر مجرد اختلاقاً من الخيال ، فالاشخاص الواعون لعرقهم ، لا ينتمون في الحقيقة الى عرق واحد ابداً . وهذا الامر ينطبق بقوة على تعاطف العالم العربي مع عرب فلسطين الذي لا تجري في عروقهم الا القليل من الدماء العربية . فاهل المدن والقرويون في فلسطين لا ينتمون الى العرق نفسه الذي تتشكل منه القبائل البدوية ولا يرون الامر كما يرونه .

بالنسبة لمنطقة بير السبع ،تم اثبات حقيقة عدم انخراط عشائر بئر السبع في التمرد الفلسطيني الذي كان مستعراً منذ ثلاث سنين ونيف ، حتى بعد أن أخلت الحكومة منطقتهم في شهر ايلول الاخير . والآن بدأت تخرج تصريحات تنادي بعدم السماح لليهود باحتلال منطقة بئر السبع التي كانت في السابق تعيل ملايين السكان واصبحت اليوم لا تحوي الا قلة من البدو المعدمين . الا أن النقطة الجديرة بالملاحظة هي أن هؤلاء القلة المعدمة من البدو يشكلون مجتمعاً يختلف تماماً عن سكان الشمال القرويين .

وإذا ما تم التعامل جيداً مع هذه القبائل ، فقد يصبح بالامكان كسب ولائها ورضاها .وكذلك يعتبر هذا المجتمع البدوي وثيق الصلة بقبائل سيناء وشرق الاردن وقد يؤدي استبعاده الى نشر العداء في اوساط المجتمعات العشائرية في الاراضي المجاورة . لذلك يجب التعامل مع منطقة بير السبع على انها منطقة قبائل وتبني كافة التدابير التي تضمن رضا القبائل وولائهم . كذلك لا يجب ان يسمح لليهود بالاستيطان هناك لان مثل هذه الخطوة ستؤدي فقط الى استعداء المجتمع البدوي كما استعديت المجتمعات القروية والحضرية في الشمال» .

كان على غلوب ان يعود الى طرح هذا الموضوع بعد أشهر قليلة ، مع اقتراب موعد اندلاع الحرب العالمية الثانية .حيث كتب يقول : على البريطانيين ان يبذلوا جهوداً مضنية من اجل المحافظة على ولاء البدو (ربما كان يضع في ذهنه اهمية المساعدة التي قدمها بدو الجزيرة العربية الى البريطانيين - الثورة العربية ما بين الاعوام ١٩١٦ - ١٩١٨ خلال الحرب العالمية الاولى) وتابع يقول في آب ١٩٣٩ : (توجد هنا امكانية لتأسيس كتلة صلبة من القبائل تغطي قناة السويس وتمتد من معان ، مروراً ببئر السبع وسيناء ، وتوضع تحت النفوذ البريطاني) . ولكن اذا تم ادخال المستعمرات اليهودية في منطقة بئر السبع فإن حجر الأساس لهذا القوس قد يسقط وحينها قد لا تصبح قبائل بئر السبع عدائية فحسب ، بل سينتقل تأثير هذا العداء الى جنوب شرق الاردن والى سيناء في نفس الاتجاه .

وقد بدا ان غلوب يريد أن يوضح أن الحفاظ على اواصر الصداقة مع البدو قد يكون اكثر اهمية بالنسبة للجهود الحربية البريطانية من التعاطف مع اليهود .

اصبحت النظرية التي تنادي بأن الوجود اليهودي في فلسطين هو مكسب استراتيجي لبريطانيا ، مسفهةً تماماً الآن (كان غلوب يشير هنا الى نظرية وعد بلفور التي تقول بأن وجود دولة صهيونية في فلسطين يساهم في تأمين الحفاظ على قناة السويس بيد بريطانيا) .

وبداية نقول : (لو لم يكن اليهود موجودين هنا لربحنا صداقة العرب . وهذا بحد ذاته يعتبر مكسباً استراتيجياً اكثر أهمية . إذا وصل اليهود الى هنا فسينقلب العرب الى اعداء) .

كان النقاش يدور بالعادة ، في مواجهة هذه النقطة ، بانه يمكن اجبار اليهود على أن يصبحوا اصدقاء يدافعون عن مصالح الامبراطورية البريطانية ضد العرب المعادين .

ولكن التجربة في شمال فلسطين لم تثبت مثل هذه الآمال . ان خط شركة نفط العراق يمر عبر منطقة مزدحمة بالمستعمرات اليهودية . ولكن هذا الامر لم يمنع العرب من قطع الخط في عدة أماكن كل ليلة . فاليهود عملياً منشغلون بالدفاع عن انفسهم ولا يبالون ابداً (ربما بطبيعتهم) بالدفاع عن مصالح الامبراطورية البريطانية . والانكى من ذلك انه كلما توقفت بريطانيا عن تلبية مطالب اليهود ، يلجئ اليهود انفسهم الى التخريب وينشئ وضع مثير للسخرية ،يقوم فيه اليهود والعرب بتخريب مصالح الامبراطورية البريطانية بالتبادل .

مع حلول شهر تشرين الثاني ، بدا أن مخاوف غلوب قد تأكدت . فقد جاءته الاخبار بنزول مجموعة يهودية قادمة من البحر في بلدة ام رشراش على ساحل العقبة حيث كتب غلوب :

(ان دخول اليهود الى منطقة ام راشراش واقامتهم لمستوطنة فيها وسط منطقة قبلية تماماً وتبعد ١٤٠ ميل عن أقرب مركز يهودي في الشمال هو أمر يدعو للأسف الشديد) . فقد تظهر نتيجة لذلك تعقيدات لا نهاية لها حول حقوق الصيد في المياه الاقليمية وحول حقوق اليهود في العبور لشاطئ الخليج بين سيناء وشرق الاردن . ولا يمكننا ان نتوقع من هؤلاء الناس ان يستوعبوا معنى اقامة خرائط حدود هندسية وهمية في تلك

المناطق . ان استيطان اليهود في منطقة العقبة يشبه اجتياز نهر روبيكون [كان اجتياز يوليوس قيصر لهذا النهر سبباً في اشعال حرب أهلية] ويدفع بالصراع العربي اليهودي نحو منطقة جديدة وأعراق جديدة لم يلمسها أحد حتى الآن (بدو سيناء وجنوب امارة شرق الاردن) .

وقد اسهب غلوب في هذا الموضوع مظهراً قدراً صغيراً أو اكثر من مشاعر العداء للسامية :

(بالطبع ، ان الاضطرابات لن تبدء فوراً ، لان تاريخ الهجرات اليهودية هو نفسه في كل بلد من بلدان العالم . فقد تم الترحيب بهم في البداية في بريطانيا والمانيا وبولندا وفلسطين . فهم يظهرون مؤدبون وودودون ومعهم يأتي المال وتنهض التجارة ولكنهم بعد عدة سنوات ينقلبون الى طغاة عدائيين ، يضعون ايديهم على كافة الاعمال والمناصب الرئيسة في البلاد . وبعدها ينقلب السكان الذين استقبلوهم بداية بالترحاب ضدهم وينتهي الامر بالمذابح والاعتداءات الوحشية واراقة الدماء والعزلة في احياء خاصة بهم . لا يوجد هناك شك بان العقبة ستشهد تماماً مثل ما حصل في شمال فلسطين والمانيا وبولندا . ولكن في هذه الحالة سوف تقوم امارة شرق الاردن وسيناء والعربية السعودية بتقديم الدعم الى العرب تماماً مثلما قدمت سوريا والعراق دعمها الى ثوار فلسطين في الشمال ، جميع هذه الاحداث المستقبلية هي عبارة عن ردات فعل نفسية اوتوماتيكية يمكننا توقعها ضمن حسابات دقيقة) .

ربما انتابت غلوب بعض الظنون او المخاوف حول طريقة معالجة بريطانيا للتمرد ، ولكنها لم تكن تشكل انعكاساً لموقفه ولنظرته كعميل للامبراطورية البريطانية(يواجه مشهد عصيان ضد سلطة بريطانيا وامكانية لتخريب الوضع البريطاني والوضع في شرق الاردن نفسه) . ومع ذلك لم يكن هناك شيء يمكن ان يحرف غلوب او يدفعه الى اطلاق مقارنات ومجادلات تافهة . مثلاً وصفه لثورة فلسطين بانها انفجار روح التدمير في الصحراء ، وكما قال الزعيم الصهيوني حاييم وايزمان اواخر عام ١٩٣٨ في هذا الوصف : لا توجد فكرة بهذا الايجاز يمكن ان تعطي انطباعاً خاطئاً تماماً مثل هذه .

ولكن غلوب اصر على رأيه محاولاً الارتفاع الى مستوى الدفاع عن صحرائه الحبيبة وعن سكانها فكتب يقول : (لا يوجد شيء يذكر في ثورة فلسطين له ارتباط بالروح القديمة للحروب القبلية في الصحراء ، إذ ان هذه الثورة وعلى العكس من ذلك

تتسم بمعالم حديثة منبعثة عن عقلية اوروبا بعد الحرب ، ومتمثلة في القومية والارهاب . فهي تتكون تماماً مثل النازية والفاشية من عصابات من الرجال العاقدي العزم والمشبعين بروح العقيدة المتطرفة ، والذين يتلقون الدعم والتأييد من اغلبية السكان . فيما ينؤ هؤلاء السكان بدورهم تحت نير الاضطهاد القومي . لعل من الاهمية القصوى التمييز بين هذين النوعين من القلاقل العربية ، واعني انفجار التمرد في الصحراء والتعصب العرقي الحديث .

فالاجراءات العسكرية الصارمة تعتبر كافية لقمع أي تمرد مدمر يقوم به رجال القبائل الذين يصبحون خارج السيطرة بسبب ميلهم للعنف . ولكن هذه الاجراءات العسكرية لن تستطيع ان تؤمن هدوءاً تاماً في فلسطين ، بل ستدفع العرب ليصبحوا امة واحدة على السياق الحديث لمبادئ العرق الاوروبي .

كذلك هناك مقارنة اخرى هامة بين فلسطين واوروبا قد تتضمن إنذارات للمستقبل وهي الشبه المميز بين موقع النمسا في مواجهة المانيا ، وموقع شرق الاردن في مواجهة فلسطين . فالمانيا مثل فلسطين تماماً طورت نفسها تحت ضغط الاذلال والاضطهاد القومي لتصبح قومية متعصبة مقاتلة . وقد ترك النازيون النمسا وسكانها في سنين الصراع الاول . ولكنهم حين ثبّتوا اقدامهم وقعت النمسا في ايديهم مثل حبة خوخ ناضجة) .

ظهرت مقارنات غلوب وفيها الكثير من المغالطة والتصلب ، وخاصة مقارنته بين الفاشية/النازية وبين حركة ناشئة في العالم الثالث تحارب ضد الاستعمار او مقارنته بين النمسا وشرق الاردن (اتساءل ماذا كان بامكان كل من سكان النمسا والشرق اردنيون ان يخرجوا بمثل تلك المقارنة في ذلك الوقت) وقد تكون هذه المغالطات ناتجة عن ضغط نفسي عانى منه غلوب نتيجة الهزيمة المذلة التي مني بها البريطانيون في مؤتمر ميونيخ بايلول او ربما نتيجة للانتصارات التي حققها الثوار العرب في فلسطين بين صيف وخريف عام ١٩٣٨ والتي سرعان ما اندثرت . ولكن غلوب سجل نقطة مميزة وصلت الى حد التنبؤ في قوله : «لعل التبني المتزايد لاسلوب حرب العصابات كوسيلة لتحقيق الاهداف السياسية في العالم الحديث يدفعنا الى اجراء فحص دقيق لوسائل دفاعنا المتبعة في المستعمرات ، فقد تبين لنا من ثورة الايرلنديين والآن الفلسطينيين ان الاسلحة التقليدية لا تتناسب مع حروب العصابات التي تستخدم نشاطات ارهابية ومرعبة ضد المدنيين . ولعل الطريقة الوحيدة التي تم اكتشافها للتعامل مع الارهاب هي

ارهاب اكبر (ارهاب مضاد) ، هل سيعتبرون هذه الطريقة قريباً تطويراً في الامبراطورية البريطانية - خدمات بحرية وبرية وجوية ضد العصابات (وحدات مكافحة ارهاب)» .

تولى غلوب قيادة الفيلق العربي يوم ٢١ آذار ١٩٣٩ وإثر مغادرة فريدريك بيك الى انكلترا بعد خمسة ايام من تولي غلوب ، اصبح غلوب لفترة من الزمن الضابط البريطاني الوحيد في الفيلق (كان يوجد ستة ضباط عام ١٩٣٨) وكانت هذه الفترة من احرج الاوقات فقد كانت ثورة فلسطين على وشك الاحتضار في حين عبرت تاثيراتها الى اراضي شرق الاردن . وفي خريف عام ١٩٣٨ وقعت عدة حوادث اعتداء للثوار على مراكز الشرطة الشرق اردنية على طول الحدود مثل الكرامة وشونة نمرين في وادي الاردن ولكن تبين فيما بعد ان هذه الحوادث كانت حوادث فردية منعزلة . ولكن الامور عادت واخذت طابعاً جدياً مع نهاية الشتاء ، ففي اواخر شباط من عام ١٩٣٩ ، وردت معلومات مؤكدة للفيلق عن وجود عصابات فلسطينية مسلحة في شرق الاردن . وكانت هذه العصابات التي تسللت من سوريا عبر الزاوية الشمالية لشرق الاردن مدعومة بمتطوعين اجانب (من سوريا والعراق) قد حددت لها اهدافاً عدة كما يبدو ، فقد اراد الحسيني بشدة بعد ان اصبحت عصاباته مطاردة او محاصرة في فلسطين ، ان ينقل اهتمام القوات البريطانية الى مسرح آخر للعمليات ، إذ ربما تقوم القوات البريطانية في حالة وقوع امارة شرق الاردن تحت التهديد ، بارسال وحدات لمساعدة عمان ، مخففة بذلك من ضغطها على الثوار في فلسطين . ربما اعتقد الحسيني ان مثل هذه الغارات قد تحرك الشرق الاردنيين المستائين ليثوروا ضد عبد الله وضد الانكليز . او ربما كان يحاول استغلال منطقة شمال غرب الاردن لتكون مكاناً امناً ومعسكراً مؤقتاً لثواره المتعبين الذين لم يعودوا أمنين في فلسطين او في سوريا . او اخيراً ربما شكلت هذه المنطقة من شرق الاردن منطقة خالية من الدوريات يمكن للعصابات التي يعاد تشكيلها وتجهيزها في سوريا ان تدخل مرة اخرى الى فلسطين (فالطرق الاخرى الى اقصى الشمال او عبر نهر الاردن الى الشمال من بحيرة طبريا من الجولان ، أو الطرق الجنوبية عبر الحدود اللبنانية الفلسطينية اصبحت اكثر صعوبة للاختراق بعد ان اغلق البريطانيون الحدود بالأسلاك الشائكة وبسلسلةٍ من التحصينات الصغيرة) .

وفي ٢٧ شباط من عام ١٩٣٩ تم اختطاف بريطاني يعمل موظفا في مصلحة الغابات في قرية دوقرة جنوب نهر اليرموك والتي كانت تشكل حدا بين شرق الاردن وسوريا من

قبل بعض العصابات ، ولكن العصابة واجهت دورية لقوات الحدود الاردنية وتمكن الضابط من الهرب خلال الاشتباك وفي ٩ آذار من العام نفسه تمكنت مجموعة مؤلفة من ٦٠ ثائراً ، تجر بغالاً محملة بكميات كبيرة من المتفجرات من عبور نهر اليرموك نحو شرق الاردن ولكن تم اكتشافها بعد يومين من قبل دورية فرسان مؤلفة من رجلين تابعة للفيلق عند قرية دير السعنه . وقد تمكن رجال الدورية من تفادي نيران الاشتباك عائدين الى القيادة لابلاغها ، وفي ذلك الوقت اندفعت العصابة نحو سلسلة جبال عجلون على مسافة خمسة أميال ولكن رجالها اشتبكوا مع دورية فرسان مؤلفة من عشرة افراد قبل وصولهم الى المنطقة الآمنة ، بعد ذلك وصلت قوة مشتركة من الفرسان والآليات المسلحة مدعمة بطائرات قاذفة من السلاح الجوي الملكي قامت بقذف الثوار بالقنابل . ومع حلول الظلام تم التغلب على العصابة التي تكبدت ما بين ٣٠ - ٣٥ اصابة ، وعرف من بين القتلى ابو شعبان من لفتا وابو داود الكردي من سمخ ومصطفى ناصر من دوقره ، في حين فقد الشرق اردنيون قتيلين احدهم الملازم أول مقادم وضابط بريطاني وثلاثة جرحى .

ترك اشتباك عجلون ، على رأي الاستخبارات البريطانية اثراً ايجابياً على شرق الاردن وخاصة شمال البلاد . وقد تبع هذا الاشتباك غارات صغيرة اخرى للثوار على مواقع الفيلق العربي في جنوب الاردن عبر حدود وادي عربه (يوم ١٣ و ١٦ و ١٧ آذار) وتلى ذلك جهوداً اخرى بذلتها قيادة الثوار في دمشق لتحريك شمال امارة شرق الاردن . وقد كتب غلوب في تقريره ان عصابات الثوار قد انطلقت بحرية في شرق الاردن متخذة من النصف الشمالي من سلسلة جبال عجلون الوعرة والمكسوة بالغابات مركزا لها . وقد تفهم القرويون المحليون مطالب الثوار . وخشي غلوب انه اذا استمر الثوار في العمل دون عقاب فسوف يقومون بترويع القرويين للعمل معهم ، واذا ما تبين لهؤلاء ان اليد العليا قد اصبحت للثوار فسيكون هناك فئة كبيرة من قُطاع الطرق السابقين من شرق الاردن على استعداد للالتحاق بهم ، ليس بسبب معاناة سياسية بل رغبة منهم في حياة العصابات وقطع الطرق .

طلبت امارة شرق الاردن وبريطانيا من الفرنسيين الذين كانوا يحكمون سوريا ان يضعوا حداً على الاقل لمنظمي هذه العصابات مثل سليمان باشا السعودي واخلاء قواعد العصابات ومخازنها شمال نهر اليرموك والتي كانت تشكل مراكزاً لشن الغارات

على شرق الاردن . ولكن الفرنسيين لم يحركوا ساكناً ، كما افاد غلوب الذي كان قد اصبح الآن قائداً للفيلق مع بداية شهر نيسان .

ومع حلول اوائل نيسان ، كان هناك عصابتان تعملان في شمال امارة شرق الاردن ، احداهما قوة مؤلفة من ٤٠ - ٥٠ عنصراً بقيادة محمود همام من بيت امرين والثانية تعد ٢٠ رجلاً بقيادة مفلح الربضان الشراري وتتألف معظمها من البدو القادمين من الجهة الفلسطينية عبر وادي الاردن ، وقد ظهر ان اعداد هاتين العصابتين قد بدأت بالتعاظم خلال الاسابيع الاخيرة ، وقد قامت هذه العصابات بثقب خط انبوب النفط وتخريب خطوط الهاتف . بعدها جهزت قيادة الفيلق رتلين مؤللين ومتحركين وارسلتها الى منطقة اربد وعجلون ، وفي يوم ٢٤ نيسان هاجمت قوة مشتركة من الفرسان والآليات مجموعة مؤلفة من ١٠٠ - ١٥٠ رجلاً من عصابة همام جنوب اربد موقعة ١١ قتيلاً في صفوفهم ، اضافة الى عشرين جريحاً أبلغ عنهم بعد ان تمكنوا من الوصول الى دمشق . وفي هذه المعركة اصيب احد افراد قوات الحدود الشرق اردنية اصابة خفيفة . وترك هذا الاشتباك اثراً سلبياً على عمل العصابات ونتج عنه تفرق اغلبيتهم في مجموعات صغيرة ومن ثم اختفائهم . اما ابو محمد همام نفسه فقد قفل عائداً الى سوريا مع عشرين من انصاره وفر مفلح الربضان الشراري الى فلسطين . كما كتب غلوب . وبقيت مجموعتين صغيرتين ظلتا تعملان في المنطقة الاولى تحت قيادة الحاج محمود الشتيوي من سمخ ، والاخرى بقيادة سعود اليوسف الخضره من طوباس .

وفي يوم ٢٦ نيسان اقام الفيلق موقعاً دائماً له في الرمثا على الحدود الاردنية السورية ، تمركز فيه ثلاثون من الهجانة ، وقد أظهرت حصيلة عمليات هذا الشهر ، كما كتب غلوب ، ان قوات شرق الاردن لم تتمكن من الثبات فحسب بل اصبحت الكفة العليا تميل لصالحها دون الحاجة الى مساعدة من بريطانيا وكذلك تحرك الرأي العام في سوريا لصالح الجانب الشرق الاردني .

وصار العديد من الناس يتساءلون أليس من العار ان يحارب العرب العرب ويتركون اليهود والانجليز . أما في الاردن وكما افاد غلوب ، فقد وقف الرأي العام باغلبيته داعماً للحكومة . ولكن السمعة التي اكتسبتها العصابات خلال عملها في فلسطين ظلت كافية لأثارة الرعب بين القرويين في مناطق العمليات . . واضاف غلوب ان ما بين ٢٠ - ٢٥ شرق اردني التحقوا بهذه العصابات ، نصفهم من قرية جديتا التي

تأثرت بالدعوة الى الجهاد بحكم تدين اهلها . وقد تم القبض على معظم هؤلاء او قتلهم مع نهاية شهر نيسان . وفي منتصف نيسان ايضاً ، تمكنت قوات الحدود الشرق اردنية وقوات الفيلق من ارغام عارف عبد الرزاق احد زعماء الثورة على مغادرة جبال عجلون والفرار الى سوريا . وكان هذا الاخير قد وصل الى شمال غرب الاردن لاخذ قسط من الراحة بعد شهور من العمل الثوري في فلسطين . وقد تم اعتقاله من قبل الفرنسيين ولكنه فر من السجن واستقر اخيراً في بغداد .

ومع حلول ربيع عام ١٩٣٩ ، اصبحت العصابات العاملة في شمال غرب الاردن في وضع دقيق ، كما أفاد غلوب . فإذا امتنعوا عن ترهيب القرويين المحليين ، فسيمتنع هؤلاء عن تقديم الغذاء والمعلومات لهم . في حين لو استمروا في سياسة الارهاب ، فسيتوحد الشرق اردنيون ضدهم . وفي النهاية ، اختارت العصابات حلاً وسط . كما تبين من رسالة تم اعتراضها في الرمثا ، وكانت مرسلة من عزت دروزة أو ابو ابراهيم الاكبر - وهذا الاخير كان زعيماً مهماً للثوار الى هَّمام وورد في الرسالة تعليمات الى همام توصي بالتصرف بطريقة ودية وأخلاقية مع القرويين ، ولكن في نفس الوقت تؤكد على ايقاع اقسى العقوبات بالذين ينقلون معلومات الى الحكومة . وقد تم اتباع هذه التوصيات بدقة من قبل العصابات في شرق الاردن وكان يتم اختطاف أو جلد أو سجن أو تهديد عدداً من الزعماء أو الوجهاء الذين قدموا للحكومة معلومات عن الثوار . ولكن لم يتم قتل احد من المخبرين .

لذلك ، وعلى الرغم من عدم وجود رغبة للثورة لدى السكان ، الا ان العصابات ظلت على اطلاع افضل من الحكومة . وقد اقترح غلوب أن مبلغاً كبيراً من المال فقط ، ربما من ابن سعود او من المانيا أو من ايطاليا ، قد يكون كفيلاً بدفع الشرق اردنيين الى الثورة . ان بضعة آلاف من الجنيهات قد تصل الى مسافات بعيدة في شرق الاردن . وهناك عدد كبير من قطاع الطريق المتقاعدين بين السكان ممن ظلوا على استعداد لممارسة مهنتهم القديمة مقابل اعتبارات مالية .

ولكن مخاوف غلوب لم يكن لها داع ، فقد أدى نجاح المعركة في شرق الاردن يوم ٢٤ نيسان الى احباط زعماء الثوار العرب الى حد انهم اوقفوا محاولاتهم لاشعال الثورة في شرق الاردن . الا ان غلوب بقي قلقاً من وقوع هجمات ارهابية عريضة .

ولاسباب عملية ، ادى توقف الثورة في فلسطين واعلان لندن عن اصدار ورقة

بيضاء جديدة في الشهر اللاحق الى وضع حد لاي جهد جدي يهدف الى اعادة اشعال الثورة في شرق الاردن .

واخيراً . وكتلخيص لأحداث التمرد التي جرت في شمال غرب الاردن بين شهري آذار ونيسان من عام ١٩٣٩ ، كتب غلوب لاحقاً : جاءت هذه القضية المؤلمة نتيجة لسوء تفاهم مؤسف . لأن كل رجل في شرق الاردن وفي الفيلق العربي ، كان يشعر بالتعاطف مع قضية العرب في فلسطين ، ولكن زعماء الثورة اساؤوا تقدير حساباتهم عندما حاولوا اثارة القلاقل في شرق الاردن .

ومن اجل اطفاء آخر جذوة للتمرد في فلسطين ،وخاصة في ضوء وقوع حرب اوروبية وشيكة ، اوصى غلوب بأن تقوم بريطانيا باصدار عفو عام عن افراد عصابات الثوار الذين يغادرون فلسطين . وفي حزيران ، القى الفرنسيون القبض على عزت دروزة ، وفي الرابع والعشرين من تموز ، تمكن رجال الفيلق وخلال كمين أعدوه سابقاً من اعتقال احد كبار الثوار الفلسطينيين «يوسف ابو درة» بينما كان ينتقل من الجانب الشرق أردني لغور الاردن في طريقه الى فلسطين . وكان ابو دره يحمل معه عدداً كبيراً من البيانات الحماسية اضافة الى اوامر للثوار باستئناف القتال . وعلى حد قول غلوب ان ابو درة ، ورغم اعتقاله بثياب مدنية ، كان يحمل في جعبته بزة جنرال ، اضافة الى كتفية عسكرية وثنية بنطال حمراء اللون كان يتجهز لارتدائها غرب النهر .

أثار اعتقال ابو درة بعض الحساسيات في شرق الاردن ، حيث قامت الجماهير المحتشدة بتحيته بينما كان ينقل عبر البلدات في طريقه للمحاكمة في فلسطين . وكان هناك معارضة شديدة لتسليمه الى الأنجليز الذين حاكموه واعدموه في فلسطين عام ١٩٤٠ . ومن سخرية القدر ، كما افاد غلوب ، أن ابو درة كان واحداً من القادة الذين وقفوا بحزم طوال الوقت ضد اثارة القلاقل في شرق الاردن .

وفي تموز ، وما أن حطت الثورة أوزارها في فلسطين ، واصبح العدو المشترك في المانيا على وشك شن حرب عالمية ، حتى قامت السلطات الفرنسية بتدمير قواعد الثوار في سوريا واجتاحت القوات الفرنسية وادي اليرموك بالتعاون مع الفيلق العربي وقوات الحدود الاردنية لاول مرة منذ اندلاع الثورة عام ١٩٣٦ . ولكن حوض اليرموك ظل ولعدة أشهر لاحقة موئلاً للفارين من العصابات والذين اصبحوا يتلقوا تمويلهم من بغداد . وفي تشرين الثاني من عام ١٩٣٩ ، قامت القوات الاردنية والفيلق العربي

بالتعاون مع الفرنسيين بشن حملة على جانبي نهر اليرموك لتطهيره تماما من العصابات .

وفي النهاية ، بقي هناك قدر قليل جداً من تأثير ثورة فلسطين على شرق الاردن . وعبر مراحل مختلفة ، ظل غلوب قلقاً من هذا الامر ولكن الولآة التقليدية لرجال العشائر معززة بالدعم البريطاني والخوف من الفيلق العربي ، ابقت التمرد تحت السيطرة . كما أن كل من الفلاحين وأهل المدن ، على اختلاف تعاطفهم ، ظلوا غير راغبين بترجمة مشاعرهم الى نشاطات ضد بريطانيا أو الهاشميين .

بالنسبة لغلوب ، كنائب لقائد الفيلق ومن ثم كقائد له ، شكلت التجربة امتحاناً وارباكاً لفترة من الوقت ، وقد تنازعته فيها عدة أفكار ، منها تعاطفه مع الثوار ضد الاهداف الصهيونية وكرهه لزعماء الثوار وسياستهم . اضافة الى معارضته الفطرية لكل من يحاول الاعتداء على الامبراطورية البريطانية ، ومخاوفه من انتقال الثورة الى شرق الاردن .



الفصل الثالث

الحرب العالمية الثانية وآثارها

الحرب العالمية الثانية :

أدى اندلاع الحرب العالمية الثانية ومسار عملياتها الى وضع كلوب في موقف صعب من عدة أوجه . فقد كان غلوب قائداً انكليزياً لجيش عربي في منطقة تهب عليها رياح القومية على نحو متزايد ضد بريطانيا (وضد فرنسا) وكان القوميون يعتبرون الانكليز مضطهديهم وأعدائهم إضافة الى كونهم عقبة رئيسية أمام حرية العرب وحقهم في تقرير مصيرهم .

وقليلون هم من نسوا أو غفروا لبريطانيا قمعها الدموي للثورة الفلسطينية في الفترة ما بين الاعوام ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ودورها في قمع الحركات القومية التي انطلقت في مصر والعراق . دخلت آلمانيا وايطاليا واليابان الحرب دفعة واحدة واضعين بريطانيا في موقف دفاعي يتحدى قوتها وسلطتها فوق الكرة الأرضية ويلقي ضوءاً قوياً على ضعفها .

تململ القوميون العرب واتخذوا في بعض المراحل خطوات هجومية متمردة ،فلعل الفرصة الآن تسنح بالتخلص من نير الاستعمار البريطاني دفعة واحدة والى الابد .

كان الشرق الاوسط مندفعاً بقوة ضد الدعاية الانجليزية (وفي بعض المراحل مؤيداً للمحور) ورفعت الطبقات المثقفة في معظم بلدانه شعار القومية ، وكان الأمل بهزيمة بريطانيا يحدوا الغالبية . وقد عبر عنه المثقف المقدسي خليل السكاكيني عندما علم بسقوط القاعدة الانكليزية في طبرق بليبيا في عام ١٩٤٢ بقوله : «ليس فقط أبناء فلسطين من كانوا سعداء عندما سقطت طبرق بأيدي الألمان ، بل عمت السعادة جميع أنحاء العالم العربي في مصر وفلسطين والعراق وسوريا ولبنان ،ليس لأنهم يحبون الألمان لكن لأنهم لا يحبون الانكليز» . وفي فلسطين قامت بريطانيا بسحق الثوار القوميين في اللحظة النهائية الحاسمة . (وقد يتساءل المرء هل كان من الممكن أن تكون الثورة

الفلسطينية اكثر تدميراً للمصالح البريطانية لو وقع انفجارها بعد ايلول ١٩٣٩) لكن في نيسان من عام ١٩٤١ظهر تحالف بين سياسيين وضباط من الجيش في العراق وقام هذا التحالف بالتعاون مع الثوار الفلسطينيين المنفيين العاملين تحت قيادة الحاج أمين الحسيني بثورة مؤيده للمحور .

(تبع إخماد هذه الثورة فرار الحاج أمين الحسيني الى برلين حيث مكث خارجاً طيلة سنوات الحرب مع قادة ثوار آخرين . وتم تعيينه من قبل وزارة الخارجية الالمانية كداعية للعالم العربي ومسؤول عن تجهيز المتطوعين المسلمين لمصلحة الجيش الألماني) . وفي مصر قامت مجموعة من الضباط - بمن فيهم الشاب أنور السادات - بالتآمر للقيام بثورة ضد بريطانيا بينما كان الجيش الثامن الانكليزي مندفعاً عبر شمال افريقيا ليقتحم اوروبا من خلال صقلية . علاوة على ذلك ، ومنذ حزيران ١٩٤٠ وحتى أيار ١٩٤١ ، أي لمدة سنة كاملة ، ظلت جارة الاردن الشمالية سوريا (مع لبنان) وتحت إدارة حكومة فيشي الموالية للمحور ،تصور عبد الله ، حليف بريطانيا ، على أنه مشكلة محتملة وكبيرة . وفي عام ١٩٤١ وجد كلوب نفسه مرة أخرى على رأس جيش عربي يقاتل عرباً آخرين (في العراق وسوريا حيث كانت أغلبية كتائب فيشي من العرب) وكان الفيلق هو الجيش العربي الوحيد الذي وقف يحارب الى جانب بريطانيا ضد دول المحور . وجاءت الحركة الصهيونية العالمية ومعها اليهود لتقلب إتجاه الرياح المعاكسة لبريطانيا ، بتأييدها القوي لقضية الحلفاء ، وهو تأييد كان محتوماً بسبب موقف النازية المتطرف ضد السامية (كان الاستثناء المهم الوحيد ، هو جماعة لاحومي حيروت الصغيرة التي تشكلت منها عصابة شتيرن والتي استمرت خلال ١٩٣٩ - ١٩٤٠ في اعتبار الانكليز كعدو رئيسي لليهود) . وبالفعل فقد تطوع ما يقارب ٢٦ - ٢٨ ألفاً من اليهود الفلسطينيين للخدمة في الجيش الانكليزي خلال عام ١٩٤٥ (بالمقارنة مع ٦٣٠٠ فقط من العرب الفلسطينيين) مع ان الجالية العربية الفلسطينية كانت تشكل ضعف الجالية اليهودية . وأمام هذا الوضع المنغص وجد كلوب نفسه على الجانب الذي وقف عليه اليهود .

وجاءت أخبار إبادة يهود اوروبا الهولوكست (المحرقة) ، التي أخذت ترشح خارجاً الى الغرب في النصف الثاني من عام ١٩٤١ ، لتعزز من الدعم الصهيوني لجهود الحلفاء الحربي .

في نفس الوقت ، كانت هذه الانباء ممزوجة بأنباء التأييد العربي لفعاليات المحور -

تبث بدهاء وبدون دهاء - لتقلص من قوة التيار المؤيد لقضايا العرب والفلسطينيين بين المسؤولين البريطانيين المناصرين تقليدياً للعرب بمن فيهم (وباختصار) كلوب .

وخلال سنوات الحرب ، أصبحت معاداة الصهيونية بالنسبة للبعض ، مجرد امتداد لمعاداة السامية ، ولم يعد الكلام عنها علناً مقبولاً أو مريحاً . وخلال الأشهر الزائفة الاولى من الحرب ، وجد كلوب نفسه يتولى الدفاع عن العرب وتنظيف صفحتهم (بالاضافة الى إعادة النظر في الاجراءات الاحتياطية المتخذة في مواجهة أية غارات متوقعة تقوم بها طائرات المانيا أو ايطاليا على الاردن) .

وبعد مضي أيام قليلة من الحرب ، كتب كلوب ، بالرغم من كل الضغائن والاتهامات المضادة التي كيلت في العشرين سنة الأخيرة ، ما زال يبدو هناك قليل من الشك في أن الغالبية العظمى من العرب في هذه الأيام تميل الى تأييد الجانب البريطاني أكثر من الجانب الالماني في الحرب ، مع ذلك فقد استثنى غلوب من هذا الصف المفتي الكبير والثوار الفلسطينين وابن سعود ملك العربية السعودية وأطرافاً في بغداد .

لكن مع مرور الاسابيع وجد كلوب بأنه وعلى نحو متزايد ،اصبح من المتعذر الدفاع عن هذا الموقف .

ففي كانون الاول من عام ١٩٣٩ ، كتب تقريراً يقول : بأنه بتاريخ ١٣ تشرين الثاني ، «قامت دار سينما عمان بعرض فيلم وثائقي يدعى (الجندي المجهول) يصور مشاهد من الحرب العالمية الاولى ، وقد صفق قسم من المشاهدين بحرارة عندما ظهر العلم الألماني والجنود الالمان ، علماً بأنه لم تقابل بالتصفيق أي صور لكتائب الامم الأخرى» .

ووفقاً لغلوب ، «فقد اتضح أخيراً بأن أولئك الذين قاموا بالتصفيق هم سبعة طلاب مدارس وجميعهم من المسلمين الذين ينتمون الى عائلات شرق اردنية معروفة بتعاطفها مع ثوار فلسطين» .

كتب غلوب يقول : «ليكن ما يكون فإننا إذا تحدثنا بوجه عام ، فسنجد أن الفلاحين ورجال القبائل والبدو ليسوا مكترثين أبداً بالحرب وبسياسات أوروبا ، وهذا لا يعني بأن الحرب لا يمكن أن تحركهم نحو التحريض على العصيان ، ولكنهم لن يسلكوا هذا الطريق الا لأسباب محلية فقط وليس بسبب تفضيل لأية قوة أوروبية أو اهتمام بها . . وقد تشجعهم الاخبار عن هزائم الحلفاء أو التقلصات في القوى المحلية أو القوات

في فلسطين الى القيام بأعمال شغب . لكن في هذه الحظة ، يمكننا أن نلغي سكان الريف من قائمة المتعاطفين مع ألمانيا» .

أما بالنسبة لسكان المدن الذين يتشكلون ضمن تصنيفات كلوب من الموظفين وتجار المدينة وتلاميذ المدارس والطلبة . فقد تأثروا بشكل كبير من الدعاية الالمانية النازية المباشرة . ومن المشكوك فيه على أي حال أن نجد من بين طبقات الموظفين التجار من يحمل مشاعر صادقة نحو الألمان . لكن البعض منهم تتفق سياسته مع سياسة ثوار الحسيني في فلسطين ويعطي الحق للمفتي بإقامة علاقات متزايدة مع الالمان . ولذا تجدهم يتعاطفون مع ألمانيا ، ويعود هذا التعاطف الى الولاء لحزب المفتي أولاً ومن ثم الى السخط على بريطانيا بسبب سياستها في فلسطين ثانياً . فجميع الطبقات المتصلة بالموظفين ورجال المدينة والطلاب ، تبدي اهتماماً عميقاً بالمسألة الفلسطينية ، وفي حين أن الأغلبية تشعر بالاستياء من سياسة الانجليز في فلسطين ، الا أنهم يميلون الى الأعتقاد أن الانجليز هم أحسن الاوروبيين الذين يمكن أن يتواجدوا حولهم إذا كان لا بد من وجود أحد .

لكن زمام الأمن في الاردن كان في أيدي العشائر وأهل الريف وكان الفيلق العربي ما يزال يسيطر بقوة على الناس . . في مقاطعات العشائر . كان الفيلق العربي لا يشكل الذراع الوحيد للقانون فحسب ، بل الدليل الشامل والفيلسوف والصديق .

تبدو تقارير كلوب وكأنها مصممة لتهدئة مخاوف الوايت هول من خيانة العرب ، ولوضع شرق الاردن في أفضل صورة ممكنة تحت دائرة الضوء . لكن هيبة بريطانيا وشعبيتها في الامارة ، كانت وبدون شك ، قد هبطت مع تراكم نجاحات ألمانيا خلال الاشهر اللاحقة . وفي أواخر نيسان ١٩٤١ كتب ضابط مخابرات صهيوني على خلفية نجاحات المحور في العراق ،ما يلي :

«إن التحريض ضد بريطانيا قد زاد بشكل كبير في شرق الاردن ، كما لو أن معظم السكان أصبحوا ينتمون الى الطابور الخامس . وقام موظفوا الحكومة بنشر جميع أنواع الاشاعات . وفي كل مكان تجد الناس يتناقشون في عظمة المانيا وعملياتها . . في ٤/٢٤ قام أشخاص مجهولون باحراق السيارة الخاصة بالمدير الانكليزي لدائرة المحاسبة . . وفي نيسان قطعت أسلاك الهاتف واللاسلكي في شرق الاردن عدة مرات وفي معظم الحالات تم رسم الصلبان المعقوفة على الاعمدة» .

وخلال عقد الثلاثينات من القرن العشرين ، ظلت المانيا وايطاليا تقدم الدعاية والاموال بشكل متقطع للثوار العرب الفلسطينين ضمن الجهود العالمية التي تبذلها لاضعاف بريطانيا .

واستمرت الدعاية الالمانية المضادة لبريطانيا في الوصول الى الشرق الاوسط خلال الاشهر الاولى من الحرب العالمية الثانية . وأشار كلوب على السلطات البريطانية ، أن تقوم بحملة مضادة ، تلقي الضوء على نظرية التمييز العرقي الالمانية والتي وضعت العرب بعيداً عن قمة العامود العرقي للبشرية :

كان الكاتب (غلوب) قد شاهد بالتأكيد في مكان ما قائمة مصنفة لأجناس العالم صدرت حديثاً في ألمانيا وظهر فيها العرب فعلاً في قاع قائمة فئات الجنس البشري - في الحقيقة وضع العرب جنباً الى جنب مع الزنوج وسكان استراليا الاصليين . لم يسمع أحد من العرب عن هذا التصنيف للجنس البشري . وبالتأكيد يمكن كشف هذه القائمة (واذاعتها) بكل نتائجها المدمرة . وبالمثل يمكن تسخير نظرية العرق الألمانية لصنع اكثر من قضية وخاصة مسألة إعطاء الحق للجنس الآري لكي يسود العالم ، وابقاء الآخرين بمن فيهم الساميين في الدرك الأسفل .

بقي الفيلق العربي (١٩٣٩ - ١٩٤٠) مشغولاً بمسألة الاجراءات الاحتياطية ضد الغارات ، وازدادت قوته البشرية تدريجياً ، (ففي نهاية الحرب أصبح عدد القوة ١٦٠٠٠ رجل) . وقد أدى الانتشار السريع للوجود الايطالي الألماني في شمال افريقيا باتجاه مصر ، الى تزايد إمكانية وصول الحرب الى حدود شرقي الاردن . إلا أن جيوش المحور ، على أي حال ، لم تتمكن من التقدم الى شرق العلمين في شمال غرب مصر . ولكن عام ١٩٤١ جاء بمزيد من التهديدات العاجلة والمباشرة . ففي حزيران قام الألمان بغزو روسيا واندفع الذراع الجنوبي من تقدمهم باتجاه القفقاس ، مهدداً بحصار الشرق الاوسط وقناة السويس من الشمال ومن الغرب (من قبل قوات رومل في افريقيا) . وفي الثالث من نيسان ، وقبل شهرين من ذلك ، وأثناء التحضير لعملية برباروسا ، ساعد الالمان جزئياً في هندسة ثورة مؤيدة للمحور في بغداد بقيادة عناصر من الجيش العراقي وبدعم من رئيس الوزراء المعزول رشيد عالي الكيلاني والحاج أمين الحسيني وبقية الفريق الفلسطيني المبعد والمتواجد في بغداد . بدا الأمر وكأن العراق يمكن أن يتحول الى قاعدة ألمانية تنطلق منها القوات الألمانية الى كل مكان من الشرق الاوسط .

اكثر من ذلك ، ومنذ سقوط فرنسا في حزيران عام ١٩٤٠ ، أصبحت سوريا ولبنان تحت إدارة حكومة فيشي وسيطرة رجالها . فإذا ما وقع العراق تحت سيادة المحور ، فإن هذه البلدان قد تصبح أيضاً منطلقاً للقوات الألمانية . بدا الأمر وكأن الشرق الأوسط برمته قد بدء ينسل من تحت أيدي بريطانيا .

عملت بريطانيا بسرعة ، وارسلت اعداداً كبيرة من جنودها في الهند الى البصرة ، ثم بدأت زحفها باتجاه العاصمة العراقية عبر وادي دجلة ، بالتزامن مع زحف قوة بريطانية صغيرة تم تشكيلها ضمن رتل (فوج الصحراء الميكانيكي) من الفيلق العربي الذي شق طريقه وسط صحراء شرق الاردن باتجاه غرب العراق عبر نقطة الاتش ثري ، فالرطبه ، فالحبانية قاصداً بغداد . وقد عمل رتل الفيلق بقيادة كلوب كوحدة استطلاع وهجوم على طول الصحراء ، مستولياً في طريقه على الرطبة ومحطة سكة الحديد في مشهده ، وقد تم تعزيز الر تل بقوات اخرى . وبحلول ٣٠ - ٣١ أيار فر الكيلاني الى خارج البلاد ، وحضر الجيش العراقي ممثلاً بضابطين يحملان منشفة حمام على سارية طالباً عقد هدنة ، وعاد العراق اثر ذلك الى يد بريطانيا بشكل أقوى .

وفيما بعد أطلق سومرت دي شير ، ضابط استخبارات القوات البريطانية على مأثرة كلوب في إعادة احتلال بغداد ، بالحاسمة . باشر الانجليز بعد ذلك باخراج قوات فيشي من سوريا ولبنان : وأطبقت أرتال قادمة من شمال فلسطين والعراق على دمشق وبيروت واحتلت العاصمتين في حزيران وتموز . وخلال عملية الاندفاع الى جنوب لبنان ، التي تقدمتها قوات استطلاعية من الهاجانا كرأس حربة ، فقد موشي ديان (الذي أصبح فيما بعد رئيس هيئة الاركان في جيش الدفاع الاسرائيلي ، وخصم كلوب ، ووزيرا للدفاع في سنة ١٩٦٧ في حرب الايام الستة وفي حرب تشرين الاول ١٩٧٣) ، عينه في الاسكندرون على يد قناص من قوات فيشي . وقد شارك الفيلق أيضاً ، عبر قيادة كلوب بثلاثمائة وخمسين عنصر من الرتل الميكانيكي ، في اخضاع تدمر ، المدينة الاثرية الرومانية الضخمة في الصحراء السورية .

مرة أخرى ، كانت خسائر الحلفاء بسيطة ، لكن كلوب وضباطه أصبحوا يمتلكون الآن خبرة في قيادة التشكيلات الكبيرة نسبياً في المعركة ، مع كل ما يتبع ذلك من خبرات استخبارية (لوجستية) وخبرات في القيادة والادارة والقتال ، مما جعل موقفهم جيداً في عام ١٩٤٨ .

دفعت فعاليات العرب المؤيدة للمحور ، بكلوب الى التفكير مليا في الشخصية العربية . «هل علينا أن نستنتج من أحداث العراق بأن العرب غدارون من أساسهم ، وأن سياستنا اتجاههم حملت ثقة زائدة ؟ وهل علينا أن نعاملهم بالشك مستقبلاً ، أو أن نسعى الى السيطرة عليهم بالقوة فقط ؟» كتب غلوب «إن من الصعب إدراك ذهنية أمة أخرى بالشكل الصحيح» .

وأضاف غلوب «لا يوجد هناك فصل بين السياسات الداخلية والخارجية في العالم العربي» .

فالانظمة والاحزاب المصطنعة وغير الناضجة التي دعمها الغرب أساءت استخدام قواتها ، مقلصة بذلك من نفوذ العائلة والعشيرة والقبيلة .

فهل نستطيع أن نلومهم ، عندما يعمدون الى الحيلة والغدر في مواجهة مثل هذه التهديدات ؟ إننا لا نملك حق اتهام العرب بشكل عام بالخيانة .

واقترح غلوب ، بأن تعطي السياسة البريطانية الزعماء المحليين ، مقداراً وافراً من الحرية ، مع ترك بعض ضباط الصف الأول الانكليز في مراكز رئيسية (وقد تبين ، أنه لم يكن يوجد في العراق ، مقارنة مع شرق الاردن أي ضابط انجليزي) واستنتج غلوب بأنه يجب إبقاء العرب على خط السكة ، وهذا يعني الحؤول دون محاباة الاقارب في التوظيف واستخدام الفساد والارهاب لاغراض سياسية .

إثر رؤيتهم لفعالية وقوة فيلق كلوب الصغير ، قام الانجليز بتوسيع القوة وتزويدها بوسائل الدفاع العسكرية ، وفي عام ١٩٣٩ وصل عدد الفيلق الى ألف رجل ، وبحلول عام ١٩٤٥ أصبح في حجم فرقة عسكرية صغيرة مزودة بسيارات مسلحة وبطاريات مورتر .

بعد صيف ١٩٤١ سعى كلوب للمشاركة في هجمات انجليزية أخرى ، ولكن القيادة الانجليزية فضلت استخدام الفيلق كحامية وقوة حراسة ،ناشرة العديد من وحداته حول قواعدها في المنطقة بما فيها فلسطين . وكرر كلوب ضغطه من أجل المزيد من المهام الرئيسة والمكافئة ، لكن قرار القيادة البريطانية في الشرق الاوسط راح في اتجاه آخر ، ربما خوفاً من أن ينهار انضباط الفيلق عند إجباره على محاربة أمثاله من العرب .

وجد غلوب متسعاً كبيراً من الوقت خلال إقامته الطويلة في عمان ، فباشر في قصف رؤساءه بالمذكرات حول سياسات الشرق الاوسط ، وحول السياسة الانجليزية

ومستقبل المنطقة فيما بعد الحرب ، وكان لا بد من أن يركز بعض اهتمامه على فلسطين .

قدم غلوب في تشرين ثاني ١٩٤١ مذكرة تقع في ٦١ صفحة عنونها «مذكرة حول تسويات ما بعد الحرب في الشرق الاوسط» . قال فيها (بأنه في بدايات الحرب العالمية الاولى ، كان هناك صراع وإراقة دماء في كل بلد عربي ، ويعزى الكثير منها الى التضارب في سياسات ووعود الحلفاء - يعني بريطانيا وفرنسا بشكل رئيسي - لذلك أرى أنه من الافضل أن نقرر سلفاً الخطوط العريضة لتسويات ما بعد الحرب العالمية الثانية في الشرق الاوسط) . وقد جادل كلوب من أجل استمرار زخم الوجود البريطاني في المنطقة .

واضاف أن القومية ليست مسألة متاصلة في آسيا ، وأن مسألة فصل الاستقلال لا تعني شيئاً بالنسبة لمعظم شعوبها . الغرب هو الذي انقض عليهم بمثل هذه المفاهيم . وفي الحقيقة ، إن نظرة مبسطة جداً يمكن أن تُظهر بأن إنسحاب الحكم البريطاني من آسيا قد يشطل كارثة عالمية لا تقارن بإجتياح الامبراطورية الرومانية من قبل البرابرة ،و هو اجتياح تبعته قرون من العصور المظلمة .

على أي حال ، ولأن بريطانيا وعدت العرب باستقلال كامل (غير قابل للتطبيق) لذلك أرى أنه من الصعب أن نلومهم حين يطالبون بانجاز هذا الوعد» .

وبرغم ذلك فقد اعتقد غلوب بأن على بريطانيا الاحتفاظ بمعسكرات كبيرة أو قواعد عسكرية في المواقع الرئيسة مثل طبرق وقناة السويس وحيفا والرطبة والكويت ، مع تواجد فرقة عسكرية في كل منها ،وكذلك الحفاظ على مسؤولية انتدابها على جميع أقطار العرب الشمالية (يعني : فلسطين ولبنان وسوريا والعراق وشرق الاردن) وبتمويل من أمريكا وبالتعاون معها إن أمكن .

أما فرنسا فأعتقد بأنه يجب طردها بالكامل من المنطقة - لأن استمرار وجودها يؤدي فقط الى إشعال شرارة العداء نحو الغرب واستنهاض الثورات ضده . وقد شعر كلوب ، بناء على موقعه الشخصي في الاردن ، بأن الانجليز أقل بغضاً من الفرنسيين في عيون العرب .

وبالنسبة لفلسطين ، والتي كُرِّس لها حيزاً صغيراً في المذكرة ، أعطى غلوب حلاً مبهماً الى حد ما . وقد كان هذا سبباً لتعنيفه بقوة من قبل ناقدي المذكرة . فقد كتب :

(حتى الجانين يفضلون عدم التهور في تقديمهم حلول لهذه المسألة الفلسطينية المربكة . ففي فلسطين قمنا نحن الانكليز بمحاربة العرب لمصلحة اليهود) . . كان كل من العرب واليهود منهمكين في التسلح . ولعل افضل أمل لحل مسألة فلسطين ، يلوح في تسوية كريمة للمشكلة العربية في أجزاء اخرى من بلاد العرب (يعني : العالم العربي) يتم فيها إقناع القادة العرب في الاقطار الاخرى بقبول تضحيات في فلسطين .

يبدو من سياق الكلام الذي تضمنه النص ، بأن كلوب فضل التقسيم الذي يتضمن في النهاية قيام الدولة اليهودية على جزء من البلاد . (يعزز هذا التضمين ورود فقرة في سيرته الذاتية تتعلق بهذه الحقبة) يقول فيها : (نحن في شرق الاردن ،قمنا بتقديم الحل الخاص بنا . فنحن فضلنا التقسيم) . .(مع ضم الحاميات الانجليزية في القدس وحيفا وسائر المناطق العربية في فلسطين الى شرق الاردن ومصر ولبنان) . وقد ابدى اللورد موين ، وزير الدولة الانجليزي في الشرق الاوسط ، اهتماماً جلياً بالخطة حين شرحتها له . لكنه اغتيل في القاهرة من قبل ارهابيين يهود ، قبل أن يتبنى المشروع . ولم يتمكن غلوب من إظهار رأيه هذا ، بل بدا وكأنه ينظر الى التقسيم كحل نهائي في مستقبل ليس ببعيد . وقد كتب في الوقت نفسه : (يبدو أن إنشاء إدارة ثنائية العرقية في فلسطين (يعني ثنائية القومية ، عرب ويهود) مع احتفاظ بريطانيا بحامية كبيرة للحفاظ على السلام ، أصبح أمراً حتمياً في الزمن الآتي) .

وإذا ما دخلت فلسطين في اتحاد فيدرالي عربي (من دول) وتم وضع حد للعداء والاحقاد ، فإن اليهود قد يجدون مجالاً واسعاً لتجارتهم ، اكثر مما لو استمر التعصب الحالي عند كلا الجانبين والذي يترك اليهود محشورين في جزء من فلسطين ومحاطين بالأعداء ، بكلمة أخرى ، فإن كلوب يجادل في سبيل إعادة توحيد دول الشمال العربية ، المحصورة بين تركيا والعربية السعودية على هيئة فيدرالية ، في حين يوحي بأن إغراء توسيع الروابط والمكتسبات الاقتصادية ، يمكن أن يحث اليهود على الامتناع عن إقامة دولة منفصلة .

يفترض غلوب هنا بأن اليهود يمكن أن يبيعوا أي شيء - وفي هذه الحالة مطامحهم السياسية - من أجل تحقيق ربح مالي .

أرسل غلوب مذكرته الى كثيرين ومن بينهم السير هارولد ماكميكل ، المفوض السامي لفلسطين وشرق الاردن . وجاء رد هارولد ماكمايكل في تحليل مشبع بالنقاش

ومؤلف من صفحتين كما أرسل نسخاً من هذا التحليل مرفقه بثلاثة عشر نسخة عن مذكرة غلوب الأصلية ، الى اوليفر ستانلي ، سكرتير المستعمرات ، موصياً بتوزيع كلتيهما على معاوني الوزراء ومكاتب بريد بريطانيا للشرق الاوسط .

استهل ماكمايكل رده بالثناء على ورقة غلوب ، قائلاً «قليلون هم الرجال الذين يمتلكون قدرات ، كقدرات العقيد غلوب ، تؤهلهم لرسم صورة على قطعة عريضة مثل هذه ، ولعل قيمة المذكرة تتناسب مع معرفته وطول خبرته» . وقد تبنى ماكمايكل عدداً من نقاط المذكرة ، كما عارض هو أيضاً أي نزعة للتورط في وعود سطحية للاستقلال ، وفضل الاستمرار في السيطرة الدولية الأقليمية ، ولكن على أسس التعاون بين بريطانيا والولايات المتحدة ، بدلاً من اشراف مهلهل تقوم به عصبة أمم مركزية على شكل أنظمة انتداب ، كما اقترح غلوب .

وقد وافق ماكمايكل بأنه ، إذا أردنا الحفاظ على السلام ، فيجب أن نحتفظ بقوات كبيرة في المنطقة الى ما لا نهاية .

كما وافق المندوب السامي على عبثية التقسيم المصطنع للمنطقة في نهاية الحرب الاخيرة ، وأكد بأن المقومات التاريخة والقومية لبلاد الشرق ، غير قابلة للتجزئة ، (ملمحاً في حديثه الى شكل من أشكال الاتحاد الفيدرالي العربي ؟).

لكن ماكمايكل آثر أن تكون حيفا عاصمة للاتحاد الفيدرالي المستقبلي بدلاً من تدمر أو أبو كمال ، كما اقترح غلوب . كما أنه كان أقل صراحة من غلوب فيما يتعلق بالحاجة الكاملة لطرد فرنسا من المنطقة ، على الرغم من أنه وافقه الرأي بأن التعاون مع الولايات المتحدة يشكل متطلباً جوهرياً وأساسياً لوضع ترتيبات ما بعد الحرب .

انتقد ماكمايكل تهميش غلوب لقضية فلسطين : «يبدو لي بأن المشكلة الفلسطينية لم تُعطى الوزن الذي تحمله بالعادة» . وما لم يتم حل هذه القضية مسبقاً ، فان من المحتمل أن ينهار حلم تحقيق الاتحاد الفيدرالي بأكمله .

وأشار ماكمايكل الى نمو سياسة التطرف الحديثة التي تشكل عائقاً على طريق التسوية : «فاليهود يطالبون بفلسطين كدولة يهودية . ويدّعون انهم سيتفرغون للحديث في شروط الفيدرالية ، إذا ما تم إنجاز ذلك ، أما العرب فيردون بالحجة المعاكسة الواضحة التي تقول أن الحل الوسط الممكن والوحيد هو بالتأكيد إقامة فلسطين ثنائية القومية ،

وحالما يتم تأكيد ذلك نهائياً ، فإن السبب الرئيس للخلاف - يصبح زائلاً وتصبح المحادثات من أجل أي اتحاد سياسي في المشرق ممكنة على أسس ومقومات منطقية يتعذر دحضها» .

ولكن ماكمايكل كان يخشى من تزايد احتمال وقوع إضطرابات عنيفة في فلسطين بعد الحرب . (واذا حدث هذا ووقعت مواجهات بين العرب واليهود فإني أشعر بأن رياح التعاطف التي ستظهر بين سكان البلدان العربية المجاورة ،قد تهب بقوة لتجرف أي نزعة تميل الى تقبل أي درجة معتدلة ومعقولة من التضحية لصالح انشاء دولة ثنائية القومية) .

ومن هنا شعر ماكمايكل بأنه كان من الضروري التوصل الى حل للمشكلة الفلسطينية قبل طرح المزيد من الأفكار العامة الداعية للوحدة أو «الفيدرالية» في الشرق .

أدت انتقادات ماكمايكل ، بالاضافة الى المداولات التي دارت بين الرجلين فيما بعد ، الى دفع غلوب للاسهاب حول نظرته (آرائه) الى الصراع العربي الصهيوني والحل الممكن .

ولعل ما تكشفه هذه الافكار عن صفات غلوب التنبؤية وعن خاصية نظرة غلوب الى العالم ، يجعل من الجدير ذكر نبذة منها هنا .

اقترح غلوب في مذكرته الأصلية بوجود إمكانية لحث القادة العرب على تقديم تضحيات في فلسطين .

وكتب هنا : (كنت مروعا الى حد ما من فكرة أن ملاحظاتي يمكن أن تفسر كاذعان للاقتراح من أجل دولة يهودية في فلسطين) ، وتجنبت عامداً ، البحث في أية تفاصيل في المسألة الفلسطينية في مذكراته لكنه شعر الآن بأن عليه أن يعلن عن أفكاره بصراحة على الأقل لكي يتجنب أية تفسيرات خاطئة ، وبدا كأنه غير موفق تحت ضغط أراء ماكمايكل .

بدء غلوب شرحه ، كما كان يرغب دائماً ، بملاحظة سيكولوجية ، ولربما كان هنالك بعض التأرجح والغموض في ملاحظاته بسبب ما نشر حول مسيرة الهولوكوست في اوروبا حديثاً .

يخبرنا علماء النفس بأن الاطفال الذين تربوا على ايدي أبوين قاسيين ، يصبحون هم أنفسهم وبشكل طبيعي قساة على ابنائهم . وهذه الخصوصية ليست حكراً على الابناء . فالطوائف الدينية التي عانت من الاضطهاد ، هي عادة أول من يضطهد الطوائف الأضعف منها ، عندما تسنح لها الفرصة . وقانون الغاب هذا والذي بواسطته يقوم كل مجتمع بتعذيب المجتمع الأضعف منه ، يوقع في النفس الكآبة . قد يأمل المرء بأن يقوم أولئك الذين عانوا بأنفسهم من الاضطهاد ، بأخذ عهد على انفسهم بان لا يبتلوا الآخرين بالمعاناة . لكن لسوء الحظ ، إن ملاحظاتنا عن الطبيعة البشرية لا تبرر وجود مثل هذه التطلعات .

فاليهود الذين عانوا الكثير ، والذين أثقلوا عواطفنا بالشفقة عليهم عندما كانوا هم ضحايا للاضطهاد ، اصبحوا هم أنفسهم ، مجردين من أي شفقة في مواجهتهم مع العرب ، بعد أن امتلكوا القوة لاضطهاد الآخرين . يقول البعض أن اليهود هم الشعب الاكثر ذكاء في العالم ، لكنهم الأقل حكمة .

ولعل أفعالهم في فلسطين تعزز بالتأكيد صحة هذا الرأي . . ففي فلسطين . . تميز موقفهم تجاه العرب بالجشع والتعصب (لذلك) ورغم أن (أو ربما بسبب أن) اليهود كانوا هم أنفسهم أقلية مضطهدة ، فإن ذهنيتهم ترفض تصديق أي فكرة ، باخضاع تعاملهم مع أية أقلية أخرى للتراحم والرقة . لكن يجب أن يُفهم بوضوح ، بأن الاقتراح لانشاء دولة يهودية في فلسطين ، هو ليس اقتراحاً بوضع الأقلية تحت حكم الأغلبية ، ولكن العكس . فالعرب يشكلون ثلثي السكان في فلسطين !! ليس هناك ما هو أقل ديمقراطية من وضع الأغلبية تحت حكم الأقلية ، وخاصة أقلية متعصبة ، تكن عداءاً مريراً للأغلبية .

في هذا الربط ما يلفت الانتباه ، ذلك أن بعض اليهود طالبوا بحقهم في الهيمنة على العرب في فلسطين على أساس أنهم (اليهود) جنس متفوق بالمقارنة مع العرب . وهذا بالطبع هو السبب نفسه الذي جعل ألمانيا تدعي الحق في احتقار اليهود .

فهذه الرغبة لدى (عرق متفوق) بالهيمنة على الأعراق الاخرى ، هي التي ندعي بأننا نخوض هذه الحرب لمعارضتها .

واعتقد غلوب «بأن اليهود باستخدام الأساليب الوحشية والاسلحة الحديثة ، يمكن أن يحققوا السيطرة على فلسطين ، لكن هذا الامر قد يؤدي الى اشعال الهيجان والعداء ضدهم في كل مكان من العالمين العربي والاسلامي» .

وفي أفضل حال قد يقود هذا الامر الى مقاطعة بضائع يهود فلسطين وانفجار الاضطهاد لليهود في الاقطار العربية الأخرى .

أما في الجانب الأسوء ،فمن الممكن بأن تأتي قوات مسلحة من أجزاء أخرى من الوطن العربي لنجدة العرب في فلسطين . وهذا من شأنه أن يعيق ، إن لم يدمر أية خطط للتعاون الانجليزي - العربي بعد الحرب .

إلا أنه من المسلّم به ، في نفس الوقت ، بأن العرب في فلسطين بشكل عام ، هم أدنى مستوى ثقافياً من اليهود ، على الرغم من أنهم يشكلون الأغلبية ، إلا أنه من غير الجائز أن نتخلى عن اليهود ليكونوا تحت رحمة العرب . . يوجد لدينا . . في فلسطين عرقين . . وكلا العرقين طماع ومتعصب ، كما أن كلاهما ينقصه الهدوء والحكمة والمعرفة الواسعة بإدارة شؤون الدولة . لذلك لا يجب السماح بأن نتخلى عن أي من العرقين لمصلحة العرق الآخر .

وقد اعتقد غلوب بأنه في الوقت نفسه ، «لا يوجد هناك بديل عن الاحتفاظ بادارة بريطانية ، مركزية ، قوية ، معززة بالجيش» .

(ترك غلوب الاحتمال مفتوحاً ، دون أن يصرح ، بأنه في نهاية الطريق ، قد يتضمن الحل تقسيماً وإنشاءاً للدولة اليهودية بدون أقلية كبيرة من العرب في جزء من فلسطين) .

واضاف ، (مع ذلك ، فإنه لا يزال هناك أرضية للأمل لأن اليهود هم العرق الأكثر قابلية للتكيف . ومع نمو روابط تجارية ، يمكن لروح التعصب المحلية أن تفتر ، ويتمكن الجيل الثاني أو الثالث من اليهود بأن يتأقلم جيداً في الشرق الاوسط ويندمج مع السكان المحليين) .

أشار غلوب الى أن التغييرات الدائمة في سياسة بريطانيا كانت سبباً اضافيا للإخفاق في حل القضية الفلسطينية ، إلى حد أنه لم يكن أي من الطرفين يؤمن بأن الحكومة البريطانية لديها التصميم لأن تلتزم بأي قرار تتوصل إليه . وبوجه عام ، فإن الحكومة تظهر دائماً بأنها تخضع تحت الضغط ، وبهذا تشجع «التطرف القومي» .

واصل غلوب التحدث بصراحة عن عدد من مفاهيم «المستشرق» الغربي (عقود قبل أن يعمم المصطلح ويعطي وفقاً لادوارد سعيد مفهومه الازدرائي الحالي) . وشجب

غلوب كل الجهود والآمال الداعية لحث (الهند أو العرب) على تبني الديمقراطية . لأن تقدم البشرية . . يحسب بلغة القرون وليس السنين . كان من السخف الاعتقاد بأن بالامكان إقناع العرب بقبول الديمقراطية في غضون سنة أو سنتين لأن الغرب أراد ذلك . فالتاريخ - والشرق - لديهم أَجنداتهم الخاصة من أجل التقدم . واقترح غلوب - بصورة غير واقعية تماماً - بأنه يجب أن تمر خمس وعشرون سنة كفترة اختبار بعد تقديم أي إمتياز هام للعرب ، لنرى كيف يأخذ التغيير مجراه ، فإذا تحقق النجاح ، يمكن للمرء أن يخطو نحو تقديم امتياز آخر ، على أن تعطى فترة خمسة وعشرين سنة أخرى ، وهكذا دواليك .

وكانت نقطة خلاف غلوب مع ماكمايكل تتلخص في إصرار هذا الأخير على أن العرب تنقصهم الحكمة أو المهادنة في إدارة شؤون الدولة . وكان رده على ذلك ، بأن ابن سعود في العربية السعودية ، أظهر مهارة في إدارة شؤون الدولة ، على الرغم من افتقاره الى الثقافة الرسمية الغربية .

يبدو من المرجّح أن الثقافة تدمر الحكمة الطبيعية لدى العرب . وفعلاً ، فإن البدو المحتقرين الآن يمكن أن يكونوا أكثر حكمة من كثير ممن يدعون امتلاكها بين شرائح المثقفين . . ويمكن وصف نتائج النظام الثقافي الحالي في المنطقة العربية بالكارثي .

أعتقد أن سبب ذلك يعود الى الهيمنة الساحقة على الشرق من قبل أوروبا والولايات المتحدة . والشرقيون الذين يمقتون هذه الهيمنة الاوروبية ، يعتقدون بأن بامكانهم وضع حد لها ، وأن بامكانهم أن يصبحوا على قدم المساواة مع الاوروبيين ، إذا تم تثقيفهم على النمط الاوروبي . لذلك فهم يسعون الى إكتساب كل المعرفة في القانون والطب والهندسة والرياضيات وغير ذلك مما تمتلكه اوروبا . لكنهم يغفلون النقطة الأساسية ، وهي ان الثقافة لا تعني بالاساس حشو الذاكرة بمقادير ضخمة من معرفة الحقائق ، بل هي بناء تراكمي للحكمة والشخصية . (هذه المنتجات) من الثقافة الاوروبية هي في براعة فريق من القردة ، ولكنها تفتقر بشكل كبير الى الحكمة . ولا يبدو أن مضاعفة عدد المدارس التي تخرِّج مجموعات من القردة البارعة والاكثر براعة ، هي الحل !

شعر غلوب أن طبقة المثقفين العرب تحسد الاوروبيين وتعاني من مشاعر دونية ولدت فيها تياراً قومياً متطرفاً ورغبة في الاستقلال . فأضاف يقول :

(مع أنني بينت تكراراً أن أمم الشرق غير مهيأة لان تكون مستقلة ، الا انني لم

اعتقد للحظة واحدة بأن هذه الشعوب هي ادنى درجة منا . . ان مؤسساتهم هي التي تعاني من حالة التخلف فقد تركتهم قرون من حكم الاتراك بدون مؤسسات ثقافية او موارد اقتصادية . ومثل هذه الاشياء تحتاج الى عدة اجيال لتأسيسها . وهم بلا ريب سيقومون بذلك فعلاً . ولن تمضي قرون قليلة من الآن حتى يعود ميزان القوة الى آسيا وتصبح علاقات اوروبا هي الهزيلة . . فليس هناك مبرراً لهذا الاستكبار الذي يدعيه الاوروبيين) .

اوصى غلوب بمعاملة المشرقيين معاملة تقوم على مبدء المساواة الاجتماعية مع البريطانيين ولكن هذا الامر لا يستلزم منح هذه الشعوب مساواة سياسية قد يستغرق تحقيقها أجيالاً .

بعد مزيد من التفكير ، قدَّم غلوب في منتصف عام ١٩٤٣ مذكرة ثانية (أو ثالثة) حول تسوية ما بعد الحرب بعنوان : (مذكرة إضافية حول شروط السلام في الشرق الاوسط) . بيَّن فيها بأن جميع الزعماء الحاليين - يهودا أو عربا او فرنسيين ما زالوا يذكرون بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى كيف نجح كل من استخدم العنف بالحفاظ على ما كان قد استولى عليه بالقوة . كل شخص يذكر هذا ، ويخطط لمحاكاة (هذه الطريقة مع نهاية الحرب العالمية الثانية) وقال غلوب : (ان اليهود يعدون العدة للقيام بانقلاب مسلح في فلسطين . . وسيكون العراق عندها مستعدا للتدخل بالقوة ضد اليهود في فلسطين وضد الفرنسيين في سوريا . وستعم موجة من الدماء والفوضى ، المناطق العربية الشمالية (يعني خط الشمال من العالم العربي) لذلك يتوجب على بريطانيا أن تأخذ المبادرة بحل هذه العقدة مسبقاً وأن تضع خططا شاملة لفترة ما بعد الحرب في المنطقة مفسحة المجال لفاصل زمني مدته ثلاث سنوات قبل موعد اتفاقات السلام النهائية . كما يجب عليها ان تأخذ موافقة الولايات المتحدة على هذه الخطط وخاصة ما يخص الملامح الرئيسة للتسوية النهائية) .

ينصب اهتمام بريطانيا الرئيسي في الشرق الاوسط على تأمين خطوط مواصلاتها عبر هذه المنطقة الى الهند واستراليا والشرق الاقصى . وسيحظى الطرف الذي ينتزع المبادرة ويحافظ عليها ، بتحقيق النصر في الصراع الذي سيدور في الشرق الاوسط بعد انتهاء الحرب . وفي النهاية ، لن يتم فرض القرار الا باستخدام القوة المسلحة . ولكن السيطرة على البلدان المتمردة بالقوة المسلحة ، تتم أساساً بالسيطرة على المفاتيح الرئيسة

في تلك البلدان مثل المدن ، وتقاطعات سكك الحديد ، والبنايات على زوايا الشوارع . وبدالات الهواتف . وما لم توضع الخطط لمثل هذه العمليات مسبقاً ، فإن اليهود أو العرب سيسيطرون على هذه البلدان بانفسهم . ويمكن في هذا الصدد استخدام القوات البريطانية والقوات الهندية ، والافريقية والسودانية وقوات الباسوتو والعرب (الفيلق العربي) .

كان غلوب يرى اشياءً أخرى . كان يرى ان المشكلتين الرئيستين والاكثر احتمالاً للظهور ، تكمنان في مستقبل سوريا وفلسطين . واي انهيار يحدث في احديهما ، يتسبب في انفجار عام (شرق اوسطي) ناتج عن شعور التعاطف مع هذه البلدان في العراق وشرق الاردن .

وبالنسبة لغلوب ، كان حل مشكلة فلسطين ، في بعض النواحي أسهل من حل مشكلة سوريا ، بسبب عدم وجود قوة اجنبية أخرى يتوجب أخذ مشورتها في كيفية اخراج قوة اخرى من البلاد . أي لا يوجد أي منافسة على القيام بتلك المهمة غير المحمودة . ولكن يبقى هناك العرب واليهود وكلا الطرفين (وبصورة خاصة اليهود) يجاهر بنيته اللجوء الى سلاح العنف ويرغب بالسيطرة على كل فلسطين .

يبلغ عدد العرب ضعف عدد اليهود ولكن اليهود يمتازون بكونهم أكثر ثقافة بكثير من العرب . . ولم تكن النزعات العصبية والمنفرَّة بين مجموعتين بهذا الصغر لتتحول الى مشكلة لدى الامبراطورية البريطانية لولا وجود تعاطف واسع لدى كل من الطرفين خارج فلسطين . ولسوء الحظ فقد ارتدى اليهود معطف الحضارة الاوروبية وهيمنوا على العواطف في بريطانيا العظمى وامريكا .

وصل الوضع الى طريق مسدود ، لان لا أحد من الطرفين يرغب في الاصغاء الى حل وسط . كما أنه لن يسمح لأي من الطرفين بأن يحكم الطرف الأخر . وقد اوصى غلوب بأن يبَّلغ الطرفان بعدم وجود امكانية لاقامة دولة عربية او دولة يهودية عند نهاية هذه الحرب .

وتكمن المشكلة في انه على الرغم من وجود رغبة لدى المعسكرين بالعيش في سلام الا أن المتشددين لدى كل من الطرفين اصبحوا الآن قادة كل طرف . فيما يخشى المعتدلون من التقدم خطوة الى الامام . مع ان هذا الامر قد يرد في الحسبان إذا شددت

قـوى الانتـداب من حـزمـهـا . إذ يجب على البـريطانيين ان يحـافظوا على توازن بين العرقين ، لمدة جيل أو جيلين .

آمن غلوب بوجود توازن طبيعي بين العرب الاكثر عدداً وبين اليهود الاكثر ثراءً والافضل ثقافة . كما آمن بأنه لا يمكن لطرف أن يهيمن على الطرف الآخر ما لم يتم ترجيح كفة الميزان لصالح احدهما .

(ولهذا ، اصبحت الهجرة اليهودية هي مفتاح الصراع . . واذا توقفت الهجرة الآن فقد يشعر العرب أنهم يستطيعون الى حد ما الحفاظ على مكتسباتهم . اما اذا أعيد فتح باب الهجرة على مصراعية ، فإن العرب سيفسرون الامر على أنه تدمير لذاتهم . وبرأيي الخاص فلن تكون النتيجة سوى اراقة الدماء) .

(لن نستطيع التنبؤ بما يحمله المستقبل . . فمع القضاء على النازية ، قد يصبح اليهود راغبين بالعودة الى اوروبا وترك فلسطين . وعلى أية حال ، قد يخف الحاح اليهود على الهجرة من اوروبا مع توقف اضطهادهم فيها : وعلينا ان نفرق بين الحاجة الحقيقية لانقاذ اليهود من الاضطهاد وبين رغبة قادتهم في تجميعهم داخل فلسطين بهدف تحقيق سيطرة سياسية لانفسهم) .

(كانت السنوات المباشرة التي ستلي الحرب ، في ظن غلوب ، تشكل توقيتا سيئاً لمعاودة هجرة اليهود بشكل خاص . لان نهاية الحرب تعني بالنتيجة انخفاض الصناعة المحلية وتوقف الاضطهاد في اوروبا ، وتململ سياسي في بلدان الشمال العربي . وقد تشعل هجرة اليهود الى فلسطين نار الثورة في العراق وسوريا وفي فلسطين نفسها . . دعونا لا نختبر العناية الالهية بانفسنا ، بالقائنا قنبلة في وسط الحلبة . دعونا (الآن) نترك الورقة البيضاء على ما هي . . ان ثلاث سنوات بعد الهدنة ستشكل مدة كافية لننهمك طواعية في حرب صغيرة جديدة) .

يقول غلوب بان (السياسة الانجليزية في فلسطين) اتسمت بالتذبذب ، وكانت التغييرات فيها تأتي تبعاً لاعمال العنف . (فقد فرض عرب فلسطين الورقة البيضاء كنتيجة لتمردهم) .

(لقد أدرك اليهود تماماً هذه الحقيقة . والكثيرون منهم واثقون بأن ثورة اليهود المسلحة . . يمكن ان تدفع فوراً الى التخلي عن الورقة البيضاء والى انقلاب السياسة الانجليزية لمصلحة اليهود . (في الحقيقة ، لم تؤدي الثورة المتقطعة للعصابات اليهودية

المسلحة بين عامي ١٩٤٤ - ١٩٤٧ الى الغاء الورقة البيضاء بل الى صدور قرار بريطاني بالتخلي تماماً عن فلسطين) .

(إذا بدء اليهود ثورةً ، فإنها ستكون اكثر تنظيماً وأشد فعالية من ثورة العرب . . فنسبة كبيرة من اليهود تعيش في المدن والكثير منهم قد تعلم أساليب النازيين بعد أن شاهدها بأم عينه في اوروبا (يبدو ان غلوب هنا يتحدث عن ارهاب المدن) ولا يبدو اننا بذلنا جهداً كافياً لدراسة الارهاب المضاد ، الذي يعتبر عملاً مكروهاً لدى الضباط المحترفين في الجيش البريطاني . علينا أن ندرس بعمق ، طرق السيطرة على المدن وحرب الشوارع كما اختبرتها القوات النازية في ايامها الاولى (حراس S.S) . . ان القوة هي كل شيء في فلسطين وما زلنا نجهل تماماً ، فن السيطرة على الاضطرابات المدنية باستخدام الجيش ، ذلك الفن الذي أتقنه النازيون حتى الكمال . مثل هذه الاعمال ، تبغضها نفوس الجنود ولكن ما لم نستطيع ان نتعلم أو نختبر هذه الطريقة ، فستبقى نجر قواتنا من ثورة الى ثورة في فلسطين) .

يظهر في هذه الفقرات ، أن غلوب ، الذي عزل نفسه في امارته الصحراوية لم يكن في الواقع مطلعاً على كامل أحداث الهولوكوست المأسوية ، (وبالفعل ، فإن العديد من الناس في فلسطين والغرب لم يدركوا الابعاد الكاملة للمأساة الا عند تحرير معسكرات الابادة عام ١٩٤٥) او على مدى وحشية واعمال الاجرام التي مارسها النازيون في قمع سكان اوروبا المحتلة . لذلك ، وفي منتصف عام ١٩٤٣ ، كان باستطاعة غلوب ان يتحدث عن عودة اللاجئين من فلسطين الى اوروبا بعد الحرب ، وعن الناجين الراغبين في تسوية اوضاعهم واعادة بناء حياتهم في البلدان المدمرة . كما كان بإمكانه ان يتحدث أيضاً عن تبني الاساليب النازية لاخماد الثورة أو الارهاب في فلسطين (أو في أي مكان في الشرق الأوسط) .

بالنسبة لرجل مهذب وجدير بالاحترام مثل غلوب ، فإن فكرة ارتكاب مجزرة بعد كل عمل ارهابي ـ كما يظهر في دفاعه هنا ـ هي أمر لا يصدق .

اجّجت مذكرة غلوب في أيار ١٩٤٣ ، نيران الحماس في صفوف انجليز الشرق الاوسط . فاستجاب د . نيوبولد ، السكرتير المدني للادارة البريطانية في الخرطوم قائلاً :

(فيما يتعلق بفلسطين ، فقد رأيت وسمعت ما فيه الكفاية ، عندما كنت هناك في شهري نيسان وايار من هذه السنة ، لكي استطيع إدارك التهديد الصهيوني . وأنا أؤيد

وبكل اخلاص ، ايقاف الهجرة الصهيونية . . لقد اصبح التوسع الصهيوني مذهلاً . . والوكالة اليهودية الآن هي عبارة عن امبراطورية في مملكة بينما ينطلق ديفيد بن غوريون وموشيه شرتوك «شاريت» بتهور وطيش) .

لا بد ان نلاحظ هنا على الفور بأن موقف غلوب المعادي للتقسيم ، في ذلك الوقت والمتعلق بفترة بعد الحرب قد اختلف جوهرياً عن الموقف البريطاني الرسمي . كما اختلف فعلياً عن رأي قطاع عام من كبار المسؤولين العرب - مع اقتراب الحرب من نهايتها . وفي اواخر عام ١٩٤٣ ، اقترحت لجنة وزارية انجليزية خاصة ، التخلص من الورقة البيضاء التي وضعت عام ١٩٣٩ ، واقامة دولة يهودية في فلسطين المقسمة .

وفي عام ١٩٤٤ ، صادق مجلس الوزراء بكامل هيئته ، تحت قيادة رئيس الوزراء آنذاك ، ونستون تشرشل على هذا المبدء فيما تركت التفاصيل (حجم ومحيط الدولة اليهودية) للنقاش لاحقاً . (كان لا بد ان يبقى غير مكتمل) . صادق السواد الاعظم من صناع السياسة البريطانية العليا ومنفذيها في الشرق الاوسط على حل مجلس الوزراء . ومع نهاية شهر شباط من عام ١٩٤٤ ، عقد اللورد موين ، الوزير المقيم في الشرق الاوسط ، جولة من المباحثات في القدس مع ماكمايكل والسير ادوارد سبيرز ، رئيس البعثة السياسية البريطانية في سوريا ولبنان ، اضافة الى اليك كيركبرايد الوزير المقيم في عمان . وتم الاتفاق (بين المشاركين) على ان التقسيم يمثل الامل الوحيد لوضع تسوية نهائية في فلسطين . . وعلق موين قائلاً : هناك الآن بحث واسع الانتشار في كل من الدوائر العربية واليهودية لدراسة احتمال قبول تسوية التقسيم . واضاف بأن رئيس وزراء الاردن توفيق ابو الهدى ومصطفى النحاس باشا ، رئيس وزراء مصر ادركا انه لا يمكن التوصل الى تسوية نهائية الا عن طريق التقسيم - رغم انهما لا يستطيعان التصريح بذلك علناً . وعبَّر موين (وماكمايكل وكيركبرايد) بوضوح بأنه سيتم دمج المناطق العربية التي لا تشملها الدولة اليهودية في فلسطين مع شرق الاردن .

ابلغ ابو الهدى ، هذا الموقف لكيركبرايد خلال حوارين : الاول جرى في الثاني من كانون أول عام ١٩٤٣ والثاني ، في السادس عشر من كانون الثاني عام ١٩٤٤ . وقد كتب ماكمايكل وهو مدير كيركبرايد سابقاً حول احد الحوارين يقول : صرح أبو الهدى بأنه لا يرى بديلاً للتقسيم ، ولكن دائماً على شرط ان يكون هذا التقسيم منصفاً وغير ظالم (ويعني ان يحصل اليهود على اجزاء كبيرة من البلاد) .

واضاف ابو الهدى يقول : (لن يتحمس عرب فلسطين كثيراً لهذا التقسيم ولكنهم في النهاية سيقبلون بالوضع) .

ومع نهاية عام ١٩٤٤ ، بدء الرأي الرسمي العربي بشكل عام يسير على خط ابي الهدى على الاقل وفقاً لنوري سعيد ، السياسي العراقي الاكثر اهمية (عمل كرئيس للوزراء اربعة عشرة مرة خلال عقود الثلاثينات والاربعينات والخمسينات) ووفقاً لغلوب ، كانت افكار نوري سعيد واضحة بالنسبة لكيركبرايد (قابل العراقيين في نهاية شهر تشرين الثاني ١٩٤٤) الذي قال : (إذا تم اجراء التقسيم على أسس عادلة . فقد يصبح من الافضل فقدان جزء من فلسطين من اجل تقييد الخطر الصهيوني ضمن حدود دائمة) . وصرح نوري باشا : (ان الاسس العادلة الوحيدة هي تلك التي تكمن في التنازل لليهود عن تلك المناطق التي يشكلون فيها أغلبية (في حين) يتم دمج القسم العربي من فلسطين مع امارة شرق الاردن) .

كذلك ، فضَّل نوري سعيد نقل السكان العرب (ترانسفير) الى خارج المناطق التي ستوضع تحت سيادة اليهود (تكلم عن ضرورة ابعاد العرب عن الدولة اليهودية معتقداً بأن الامر قد يكون متبادلاً أو بالمقايضة) .

وعند نهاية الحرب ، كتب غلوب مذكرة أخيرة حول تسوية ما بعد الحرب قلَّص فيها عدد اقتراحاته السابقة . وكان عنوان المذكرة (مذكرة حول الحل المطروح للمشكلة السورية) . وقد كرر فيها غلوب القول بأن الورقة البيضاء التي وضعت في أيار ١٩٣٩ والتي حظرت الهجرة اليهودية ودعت بالتالي الى اقامة حكومة وطنية (يهيمن عليها العرب في فلسطين) ، يجب ان تشكل نقطة البداية نحو الحل . وعلى هذا الاساس ، يمكن اقناع العرب بالقبول (بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين) . وكان غلوب يعني بهذا ، منطقة مستقلة تتمتع باكبر قدر من الحكم الذاتي لا تصل الى مستوى دولة يهودية منفصلة .

واضاف غلوب : (على اليهود ان يتقبلوا استحالة قيام دولة منفصلة لانهم سوف يدركون إن أجلاً أو عاجلاً أن مثل هذا الشكل من الوطن القومي لا يمكن ان تكتب له الحياة بدون موافقة العرب وكسب صداقتهم) .

ولكي يتحقق هذا الحل ، يبقى على اليهود ان يقدموا تضحيات ، ويمكن تسهيل موافقة اليهود على مثل هذه الخطة عن طريق استمرار الانجليز بالسيطرة على قوة الشرطة

لمدة جيل آخر على الاقل . وايضاً عن طريق الاحتفاظ بوجود قوات بريطانية مسلحة في حيفا أو في أي مكان آخر من فلسطين . ويمكن ان يوكل لهذه القوة مهمة تأمين الحماية ضد أي نهب يقوم به العرب .

ومع ذلك فقد ظل غلوب متأكداً بأنه وعلى الرغم من كل ما يمكن عمله ، الا أن الصهاينة سيظلون مستمرين في اقلاق راحة بريطانيا والعرب لعدة أجيال لاحقة . وختم غلوب المذكرة بالتصريح . بأنه نظراً لمشكلة الوجود الفرنسي في مواجهة سوريا ولبنان والوجود الصهيوني في مواجهة فلسطين ، فإن أفضل ما يؤمل به لمنطقة سوريا الكبرى هو اتحاد فيدرالي فضفاض جداً في البداية ربما يتحول بعدها الى فيدرالية اضيق . ولكن يبقى كل من هذه الاقاليم بحاجة الى درجة معقولة من الحكم الذاتي الثقافي والاداري .

بعد ثلاثة أشهر من انتهاء الحرب في اوروبا ، وفي شهر آب من عام ١٩٤٥ ، قدم غلوب ورقة أخرى تقع في ثمانية وثلاثين صفحة . بعنوان "العلاقة الجيدة" . وقد علّق فيها غلوب على بعض العلاقات البريطانية العربية في المستقبل القريب . كما تحدث عن وجود توجه عالمي نحو الاستقلال الوطني ، أو كما وضعها غلوب ، ظهور مطالب متشددة بالاستقلال التام .

ووفقاً لغلوب ، كانت هناك اجابتان في الوايت هول : الاجابة الاولى وهي الموافقة على التخلي عن البلدان العربية برمتها أو إجابة الفيكتوريين التي تقضي باستمرار تجاهل رغبات الوطنيين والتعمد في اذلالهم .

اظهرت الحرب بوضوح ، أن الدول الصغيرة لا تستطيع مقاومة العدوان دون مساعدة من دولة عظمى . ومن ناحية أخرى اظهرت الحرب أيضا اهمية الدور الذي يلعبه الشرق الاوسط في دعم مصالح الكومنويلث الانجليزي . وهكذا اصبح الوضع معدّاً لفرض تسوية تمكن العرب من الدخول ضمن الاعبراطورية البريطانية بوضع يشبه الى حد ما وضع الدول المستقلة في الكومنويلث البريطاني ، ومثل هذا الحل يمنحهم مظلة كبيرة في شؤون التجارة والدفاع مع التمتع باستقلال ذاتي يؤهلهم للعيش كما يرغبون . ولم تكن القومية العربية ، على رأي غلوب هي العقبة في طريق الوصول الى مثل ذلك الاتفاق ولكنهم الفرنسيون في سوريا والصهاينة في فلسطين .

غلوب يصل الى حل التقسيم ١٩٤٦ - ١٩٤٧

دولة يهودية في فلسطين
اذ اضعتها
ستندم عليها
دولة عربية في فلسطين
افتراض بعيد المنال
عندما تحسب حساب معارضته
فيدراليــة
ماذا ستكون عليه الاحوال
إذا حصل انفصال ؟
الطلاق ! بطبيعة الحال
التقسيم
لتقسم ولتكن جاراً ودوداً
أمر أقل ارهاقاً
من التعامل مع قطاع الطرق
والقاء اللوم على الانتداب .

في عام ١٩٣٧ ، لَمَّح غلوب إلى ان التقسيم يشكل حلاً معقولاً ، وربما يكون الحل الوحيد لفلسطين كما قال ، على الرغم من إسهابه في وصف هذا الحل من خلال القاء الضوء على سلسلة من المشاكل الخطيرة التي قد تتبع التقسيم . وكما رأينا ، فقد وقف غلوب خلال الحرب العالمية الثانية ، بقوة وثبات ضد التقسيم وعلى الاقل ضمن المستقبل المنظور ، مبيناً أنه لن يكون حلاً مقبولاً لدى العرب وبالتالي فهو ضار للمصالح الانجليزية .

ولكن في اعقاب الحرب مباشرة ، عاد غلوب ليؤيد التقسيم ، ربما تحت تأثير احداث الهولوكوست أو بسبب ادراكه وبلا شك ، لضعف بريطانيا وصعود نجم الولايات المتحدة كفاعل مؤثر في الشؤون العالمية أو بسبب مطامع اليهود وممارساتهم في فلسطين .

كان غلوب متأثراً الى حد ما برغبات الملك عبدالله ونظرته الى مصالح شرق الاردن . ربما كان يرى ان التقسيم أمر لا مفر منه ، وربما عاد على مضض للموافقة على ذلك التقسيم لانه يخلو من الانصاف ، الا قليلاً ، في حين أن جميع الخيارات الاخرى تمثل مقاييس متفاوتة من الانصاف .

وفي آذار ١٩٤٦ ، رفع غلوب ، ودون ان يطلب منه احد ، مذكرة الى اللجنة الانجلو أميركية (AAC) ، مذكرة تقع في اثني عشرة صفحة بعنوان «هل هي مجدية» ؟ . وكانت لجنة التحقيق تتألف من ستة بريطانيين وستة اميركيين وقد تم تعيينها من قبل الحكومتين الاميركية والانجليزية عند انتهاء الحرب لكي تقترح حلاً للمشكلة التي برزت مع ظهور مئات الالوف من الناجين من الهولوكوست ، هائمين على وجوههم ، يتسكعون في معسكرات بعيدة عن اوطانهم ، والبحث في مدى علاقة هذه المشكلة بفلسطين .

وقفت الضغوط الصهيونية وراء تعيين مثل هذه اللجنة ، اضافة الى بعض الضغوط القادمة من معسكرات ترحيل اليهود ، والتي كانت تطالب بالسماح لهم بالهجرة الى فلسطين . كذلك ، كانت هناك ضغوط من واشنطن على بريطانيا من اجل دفعها للسماح لمئة الف من مشردي معسكرات الترحيل بالهجرة الى فلسطين فوراً وقد بين غلوب أن ما يهمه ليس الوعود أو الحقوق والاخطاء السابقة ولكن المهم هو ما يمكن عمله .

« قليل من الناس سوف ينكرون ان اليهود قد عانوا بشدة في اوروبا . وأن علينا أن نفعل كل شيء ممكن للتخفيف عن آلامهم الحالية وضمان عدم تعرضهم للاضطهاد في المستقبل . ومع تساوي باقي الاشياء ، فاننا سوف نكون سعداء في حالة رغب يهود اوروبا بالهجرة الى فلسطين ، ان نقوم بتسهيل عمل ذلك . ولكن العقبة الوحيدة تبقى معارضة العرب » .

« لم يقم العرب باضطهاد اليهود في الاربعمائة والف سنة الماضية . . على الرغم من حقيقة ان العرب المسلمين ظلوا ينظرون الى اليهود نظرة دونية » . . لكن المشكلة الفلسطينية يجب أن ينظر اليها في سياق الاستعمار الاوروبي ، وما نتج عنه من تنامي شعور العرب بالدونية والاستغلال . وقد اظهر اليهود الذين دخلوا الى فلسطين غطرسة تجاه العرب ، تماما مثل تلك الغطرسة التي اظهرها المستعمر الاوروبي نحو السكان الاصليين للبلاد .

وقد أكد غلوب أن رد فعل العرب على الرعاية الغربية للهجرة اليهودية ، سيتميز

بالارهاب والثورة في فلسطين وخارجها . وقد يتجه العرب ، وعلى المستوى السياسي للبحث عن وساطة السوفييت . وقارن غلوب بين ادخال اليهود الى فلسطين وبين توجه فرسان التيوتونيك نحو الشرق ابان العصور الوسطى وادخال البريسبيتاريين الاسكوتلنديين الى ايرلندا . كما شبه تدفق الصهاينة على فلسطين بإقامة المملكة الصليبية في القدس والتي انهارت بعد مرور قرن من الزمان حين تم طرد الصليبيين تدريجياً باتجاه البحر .

ولاحظ غلوب وجود متطابقات اخرى : فالصليبيون واجهوا في البداية عالماً مسلماً مقسماً - ولكنه توحد تدريجياً وقهرهم .

« تماماً وبدقة النمط نفسه هذه الايام ، تدفع الصهيونية العرب في فلسطين هذه الايام نحو الوحدة ، وتخلق تعصبّاً عربياً . . يمكن للصهاينة أن يكسبوا هذه الجولة والجولة التي تليها والتي تلي . . يمكن ان يربحو الثمانية والثمانين سنة كما فعل الصليبيون ، ولكنهم سيواجهون ثمانية وثمانون سنة من الحروب والبغض والحقد والبؤس والشقاء . وفي رأي الكاتب المعاصر ، فإن اليد العليا في النهاية ستكون للعرب ، وحتى لو استمر الوجود الصهيوني مائتي سنة ، فسينتهي الامر بدفع اليهود ثانية نحو البحر » .

وانتهى غلوب الى القول بأن قرار اللجنة لا يجب ان يكون محدداً بالحل الفوري لمشكلة الاشخاص الذين فقدوا أماكن سكناهم . اذ يجب ان يؤخذ بالاعتبار أيضاً ، الاجيال والقرون التي ستلي ذلك . ان أي خطأ يرتكب اليوم . . أي مشكلة عرقية ، لن تنتهي في آخر الامر ، ولو بعد قرون ، الا بتصفية رأس الجسر اليهودي وبوقوع مذابح ليس لها قرين في التاريخ اليهودي .

صدر تقرير اللجنة الانجلو - اميركية في العشرين من نيسان عام ١٩٤٦ . وردَّ غلوب مباشرة بمذكرة (حول تقرير اللجنة الانجلو اميركية) . وكانت اللجنة قد أوصت بالتوافق مع موقف الولايات المتحدة بالسماح مباشرة لمئة ألف من معسكرات الترحيل بالدخول الى فلسطين لكنها في نفس الوقت ، رفضت فكرة التقسيم وأوصت بدولة ثنائية القومية تحت وصاية دولية .

كان رد فعل غلوب انذارياً ، منبهاً لمخاطر لا داع لها - قد تحدث نتيجة قبول بريطانيا بتوصيات اللجنة حول تهجير اليهود الى فلسطين .

بين غلوب ان اللجنة أغفلت أمرين واضحين :

أ - اغفلت اللجنة بأن تدخل في حسابها ، امكانية استقرار العديد من اليهود المرّحلين عن اوطانهم ، في الولايات المتحدة .

ب - فشلت اللجنة في ادراك حقيقة ان التدفق الضخم للمهاجرين اليهود سوف يواجه . ليس فقط بمقاومة من عرب فلسطين بل ومن قبل الدول العربية المحيطة .

بالنسبة للنقطة الاولى ، كتب غلوب : عندما زارت عمان لجنة فرعية منبثقة عن اللجنة الانجلو - اميركية ، سأل عدد من العرب عضوا اميركياً : لماذا لا تقبل الولايات المتحدة دخول اليهود اليها ؟ واجاب الاميركي ، وفقاً لغلوب : هناك حدود للعطف .

الا ان الاميركي اعترف لكاتب هذه السطور على انفراد ، بأن الولايات المتحدة الاميركية لا ترغب بدخول المقيمين في غيتوات بولندا اليها . .

وواصل غلوب قائلاً :

« العرب لا يثيرون الشكوك حول المأزق المأساوي ليهود اوروبا ولا يشككون في وحشية واضطهاد النازيين لهم . ولكنهم يلفتون النظر الى ان اليهود قد ذبحوا بوحشية على ايدي مسيحيي اوروبا . وأن مسيحيي اوروبا الاخرين قد قرروا الآن القاء كامل العبء لهذه الجريمة ضد الانسانية على كاهل مسلمي آسيا .

وافق غلوب على أن الحكومات العربية لن تستجيب برضاً كبير في حال طلب منها الموافقة على استئناف هجرة اليهود بمعدل ١٥,٠٠٠ كل شهر . ولكن يجب ان نتذكر بأن السياسة الداخلية قد تدخل اللعبة هنا . فقد اصبحت المسألة الفلسطينية ولسوء الحظ ، محكاً للوطنية في كل بلد عربي . ولن يجرؤ أي سياسي عربي على الموافقة علناً على أي تنازل خشية ان يستغل منافسوه اخطائه السياسية ويوصموه بانعدام الوطنية .

واوصى غلوب بريطانيا بأن تقوم من الآن وصاعداً بالتشاور مع الجامعة العربية حول مثل هذه المسائل قبل الاعلان عن القرارات .

« لا يوجد اطراء للموظف الصغير أفضل من ان يثق به مسؤوله ويطلب استشارته »

كما اوصى غلوب بأن توافق الولايات المتحدة على استيعاب ثلاثين الفاً من رعايا معسكرات الترحيل ،وبريطانيا ودول الدومينيون على عشرين الف وفلسطين على ٢٤,٠٠٠ أما الستة والعشرون الفاً الباقون فيمكن ان يستوعبوا من قبل فرنسا وامريكا الجنوبية والبلدان الاخرى . والاعتراض الواضح على هذا الاقتراح يكمن بالطبع في

الادعاء بأن اليهود لا يرغبون بالذهاب الى بريطانيا وامريكا او أي بلدان أخرى بل يريدون فقط الذهاب الى فلسطين .

واضاف غلوب : «اذا كانت هذه هي الحقيقة فعلاً ، فان من الصعب تجنب الشك بأن رغبتهم هذه هي نتاج الدعاية الصهيونية المكثفة» .

كان غلوب في مذكرته هذه ، كما في مذكراته الاخرى يضع مناقشاته في افواه العرب . وهكذا كان يكتب شارحاً اصول الدعم الاميركي لادخال مئة الف فرد من معسكرات الترحيل الى فلسطين . فقد صرَّح العرب ، وفقاً لغلوب «بأن حياة بضعة عشرات آلاف من المواطنين الآسيويين وتدمير بيوتهم لا تعد ثمناً باهظاً يدفعه الحزب الديمقراطي من اجل كسب اصوات يهود نيويورك لضمان فترة رئاسة أخرى للسيد ترومان» .

ووفقاً لغلوب ، فقد قامت اللجنة الانجلو - اميركية بقراءة تقارير اللجنة السابقة (لجنة بيل) . . عن فلسطين الا انها فشلت في قراءتها لمستويات نضوج المجتمعات العربية ودولها خلال الحرب العالمية الثانية ، والتي جعلت من ردود فعلهم تجاه القضية الفلسطينية أكثر شدة . لهذا جاء موقف اللجنة اللامبالي بقدرة حكومة صاحب الجلالة على تنفيذ توصياتها ، «قاطعاً للانفاس» . واضاف غلوب . «سَّلم العرب في فلسطين امر الدفاع عن قضيتهم الى الجامعة العربية . ولعل من الافضل لبريطانيا ان تظل على علم بما يمكن للجامعة العربية ان تفعله في حال تم تنفيذ توصيات اللجنة . ان الجيوش النظاميَّة التابعة للدول العربية لا تشكل خصماً جديّاً . ولكن يمكن للمرء توَّقع قيام العرب بشن حرب عصابات . والعرب هم افضل الناس في العالم في مثل هذه الحروب . ومع تدفق التجهيزات وفرق المتطوعين من الدول العربية المجاورة الى فلسطين ستصبح الساحة مفتوحة لحرب عصابات جدية . وقد يتم اكراه شرق الاردن على تقديم متطوعين او السماح بحرية مرور المتطوعين الى فلسطين عبر أراضيه . وهنا ستحتاج بريطانيا الى ثلاث أو أربع فرق لاحتواء الهجوم . ايضاً سيطلق العنان لظاهرة معاداة كل ما هو اجنبي وغريب مما سيؤدي الى وقوع اضطرابات ضد بريطانيا في كل مكان من العالم العربي اضافة الى مذابح بحق اليهود المحليين وقد تضطر بريطانيا الى إعادة اخضاع سوريا والعراق . واخيراً يجب على المرء أن يأخذ في عين الاعتبار امكانية تدخل روسيا الى جانب العرب وبأي شكل من الاشكال» .

واردف غلوب (بأنه اذا قررت بريطانيا فعلاً السماح لمئة الف مهاجر يهودي بالدخول الى فلسطين فإن عليها اولاً ارسال ١٢ - ١٥ فرقة عسكرية الى المنطقة وانهاء أي ظهور للمقاومة المسلحة دون ان تحدث ضجة ، واحتلال دمشق وربما بغداد اذا لزم الامر «فالعرب تعجبهم القوة» وبذا يمكن على النحو المشار اليه كبح مقاومة العرب الآخرين وربما روسيا أيضاً) .

اظهر غلوب ادراكاً تاماً للتهديد الكامن في الخطر السوفياتي . وكان ادراكه مشابها لذلك التهديد الذي ظل يثقل عقول معظم قادة ومسؤولين بريطانيا وامريكا في اعقاب الحرب .

وقد تجسدت تنبؤات غلوب بمعظمها في الحقيقة ، ولكن بعد مرور عقد أو عقدين عن موعدها .

وحذَّر غلوب بأن تحقيق المكاسب من خلال استغلال قوة ضد قوة اخرى هو مبدء متجذر بعمق في عقل كل سياسي عربي .

على الرغم من ان العرب بطبيعتهم يخافون روسيا ولا يحبونها (المقت الحاد للشيوعية . . الخ) الا أن صراعاً عربياً انجليزياً خطيراً قد ينشأ إذا حصل أي تقارب عربي روسي وقد لا يتدخل الروس بقوة عسكرية مباشرة ولكنهم على الارجح سيقوموا بتزويد العرب بالاسلحة وبالبعثات الاستشارية العسكرية مما قد يدفع العراق وسوريا نحو الدخول في الفلك الروسي اضافة الى امكانية ارتداد تركيا وايران (بلاد فارس) ايضاً .

وببصيرة ثاقبة ، اضاف غلوب :

(من الواضح ان امتيازات النفط هي اهم الاوراق الرابحة بيد العرب . الى أي مدى يمكن لبلد عربي ان يذهب في الاعلان رسمياً عن انهاء معاهدة امتياز وايقاف العمل قسرياً في الآبار ؟ الكاتب لا يعلم الجواب ، ولكن من الممكن ايضاً ان تعاني تجهيزات النفط وخطوط انابيبه من التخريب او ان يتم اغتيال موظفي شركات النفط وذبحهم بطريقة وحشية) .

ومن المثير للدهشة ، أن غلوب اهمل في هذه المذكرة تماماً ، التعليق على توصية اخرى للجنة الانجلو - اميركية وهي التوصية المسماة «المراقبة العالمية المتواصلة في

فلسطين وانبثاق دولة ثنائية القومية في النهاية» يظهر رفض التقسيم ضمنياً في جميع اجزاء المذكرة لكن الموضوع لم يعالج لا ضمنياً ولا بشكل مباشر.

تلقت مذكرة غلوب تمجيداً محرجاً. ففي الرابع والعشرين من أيار، قام مراسل صحيفة الديلي ميل اللندنية السيد هوينز بزيارة غلوب في مقر رئاسة هيئة اركان الفيلق العربي. وكان هوينز قد تحدث عن الاخطار التي ينطوي عليها تقرير اللجنة ضد المصالح الانجليزية.

(ان هذا الحديث برمته، كما كتب غلوب فيما بعد، اخرجني من حذري ونسب اليَّ التزاماً ثبت فيما بعد أنه كان عمل اخرق).

وقد سلم غلوب لهوينز نسخة من مذكرته «حول فصول تقرير اللجنة» والتي قام هوينز بمهاجمة توصياتها في صحيفته متظاهراً بأنها واردة في مقابلة غلوب. وفيما بعد، تم طرح مسائلة في مجلس العموم، موجهة الى ارنست بيفين سكرتير وزارة الخارجية تطلب اتخاذ اجراءات ضد الضباط الانجليز غير المفوضين باجراء مقابلات صحفية. وقد رد هيكتور نكنيل مساعد بيفين بأن غلوب لم يجري مقابلة كما انه ليس ضابط انجليزياً عاملاً.

انعكس هجوم مذكرة غلوب المضادة للتقسيم على جوهر عرض الملك عبدالله للقضية خلال اجتماع عقد في الاول من حزيران ١٩٤٦، بحضور غلوب، مع السير آلن كننغتون المندوب السامي الجديد لفلسطين وشرقي الاردن.

لم يكن عبد الله متأثراً بشكل خاص من المقارنة بين الصهاينة والصليبين، إذ قال «لا نريد الان ان نسمع عن صلاح الدين. فقد هزم بضعة آلاف من الرجال البائسين الذين قدموا من أوروبا في سفن شراعية وغرق نصفهم اثناء الرحلة» وقد كان يعني بهذا أن الصهاينة يشكلون خصماً اشد بكثير مما كان عليه الصليبيون. وكان عبدالله يؤمن بأن الدول العربية الاخرى وايّاً كانت اعتراضاتها فهي لن تقاتل من اجل فلسطين. ولكن فلسطين يجب ان تصان بطريقة او بأخرى. يجب أن تبقى بلدا عربيا. فوالده الشريف حسين (شريف مكة) مدفون في القدس (في الحرم الشريف). وعلاوة على ذلك اذا سقطت فلسطين في ايدي اليهود، فإن الاردن سيكون البلد العربي التالي تحت التهديد وليست سوريا أو مصر فالخطر عليه اكبر بكثير من أي منهم.

ربما كان لدى غلوب أملا في أن تصل نسخة من مذكرته حول اللجنة الانجلو اميركية الى رئيس الوزراء كليمنت اتلي . ليكن ما يكون ، فربما تشكل هذه المذكرة وبشكل استثنائي رسالة شخصية الى اتلي يضع فيها غلوب زبدة افكاره . وتوجد في ملفات الوكالة اليهودية حول هذه الفترة ترجمة عبرية لفحوى رسالة غلوب الى رئيس الوزراء ، وقد وصلت هذه الرسالة الى القيادة الصهيونية مترجمة بالعربية عن طريق عميل في الاردن وتقول الرسالة : «عظيمة هي خيبة أمل الأمة العربية من اقتراحات اللجنة الانجلو -اميركية ومن تعلقيات أتلي الاولية المؤيدة لتلك الاقتراحات» .

وقد توقع غلوب أن ياتي الامر من اتلي بأن لا يتم تطبيق ما جاء في التقرير وأن تحل القضية الفلسطينية لصالح العرب لان البلاد ظلت ملكهم طوال الف عام ورفض غلوب المقولة التي تدعي بأنه إذا حكمت لصالح العرب فقد يتسبب اليهود في احداث قلاقل .

« اعط جيش شرق الاردن يدا طليقة وبامكاني ان اضمن بأنه سيضع نهاية لما يسمونه بمنظمات الارهاب (اليهودية) وسيفرض الأمن في البلاد الى الابد » .

واصل غلوب الدفاع ضد تقسيم البلاد الى منطقتين ، واحدة لليهود وواحدة للعرب . (ان مثل هذه الخطوة يمكن ان تضر بالجماعتين معاً وتدفع العرب نحو العنف أحد الاشياء التي يجب ان نفهمها تماما هو أن العرب وبلدانهم ليسوا بضاعة تشترى بالمال من أجل صنع اصدقاء وتحقيق مطامع) . وفي إشارة الى اقتراح اللجنة الانجلو اميركية باحضار مئة الف مهاجر الى فلسطين ، كرر غلوب الصيغة التي فصَّلها في المذكرة والتي تقول أن فلسطين لا يمكنها استيعاب اكثر من عشرين الفاً ، على ان تستوعب امريكا ثلاثين الفاً ، وبريطانيا اربعة وعشرين الفاً ، وفرنسا وجنوب افريقيا ستة وعشرين الفاً ،من الافضل ان يبقى هؤلاء في اوروبا حيث يمكن الآن اعادة استيعابهم بعد رحيل النازيين .

في حزيران ١٩٤٦ كان غلوب ما يزال يتحفظ في دعمه للتقسيم . ففي مذكرة اخرى كتبها في ذلك الوقت «مذكرة اضافية حول المسألة الفلسطينية» ، ناقش فيها بأن ميزان الحقائق الديمغرافية (المتعلقة بالسكان) . يميل بثقل ضد إمكانية نجاح الصهيونية . ففي خمسين سنة من الزمن سيصبح هناك سبعون مليون عربي (بدون مصر والبقية من شمال افريقيا) . مقابل مليوني يهودي . واذن هناك نهاية واحدة فقط لهذا الصراع مذبحة

لم يحلم بها أحد حتى الآن . الأمل الوحيد للاستيطان اليهودي في فلسطين هو أن يُنفّذ هذا الاستيطان بموافقة العرب . واذا استمر الاستيطان ضد مقاومة العرب فلن ينتهي الا بكارثة فظيعة على اليهود انفسهم إن عاجلا أو اجلا . لقد احتفظ الصليبيون بموطئ قدم غير مستقر في الشرق الاوسط لمئتي عام . لكن في النهاية لم يبق منهم أحد . إن قرن او قرنين لا يعتبران شيئاً في التاريخ والصهيونية ستقود هؤلاء اليهود التعساء الى واحدة من اسوأ الكوارث في تاريخهم .

استهل غلوب هذه الاستنتاجات بتوكيد متعاطف جازم (دون الاشارة مباشرة الى الهولوكست) : (الحياة بالنسبة للشعب اليهودي هي مأساة لا نهاية لها) . لكنه وضح ذلك فيما بعد بأن هذا كان ايضاً هو السبب الجذري لاضطهادهم :

« كانوا يُدفعون بشكل متواصل من قطر الى آخر ، يُستقبلون بالترحيب في البداية وبعد ذلك يُدفعون خارجا او يذبحون اذ أنّ أحداً لا يستطيع تحملهم لانهم ببساطة عصّيون على الاستيعاب . وبهذا يصبحون دولة داخل دولة . وتدور المأساة بهم في حلقة مفرغة وسط شعوب أخرى لا تحبهم بسبب سلوكهم . هذا السلوك الذي لا يمكن ان يحبه أحد برز نتيجة اضطهاد الشعوب الاخرى لهم فالاضطهاد والبغض ولّدا التعصب والمرارة عند اليهود . والشعب الذي يكره ويسخر من غيره لا يجد ترحابا لدى جيرانه » .

في الحقيقة يعاني اليهود كما العرب من نفس المرض دونية مترسخة فاليهود يغالون في ازدرائهم لاهل البلاد العربية بسبب وجود نزعة لديهم بأن النورمانديون اهل البلاد في اوروبا يكرهونهم ايضاً . ولكن موقف غلوب تغير بشكل جذري خلال شهر تموز وعاد الى دفاعه (السريع التغير) عن تقسيم ١٩٣٧ . ربما تم أقناعه اخيراً بأنه لا يوجد حل أخر ممكن وواقعي مثله . أو أن تفجير فندق الملك داود في القدس في الثاني والعشرين من تموز على يد عصابة اشتيرن الصهيونية ، والذي قتل فيه نحو ثمانين ضابطاً وموظفا انجليزيا وموظفين عرباً ويهوداً ، قد دفعه بشدة نحو الادراك . ولكن لعل السبب الاكثر اهمية في التغير الكامل والمفاجئ في موقف غلوب هو تحول عبدالله غير المتوقع لصالح التقسيم خلال شهري تموز وآب ١٩٤٦ . كما عبر عنه في لقاءاته مع المسؤولين الانجليز ومسؤولي الوكالة اليهودية في تلك الفترة . (انظر ادناه) على اية حال . كتب غلوب في النهاية مذكرة صريحة في تأييدها للتقسيم تم فيها طرح التقسيم كحل وحيد لمشكلة فلسطين المحيرة تحت عنوان «مذكرة عن التقسيم كحل للقضية الفلسطينية» .

وقد تكون هذه المذكرة وبشكل ملفت للنظر من اكثر المذكرات التي أبرز فيها غلوب بوضوح معاداته للسامية ، ربما من باب التعويض النفسي لكونها مؤيدة لليهود وتمثل قبولا بالهزيمة لدى الجانب العربي .

عرّف غلوب هذه المذكرة بالثالثة في سلسلة مذكرات بدأها (بمذكرة عن تقرير اللجنة الانجلو - اميركية) ثم (مذكرة أضافية عن القضية الفلسطينية) . ثم اضاف بأن المذكرتين السابقتين كانتا ناقدتين اما هذه الاخيرة فتمثل «محاولات لتقديم حل إيجابي» .

كان عنوان القسم الاول : حول جميع الحلول غير القابلة للتطبيق ما عدا التقسيم في فلسطين . وقد بيَّن غلوب في هذا الجزء بأن سلامة الامبراطورية البريطانية التي هي في المقام الاول قد اصبحت على المحك .وأن أي حلٍ معادٍ للعرب برمته يمكن ان يدخل الروس الى الشرق الاوسط : ان الحماس الوجداني المؤيد لليهود المضطهدين او للعرب الشرفاء لم يأتي بصورة صحيحة .كما أن معاناة (مهما تفجعنا عليه) بضع مئات - الاف من اليهود لا ترجح كفة الميزان في مستقبل شعوب الكومنويلث البريطاني الذين يعدون بمئات الملايين .

هل سيدخل الروس الى الشرق الاوسط ؟ ان النتيجة قد تكون «إنهياراً قبل الاوان للامبراطورية البريطانية» .

لكن برغم هذه المقدمة المشؤومة ، فان غلوب ينطلق في سبر غور التقسيم ويؤكد بأن أي خطة لتقسيم فلسطين هي خطة محفوفة بالصعوبات ، وسبب التوصية بها هو عدم وجود أي حل آخر يمكن ان ينجح . ان الكاتب المعاصر وللاسباب التي ذكرها بالتفصيل في مذكرة سابقة يعتقد بأن الصهيونية ستنتهي حتماً بمأساة لليهود في حال استمرت على سياستها الحالية .

فبعد خمسين سنة من الآن سيصبح عدد سكان المجموعة العربية مئة مليون ويمكن لهذه المجموعة ان تأخذ مكانها مع القوى الكبرى . كيف يمكن لصهيونية معادية وضيقة التفكير ان تحتفظ برأس جسدها على شواطئ آسيا في مواجهة مثل هذه القوة الصاعدة .

لكن على الامد القصير لم يكن هناك بديل للتقسيم ومهما كانت التكهنات

متشائمة على المدى الطويل . فإن البديل الذي يسمح بإدخال اعداء اكثر واكثر من المهاجرين اليهود يمكن ان يفضي في النهاية الى قيام اغلبية يهودية في فلسطين والى قمع وتصفية للاقلية العربية . لقد شكلت سياسة الورقة البيضاء التي قدمت لليهود افضل فرصة للبقاء لانها كانت بعيدة النظر ولان لا أحد من الزعماء الفعالين في هذا الصراع قادر على النظر الى الامام ، لقد اصبح الاستمرار في سياسة الورقة البيضاء أمراً خارج المسألة . ولن يكتب النجاح لبديل الدولة الثنائية القومية بسبب الضغينة المتبادلة وبسبب عدم رغبة أي من الطرفين بالعيش كأقلية في بلد يحكم من قبل اغلبية منافسة ومكروهة .

يزداد الافق ضيقاً وتتعدد أشكال الضغينة الخبيثة في كل عام داخل الاجيال الشابة من كلا العرقين . وينطبق هذا عملياً على اليهود أكثر من العرب ليس لان العرب أفضل أخلاقاً لكي تصدر عنهم الكراهية ولكن لانهم أقل كفاءة فيها .

فالشباب اليهودي والشابات اليهوديات يتلقون ثقافتهم في مدارس يهودية تزرع فيهم الاساليب النازية في توليد الكراهية منذ طفولتهم . واليهودي الشاب يملك قسوة وضيق أفق وتعصب ومرارة تماماً مثل الشباب الالماني الذي صنعه هتلر . وما أطلق عليه غلوب اسم العقلية اليهودية كان شيئاً مركباً من عنصرين : «التقليد اليهودي القديم وحضارة اوروبا الشرقية الحديثة» . ويظهر يوسيفوس اليهود (في العصور القديمة) كأشخاص مشحونين بكراهية عمياء وتعصب تام مثل يهود هذه الايام وقد اضيفت على هذا التعصب اليهودي المفرط ، طبقة من التعصب الاوروبي الشرقي . كما تم استنساخ خصائص التقنيات النازية - النظريات العرقية حول الدم والارض وارهابيات القاتل المحترف ، وغُرست هذه المفاهيم في نفوس الصغار وفي الحركات الشبابية .

كان البريطانيون غير اليهود معتادون على وجود انجليز متحررين . ولكنهم الآن لا يدركون أي نوع مختلف من اليهود قد ظهر في فلسطين .يقول غلوب : ربما أن بعضاً من اليهود القدامى المتحررين في بريطانيا لا يزالون على قيد الحياة . لكن اشخاص مثل هؤلاء تم استئصالهم في فلسطين من قبل الجيل الاصغر من الدكتاتوريين ومن يهود النازي . وهؤلاء المتعصبون آخذون في كسب أرضية جديدة كل يوم . فالصهيونية الجديدة (كانت) تشكل مركباً من اليهودية القديمة والنازية ومثلها مثل النازيين ، يمكن ان تسير على طريق الانتحار ولكنها قد تتسبب في وقوع أذى مميتاً على الامبراطورية البريطانية عبر هذا الطريق .

وباختصار، من الهدر الحديث عن دولة ثنائية القومية في فلسطين وقد ختم غلوب حديثه بالقول : (لعل اقامة دولة ثنائية القومية المانية ويهودية يمكن ان تحمل امكانية اكبر للتشكيل) .

ضرب غلوب عرض الحائط بالاعتراضات التي قد تنشئ عن تقسيم بلد صغير مثل فلسطين الى دولتين . فالقسم العربي يمكن ان يتحد مع الاردن على اية حال اما الدولة اليهودي فيمكنها ان تحقق النمو الاقتصادي اذا ظلت في سلام مع جيرانها .

عدد غلوب فوائد التقسيم . فمن ناحية يمكن ان يؤدي التقسيم الى كبح جماح الهجرة اليهودية لان اليهود قد لا يرغبون في زيادة الازدحام في دولتهم . في حين يمكنه من ناحية اخرى ان يضع حداً لقتال قد يؤدي في النهاية الى تدمير اليهود . وفي غياب تسوية متفق عليها (أي التقسيم) فإن اليهود قد يُبادون في نهاية الامر، ربما بعد خمسين أو مائة أو ربما مائتي سنة تماماً كما اقتلعت جذورهم من المانيا . وهكذا يمكن للتقسيم في خاتمة المطاف ان يشكل الامل الوحيد لبقاء اليهود في فلسطين .

ما هي خطوط التقسيم المقترحة ؟ مناطق السهل الساحلي وسهل جزريل الى الشرق من بحيرة طبريا، ستكون منطقة يهودية . ومنطقة نابلس والخليل وغزة وبئر السبع ستكون عربية وستضم الى شرق الاردن . ولكن هذا التقسيم قد يخلق بعض الاشكالات مثل ١) اراضي منطقة صفد وعكا ، ٢) يافا ، ٣) الاماكن المقدسة وحيفا .

بالنسبة لاراضي منطقة عكا وصفد المأهولة بالسكان العرب (يعني الجليل الشمالي) يمكن ان تسلم الى لبنان او أن تضم الى شرق الاردن مع الابقاء على حق المرور (الترانزيت) عبر الاراضي اليهودية - كما اقترح غلوب . وهناك احتمال ان تعود سوريا وشرق الاردن ليصبحان بلداً واحداً (مرة أخرى) كما أراد عبدالله واذا ما تم ذلك فيمكن حينئذ ضم هذه المنطقة الى سوريا . ولكن يافا برزت كمشكلة اكثر خطورة، بسكانها العرب البالغ عددهم ٧٠ - ٨٠ الف والمحاطين بالمستوطنات اليهودية . لم يكن غلوب متأكداً من كيفية حل هذه المشكلة ولكن احد الاحتمالات كان ان تمنح يافا حكماً ذاتياً داخل الدولة اليهودية . اما الاحتمال الآخر فكان استمرار الحكم البريطاني ،وجاء الاحتمال الثالث بإمكانية ترحيل سكان يافا الى أية جهة اخرى خلال فترة تزيد عن ١٠ - ١٥ سنة . وقد اقترح غلوب وجود قوة حماية انجليزية دائمة مع اعطاء منطقة رفح على الحدود بين غزة ومصر وضع مستعمرة التاج بإيجار لمدة ٩٩٩ سنة مع إبقاء حيفا في ايدي الانجليز .

أما بالنسبة للقدس فقد اقترح غلوب ادارة دولية أو ادارة بين الطوائف الدينية مع وجود مندوب سامي بريطاني ، ولكن بدون اية اهداف استعمارية (خفية) .

وبالعودة الى توصيات لجنة بيل عام ١٩٣٧ فقد دافع غلوب عند هذه النقطة بكثير أو بقليل من الوضوح عن الترحيل الجماعي للعرب خارج اقليم الدولة اليهودية التي ستنشئ . ولَمح الى انه بدون هذا الترحيل ،فإن التقسيم لن يحل المشكلة ، كل ما مرَّ من قبل ، كتب غلوب ، (هو سهل بالمقارنة ولكن الصعوبة الحقيقية تكمن في قضية العرب الذين سيتركون تحت الحكم اليهودي . فاليهود سيرغبون حتماً في التحرر من اقليتهم العربية باسرع وقت ممكن لافساح المكان لمهاجرين آخرين من اليهود . كما قد تبرز هناك مشكلة الاعداد القليلة من السكان اليهود الذين سيتركون تحت حكم الدولة العربية) .

تكمن الطريقة الافضل في تخصيص زمن محدد يتمكن خلاله الاشخاص الذين يجدون انفسهم ، وعلى عكس رغبتهم ، من اختيار المواطنة في الدولة الاخرى . عملياً يبدو أن هناك القليل من الشك في أن تختار الاقليتان معاً المواطنة فعلياً في الدولة الاخرى . البعض قد يختار المواطنة . . دون أن يكون راغباً في الانتقال الى داخل الدولة أو الاقامة فيها . ولكن الغالبية العظمى على الارجح ، سترغب في الانتقال فيما تستطيع نسبة صغيرة من الاقليات الانتقال عن طريق التبادل المباشر . ولكن عندما تنتهي جميع هذه المبادلات ، فإن نسبة عربية كبيرة ذات وزن يمكن أن تبقى في الدولة اليهودية . وحين يرغب اليهود في التخلص منها ، فإنهم لن يفشلوا في إيجاد الطرق التي تجعل من هؤلاء العرب تواقين الى الانتقال . وهذا على رأي الكاتب يمكن ان يشكل الخطر الاعظم على القضية برمتّها .

وقد يزعم العرب أنهم يتعرضون لسوء المعاملة ، ويشرعون بمناشدة الدول العربية لانقاذهم ، مما قد يخلق وضعاً نموذجياً مشابهاً لوضع «السوديتنلاند» ولكي نتجنب وقوع مثل هذا ، علينا أن نوفر من الاساس خططاً جاهزة قبل المباشرة بتطبيق المخطط الرامي الى التخلص من الاقلية العربية . وقد قدَّر غلوب عدد العرب الذين قد يقبلوا بالانتقال ، بنحو نصف مليون . كما اقترح غلوب ايجاد عمل للمعيلين منهم في مشاريع اعمال حكومية في الدول العربية . «ليس المقصود بالطبع ان يُنقل الشخص المرحَّل عن وطنه بالقوة ، ولكن المقصود هو تنظيم ذلك وحسب . وعندما يجد هؤلاء الاشخاص انفسهم مهملين في الدولة اليهودية فإنهم سيسارعون بالالتحاق بالاعمال الجيدة الاجر وبالامكانيات المتاحة لهم في الدولة العربية» .

وضع غلوب في تصوره خمس سنين لاتمام التقسيم ،تضاف اليها سنتين أخريين من اجل تكملة التفاصيل . في غضون ذلك يتم إقناع القوى الكبرى - الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بأهمية التقسيم كما يتم احداث وظائف لاستيعاب العرب الذين سيرحَّلون . وقد يتحول اضطهاد اليهود للعرب المتبقين بينهم الى برميل بارود إلا أن اليهود قد يحجموا عن ممارسة الاضطهاد بسبب الخوف من الدعاية العالمية السلبية ومن ردة الفعل . وختم غلوب مذكرته بالقول انه : «مع حلول صيف عام ١٩٥٣ تكون القضية الفلسطينية قد سوِّيت نهائياً بالرضا المتبادل بين جميع المهتمين» .

بعد شهر أو نحوه ، أَتبعَ غلوب ذلك الاقتراح بمذكرة اضافية عنوانها : «مذكرة اضافية حول اعتماد التقسيم كحل للقضية الفلسطينية» . منقحاً بعض الفقرات الواردة في المذكرة الاصلية . (ذكر احد المسؤولين الرسميين الانجليز ويدعى جي . ام . ما يلي : يوجد في اسلوب اللواء غلوب المتّسم بطول النفس والتكرار ، عنصر تشويق يدفعك نحو الرغبة لرؤية هذا الضابط . . المؤيد للتقسيم) .

وفي تموز ١٩٤٦ ، كتب غلوب : «لقد جازفت بتقديم مذكرة أدافع فيها عن التقسيم كحل نهائي وحيد للقضية الفلسطينية ولم يحدث شيء منذ ذلك الحين يجعلني أغير من رأيي هذا . أما في المذكرة الجديدة فقد أكد غلوب على ضرورة دمج الاجزاء العربية من فلسطين مع شرق الاردن» .

واضاف غلوب : « ان تصوير العرب على انهم متعصبون ، يجدون متعة في قتل اليهود ، هو أمر غير صحيح على الاطلاق . فهم جميعهم خائفون . . والدافع الرئيسي للعرب هو الخوف . . ولكن مخاوف العرب من دولة اليهود ، تبدو مبالغاً فيها» . واردف غلوب : «انهم يخشون أن يقوم اليهود الذي يملكون مبالغ ضخمة من المال بالاضافة الى تنظيم محكم ، تدريجياً ، بإنشاء جيش مجهز باحدث الطائرات والعربات المدرعة . اذ يمكنهم حينها ان يتمردوا أو أن يعلنوا الحرب على الدول العربية المجاورة . وكنت قد أشرت الى . . أن عدد اليهود في فلسطين لم يبلغ المليون بعد بينما يوجد هناك ما يقارب ٢٥ - ٣٠ مليون عربي (ما عدا مصر) ولكنهم أجابوني بأن اعداد البشر لا تعني شيئاً أمام الحرب الكيماوية الحديثة والقنابل الذرية والمدرعات والطائرات» .

قلة من الناس الاكثر ثقافة ، تخشى ان يقوم اليهود باغراق الجزء المخصص لهم من فلسطين بالسكان ، ويعمدون بعد ذلك الى اثارة ضجة في امريكا من اجل تنقيح

(تعديل) الحدود . وهذا الخوف يبدو منطقياً اكثر ولا يمكن تهدئته بسهولة . فيما يُخشى أيضاً وضمن منطق أوسع أن تقوم دولة اليهود نفسها بالتحالف مع روسيا .

(من الجدير ملاحظته ربما من منظور الحاضر ، أن اثنين من تلك المخاوف الثلاث قد ثبتت صحتها ، مع وجود فروق معينة) .

علل غلوب اعتراضه على التقسيم المباشر لفلسطين الى دولتين ، واحدة لليهود وواحدة للعرب الفلسطينيين ، بتبيان ان الدولة العربية الفلسطينية غير قادرة على الحياة اقتصادياً ، بالاضافة الا انها قد تقع تحت سيطرة المتطرفين مثل الحسيني واتباعه .

ولعل حقيقة أن المفتي ومؤيديه كانوا متطرفين مؤيدين لثورة الاعوام ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، لا تجعل منهم بالضرورة غير قادرين على قيادة الدولة العربية الفلسطينية بجدِّية . ولكن تجربة الستة أشهر الاخيرة أظهرت أن آل الحسيني مثلهم مثل آل بوربون لم يتعلموا شيئاً ولم ينسوا شيئاً خلال العشرة سنوات الماضية . فما كادت اقدامهم تطئ الارض بعد عودتهم من المنفى حتى أخذوا يحرضون على معارضة كل مخطط يقَّدم للحل وعلى مقاطعة كل مؤتمر وعادوا الى تنظيم المجموعات شبه العسكرية من اجل التحضير للثورة . كما استمروا في تصريحاتهم بأن فلسطين بلد عربي خالص وانها ستبقى هكذا على الدوام رغم الحقائق على الارض .

كذلك لا يجب ان ننسى ان المفتي كان قد أمضى معظم ايام الحرب في برلين ، وإذا استطاع ان يحكم دولة عربية فلسطينية فلا يوجد مجال للشك الا القليل بأنه سيحكم بطريقة نازية استبدادية ويقوم بتصفية أي شخص لا يتقبله . أو يلقي به في معسكرات الاعتقال . . علاوة على ذلك ، فإن من الواضح أن عرب فلسطين لا يملكون خبرة قبل الحكم الذاتي وهناك احتمال كبير بأن تنهار دولتهم .

من ناحية أخرى ، فإن اندماج فلسطين العربية مع شرق الاردن قد يخلق كياناً اقتصادياً ناجحاً ويترك الساحة في فلسطين مفتوحة امام إقامة قواعد بريطانية لما هو معروف عن تأييد عبدالله الثابت للانجليز .

وقد اظهرت الخريطة التي الحقها غلوب بهذه المذكرة ، دولة يهودية أصغر من تلك الواردة في توصيات لجنة بيل والمؤلفة من قوس يشمل جزءاً من وادي الاردن الشمالي ، ووادي جزريل والسهل الساحلي من نقطة جنوب حيفا مروراً بتل أبيب . وأحزمةٍ

حدودية عريضة يمكن ان تنشئ على اطراف المنطقة اليهودية التي لم تحدد بعد . اضافة الى امكانية ابقاء مناطق حيفا والقدس في ايدي الانجليز مع وجود حامية انجليزية قوية ،على ان يظل ما تبقى من البلاد عربياً ويتم إلحاقه بشرق الاردن .

لم يكن غلوب بغافل عن المشاكل والاخطار الكامنة في هذا المخطط . إذ من الارجح ان يقوم اليهود بعد إغراق دولتهم بالمهاجرين ، بطلب المزيد من الارض وعندها يعلنون بأن الوضع لا يمكن ان يستقر الا بعد منح اليهود مجالاً حيوياً أكبر . وقد يسعى اليهود الى التحالف مع السوفيات ، الا ان هذا الامر يمكن تلافيه من خلال إبرام معاهدة وقائية انجلو - يهودية . اما السوريون فإنهم وبدون شك ، سوف يعارضون التقسيم .

كان غلوب يعتقد أن المفاجأة والسرعة في التنفيذ قد تحسمان نجاح المخطط ، إذ يتم وضع المناطق العربية تحت سيطرة الشرق الاردنيين - الفيلق العربي - في غضون ٤٨ ساعة من الاعلان عن المخطط فيما تسلَّم المناطق المخصصة لليهود الى ادارة يهودية بنفس السرعة . وقال غلوب بهذا الصدد : ان الغالبية العظمى من الشعب العربي الفلسطيني ، قطيع من الخراف وسوف يتبعون أي قيادة عاقدة العزم . ومع وجود قيادة قوية مثل هذه ، فإن ٨٠٪ من الفلسطينيين سيميلون الى قبول التقسيم وفي سياق هذه السرعة والسيادة الهادئة ، يصبح لزاماً على الانجليز ان يقوموا بنقل وحدات الفيلق العربي الى داخل فلسطين وأن يقوم الاردنيون بترتيب بيتهم قبل الدخول من خلال اطلاق التظاهرات الحماسية في البلدان العربية (الاقتراح الاخير ،يشير الى بعض الجهود التي بذلها غلوب في الاشهر السابقة لشهر أيار ١٩٤٨) .

وقد ورد ضمنياً في مخطط غلوب ، فكرة الترحيل القسري للسكان العرب من المناطق المخصصة لليهود الى المناطق المخصصة للعرب أو الى خارج البلاد تماما مثل ترحيل الاقلية الصغيرة العدد من اليهود الى خارج المناطق المخصصة للعرب أو الى المناطق اليهودية) كما وردت في احدى نقاط المذكرة مسألة العرب الذين يرغبون بالنزوح من الدولة اليهودية ولكنه يركز بشكل اشد على نقطة أخرى فيقول :

«عندما يتم اخلاء المناطق اليهودية والمناطق العربية تماماً من جميع افراد المجموعة الاخرى في كل منهما ، يمكن عندها ان يبدء العمل لترسيم الحدود الفعلية . ومع امتزاج كلا المجموعتين عند الحزام الحدودي ، ومع تسوية الحدود ميلاً إثر ميل ، يصبح بالامكان

توجيه الجهد كله نحو ترتيب مبادلات للارض والسكان بحيث يقلل الى اكبر قدر ممكن عدد الناس الذين قد تتم مبادلتهم بالتعويضات . وهذه النقطة تشكل الجزء الاكثر حساسية في العملية ، لذلك يجب ان يتم انجازها بمثابرة وثبات» .

أما بالنسبة لمشكلة القدس الشائكة ، فقد اقترح غلوب اقامة بلدية تدار من قبل مندوب أو هيئة انجليزية ، يساعدها مجلس بلدي منتخب من اليهود والعرب ، مع قوة بوليس محلية مختلطة وفرقة من القوات الانجليزية يخفض عددها فيما بعد الى كتيبة . (في مذكرته السابقة لشهر تموز ، اقترح غلوب بأن تكون القدس «مقاطعة دينية» تدار من قبل ادارة دولية او ما يشابه هيئة دينية متبادلة) .

وقد أتبع غلوب هذه المذكرة ،بمذكرة اخرى اصدرها في كانون الثاني من عام ١٩٤٧ ، تحت عنوان : «حول الوضع الصحيح للحدود نتيجة تبني التقسيم» . وقد أعاد في هذه المذكرة ولمرة أخرى ، تنقيح مخططه للتقسيم فكتب : «ان التقسيم الذي ينطوي على ضم الدولة العربية الناشئة في فلسطين الى شرق الاردن هو الحل الوحيد الذي يؤثر مباشرة على الفيلق العربي وعلي شخصياً» . لذلك كان غلوب يكتب عنه وأضاف : «الهدف من هذه المذكرة هو بحث امكانية ترسيم الحدود بشكل يكون اكثر مراعاة لمصالح اليهود من التصور الوارد في مذكرتي السابقة» .

وقد كرر غلوب شروطه السابقة التي تنص على ان تبقى القدس محمية من قبل القوات الانجليزية مع انشاء مجلس بلدي من الاديان الثلاث . وأن تبقى حيفا قاعدة بريطانية وتدخل يافا ضمن الدولة العربية فيما تصبح عكا والناصرة وصفد محافظات فرعية داخل الدولة العربية . وما تلا ذلك ، فإن الحدود بين اليهود والعرب ترسم نفسها بشكل دقيق وفقاً لتجمعات المستوطنات .

اما المشكلة المعلقة التي تبقى بعد ذلك واعني التعامل مع المناطق الواسعة من الاراضي العربية التي ستترك ضمن حدود الدولة اليهودية ، فقد كنت اقترحت سابقاً ان يتم شراء حصص هؤلاء المالكين العرب بشرط ان يستقروا في مكان آخر . بهذه الطريقة يمكن لليهود ان يحصلوا على زيادة هائلة في مساحة الارض بعد مغادرة العرب الذين تقع اراضيهم الآن خلف الخطوط الامامية .

ولكن قد يرغب اليهود ومؤيديهم بأخذ المزيد من الاراضي ، وعندها يستلزم الامر

أخذ منطقة بكر من الاراضي العربية التي لم يتغلغل اليهود فيها باعداد كبيرة بعد واخلائها من سكانها العرب ومن ثم تسليمها لهم . إن امكانية القيام بعملية من هذا النوع هو بالضبط ما احاول استدراكه في هذه المذكرة .

« ايّاً كان الحل الذي ستعتمده بريطانيا رسمياً ، فإن عليها هذه المرة أن تفرضه بالقوة كحل نهائي . ويضيف غلوب قائلاً : اعتقد اننا نستطيع فرض الحدود (التقسيم) على أساس الخط الامامي الموجود حالياً (للتسوية اليهودية والعربية) . وأنا أشك فيما إذا كنا نملك القدرة على فرض حدود تعطي اليهود منطقة اضافية وراء الخط الامامي (الديمغرافي) الحالي » . ما تصوره غلوب هو تقسيم بين اليهود وشرق الاردن . ولكن إذا سهلت خطة التقسيم لليهود ، الحصول على اراضٍ واسعة من فلسطين ، فإن الاردن لن يستطيع دعمها في مواجهة غضب سائر انحاء الوطن العربي .

« تقضي الحكمة ، قبل الاعلان عن مخطط يتطلب في أسسه تعاوناً من حكومة شرق الاردن ، ان يتم الحصول على موافقة تلك الحكومة واذا استحال تحقيق هذا الامر لاسباب تتعلق بالسرِّية ، فإن المخطط يجب أن يأخذ بوضوح تعاون حكومة شرق الاردن على أنه أمرٌ مفروغٌ منه . ومن المهم جداً ان تنال مقترحاتٍ التقسيم درجة من التأييد العربي . (في الخارج) » .

لا يتضمن اقتراح التقسيم المقدم في المذكرة السابقة أية بنود حول ترحيل اجباري لأي من السكان ، وإذا ما تم ترسيم الحدود على قاعدة «الخط الامامي الدائم» فقد يتوجب اعطاء كل فرد من بين افراد المجموعتين يجد نفسه مقيماً على الجانب الخطأ من الحدود فرصة لاختيار دولة اخرى وإثر سلوك هذا الطريق تقوم لجنة الحدود ، بمبادلتهم ارضاً أخرى في الدولة الثانية أو دفع تعويضات لهم او استخدام أية طريقة أخرى تسهل لهم الحركة ضمن الخيار الذي رسوا عليه .

وبعيدا عن هذا الوضع ، فإن حكومة صاحب الجلالة (بريطانيا) لن تكون معنية بترحيل أحد ولا بطرد الناس من منازلهم بالقوة .

ومن ناحية أخرى فإنه إذا تم تخصيص أية منطقة مأهولة بكاملها بسكان عرب وواقعة على الخط الامامي من الجانب العربي ، فقد تظهر امام الدولة اليهودية الناشئة اموراً مختلفة كأن يرفض السكان الإعتراف بصلاحية قرار الدولة اليهودية أو يرفضون

الاعتراف بشرعية حكمها لهم أو التخلي عن منازلهم وعندها سيصل الامر الى طريق مسدود تماماً .

ليس معقولاً ان تستخدم القوات البريطانية لطرد الناس من بيوتهم ، فمثل هذه الافعال قد ترتكب من قبل الروس او الالمان ولكن لا توجد فائدة في استخدام وسائل الترهيب فالقوات الانجليزية غير مهيأة للدخول في اعمال ارهابية ، واي اتجاه لاظهار الشدة والخشونة سيؤدي بالوضع الى الهلاك لان الخشونة تستفز في الناس مشاعر الاستياء والتعصب دون ان تفرض أي خوف ، كما سيؤدي استخدام القوات اليهودية في ترحيل مجموعات كبيرة من العرب الى اشعال حرب أهلية ، بالاضافة الى مقاومتها من قبل جيوش الدول العربية . وعلى ذلك ، لا توجد امكانية لنقل اعداد كبيرة من السكان عبر الحدود . وتبقى الحدود التي يمكن تطبيق مثل هذا الامر فيها هي الحدود الواقعة في موازاة الخط الامامي (السكاني) ، كما ان المجموعات المعزولة ستختار الانتقال ، إن لم يكن فوراً ففي خلال سنة او سنتين على الاقل .

وتظل مشكلة مدينة يافا ، وهي الجيب العربي الوحيد الواقع وسط أغلبية يهودية . ولعل من المستحيل نقل السكان من يافا باستخدام القوة (و) كما أن ابقائهم تحت رحمة الدولة اليهودية يعني اندلاع حرب شوارع واحتمال تدّخل قوى خارجية فيها . اذن لا يبقى هناك من سبيل سوى تركها في ايدي الدولة العربية . وقد اوصى غلوب هنا بانشاء ممر على طول طريق يافا - الرملة يربط يافا بمناطق جبال يهودا المأهولة بالسكان العرب .

في مذكرتي السابقة ، لم أشر مطلقاً الى امكانية اعطاء جزء من الصحراء الجنوبية (يعني النقب) الى اليهود ، فقد بدا لي هكذا اقتراح وهمي جداً ، لكنني اقرأ في الصحافة بأن اليهود لا يزالون يشيرون اليها ، ربما يكون من الحكمة ان يتم بحث هذا الامر فأنا لا أعرف لماذا يريد اليهود هذه المنطقة . قد يكون لديهم علم عن وجود بعض الثروات المعدنية فيها ولكن هذا الامر يبدو بعيد الاحتمال كما ان القول بان هذه الصحراء تنطوي على قيمة زراعية (او أن هناك امكانية لجعلها كذلك) هو قول لا صحة له بالتأكيد ، ويخفي وراءه دافعاً ذا طبيعة سياسية او استراتيجية ربما نستطيع انشاء ممر عبر المناطق العربية باتجاه المنطقة الواقعة جنوب بئر السبع ولكن هذا الامر قد يقود الى المشاكل .

" قد يحاول اليهود مع تواصل دخولهم وخروجهم عبر جنوب فلسطين ، الاتصال بالعرب المتواجدين على الطريق أو اقراضهم المال أو توظيفهم في صفقات اعمال مشبوهة أو بشكل عام عرقلة أعمالهم . ان ما آمل به في خاتمة المطاف وبكل صدق هو ان لا توافق حكومة صاحب الجلالة (بريطانيا) على فكرة إقامة جيب معزول للدولة اليهودية في صحراء النقب .

ربما جاء تحديد غلوب الصارم لحدود تقسيم المستقبل والحاحه على لزوم إيجاد خطوط أمامية وفق دراسة احصائية للسكان والمستوطنات ، نتيجة لتقرير قدّمه العقيد نورمان لاش ، والذي كان قد زار هارولد بيلي - مدير مكتب وزارة الخارجية لشؤون الشرق الادنى - في لندن . ووفقاً لغلوب . فقد أبلغ بيلي العقيد لاش بأنه (يبدو وكأن التقسيم سيكون هو الحل ، ولكن الحدود ستكون اكثر اجحافاً بحق العرب مما كنت احلم به في مذكرتي (غلوب) وهذا الامر يحمل في طياته نذيراً سيئاً) .

وفي كانون الاول من عام ١٩٤٦ ، كتب غلوب لبيلي يقول :

« أن تقسيم فلسطين بين دولة يهودية وبين دولة شرق الاردن هو الحل المثالي . وقد دوّن بيلي بايجاز على واحدة من مقترحات غلوب للتقسيم ما يلي : (على الرغم من وجود حجة قوية في هذه المناقشات الا أني لم اجدها مقنعة مثل تلك الحجج المعارضة للتقسيم . ولا بد من مواجهة الصعوبات التي اثارتها مخاوف العميد غلوب) . . من قبل المندوب السامي البريطاني مدعوماً بقوات بريطانية خلال الفترة الانتقالية » .

وفي الاول من شباط عام ١٩٤٧ كتب مجيباً على مذكرة غلوب المرسلة في شهر كانون الثاني :

لقد خطرت لي فكرة . . «وهي أن إلحاق الاجزاء العربية من فلسطين بدولة شرق الاردن يمكن ان تشكل خطراً على الملك عبدالله اكثر منها فائدة» . فالذيل لن يستطيع أن يهز الكلب . وقد تبين ان المفتي (سواء كان موجودا في القدس او في القاهرة) سيثبت بأنه الاقوى بين الاثنين .

الفصل الـرابع

الطريق الى القدس

١٩٤٧ - ١٩٤٨ العد التنازلي للغـزو

كان لإعـلان بريطانيـا الفجائي في شباط ١٩٤٧ حـول الانسحاب المرتقب للقوات البريطانية من فلسطين ، وقع الرعد على حكومة شرقي الاردن ، هذا ما كتبه غلوب في تشرين الثـاني مبـاشـرة بعـد أن أوصت اللجنة الخـاصـة للامم المتحـدة في فلسطين (يونسكوب) بتقسيم فلسطين الى دولتين مستقلتين : واحـدة يهودية والاخرى عربية فلسطينية .وقبل انعقاد الجمعية العامة للامم المتحدة للتصويت على قبول التوصية في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني .

وكمـا اقترحنا سابقاً ، كـان غلوب مطلعاً منذ البداية على الاتفاق الذي وُقِّع بين اليهود والهاشميين في منتصف عام ١٩٤٧ حول تقسيم فلسطين بينهما ، في حين أنكر الطرفان سيادة العرب الفلسطينيين على أي جزء من البـلاد . وكان بن غوريون قـد أوجـز خطتـه لتـقسـيم فلسطين الى دولة يهـودية دعـاها «يهـودا» ودولة شـرق اردنيـة فلسطينية ، دعاها «عبدليه» وضم هذه الخطة في مذكرة سرية كتبت في أواسط تموز من عام ١٩٤٦ .

وكـان تفكير الملك عبد الله في ذلك الوقت يسير في خطٍّ موازٍ لهذه الخطة ، وفي ١٩٤٦/٧/٢٩ كتب كيركبرايد تقريراً ذكر فيه أن عبدالله - الذي كان مجرد أمير سابق - قد نادى بنفسه ملكاً في الخامس والعشرين من أيار :

« وكـان واضحاً منذ البداية ، بأن نتيجة المباحثات (المنوي عقدها في لندن بين اليهود وممثلين عن العرب) ستنتهي الى التقسيم وأن حصة العرب من فلسطين سيتم دمجها مع إمارة شرقي الاردن . . لكنه يتوقع بأن يقوم العرب الأخرون بالضغط من أجل إقامة دولة عربية تغطي كامل فلسطين لأنهم كانوا قد ألزموا أنفسهم بذلك تماماً في

الماضي . . كان عبدالله يقف مع التقسيم ويشعر بأن القادة العرب الآخرين سيقبلون بذلك الحل رغم عدم تصريحهم علناً بذلك » .

. . . (وأضاف كيركبرايد بأن رئيس الوزراء الاردني ابراهيم باشا هاشم قد أخبره بذلك ، وأن الحل المنصف والدائم يكمن بشكل مطلق في التقسيم مع تبادل للسكان ، لأن ترك يهود في الدولة العربية أو ترك عرب في الدولة اليهودية يمكن أن يؤدي الى ظهور مشاكل بين الشعبين على المدى البعيد) .

وقد اعترف ابراهيم باشا بأنه غير قادر على اطلاق هذه الفكرة جهاراً خوفاً من تسميته بالخائن . . وقال بأن الممثلون العرب الأخرون في المباحثات منقسمون على انفسهم ، فمنهم من هو مثله لا يجرؤ على التعبير عن أفكاره الحقيقية ومنهم المتطرفون الذين بكل بساطة يطالبون بالمستحيل .

في الثاني عشر من آب قام عبد الله بتحريك كرة التقسيم اليهودية - الهاشمية . فدعا الياهو (الياس) ساسون مسؤول القسم السياسي في الوكالة اليهودية الى قصره ، في بلدة الشونة بوادي الاردن ، وقدم خطته . وقال الملك أنه يفضل (تقاسم فلسطين مع اليهود) وضم الجزء العربي الى شرقي الاردن وفقاً لاقتراح موريون - غرادي الذي طرح إقامة حل فيدرالي يضم كانتونات اقليمية منفصلة .

واستحلف عبد الله ساسون بأن يحافظ على سرية المباحثات واضاف بانه يرغب في توسيع حدود شرق الاردن وإقامة مملكة هاشمية واسعة وقوية تقف في صف بريطانيا وتركيا وتحمي خط الدفاع البريطاني في الشرق الاوسط ، وقد اعتبر استيعاب الجزء العربي من فلسطين في شرق الاردن مرحلة فقط على طريق تحقيق أمانيه التي رغب بها طويلاً بضم سوريا والوحدة مع العراق .

ويمكن ضم الجزء اليهودي من فلسطين لاحقا الى الاتحاد . كما يمكن للبنان أما ان ينضم او لا حسب ما يناسبُهُ وقد ادرك عبد الله بأن العرب في فلسطين لم يوافقوا على خطته الفدرالية . لذلك احجم عن الحديث حول اقامة دولة يهودي ، وتحدث فقط عن جزء يهودي من فلسطين .

واضاف عبد الله بأن بريطانيا (واستجابة لسؤال من ساسون) تعلم بالخطة ، ولَمَّح ضمنياً الى مساندتها لها ، ولكنه كان يعتقد بأنه لا يمكن مناقشتها قبل ان تحل القضية

الفلسطينية على قاعدة الحل الفيدرالي (يعني شرق الاردن - العراق - سوريا) . ابدى الانجليز حذرهم من إعادة أشعال الخلافات الهاشمية - السعودية القديمة أو المنافسات الهاشمية - المصرية .وعندها تراجع عبد الله قليلاً وقال بأنه إذا أصر الانجليز على اقتراحات موريسون - جرادي ، فأنهُ قد يوافق عليها لكنه اضاف انه سيتبع طريقاً مماثلاً إذا استطاع اليهود اقناع بريطانيا والولايات المتحدة بتأييد التقسيم .

وقال عبد الله ايضاً إن بريطانيا طلبت منه اغتنام فرصة الاجتماع مع (ساسون) لمحاولة اقناع الوكالة اليهودية بكبح جماح الهجمات الارهابية العنيفة التي تشنها المنظمات اليهودية المنشقة ضد بريطانيا .

وحث الوكالة اليهودية على الاشتراك في المحادثات الثلاثية المقترح اجراءها في بريطانيا حول خطته «موريسون - جرادي» والامتناع عن التآمر ضد بريطانيا في الولايات المتحدة . أما فيما يتعلق به فقد طلب عبد الله من ساسون أن يُحضر له عشرة آلاف جنيه فلسطيني (كدفعة اولى من المبلغ المطلوب وهو ٣٤ - ٤٠ الفا) من اجل استخدامها في التأثير على سير الانتخابات البرلمانية السورية ودفعها نحو اتجاه مؤيد للهاشميين . ومن أجل بناء جماعة ضغط مؤيدة للهاشميين او ممثلين عنهم .

وكما تم الترتيب سابقاً ، التقى ساسون وعبد الله مرة أخرى في التاسع عشر من آب وكان على ساسون أن يحضر المبلغ المطلوب وهو عشرة آلاف جنيه فلسطين ، إضافة الى جواب الوكالة اليهودية على اقتراح التقسيم . الا أن ساسون حمل معه فقط خمسة آلاف جنية كحلوان (حسب تعبير ساسون) ولكن عبد الله لم يكن سعيداً بهذا المبلغ على الاطلاق .

وقال بأنه ليس كافياً لمواجهة احتياجاته العاجلة وطلب مبالغ اخرى . بعد ذلك اعطى عبد الله ساسون مبلغ الف جنيه من «الحلوان» طالباً منه ان يسلمها الى أحد جواسيسه في فلسطين ، والذي كان ناشطا في حشد تأييد الوجهاء المحليين لخطة التقسيم والفدرالية الشرق أردنية . ولكن عبد الله تجنب الدخول في تفاصيل حول الحدود المستقبلية للتقسيم قائلاً فقط : (انه لن يبدي عناداً بهذا الشأن) . وعندما أصَّر ساسون وبخه عبد الله قائلاً : (لا تكن أنانيا ولا تطلب فقط ما هو جيد لك انظر الى المسائل ضمن سياق المشرق العربي وتعقيداته وليس فقط ضمن السياق الفلسطيني) . وافق عبد الله على اقتراح ساسون بأن يتم بحث المسألة سراً من قبل ممثلين عن الجانبين

في المحادقات المقبلة بلندن . ونصح عبد الله الوكالة اليهودية بمعارضة أي خطة اخرى عدا «التقسيم والفيدرالية» . لان هذا سوف لا يترك خياراً امام بريطانيا سوى الموافقة على الخطة .

قام كيركبرايد الممثل الانجليزي المقيم في عمان باعلام المندوب السامي في فلسطين ، والذي بدوره اعلم وزير المستعمرات بوجود اتصالات بين عبد الله وبين الوكالة اليهودية وموقف عبد الله منها وجاء في تقريرة : "أن كل من الملك عبد الله ورئيس وزراء الاردن (هاشم) يعتبران أن التقسيم المتبوع بتغييرات في الوضع الديمغرافي للسكان (يعني كما فهم الجميع في الاساس ترحيل العرب من المناطق التي ستصبح دولة يهودية) . هو الحل العملي الوحيد للقضية الفلسطينية ويشعر الاثنان بانهما غير قادران على التعبير عن هذه الرؤية بصورة علنية لانهما يأخذان في الحسبان امكانية اعتبارهما محابيان لعملية ضم المنطقة العربية من فلسطين الى شرق الاردن .

وذهب رئيس الوزراء الى ما هو ابعد من ذلك فقال : (عند بحث التقسيم في لندن ، يجب تجنب أية مسألة تتعلق بضم المنطقة العربية الى شرق الاردن . لان العربية السعودية وسوريا قد تنقلبان ضد المخطط ، فقط من اجل منع الهاشميين من التوسع) .

وفي الواقع ، كان قد تم التوصل الى اتفاق من حيث المبدأ بين الهاشميين والوكالة اليهودية على اقتسام فلسطين بينهما .

ولكن الوضعين الاقليمي والدولي لم يكونا مهيئين بعد للبدء برسم خطة التنفيذ ، وكان لا بد من مرور اكثر من عام قبل ان تنضج الاوضاع ،وخلال عام ١٩٤٧ ظل عبدالله يتأرجح بين اجواء ساخنة وباردة امام الرياح الاقليمية والدولية المتعاقبة مرسلا إشارات مختلفة الى مختلف الجهات . (كما كانت عادته) ، وفي تموز أبلَغَ عبد الله سرّاً القاضي اميل ساندستروم رئيس اليونسكوب بأن التقسيم هو الحل الوحيد ، ولكنه كان يظهر معارضته للتقسيم في الجلسات الرسمية أمام اليونسكوب - في حين أن كريستوفر بيري غوردون مساعد كيركبرايد اكد لبيفين بأن هذه لم تكن «افكار عبد الله الحقيقية وانه كان لا يزال مهتما بالانقضاض على المناطق العربية من فلسطين» (أي أنه لا يزال يؤيد التقسيم) . وفعلاً ظهر وكأن عبد الله ارسل كلمة الى ساسون يشعره فيها بأنه اصبح جاهزا لتوقيع اتفاقية حول تقسيم فلسطين والحاق البقية بشرقي الاردن . الا أن عبدالله ومن خلال الصحف المؤيدة للدولة او في مخاطبته للقادة العرب الأخرين ظل يشجب

وبشكل غير مباشر مؤامرات الصهيونية (في حين ظل يكرر طمأنة ممثلي الوكالة اليهودية في السر بأنه ملتزم باتفاق صيف ١٩٤٦) .

وفيما كان عام ١٩٤٧ يقترب من نهايته اصبحت التوقعات برحيل القوات البريطانية واقامة دولة اليهود العتيدة في فلسطين اكثر تجسيدا من أي وقت مضى . وكتب غلوب في تشرين الثاني : (وقد بدأ يشعر بالانذار أمام حل وشيك للامم المتحدة يقضي بتأييد تقسيم يهودي فلسطيني وراح يعمل لانشاء جماعة ضغط من اجل تطبيق منسّق لخطة التقسيم البديلة التي وضعها عبد الله بالاشتراك مع الوكالة اليهودية) .

كان الاردن خلال الستة عشر عاما الماضية . . واحدا من البلدان الصغيرة الاكثر حظا في العالم . . مع وجود البقية من العالم في كرب . ومع تواصل الثورات في الدول العربية المجاورة ، لم يكن شرق الاردن يشعر بأي ضيم . ولكن بعد ذلك دخلت الازمة الفلسطينية المضمار ، وكما كانت عمان ترى الامر فان قرار بريطانيا في شباط ١٩٤٧ بالرحيل عن فلسطين كان دمارا لشرق الاردن . وذلك لأن حل القضية في فلسطين فتح القضية في شرق الاردن . والى ذلك الحين كان هناك شيئان يحافظان على بقاء الاردن :

- منحة سنوية كمساعدة من بريطانيا .

- والاحتلال البريطاني لفلسطين والذي ساعد شرق الاردن (من خلال نظام سكة الحديد والموانئ التي بناها هناك) على المحافظة على روابطه مع العالم (في ظل حماية الانجليز) . وشرق الاردن بطبيعته هو المنطقة الداخلية لفلسطين . ويستطيع فقط العيش بوصفه هكذا . . جميع تجارته ، ووارداته وصادراته - قوام حياته الحقيقي - تمر عبر حيفا او بيروت وعبر طرق سكك حديد مسيطر عليها من قبل الدولتين المستقبليتين : اليهودية ، والعربية ، في فلسطين ، أو لبنان وسوريا في الشمال (دولتان ليستا على علاقة جيدة مع الاردن) بالاضافة الى أن تبني تقرير «اليونسكوب» من قبل الجمعية العامة للامم المتحدة يمكن أن يعني مضاعفة اعداء شرق الاردن . كان الاردن سابقا على عداوة مع سوريا والعربية السعودية ، والآن تضاف الدولة اليهودية في الغرب . وربما ايضا دولة عربية فلسطينية بقيادة المفتي ، يرَّجح ان تناصب عبد الله العداء .

علاوة على ذلك فقد خشي غلوب مكائد اليهود ضد شرق الاردن نفسه .

(لم يتردد قادة الوكالة اليهودية اليوم من التصريح على رؤوس الاشهاد بانهم يعتبرون شرق الاردن جزءا من الوطن القومي لليهود) .

كما خشي غلوب بدرجة أو بأخرى ، وجود تصميم لدى معظم جيران شرق الاردن - اليهود ، سوريا ، العربية السعودية وعرب فلسطين - على اقتسام شرق الاردن فيما بينهم . وقد لاتكون معاهدة الدفاع المشترك مع بريطانيا كافية لردعهم . وحتى لو احجمت دولة او مجموعة من هذه الدول عن اعلان الحرب ، فانها تستطيع شن عمليات حرب عصابات مهلكة او فرض عقوبات اقتصادية ضد عمان .

كان غلوب متأكدا من أن اليهود يمكن أن يعلنوا دولتهم عام ١٩٤٨ ، وأَن التخلي عن الاجزاء العربية من فلسطين يمكن ايضاً ان يؤدي الى نشوب نزاع خطير . فقد كان الحلف المصري السوري عازما على انتزاع فلسطين العربية وإذا استطاع السوريون انتزاع الشمال والمصريون انتزاع الجنوب فان شرق الاردن لن تستطيع البقاء على قيد الحياة إلا بشق الأنفس ، كتب غلوب حينها : (إن الحل الوحيد المناسب لبريطانيا العظمى وشرق الاردن يكمن في ضم الجزء العربي الجنوبي من فلسطين الى شرق الاردن) . . وهكذا تستطيع بريطانيا الابقاء على قواتها في فلسطين ، واقترح غلوب بأن يبدأ الوفد الشرق اردني رحلته فورا الى لندن لمناقشة تواصل الاعانة المالية البريطانية وفقا للمستويات الحالية لأن أي نقص في الاعانة المالية قد يعني شللا للفيلق العربي - وعندها لن يعود هناك وجود للاردن . ومن المحتمل ان غلوب كان يحدوه الأمل خلال زيارة الوفد لبريطانيا بأن تتم المصادقة رسميا على المقترح الداعي بأن يستولي شرق الاردن على الاجزاء العربية من فلسطين (بما فيها النقب) . لكن هذا لا يمكن انجازه الا بواسطة الجيش - وقد اعلنت بريطانيا عن نيتها بتقليص حجم الجيش عندما تركت فلسطين .

ومنذ دفن توصيات بيل عام ١٩٣٨ وبريطانيا تعارض بشكل ثابت حل التقسيم (ويعني : اقامة دولة يهودية في جزء من فلسطين) . كان التقسيم لعنة بالنسبة للعرب . وكان يُخشى ان يؤدي تأييد بريطانيا للتقسيم الى ابعاد العالم العربي عنها ، ولكن خلال النصف الثاني من عام ١٩٤٧ ومع وجود يونسكوب في خلفية الاحداث اصبح التقسيم اكثر واكثر احتمالا .

بدون شك ، كان لضغط جماعة غلوب (وعبدالله) يدٌ مهما بلغت في قصرها قادرة

على البدء في تغيير نظرة الوايت هول .

في السابع والعشرين من آب ١٩٤٧ وقبل ان تقوم «اليونسكوب» بتسليم تقريرها المؤيد للتقسيم ، ارسل بيري غوردن الذي كان حينها يعمل وزيرا انجليزيا فاعلا في عمان برقية الى لندن يؤيد فيها احتلال شرق الاردن للمناطق العربية من فلسطين المقسمة ، وكان غوردن مثله مثل غلوب يخشى بأن يكون شرقي الاردن معرضا لخطر الزوال على يد احد جيرانه الكبار .وجاء في تقرير غوردن :

(اذا كانت النتيجة هي التقسيم فيما يبدو ، فان الاجراء الوقائي المطلق ضد احتمال وقوع مثل هذا الامر هو ضم المناطق العربية في فلسطين الى شرق الاردن) .

(ويمكن رؤية فوائد مثل هذا الترتيب على شرق الاردن بوضوح فبقدر ما تعزز وضع حليف بريطاني الهاشمي وتعطي فرصة اكبر لاستمرار دولة شرق الاردن بدون سوريا الكبرى ،بقدر ما تلبي مطالب رؤساء هيئة الاركان الانجليز . وتكمن الصعوبة طبعاً في التغلب على الاحتجاجات الاولية للسياسيين القوميين في فلسطين نفسها ،لكنني متأكد من أن الفوائد على المدى الطويل يمكنها أن تبرر اية مضايقات في البداية) .

وفي منتصف شهر تشرين اول اصبح التفكير في الاستيلاء على المنطقة العربية من فلسطين متبلورا بشكل جوهري في العاصمة الاردنية . لكن أيا من الاثنين كان له المقام الاول في المسألة : هل ان عبد الله هو الذي حث المسؤولين المحليين الانجليز (كيركبرايد ، بيري غوردن ، غلوب) أم هل كانوا هم من اقنع عبد الله ومعاونيه المترددين ، الحقيقة أنه من الصعب القول فيما لو كانت الفكرة واقعية ، ولعل الاحتمال الاكبر هو ان كلاّ من الطرفين قد أثّر على الآخر . ليكن ما يكون ، ففي تشرين اول قام كيركبرايد بابلاغ وزارة الخارجية عن سلسلة من المحادثات التي كان قد اجراها مع رئيس وزراء الاردن الجديد سمير الرفاعي (شباط ١٩٤٧ ،كانون الاول ١٩٤٧) والذي كان عائداً للتو من اجتماع للجامعة العربية في عاليه بلبنان . وقد مال الرفاعي الى التسليم بأن الجيوش العربية قد تتدخل عند نقطة معينة لحماية المناطق العربية من فلسطين . ووفقاً لكيركبرايد فقد قال الرفاعي بأن الموافقة على ذلك كانت بالاجماع . وبما أن جيوش شرق الاردن والعراق قد تتحمل الوطأة العظمى في القتال ، فمن الانصاف ان تضم عموم فلسطين الى شرق الاردن في حال امكن انقاذها . وعلق كيركبرايد بأنه لم يفكر بالدول العربية الاخرى مع احتمال استثناء لبنان والعراق . وجاء في تعليقه :

(انا أؤيد قيام اتحاد بين شرق الاردن وفلسطين العربية تحت حكم عبد الله . . واستنتاجي الشخصي هو ان الملك عبد الله يمكن ان يذعن لاقامة دولة لليهود في فلسطين في حال ضمان الحاق البقية العربية منها بشرقي الاردن . كما أنه لا يشارك الأخرين في التفاؤل بشأن الهزيمة العسكرية النهائية لليهود . . (وحديث الرفاعي) عن الاستيلاء على المنطقة اليهودية في فلسطين بمساعدة الجيش العراقي . . يجب ان لا يؤخذ على محمل الجد ، فهو في هذه المسألة على خلاف مع سيده) . . (ولم يبذل كيركبرايد وغلوب جهدا كبيرا لاخفاء وجهتي نظرهما على الرغم من أن ما يقترحانه كان يخالف مقترحات اليونسكوب - ومخالف بالتالي لاقتراح الجمعية العامة للامم المتحدة القاضي بتقسيم فلسطين بين يهودها وعربها) . في ذلك الشهر ابلغ كيركبرايد اثنين من الصحفيين البريطانيين الذين كانا في زيارة للمنطقة : (بأن مطامح عبدالله لا حدود لها ، وانه يطمح بوضوح الى حكم نابلس والخليل) .

واضاف كيركبرايد (بأن هذا الحل من وجهة نظره يشكل الحل المنطقي للقضية الفلسطينية) . وبالطبع كانت الدول العربية تراقب بعضها بعضا مثل القطط والكلاب . . خشية ان تسبق احداها الاخرى الى الغنيمة . وابلغ كيركبرايد الصحفيين ايضا : بان الشيء الواضح كان تحرك عبد الله الى فلسطين العربية . . (لكنه) كان يخشى ان تكون حركة عبد الله اسرع من اللازم) . وقلل غلوب وكيركبرايد من شأن أي تحرك ذي وزن من قبل الجيوش العربية الاخرى ، واعتقدا بأن العرب ، وبعد تجهيز انفسهم سيقومون (فقط) بارسال اسلحة واموال ومتطوعين الى فلسطين . . ولكن كيركبرايد لم يلغ احتمال قيام عبد الله بتحرك يهدف في توقيته الى الحيلولة دون وقوع اضطرابات وقلاقل في فلسطين . . في حين اعتقد غلوب بأنه يمكن غض النظر عن بعض الاضطرابات التي قد تقع في فلسطين ولفترة قصيرة حتى يصاب كل من العرب واليهود بالارهاق ،حينذاك يصبح دخول بريطانيا عن طريق عبد الله امرا مرحّباً به . وفي غضون ذلك قد يتعقل اليهود ويقبلون بالتخلي عن يافا والنقب وعن الجليل الغربي الذي سيضم الى لبنان وسوريا .

ونقل الصحفيان عن غلوب قوله : (يرغب اليهود في السطو على النقب لانه يحتوي على معادن . لذلك قاموا بزرع بعض المستوطنين هناك . لكنها المعادن هي التي يريدون في الواقع ، ولا تنسيا النفط في غزة ايضا) . . واضاف الصحفيان لقد توقع غلوب ان

يخسر العرب المعارك الاولى . . لكنهم برغم العقبات سيواصلون حرب عصابات .

وانتهى الصحفيان الى الاستنتاج القائل : لقد خلصنا بعد المحادثات مع كيركبرايد وغلوب وسمير باشا الرفاعي الى النتيجة القائلة بأن الشرق اردنيين قد حزموا امرهم على ضم فلسطين العربية . . ومن المحتمل ان يفكر عبد الله نفسه بالتحرك نحو فلسطين بسرعة لحظة الانسحاب البريطاني خشية ان تسبقه سوريا اليها . ربما بدأت الفكرة تطرق ذهن وزير الخارجية بيفين نتيجة للبرقيات التي ارسلها له كيركبرايد .

ففي ١٩٤٧/١٠/٦ ابرق الى كيركبرايد يبلغه بأن كان منشغلا جدا بشأن مسألة مساهمة الجيش العربي المحتملة في دخول فلسطين بعد انسحابنا ، إذ يجب سحب الفيلق من فلسطين مع بدء الجلاء البريطاني . ولكن إذا ما حاول الملك عبد الله فيما بعد أن يعيد ارسال وحدات من جيشه الى داخل فلسطين فقد تضطر بريطانيا الى سحب ضباطها من الفيلق ،والتفكير في وقف المعونة المقدمة الى شرق الاردن . وطلب بيفين من كيركبرايد ان يوافيه بتعليق على هذه الملاحظات .

رد كيركبرايد بأن الملك عبد الله قد يتصرف مستقلا عن الدول العربية الاخرى من اجل استباق أي خطوة يقوم بها المفتي في حال اخلينا قواتنا من فلسطين . وجادل كيركبرايد بقوة ضد ايقاف الدعم للفيلق قائلاً :

(لا يجب ان يظهر الامر وكأن الدعم قد منع عن الفيلق بسبب قرار شرق الاردن باعادة ارسال جيشها الى داخل فلسطين بعد انسحابنا) . وافترض كيركبرايد ان بريطانيا قد تضطر الى سحب ضباطها . لكن هذا - كما ناقش - لن يؤدي الى شل حركة تلك القوة ، لوجود مصدر عربي بديل (يعني ،ضباط الجيش العراقي) اضافة الى بعض الانجليز الذين يعملون بشكل مباشر مع حكومة شرق الاردن . وكان كيركبرايد ضد احلال ضباط عراقيين مكان الضباط الانجليز - لانه كان يخشى وقوع الجيش تحت امرة الجيش العراقي وبذا يصبح خارج سيطرة بريطانيا . وباختصار فقد عارض الوزير سحب الضباط الانجليز من الفيلق . قدم كيركبرايد حجة قوية وجاء في تقريره :

(كنت اشعر بالالم وانا اخفي عن الملك عبد الله وسمير الرفاعي . حقيقة ان شرق الاردن من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية تملك افضل حق للمطالبة بالارث الباقي من فلسطين ،وان احتلال المناطق العربية الفلسطينية من قبل الاردن يمكن أن يقلص من

احتمال نشوب نزاع مسلح بين الدولة اليهودية والدول العربية الاخرى وخاصة العراق . الذي يشكل باعتقادي الخطر الاكبر) . . قد يكون الملك عبد الله جاهزا للموافقة على انشاء دولة يهودية شريطة أن يحصل على البقية من فلسطين . (لكن) أنا لا اجد عند القادة العرب الأخرين تفكيرا مثل هذا . فتوسع شرق الاردن لن يكون ضد مصلحتنا ،بل يصب فيها . . لذلك فأنا لا ارى سببا موجبا لأن نضع العراقيل في طريق شرق الاردن . لأن البديل سيكون دولة عربية فلسطينية سقيمة وغير قابلة للحياة وتحت حكم المفتي" .

واضاف كيركبرايد : « يسعى عبد الله لطلب توجيه بريطاني نحو مستقبل مساره . وادرك أنا طبعا انه من المستحيل أن تقوم حكومة صاحب الجلالة (بريطانيا) باعطائه مثل هذا التوجيه» .

وبكلمات اخرى ، ايد كيركبرايد بقوة احتلالا اردنيا للاجزاء العربية من فلسطين مع انتهاء الانتداب . لكنه كان يتردد في الافصاح عن افكاره لعبد الله او توجيهه لسلوك هذا الطريق ، بسبب مراعاته للمعارضة المتوقعة من قبل بلدان عربية اخرى لمثل هكذا تحرك من ناحية ، ولأنه كان يدرك تماما عدم مقدرة الوايت هول على نصح عبد الله علناً بالاندفاع الى داخل فلسطين من ناحية اخرى .

كانت افكار كيركبرايد تحظى بتقدير كبير لدى الوايت هول ،نسبة لطول مدة خدمته في الشرق الاوسط ، وعلاقاته الحميمة مع عبد الله ، ومعرفته الواسعة التي لا يمكن الانتقاص منها في شؤون شرق الاردن و (فلسطين) ، بالاضافة الى ذكائه . وفي ذكر لبرقيته المرسلة يوم ٢٩/ تشرين الاول ، علق السيد بي . أي .بي .بroوز خليفة بيلي في ادارة دائرة ابحاث الشرق الاوسط قائلاً :

(هل سنؤيد تقسيما لفلسطين (بين اليهود وعبد الله ؟) . . هناك امكانية لأن يحدث مثل هذا الترتيب من خلال اتفاقية بين الملك عبد الله واليهود . وقد تناهى الى علمنا من مصادر غاية في السرية لكن غير مؤكدة أن هناك اتصالا بين الطرفين . كما صرح رؤساء هيئة الاركان أن دمج المناطق العربية من فلسطين مع شرق الاردن يمكن أن يرفع الى حد بعيد من قوة شرق الاردن الاقتصادية ومكانته الاستراتيجية وهذا امر سيكون في صالحنا) .

كان تقرير برووز بعد ثلاثة اسابيع اكثر حسما . ففي اليوم السابق لقيام الجمعية

العامة للامم المتحدة باقرار حل التقسيم قال برووز :

(يبدو أن هناك اجماع من الرأي العام بأنه من وجهة النظر الداعية الى تحاشي اراقة دماء كثيرة ، ووجهة النظر المتعلقة بمصالحنا الاستراتيجية والسياسية ، فان من المناسب جدا أن يقوم عبد الله ببسط سيطرته على المناطق العربية من فلسطين (مع احتمال استثناء الجليل الغربي في حالة انسحابنا منها) .

وهناك دليل هام وغير مؤكد على قيام عبدالله بالاتصال مع ممثلين يهود ،ونحن نعتقد بوجود بعض الايجابية في حصول اتفاق مسبق بينه وبين اليهود) .

وقد جادل السير أ . كيركبرايد بطريقة مقنعة ضد هذا (أي قيام عبدالله بعقد اتفاق مسبق) لأنه إذا ظهرت اية اتفاقية من هذا النوع الى العلن فستؤدي الى تدمير الفرصة المتاحة لفرض تسوية سلمية ضمن هذه الخطوط . وصادق بيفين في اجابته على افكار كيركبرايد . ووفقا لوزير الخارجية ، فان أضرار أي اتفاق لتقسيم فلسطين بين اليهود وعبدالله تنطوي على ما يلي :

أ - سوف يؤدي تدفق المهاجرين اليهود الى ظهور دوافع توسعية قد تتسبب إن عاجلا او أجلا في وقوع احتكاك بين الدولة اليهودية والدول العربية المجاورة يعني بين اسرائيل والاردن حول المناطق العربية المحتلة من قبل الاردن .

ب - بعض الدول العربية ،ان لم تكن كلها ، ستقف بعنف ضد الملك عبدالله . ولكن هذا الامر سيصب في صالحنا لانه سيجعله اكثر اعتمادا علينا .

ج - سوف يظهر الامر وكأننا نحن الذين خططنا كل هذا الامر واننا اخلينا فلسطين من اجل تأمين احتياجاتنا العسكرية هناك (يعني ، في المناطق العربية المحتلة من قبل الاردن) .

لكن اضرار التقسيم كما عتقد بيفين كانت توازنها حجج كيركبرايد . وذلك على ضوء المعاهدة الانجليزية - الشرق اردنية : أمام احتمال المحافظة على تسهيلاتنا الاستراتيجية فوق جزء واسع من فلسطين يشمل منفذا على البحر المتوسط ، وايضا امام امكانية اعتبار هذا المخطط الطريقة الوحيدة لتجني اراقة دماء كثيرة في فلسطين عند انسحابنا (على افتراض ان الملك عبدالله يمكن ان يصل الى اتفاق مسبق مع اليهود قبل دخول فلسطين) . الا أننا ، أضاف بيفين يجب ان نكون حذرين بداية الى ابعد حد كي

لا نرتبط بمخطط مثل هذا ، لأن من شأنه ان يعزز المعارضة من العرب واليهود المتطرفين . ربما يتوجب علينا أن نكون قادرين على ان نظهر موافقة متحفظة لفكرة القيام بترتيب معين بين عبد الله واليهود فيما يتعلق بالانذارات الموجهة له حول الفيلق العربي وضمن الخطوط التي حددت اعلاه) .

كان بيفين يشير هنا الى امكانية تورط الفيلق العربي باعمال عدائية في فلسطين مما يؤدي الى تزايد الضغط العالمي على بريطانيا لوقف الدعم عن شرق الاردن وسحب الضباط الانجليز .

أوصى بيفن بأن يبلغ عبدالله بما يلي :

(اذا عاد الفيلق العربي الى فلسطين بعد انتهاء ادارتنا المدنية فيها ، وتورط في اعمال عدائية ، فسوف يضعنا هذا تحت ضغط شديد لايقاف جميع الدفعات الى شرق الاردن وسحب الضباط الانجليز ، مع تواصل الاعمال العدائية . . بناء عليه فاننا نأمل بجد أنه في حالة اضطراره للتدخل . . فان عليه فعل ذلك بطريقة لا تجعله يتورط في اعمال عدائية) .

وكان ان طلب من كيركبرايد بان يقوم باطلاع عبدالله على محتوى وتوقيت هذا البيان المقترح . وكذلك معرفة فيما اذا كان مطمح عبدالله في سوريا الكبرى سيزيد ام سينقص اذا سُمح له بتوسيع سيطرته على فلسطين .(بقي الوايتهول حذرا الى ابعد حد بشأن طموح عبدالله في سوريا الكبرى) كانت اشارات برووز وكيركبرايد فيما يتعلق بالاتصالات الهاشمية - اليهودية تقوم على اسس ثابتة ، وكان من الصعب التصديق فعلا بأن كيركبرايد (وغلوب) لم يكونا مطلعين على خلاصة ومدى هذه الاتصالات في الوقت المناسب - بالرغم من ان تردد كيركبرايد في نقل الصورة الكاملة الى الوايتهول كان يجد تفهما . واشار برووز : «لقد كان مفهوما ان أي تسريب سابق لاوانه لاخبار اتفاق بين الهاشميين واليهود سيقذف بالاتفاق خارج الماء» . وقد يكون كيركبرايد فضل الاحتفاظ بمعلومة محددة لبعض الوقت ايضا .

وبدون شك ، كان كيركبرايد مطلعا على لقاءات اليهود - الهاشميين . وعلى مبادئ اتفاقية تموز - آب ١٩٤٦ . وعندما كانت الجمعية العامة للامم المتحدة على وشك تبني قرار التقسيم ،كانت المفاوضات الاردنية - اليهودية قد وصلت الى مرحلة التنقيح وانهاء النقاط المتعلقة باشارات الحدود . وقد وصلت المفاوضات الى ذروتها في اللقاء السري

الذي تم يوم ١٩٤٧/١١/١٧ بين جولدا مايرسون (مائير) نائبة مدير الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية مصحوبة بمساعدين هما ساسون وعزرا دانين ،والملك عبدالله في مستوطنة نهارابيم (جسر المجامع) على نهر الاردن .

وذكر ساسون بأن عبدالله ابلغه بأنه لن يسمح لقواته بالتصادم معنا ، كما لن يسمح لها بالتعاون مع اية قوة اخرى ضدنا وانه اذا ارسل الفيلق العربي الى الداخل ، فسيحدد عمله في المنطقة العربية ، فقط لمنع اراقة الدماء والمحافظة على النظام والقانون وقمع رجال المفتي . (كان مستعد للتعاون معنا في هذه المسألة) وكان عبدالله على استعداد لأن يوقع معنا على اتفاقية مكتوبة على شرط أن ندعمه في ضم القسم العربي من فلسطين الى شرق الاردن .

وقد ردت عليه مائير بالقول : « اننا جاهزون لتقديم اية مساعدة ضمن اطار الامم المتحدة » .

وكالعادة طلب عبدالله اعتمادات مالية اضافية من الوكالة اليهودية . كان وصف ساسون المذكور اعلاه للاجتماع مختصرا وشديد الايجاز للاحداث - وقد اغفل اساسا ذكر الجانب اليهودي للمحادثات .

واسهب دانين في تقرير منفصل ومؤلف من ثلاث صفحات في وصف المحادثات . فوصف دهشة عبدالله (لا نقول خوفا او خيبة امل) لوجود امرأة على رأس وفد الوكالة اليهودية في الاجتماع (كان وجود امرأة تشارك في حوار سياسي بالنسبة للبدو العرب أمر لا يتصوره العقل إن لم يكن مخجلا او عائبا) وبعد تبادل قصير للحديث بهذا الشأن قال عبدالله بأنه ابلغ القادة العرب بأن اهتمامه ينصب على السلام وليس على الحرب . وابلغ مايرسون ومساعديها بأن اليهود اقوياء وانه من الضروري التوصل الى تفاهم معكم . واضاف بأنه لا يوجد تضارب بينكم شخصيا وبين العرب . . واي تعارض بيننا هو ضار لكلينا معا . لقد تكلمنا في السابق حول التقسيم ، وانا مستعد لقبول أي تقسيم لا يتسبب في احراجي امام عيون العالم العربي عندما اضطر للدفاع عنه . وقد قصد عبد الله بان الدولة اليهودية التي ستنبثق عن هذا التقسيم يجب ان لا تكون كبيرة . واقترح عبد الله بعد ذلك اقامة «جمهورية يهودية» فوق جزء من فلسطين تكون ضمن دولة شرق الأردن التي سوف تشمل جانبي الاردن معا تحت قيادته في ظل سلطات اقتصادية وعسكرية وتشريعية مشتركة . وفي حال وافق اليهود فان منطقتهم يمكن ان

تتوسع . وردت مائير بأن التقسيم هو الآن قيد البحث في الامم المتحدة ونرجو بأن يتم اقراره لصالح انشاء دولتين : واحدة يهودية والاخرى عربية ، كما نود ان نبحث اتفاقية تقوم على هذه القاعدة . اجاب عبدالله بأنه يتفهم الامر معترفا على مضض بأن اليهود يرغبون على الاصح بدولة كاملة وليس «جمهورية» متمتعة بالحكم الذاتي تحت حكم الهاشميين .

حينها اختصر عبدالله الطريق متسائلاً ماذا سيكون موقف اليهود في حال قيامه بالاستيلاء على القسم العربي من (فلسطين ؟) .

اجاب المسؤولون اليهود ان ذلك قد يكون مستحسنا خاصة إذا لم تقم باعاقتنا في بناء دولتنا او تتسبب بتصادم بين قواتنا وقواتك (يعني ، عبد الله) .كذلك اذا كانت هذه العملية مصحوبة باعلان يشير الى ان الاستيلاء كان بهدف الحفاظ على الامن والنظام ، ريثما تنجح الامم المتحدة في اقامة حكومة في ذلك القسم (يعني ، القسم العربي من فلسطين) وكان هذا البند يعني ضمنيا بأن حكومة عربية فلسطينية مؤقتة سوف تتشكل بعد احتلال شرق اردني مؤقت للمناطق العربية من فلسطين .ولم يكن هذا مطابقا لما كان يفكر فيه عبد الله ، لذلك احتج قائلاً : (بان اهتمامه بالقسم العربي كان من اجل ضمه الى دولته وانه لا يريد خلق دولة عربية جديدة لأن هذا سيعرقل خططه) . . كما رفض اقتراح المسؤولين اليهود بأن يدرس اقامة مثل هذه السلطة من خلال استفتاء شعبي ، وعندما تحولت المناقشة باتجاه فكرة ادخال قوة دولية الى فلسطين ، اقترح عبدالله بأن تكون مهام هذه القوة محددة بحفظ الأمن على الحدود الفلسطينية السورية والفلسطينية اللبنانية وليس على التخوم الفلسطينية العربية - اليهودية وشرق الاردن .

ووعد عبدالله بالامتناع عن المشاركة في أية خطة عربية لمهاجمة الدولة اليهودية (زاعما بأن الوضع والظروف لا تسوغ ولا تستلزم شن حرب بل الوصول الى تفاهم حل وسط) .

وقال عبدالله ان موقف بريطانيا من خططه المقترحة ليس واضحا اذ انه لم تجر مناقشات بهذا الصدد مما تركه في حيرة حول تفسير هذا الصمت . (تصديقاً لكلمته فان كيركبرايد وحتى هذه اللحظة لم ينقل للملك تأييده او تأييد حكومة صاحب الجلالة لنية الاردن بسط سيطرته على الاجزاء العربية من فلسطين) . ووفقا لدانين ، فقد ظهر عبدالله ، وعلى عكس اللقاءات السابقة ، متحمسا ونشيطا . وأراد أن يوقع على اتفاقية

مكتوبة ، كما طلب من المسؤول اليهـودي تحضير مسودة بهذا الشأن . ولكنـه اضاف بأن المناقشات العملية الاكثر تفصيلا يمكنها ان تنتظر الى ما بعد تصـويت الجمعية العامـة للامم المتحـدة على مقـترحـات اللجنة الخاصـة للامم المتحـدة على فلسطين (اليونسكوب) . وخلال الاشهر اللاحقة كان المسؤولون الصهاينة يرجعون مرة تلو المرة الى ما تم التفاوض عليه وما تم اقراره في السابع عشر من تشرين الثاني في الميثاق الموقع بين الهاشميين والوكالة اليهودية حتى أن يعقوب شيموني المسؤول - الرفيع في القسم السيـاسي بالوكـالة ، كـان يرجع الى اتفـاقيـة عبـدالله - الوكـالة اليـهـودية حتى يوم ١٩٤٨/٥/١٣ دون ان يسأل فيـما لو كانت ما تزال نافذة المفعول . كما صرحت جولدا مايئر في التقرير الذي قدمته حول اجتماعها الثاني مع عبدالله : (حدث ذلك في ١٩٤٨/٥/١٠) لقد اختتمنا الاجتماع الاول في ١٩٤٧/١١/١٧ على اساس وجود ترتيب وتفاهم بيننا حول ما اراد وما اردنا وحول عدم تعارض مصالحنا) . واضافت انها ابلغت عبدالله (بان اليـهود لا يمكنهم أن يعدوا بتقديم مساعدة في حال دخول عبدالله الى فلسطين لانهم مقيدون بقرار الامم المتحدة (المستقبلي) وهو اقامة دولتين في فلسطين : "وقلنا إننا لا نستطيع المساهمـة في انتهـاك هذا القرار . ولكنه اذا رغب ،رغم ذلك ان يمضي قدما ويجابه العالم ويجابهنا «بامر واقع» - فان تقليد الصداقة بيننا سوف يستمر وسوف نجد بالتأكيد لغة مشتركة بشأن ترتيب (يعني حماية) مصالحنا المشتركة . وواصلت جولدا مائير قائلة : (بأن عبدالله قد اعطى وعدا بأنه لن يكون هناك أي تصادم بين قواته وقوات اليـهود) . ومع ذلك فقد ابدت انزعاجها من نقطتين برزتا خلال الاجتماع الأول :

أ - مقترح عبدالله بأن يعمل اليهود على الاكتفاء بأقل سيادة كاملة : يعني «جمهورية» ضمن مملكة هاشمية ممتدة .

ب - وان يكون الكيان اليهودي الناشيء ذو حجم لا يتسبب في احراجه (يعني ذلك ضمنيا ان تكون حصة الدولة اليهودية من الارض اقل من تلك التي حددتها الجمعية العامة للامم المتحدة) .

لكن الوصف المعاصر الذي ذكره دانين وثم ساسون بالنسبة لما رشح عن اجتماع ١٩٤٧/١١/١٧ ، يترك الى حد ما انطباعا اكثر غموضا من ذلك الذي نقلته جولدا مائير بعد ستة اشهر من ذلك التاريخ .

وليكن من المؤكد ان عبدالله قد اعلن تكرارا وبصراحة عن رغبته في بسط سيادة شرق الاردن على الاجزاء العربية من فلسطين . وعاهد نفسه بعدم الاعتداء على المناطق اليهودية ، وعدم المشاركة في أي تفكير عدواني لاي تحالف عربي . - لكنه لم يقدم اعترافا صريحا بدولة يهودية كاملة في تلك المناطق . كما أن ممثلي اليهود كانوا اقل استعداداً للمساعدة واكثر حذرا وقد احجموا عن تبني فكرة استيلاء قوات شرق الاردن على الاجزاء العربية من فلسطين ، فكيف اذا وصل الامر الى حد ضمها الى شرق الاردن .

وللحقيقة ، فانهم كما اشار عبدالله الى سيطرة عسكرية محتملة على اجزاء فلسطين العربية كانوا يعودون الى الاشارة بصراحة بأن ذلك يجب أن تتبعه اقامة حكومة من الفلسطينيين ، وعلاوة على ذلك فقد اقترح مندوبوا الوكالة اليهودية بأن يتولى شرق الاردن هذه القضية من خلال اجراء استفتاء وليس من خلال احتلال عسكري .

وقد بدا أن ممثلي الوكالة كانوا مصممين على ترك مستقبل المناطق العربية واي تفاهم بشأنه ضبابيا قدر الامكان من اجل ابقاء الباب مفتوحا امام احتلال صهيوني لبعضها او كلها . (أو - على اقل احتمال - لترك الامكانية مفتوحة من أجل عقد صفقة آخر دقيقة بين اليهود والفلسطينيين) فقد كانت اطماع الحرب والتوسع الاقليمي تداعب اذهان الصهاينة تماما كما تداعب ذهن عبدالله ايضاً . ليكن ما يكون ، ففي حين كان هناك تبادل للعديد من الرسائل لم يتم عقد أي اجتماع بين عبدالله والممثلين اليهود للمتابعة في الاسابيع والاشهر التي تلت التاسع والعشرين من تشرين ثاني ١٩٤٧ ، وهو تاريخ تصديق الجمعية العامة للامم المتحدة على قرار التقسيم - وكان الاجتماع الاخير بين مائير وعبدالله قد انتهى في ١٩٤٨/٥/١٠ . لماذا لم يعقد مثل هذا الاجتماع الذي تم اقراره في حوار جرى يوم ١٩٤٧/١١/١٧ ؟ الجواب غير واضح تماماً رغم ان ذلك يعود بشكل كبير الى تسارع عجلة العنف اللاهثة للاحداث في فلسطين . وفي كلمتها أمام الادارة الجماهيرية يوم ١٩٤٨/٥/١٢ ، ذكرت مائير بأنه خلال الفترة الفاصلة بين ١٩٤٧/١١/١٧ و ١٩٤٨/٥/١٠ تم تبادل اقتراح باسم عبدالله يقضي بالتنازل عن بعض الاراضي التي خصصت للدولة اليهودية في قرار التقسيم من أجل إظهار عبدالله امام العالم العربي ، بأنه هو الذي انتزع هذا التنازل وهذه المنطقة الاضافية لصالح العرب ، لكن الوكالة اليهودية - كما روت مائير - رفضت الفكرة تماماً مؤكدة بأن أي حدود مقررة

دوليا هي حدود نهائية وعلى الطرفين أن يقوما باحترامها .أمّا إذا وصلت الامور الى حد القتال ، فان الطرف الاقوى هو الذي ينتزع ما يستطيع من الارض .

وفي ١٩٤٧/١١/١٧ ، يوم الاجتماع الاول بين عبدالله ومائير ، بعث كيركبرايد البرقية التالية الى لندن :

(اني أؤكد ان الاتفاقية الرسمية السابقة بين الملك عبدالله واليهود (حول تقاسم فلسطين(، قد تشكل خطرا بسبب استحالة الحفاظ على سيرتها وقد تصبح هدفا لغضب الدول العربية الاخرى ضد الملك ، كما انها قد تعزل عرب فلسطين . ومن الصعب في اية حال ان يتم توقيعها في الوقت المتوفر . ولاغراض الدعاية (تبرير) يجب ان تُظهر تدخل شرق الاردن في فلسطين على انه انقاذ للعرب من هجوم يهودي محتمل إضافة الى الحفاظ على النظام) .

لقد ظهرت مؤشرات عديدة في الصحافة اليهودية مؤخراً توحي بأن استيلاء عبدالله على المناطق العربية من فلسطين لن يلقى عدم الترحيب من قبل الوكالة اليهودية . كما أن أي اتفاقية رسمية توقع بين الطرفين بعد أن يكون شرقي الاردن قد بسط سيطرته على المناطق العربية ستكون مرغوبة ومقبولة ضمن هذا المسار .

كان وضع غلوب متطابقا ، ففي مذكرة تقع في خمسة عشر صفحة كتبها بشهر كانون الاول ١٩٤٧ ، دافع غلوب عن ضم القسم العربي الجنوبي من فلسطين الى شرق الاردن (ويعني بها يهودا والنقب) . . بصفته الحل المثالي لضمان مصالح بريطانيا وشرق الاردن .

وفي ١٩٤٧/١١/٢٩ ، صادقت الجمعية العامة للامم المتحدة على جوهر توصيات لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين (اليونسكوب) بتصويت ٣٣ دولة مع التقسيم و١٣ دولة ضد التقسيم وامتناع ١٠ دول عن التصويت ، وجاء القرار لصالح تقسيم فلسطين الى دولتين : واحدة يهودية والاخرى عربية فلسطينية ، على أن توضع مدينتي بيت لحم والقدس وما يحيط بهما مباشرة تحت ادارة دولية . ولكن الهيئة العربية العليا ضمن صحوة الدول العربية ، رفضت الحل واعلنت بأن الفلسطينيين وبدعم من الدول العربية سيقاومون انشاء الدولة اليهودية .

وفي الثلاثين من تشرين ، كمن قناصة مسلحون من العرب للباصات اليهودية في

شرق تل ابيب وراحوا يطلقون النار على عابري السبيل من اليهود من مواقعهم في يافا . واندلعت التظاهرات ضد اليهود في القدس واعلن الحسيني اضرابا شاملا لثلاثة ايام تالية . وامتد العنف خلال الاسابيع والاشهر اللاحقة . وفي كل مكان من البلاد ، هاجم العرب السيارات اليهودية والمستوطنين والاحياء المدنية ، في حين ردت المليشيات اليهودية والتي شكلت منظمة الهاجانا رأس حربتها على تلك الهجمات . . وقامت بعدة تفجيرات مدمرة في المدن العربية ، وساعد ذلك على انتشار الصراع الى مناطق لم يصلها من قبل . وفيما كانت الادارة المدنية والعسكرية الانجليزية تحزم حقائبها استعدادا للمغادرة ، اخذت البلاد تنزلق الى حرب اهلية شاملة . وخلال السباق الذي جرى قبل التصويت في الامم المتحدة ،لاحظ غلوب وعلى نحو مطابق للحقيقة بأن الصهيونية قد انهمكت بشكل مسعور في السعي لمحاولة كسب التأييد ، فيما ظل العرب متراخين ينتظرون تحقيق نصر هين دون بذل جهد . ولعل احد الاسباب التي ادت الى نجاح الصهاينة ، كان أن روسيا وامريكا ولأول مرة عملتا يدا بيد . ووفقا لغلوب ، فانه لمن المشكوك فيه أن تكون روسيا وامريكا قد عملتا انطلاقاً من دوافع مثالية . إذ أن الروس كانوا مهتمين بأي شيء يمكن أن يسيء الى الغرب ويشوه سمعته في الشرق الاوسط ، وخاصة بريطانيا . فيما عمل الامريكان انطلاقا من اعتبارات سياسية داخلية . وببساطة فقد ركز البيت الابيض نظره على اصوات اليهود في الانتخابات الرئاسية (التي كانت وشيكة الحصول في تشرين الثاني ١٩٤٨) .

واضاف غلوب (وعلى خطأ هذه المرة) بان جميع دول اسيا وافريقيا قد صوتت ضد التقسيم فيما عدا الفلبين وجنوب افريقيا وليبيريا . لكنه اغفل الاشارة الى ان احدا من الانظمة الديمقراطية الغربية لم يصوت ضد اسرائيل . وان الاغلبية صوتت لصالحها (فيما امتنعت بريطانيا نفسها عن التصويت) .

وفي حين كان غلوب انتقاديا للطريقة التي تم بها تمرير القرار إلا انه وجه اكثر نقده لمحتوى القرار نفسه . فقد اعتبره جائرا بشكل صارخ :

كان قرارا منحازا بصورة غير عادلة لصالح اليهود . فقد اعطى مساحة ٦٠٪ من اراضي فلسطين الى ثلث السكان .

وكان الظلم الاكبر في خطة الامم المتحدة لقرار التقسيم هو الحكم باعطاء

(النقب) . . لليهود . فقد كانت الغالبية العظمى من سكان هذه المنطقة من العرب ، كما أن النقب كان دائما عربيا عبر التاريخ .

(ومن المثير للدهشة أن غلوب كان يشاطر بن غوريون في تعلقه الخاص بالنقب رغم اختلاف الاسباب) . علاوة على ذلك فقد كان اليهود يملكون (٦٪) فقط من اراضي فلسطين - وقد تم تخصيصهم باكثر بقاعها خصوبة في السهل الساحلي ووادي جزريل ووادي الاردن . كما أن الحاق النقب باسرائيل يعني وضع عائق في وجه واحدة من اقدم الطرق التجارية في العالم ، إضافة الى شق العالم العربي الى اثنين ، كما ناقش غلوب .

ادى الاقرار بحل التقسيم الى جعل توقيع معاهدة شرق اردنية - بريطانية فيما يتعلق بطريقة عمل عمان مستقبلا ، امرا ملحا لا سبيل الى تجنبه ، ولم يكن قد مضى بعد على انسحاب بريطانيا من فلسطين واعلان اليهود عن اقامة الدولة سوى اشهر ، واصبح من الضروري ان يتم التوصل الى اتفاقية تقضي بتحرك جيش شرق الاردن - بقيادة غلوب - بدعم سياسي بريطاني ولو صامت على الاقل . وكان غلوب يرغب في التأكد من وصول المساعدة المالية العسكرية الانجليزية ومن قدرة الكادر الانجليزي في الفيلق . وبالفعل فان أي عملية مقترحة تتطلب تمويلاً بريطانيا اضافيا من الاموال والمعدات من اجل ابقاء الفيلق وبشكل اساسي في ذروة قوته وجاهزيته لاحتلال المنطقة المعروفة اليوم بالضفة الغربية ،فقد يضطر الفيلق الى التورط في اعمال عدائية ضد السكان العرب المحليين ، او القوات اليهودية ، او حتى ضد جيوش دول عربية اخرى . لأن الوضع كان في غاية التفجر والغموض . اضف الى ذلك وجود نقص في وضوح الرؤيا ، فقد كان الموقف العربي الداخلي مائعا ، وكان عبدالله بحاجة الى تجنب نبذه من قبل زملائه القادة الذين كانوا يتوجسون الحذر من طموحاته التوسعية ومن علاقاته المريبة مع بريطانيا والصهاينة . وفي وقت مبكر من شهر كانون الاول ١٩٤٧ ، ابلغ عبدالله كيركبرايد بانه عازم على ابلاغ الاعضاء الآخرين في الجامعة العربية بخططه لبسط سيطرته على المناطق العربية من فلسطين عند مغادرة بريطانيا ، وقد شعر كيركبرايد بان مثل هذه الخطوة المقترحة قد تكون ضارة وسابقة لأوانها ، ونصح الملك بأن يستمر في مناورة الدول العربية الاخرى مع المحافظة على اخفاء نواياه الى ان يصبح الوقت مناسباً . واضاف أن عبدالله ابدى ارتياحه لمثل هذا التوقع باعتباره نوعا من الارشاد البريطاني فيما يتعلق بهذه المسألة . ويرجع هذا النقص في الوضوح ، عدا عن ميوعة جغرافية

الوضع السياسي - الى عدم وضوح اتجاهات تفكير عبدالله ونواياه وتقلبها . وقد تجلى عدم الوضوح هذا في تعليمات بيفين التي بعث بها الى كيركبرايد في اواسط شهر كانون الاول ١٩٤٧ والتي تتعلق بالانتشار المستقبلي للجيش العربي . فقد ورد في تعليمات بيفين أن على وحدات الفيلق المعارة للانتداب والتي تقوم بحماية القواعد البريطانية وحراسة الطرقات في فلسطين - أن تعود الى شرق الاردن بعد انتهاء الحكم البريطاني وانسحاب القوات البريطانية . وحيث ان المعونة البريطانية للفيلق كانت مرتبطة رسميا بالخدمات التي يقدمها هذا الفيلق لمصلحة حكومة الانتداب ، إذن ماذا سيكون مصير هذا الدعم عندما تعود وحداته الى الاردن بعد انسحاب بريطانيا من فلسطين ؟ هل يمكن لدوائر الوايتهول - وزارة الخارجية ، ووزارة المالية ووزارة المستعمرات في ١٠ داوننج ستريت - أن توافق على استمرار الدعم ،رغم ان الفيلق لم يعد يخدم المصالح البريطانية وسلطاتها بصورة مباشرة ؟ وكيف يمكن أن يبدو الامر أمام - الصهاينة والامريكيين والامم المتحدة - اذا استمرت بريطانيا في تمويل الفيلق من اجل غزو فلسطين في انتهاك وتحد لحل التقسيم الذي قررته الامم المتحدة ؟ واضاف بيفين : (كان الوايتهول ينظر في المسألة ولكنه طلب من كيركبرايد أن يستخدم كلام المراوغة مع الاردن) :

اذا سألك الملك عبد الله : ماذا سيكون موقفنا بعد انتهاء الادارة المدنية في فلسطين ، في حالة عودة الفيلق العربي الى هناك وتورطه في اعمال عدائية فبامكانك أن تجيبه : بأننا رغم توقع ازدياد الضغط علينا من اجل ايقاف جميع الدفعات الى شرق الاردن وسحب الضباط الانجليز في ظل استمرار النزاعات الا أننا سنرجئ التفكير في هذه المسألة لحين اتخاذ قرار بشأنها في ضوء الظروف التي ستنشأ في حينها . كان القلق البريطاني كبيرا امام رد الفعل المحتمل من قبل الدول العربية الاخرى لأي احتلال عسكري لفلسطين العربية ، وقد اعطيت تعليمات الى جميع البعثات البريطانية في الشرق الاوسط بأن تستشف وجهات نظر الحكومات التي تستضيفها وكانت الاجابات ابعد ما تكون عن المشجعة ، فرئيس وزراء العراق ورئيس وزراء لبنان رياض الصلح أرادا أن تقوم شرق الاردن باحتلال كامل فلسطين بما فيها المناطق اليهودية ، فيما ابدت سوريا عدم رغبتها باحتلال أي جزء من فلسطين من قبل القوات الاردنية وحدها ، اما مصر فصرحت بأنها ستعامل أي اندفاع لشرق الاردن باتجاه داخل فلسطين العربية على انه

ضرب من ضروب «التوسع الهاشمي» . ولكنها تحبذ بسط سيطرة الجيش الاردني على كامل فلسطين . وجاء الانتقاد الاشد من العربية السعودية : فقد صرح ابن سعود بأنه سيعتبر أي محاولة من جانب الملك عبد الله لاحتلال أي جزء من فلسطين . . . دون موافقة الجامعة العربية .بمثابة خيانة غير مبرره .وبالنسبة للعرب الفلسطينيين فقد يبدون ترحيبهم بتدخل اردني - وعلى وجه الخصوص إذا غطى كامل البلاد .

باختصار ، فقد بدا أن العالم العربي سيبدي ترحيبه باحتلال الجيش الاردني لكامل فلسطين ، ولكنه سينظر بسلبية في حالة قيام الاردن فقط باحتلال الاجزاء العربية من فلسطين التي خصها التقسيم .

وفي غضون ذلك ، وعلى خلفية تصاعد العنف بين العرب واليهود في فلسطين وتراخي بريطانيا وترددها (بالنسبة لدخول الفيلق الى فلسطين) . بدأ قلق عبد الله بالتزايد . ولدى اجتماعه مع كيركبرايد في اواسط شهر كانون الثاني ١٩٤٨ ، (مصحوبا برئيس الوزراء ووزير الدفاع المعين حديثا توفيق ابو الهدى) اقترح الملك بكل بساطة أن تبقى وحدات الفيلق العربي المتمركزة في فلسطين في اماكنها عندما ينسحب البريطانيون . كما اقترح بأن يتم ارسال وحدات اضافية من الجيش العربي بالتبادل الى فلسطين ،لكن ليس تحت قيادة القائد العام للانتداب البريطاني . إلا أن كيركبرايد صدَّ هذه الافكار بحدّه ،مبينا أن رجال الفيلق قد دخلوا البلاد كجزء من قوات الانتداب . ولا تستطيع بريطانيا تركهم وراءها عندما تنسحب قواتها . (يقول كيركبرايد ان ابو الهدى وافقني في هذه النقطة) .كما انها لا تستطيع ان توافق على تواجد وحدات قتالية ليست تحت قيادتها في فلسطين - خصوصا مع ظهور حقيقة ان اغلبية حالات العنف الواقعة في فلسطين هي من صنع العرب . وقد احتج عبد الله في احدى المناقشات قائلاً بأنه لا يستطيع بأية حال الموافقة على اعطاء الدولة اليهودية منفذا على خليج العقبة لانها بهذا تقطع شرق الاردن عن مصر . ولكن كيركبرايد اعترض بقوة قائلاً بأن هذا أمر قد قررته الامم المتحدة وليس من ضمن اختصاصه التعليق عليه . وانصبت جهود عبد الله على محاولة استشفاف الموقف البريطاني من خلال كير كبرايد ، فراح يحثه على طلب تفسيرات من بيفين ولكن بيفين لم يكن جاهزا للسير معه ، فقام بتفويض كيركبرايد لنقل رسالة شفهيه الى عبدالله هذا نصها :

« نحن ندرك أن ما يريد الملك عبدالله معرفته حقيقة : هو ما إذا كنا نعتقد بامكانية

تدخله في فلسطين على نحو متعارض مع قرارات الجامعة العربية وما إذا كان باستطاعتنا حمايته في الامم المتحدة باستخدامنا حق النقض إذا وصلت المسألة امام مجلس الأمن . نحن نشعر بأنه ليس في استطاعتنا تشجيعه على التصرف منفردا (هذا المقطع غير واضح) . . واخشى ان يكون هذا هو افضل ما نستطيع عمله) .

واضاف بيفين لمعلومات كيركبرايد ما يلي :

أمُلت بريطانيا أن يتم :

أ - تحجيم الاضطرابات في فلسطين وانهاؤها باسرع ما يمكن .

ب - عدم الوصول الى وضع يضطر بريطانيا الى استخدام حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن .

ج - عدم قيام الملك عبدالله بعمل يمكن ان يتسبب بعزله عن الدول العربية الاخرى لأن هذا سيكون باعثا على اتهامنا باستخدامه لهندسة عودة دخولنا الى فلسطين . . وبقدر ما نستطيع أن نرى حاليا فإن بالامكان تنفيذ النقاط (أ) ، (ب) المذكور اعلاه .

واذا قام الملك عبدالله . . باحتلال المناطق العربية من فلسطين واحجم عن ارسال الجيش العربي الى المناطق التي خصصت للدولة اليهودية عن طريق الامم المتحدة . فان هذا لن يساعد على تنفيذ البند (ج) المذكور اعلاه . ولعل من الصعب في الوقت الحاضر التفكير بطريقة يتم فيها تنفيذ المطالب الثلاثة جميعها .

وفي ١٩٤٨/١/١٧ قام كيركبرايد بنقل رسالة شفهية من بيفين الى عبدالله . وكان عبدالله قد ابدى ابتهاجه بذلك . . وخاصة حين شعر انه ليس ممنوعا من التحرك (في نهاية الانتداب) الى داخل فلسطين . . على الرغم من أن بيفين ظل غامضا في مصادقته على هذه الفكرة .

وكان هذا الغموض في المصادقة على اندفاع شرق الاردن الى داخل فلسطين هو الذي دفع غلوب بالاساس وبدعم من كيركبرايد على السفر الى لندن في نهاية كانون الاول ١٩٤٧ واوائل كانون الثاني ١٩٤٧ على رأس وفد رفيع من شرق الاردن : وكان الهدف الرسمي والظاهر للزيارة هو التفاوض على سلسلة من التنقيحات على المعاهدة الانجلو - شرق اردنية لعام ١٩٤٦ والتي تعنى شروطها الرئيسية بمساعدة بريطانيا للمملكة في حال الهجوم عليها . وقد سعى وفد شرق الاردن لاجراء تعديل على بعض

شروط المعاهدة مما يتيح زيادة في درجة الاستقلال عن بريطانيا ،أما بالنسبة لغلوب وكيركبرايد وعبدالله فكان الاهم هو الحصول من بيفين ومن صانعي القرارات السياسية البريطانيين على تأييد لدخول الفيلق الى فلسطين .

وقد وافقت بريطانيا في النهاية على الزيارة . وقام الوفد الاردني برئاسة ابو الهدى (الذي وصفه غلوب ذات مرة بالرجل الصغير الهادئ ، الأنيق والمنهجي والذي امضى حياته يعمل كفاحص حسابات قانوني .

(قليل من الرجال يستطيعون السيطرة على هذه العواصف التي تجتاح عالماً ينزلق نحو الفوضى) . وكان من ضمن الوفد فوزي باشا الملقي وزير الخارجية وغلوب ، وحط الوفد في لندن مصحوبا ببيري غوردن في ١/٢٥ . وبدأت اللقاءات مع المسؤولين الانجليز في اليوم التالي .

وفي ١٩٤٨/١/٣٠ التقى غلوب باللواء سي . دي باكارد مدير الاستخبارات العسكرية ، وبعد شهر لخص باكارد المحادثات بما يلي :

. . . لقد اوضح غلوب بأنه من غير المحتمل ان يتخطى الملك عبدالله الحدود اليهودية . . وان اهداف قوة الغزو الرئيسية هي بئر السبع ، الخليل ، رام الله ، نابلس وجنين مع تقدم محدود في طولكرم والمنطقة الواقعة جنوب اللد فقط (يعني جميع المناطق المخصصة للسيادة العربية الفلسطينية بموجب حل الامم المتحدة) .

وليس لدى الملك عبدالله أي نية للدخول في نزاع مع اليهود . .

كما ان القدس طبعا لن تنتهك حرمتها (يعني ان الفيلق العربي لن يستولي عليها لأنها صممت كمنطقة دولية) . . (اما بالنسبة لطموح عبدالله القديم بالسيطرة على سوريا الكبرى) فان اخضاع فلسطين لحكمه قد يعوضِّه عن تلك الطموحات واكثر . . كان رأي غلوب الشخصي ان التكتيكات الصحيحة للعرب هي الوقوف بثبات على الحدود اليهودية وعدم السماح بأي تسلل عبر تلك الحدود . ولكنه كان يخشى ان لا يكون لدى العرب (يعني الدول العربية الاخرى) القدرة على تسيير مثل هذا الاقتراح . . وقاده اطلاعه الى الظن بأن التكتيكات اليهودية لن تستطيع ان تفعل شيئا الا إذا استفزها احد ، وقد تكون ردودهم اقرب الى الردود النازية ، أي أنه اذا قتل يهودي واحد يقومون مقابه بصلب عشرة من العرب واطلاق النار عليهم . وقد ذهب بعض (اليهود) الى ما هو ابعد من ذلك حين قالوا انه يجب ابادة جميع رجال ونساء واطفال القرى وتدمير

اراضيهم ، وهذا على ظن العميد غلوب قد يكون الحل اليهودي ، كما ان العرب أبدوا بعض الضيق منهم . ولكن إذا وصل الوضع الى ما اشار اليه فقد تقع هناك (بنغال اخرى) مع فرار مجموعات كبيرة من اليهود والعرب كل الى مناطقه الخاصة . لكن الاجتماعات الرئيسية تمت في وزارة الخارجية بين ابو الهدى ومسؤولي الوزارة . ويروي غلوب في مذكراته التي كتبت بعد نحو تسع سنوات من الواقعة حول الاجتماع الرئيسي بين ابو الهدى ووزير الخارجية بيفين بحضور غلوب (كمترجم رسمي) فيقول : في السابع من شباط وفي غرفة تطل على موكب حرس الخيالة وعلى الاشجار السوداء العارية في حديقة سانت جيمس ، افتتح ابو الهدى عرض القضية بتصريح قال فيه : ان العرب في فلسطين غير مهيئين عسكريا وسياسيا لأن يكوِّنوا دولة والارجح هو ما يلي :

« قد يتجاهل اليهود خطة الامم المتحدة للتقسيم ويقوموا باحتلال كامل فلسطين حتى نهر الاردن ، او قد يعود المفتي ويحاول تنصيب نفسه حاكما لفلسطين العربية ، ان أي من هذه الخيارات لا يصب في صالح بريطانيا ولا شرق الاردن . . وقد وصلت الى الملك عبدالله خلال الاسابيع الاخيرة ، ولا يزال يصل العديد من الطلبات والعرائض من وجهاء عرب فلسطين . . يناشدونه فيها حماية الجيش العربي حال انسحاب القوات البريطانية . وبناء عليه ، اقترحت حكومة شرق الاردن ارسال الجيش العربي عبر نهر الاردن حال انتهاء الانتداب البريطاني . واحتلال ذلك الجزء من فلسطين الذي اعطي للعرب والمحاذي لحدود شرق الاردن» .

* رد بيفين : «يبدو أن هذا هو الشيء الواضح للتنفيذ . . يبدو انه الشيء الواضح للتنفيذ . . لكن لا تقوموا بغزو المناطق التي اعطيت لليهود» .
* ابو الهدى : نحن لا نملك القوة لفعل ذلك حتى لو كنا نرغب فيه .

. . شكر السيد بيفين توفيق باشا على عرضه الصريح لموقف شرق الاردن ، وعبَّر عن موافقته على الخطط الموضوعة .

تم تثبيت ترجمة غلوب لذلك الاجتماع جزئياً ضمن وثائق وزارة الخارجية التي كتبت في نفس الوقت واعيد تصنيفها خلال العقود اللاحقة .

استغرق التحضير لاجتماع ابو الهدى - بيفين اكثر من اسبوع ، وكان ابو الهدى هو من سعى الى مثل هذا الاجتماع من خلال بيري غوردن في السابع والعشرين من كانون الثاني ، وفي اليوم التالي كتب بيري غوردن الى برووز يقول :

في الليلة الماضية طلب مني ابو الهدى سرا ان يعقد اجتماعا آخر مع السيد بيفين . . ليشرح له افكاره عن الوضع في فلسطين ، وطلب رئيس الوزراء ترتيب الاجتماع ان امكن بدون علم وزير خارجية شرق الاردن او أي عضو آخر من اعضاء الوفد على أن يتم حضوره من قبل اللواء غلوب . . وفسَّر توفيق باشا ذلك بأنه كان يحرص على طرح آراء معينة حول التطورات المحتملة في فلسطين أمام السيد بيفين قد لا تلقى قبولا تاما لدى وزير الخارجية الارني الذي يمثل التيار الشبابي الاكثر قومية في البلاد ، كما انه بالطبع لا يرغب ايضا ان يعلم وزير الخارجية بأن موضوع فلسطين قد تمت مناقشته في غيابه .

واضاف توفيق باشا لاحقا بأن دخول قوات شرق الاردن الى فلسطين بعد انتهاء الانتداب هو أمر يجب ان تقر به الحكومة البريطانية نظرا للعلاقات الخاصة التي تربط بينهما . وفي حين اعتبر من الانصاف ان يتم ابلاغ السيد بيفين عن افكاره ونواياه الا أنه لا يتوقع أن يقوم السيد بيفين باعطائه أية اجابة محددة ما لم يرغب في فعل هذا . . وانا اشك بشدة ان يكون ابو الهدى قد قام بهذه الحركة استجابة لاوامر مباشرة من الملك عبدالله ، وانه كان ينوي تقديم اقتراح لسلوك طريق تنطوي على تصور لتفاهم نهائي مع اليهود . ومن المعتقد دائما بأن هذا الشعور كان دائما في خلفية ذهن عبدالله اذا امكن للظروف أن توفره ، وقد ابلغني رئيس الوزراء السابق سمير باشا الرفاعي في عدة مناسبات خاصة ان غايته القصوى كانت ايجاد تقارب مع اليهود لما فيه مصلحة شرق الاردن . لهذا كان من الضروري في الواقع استثناء وزير الخارجية من أي علم بالاجتماع المقترح ، لأن اقتراحات توفيق باشا قد تكون راديكالية مثل سلفه .

وفي اليوم الذي سبق اجتماع بيفين - ابو الهدى ، أعد ميتشيل رايت معاون وزير الخارجية موجزا وضعه امام بيفين وختمه بالعبارات التالية :

عبَّر رئيس وزراء الاردن عن رغبته باجراء مناقشات خاصة مع وزير الخارجية حول فلسطين ، وهو غير راغب في أن يحضر وزير خارجيته فوزي الملقى هذه المناقشات . ولكنه يريد ان يكون اللواء غلوب حاضرا كمترجم . . وقد برَّر توفيق باشا هذا الطلب الغريب بأنه يرغب في ان يضع بين يدي وزير الخارجية افكارا حول التطورات المحتملة في فلسطين قد لا تكون مقبولة تماما بالنسبة لوزير خارجية شرق الاردن . . يبدو من

المحتمل ان رئيس الوزراء يرغب في ان يعرض افكارا حول تحرك شرق الاردن في فلسطين من شأنها أن تقود الى اتفاق نهائي مع اليهود .

ويمكن ان يأخذ هذا شكل الاحتلال لبعض او كل المناطق التي خصصت للعرب من قبل الامم المتحدة بواسطة الفيلق العربي بعد الخامس عشر من أيار لكن دون المس بالمناطق التي خصصت لليهود . ومن ثم وبعد فترة زمنية مناسبة يستطيع الملك عبدالله الوصول الى اتفاق أمر واقع مع اليهود يقضي بأن لا يقوم أي طرف بالاعتداء على الطرف الاخر . .

وفي الرسالة التي ارسلها وزير الخارجية (يعني بيفين) حديثا الى الملك عبدالله . . حذره فيها من الصعوبة التي قد تطرأ إذا اتخذ الملك عبدالله أي اجراء من شأنه ان يؤلب ضده الامم المتحدة او الجامعة العربية .

ان أي تحرك وفق الخط المقترح اعلاه قد لا يزعج الامم المتحدة ،ولكن إذا لم تتم معالجته بحذر ، فانه قد يؤدي الى خلق مشكلة خطيرة جدا مع الدول العربية الاخرى . . ولان توفيق باشا يدرك صعوبة موقفنا فهو لن يتوقع بالتأكيد ان يقدّم وزير الخارجية ردا حقيقيا على العرض الذي سيطرحه . واذا استحال تجنب الرد فانه من الصعب رؤية كيف يمكن لوزير الخارجية أن يذهب ابعد من شروط رسالته الى الملك عبدالله والمشار اليها اعلاه .

من المهم أن يغتنم وزير الخارجية هذه المناسبة ليقدم تحذيرا خاصا بأنه في حال تورط شرق الاردن في اعمال عدائية ضد الدولة اليهودية ، او معارضته بوقاحة لقرارات الامم المتحدة ، فاننا سنجد انفسنا تحت ضغط قوي لتعليق الدعم المالي ومراجعة وضع الضباط الانجليز المعارين للفيلق العربي . كان بيفين قد قابل في وقت سابق كلا من ابو الهدى ووزير خارجيته الملقي معا ثلاث مرات في ١٩٤٨/١/٢٦ ، ١٩٤٨/٢/٣ ، ١٩٤٨/٢/٦ - ولكن الموضوع المتعلق بمستقبل فلسطين لم يتم طرحه على بساط البحث .

هناك عدد من الشهادات المعاصرة لما رشح عن اجتماع بيفين - ابو الهدى ٠ غلوب يوم ٢/٧ . ووفقا لبرووز الذي لخصَّ الامر بعد ذلك بيومين فقد جاءت الشهادة كما يلي :

في السابع من شباط وبعد محادثاته مع رئيس وزراء الاردن بشأن فلسطين ، تحدث وزير الدولة مباشرة الى السيد م . ر . رايت ولي أنا شخصيا عن امكانية دخول قوات

شرق الاردن الى المناطق العربية في فلسطين . والتي قد تكون مفيدة في عدة نواحي على وجه العموم . الا أنها وبدون شك ستتسبب في مصاعب كبيرة مع ابن سعود . وتساءل فيما إذا كان باستطاعتنا عمل أي شيء لتحسين العلاقات بين العربية السعودية وشرق الاردن . .

أ - لقد اعلمنا رئيس الوزراء بأن احتلال الفيلق العربي للمناطق العربية من فلسطين التي حددتها الامم المتحدة بعد الخامس عشر من أيار ، قد يكون نافعا على وجه العموم . كما أدرك رئيس الوزراء بوضوح أن الدخول الى المناطق اليهودية قد يسبب لنا احراجا كبيرا فيما يتعلق بدعمنا للفيلق ولشرق الاردن .

ب - ان أي تقدم ضمن هذه الخطوط قد يبدو حلا امثلا في كثير من الاحوال ، لكننا نستطيع أن نؤكد هذا حاليا لسببين :

اولهما انه وفقا لقرار الامم المتحدة فان الدولة العربية في فلسطين من المفترض ان تكون مستقلة . .

والثاني ان الدعم الصريح لهذه الخطط الشرق اردنية سيؤدي الى معاداة الدول العربية الاخرى .

ج - ان خطة شرق الاردن هذه ستلقى قبولا اكثر لدى ادارة الولايات المتحدة لانها تقدم أملا افضل لظهور دولة يهودية عضو في الامم المتحدة . .

د - انه لمن المغري التفكير بأن شرق الاردن قد تنتهك حدود دولة الامم المتحدة اليهودية الى درجة انشاء ممر عبر النقب الجنوبي أو الشمالي يربط اراضي شرق الاردن مع البحر المتوسط في غزة . ولعل في هذا مصلحة استراتيجية هائلة لنا أولاً : من حيث قيامه بقطع الدولة اليهودية ، مما يؤدي بالتالي إلى ابعاد النفوذ الشيوعي عن البحر الاحمر .

وثانياً : في توسيع المنطقة التي تهيمن عليها قواتنا المسلحة ونفوذنا السياسي الى البحر المتوسط مما يتيح امكانية نقل المعدات العسكرية الضرورية . . الخ . الى داخل شرق الاردن بدلا من الطريق الالتفافية عبر العقبة .

ومن الصعوبة المطلقة ان نحصل على موافقة اليهود لمثل هذه الحركة مثل حصولنا على موافقتهم لاحتلال مناطق الامم المتحدة من قبل الفيلق العربي والتي قد تلقى

ترحيبا من قبل اليهود . ومن المحتمل ان يرضى اليهود باحتلال شرق الاردن لبعض اجزاء النقب الشمالي اذا تلقوا تعويضا بدلا منه في الجليل الغربي . الا ان هذا الأمر يثير صعوبات لا يمكن تذليلها عند الجانب العربي .

في الثامن من شباط ابرق ابو الهدى الى رئيس ديوان عبدالله مشيرا فقط الى انه ، وبصفته وزيرا للدفاع قد عقد لقاء شخصيا مع السيد بيفين بحث فيه مسائل عسكرية خالصة . وانه سعيد جدا بالنتائج التي حققها الاجتماع وفخور لأن هذه النتائج قد وصل اليها بفضل جلالته .

ومن المفترض أن عبدالله قد فهم من هذا أن رئيس وزرائه تمكن من الحصول على موافقة بيفين للمضي قدما في احتلال الضفة الغربية .

ومن الواضح عند هذه النقطة ، ان ما فكر به عبدالله والانجليز معا هو احتلال فلسطين العربية من قبل شرق الاردن (او ربما بمساعدة عراقية لشرق الاردن) وليس غزوا من قبل كل العرب يكون فيه شرق الاردن (او شرق الاردن - العراق) شريكا فقط .

اعتبر بيفين اجتماعه مع أبي الهدى منْ الاهمية بمكان ، بحيث قام بارسال برقيتين مطولتين يومي ٢/٩ - ٢/١٠ الى كيركبرايد يصف النتائج التي رشح عنها الاجتماع .

ففي ٢/٩ قال بيفين : (لقد طلب ابو الهدى اجراء اللقاء بدون حضور وزير خارجيته من اجل طرح وجهة نظر الملك عبدالله ودون أن يتوقع منا بالضرورة القيام بأي تعليق او رد . وقال ان عودة الفيلق العربي بعد الخامس عشر من ايار الى المناطق العربية من فلسطين للمحافظة على القانون والنّظام يصب في اطار الفائدة العامة . كما قدر ابو الهدى بأنه في حال قيام الجيش بمهاجمة أي جزء من السكان المدنيين فان ذلك قد يسبب ارباكا لبريطانيا ، ولكن اذا رأت الامم المتحدة ان الجيش نجح في تخفيف اراقة الدماء ، فربما يصبحون ممتنين اكثر منهم منتقدين) .

وللحقيقة ، فان وجود الجيش في فلسطين يساهم في تسهيل تنفيذ قرار الامم المتحدة المتعلق بالتقسيم . وأمل ابو الهدى بأن حلاّ جيدا يمكن ان يقر في النهاية ، يشتمل على تعديل للترتيبات الحالية لمصلحة العرب مثلا امكانية أن يكون هناك تقليص في حجم الدولة اليهودية المستقبلية .

وبالفعل فلا بد أن اليهود قد لاحظوا انهم فتحوا افواههم بشكل اوسع مما يجب

(يعني قضموا اقليميا اكثر مما يستطيعون مضغه) وان الامم المتحدة يمكن أن تصل الى استنتاج مشابه . . واكد ابو الهدى ان إمارة شرق الاردن لا ترغب في خلق مصاعب لحكومة جلالته ، وان أي اجراء تتخذه سيكون على مسؤولية شرق الاردن . كما ان شرق الاردن يسعى الى تجنب العزلة عن العالم العربي .

واعلم بيفين كيركبرايد انه سأل ابو الهدى :

عندما تحدث عن دخول الجيش الى فلسطين ما إذا كان يشير الى المناطق العربية كما هي مخصصة في قرار الامم المتحدة أو ما إذا فكر بأنه يمكنه الدخول الى المناطق اليهودية ايضا .

وقد ردَّ توفيق باشا (بأن الفيلق العربي لن يدخل مناطق يهودية ما لم يقم اليهود بغزو المناطق العربية) . وقد رأى ابو الهدى أن دخول الفيلق العربي الى مناطق يهودية قد يخلق معارضة عنيفة من قبل الامم المتحدة مما يسبب مصاعب كبيرة لشرق الاردن .

وابرق بيفين الى كيركبرايد يعلمه ايضا بأنه وعد ابو الهدى بدراسة العرض الذي قدمه معاليه وكرر توفيق باشا القول بأنه لا يريد أيّة اجابة . وانه سيكون سعيدا إذا ما رغبنا بمتابعة البحث في العرض بعد دراسته من قبلنا ، وخلال ذلك فهو لا يتوقع منا العودة الى الموضوع مرة اخرى .

ووفقا للوثائق المعاصرة - ونقيضا لحديث غلوب في «جندي مع العرب» بدا أن بيفين احجم بوضوح عن المصادقة على اقتراح ابي الهدى . لكن ابو الهدى تصرف منذ البداية وفقا لقاعدة القانون الروماني القديم : الصمت يعني القبول . وعلى اساس أن بيفين يدرك هذا . كانت برقية بيفين الى كيركبرايد في ٢/١٠ اكثر بلاغة - لكنها اكثر وضوحا بالنسبة لموقف بيفين من الخطط الاردنية وجاء فيها :

" كانت النقاط الرئيسية (لقاء ابو الهدى) كما يلي :

ان عودة الفيلق العربي بعد الخامس عشر من أيار الى المناطق العربية من فلسطين كما هي محددة من قبل الامم المتحدة يمكن أن تكون مفيدة على وجه العموم في الحد من اراقة الدماء والشغب . وقد ادرك رئيس وزراء شرق الاردن بأن أي تجاوز لهذا الحد مثل مهاجمة سكان مدنيين او الاعتداء على الدولة اليهودية سيضعنا في حرج شديد أمام الامم المتحدة فيما يتعلق بالدعم الذي نقدمه الى شرق الاردن . وقد أمل بأن تقوم

الامم المتحدة بتعديل قرارها لمصلحة العرب (يعني اعطاء العرب مساحة اكبر من فلسطين) وهو وضع يمكن للفيلق العربي المساهمة في تطبيقه . وحتى لو تم تطبيق القرار الحالي) يعني اذا بقي كما هو) فان حضور الفيلق العربي سوف يحد من الشغب الذي قد يطرأ ولا يزيده ، وقد ادرك توفيق باشا انه يتوجب على شرق الاردن ايضاً أخذ الحذر من ان يضع نفسه في عزلة عن الدول العربية .

واكد توفيق باشا انه لم يتوقع أي رد مني . . وقد انتهزت فرصة حصول محادثة بين توفيق باشا وعضو من مجموعة المساعدين في وزارة الخارجية لأنقل له تحذيرا بعدم مهاجمة المناطق اليهودية . . وللتأكد من ادراكه التام بأن أي اعتداء يقوم به الفيلق العربي سيضعنا تحت ضغط شديد . . (وقد اجاب رئيس الوزراء بأنه يقدر هذا الوضع تماما) . . كان رد كيركبرايد على هذه البرقيات كما يلي :

(اعتقد أن الملك وتوفيق باشا معا مصممان على احتلال اكبر قدر يستطيعونه من المناطق الخصصة للعرب حالما ينتهي الانتداب . ولاغراض الدعاية فقط يقولان للعرب انهما ماضيان في محاولتهما لاحتلال كامل فلسطين . ولكن هذا الكلام يستخدم لدحض أي اتهام لهما بأنهما ينفذان التقسيم لا غير . وكلاهما يدرك بأن ما بأيديهما من امكانيات لا تؤهلهما لاحتلال مساحة اكثر من المناطق العربية المخصصة) .

لم يكن بيفين ومعاونوه بعيدين عن ملاحظة وجود معارضة سعودية للتحرك الاردني المتوقع ، وقد ظهر هذا بوضوح في اليوم السابق لمحادثات بيفين - ابو الهدى . إذ التقى السير د . م . كامبل الوزير البريطاني في القاهرة مع الوزير السعودي في لندن ، والذي كان مارا عبر العاصمة المصرية في طريقه الى مركز عمله . وابلغ الشيخ السعودي حافظ وهبة كامبل بأن الملك ابن سعود نوه اليه في عدة تقارير خلال الاسبوع الماضي ، بأن الملك عبدالله كان ينوي بقيام بمحاولة استيلاء على الاجزاء العربية من فلسطين في حال انسحاب القوات البريطانية ، ولا يعرف الملك ابن سعود ما إذا كان الانجليز وراء مثل هذه الخطة أم لا ، ولكن الشك يخامره في ذلك ، ولم يكن مرتاحا بالفعل بشأن ذلك كله . . كما انه لن يوافق ابدا على مثل هذا الترتيب وسيعمل كل ما في وسعه لمنعه حتى لو اضطر في نهاية المطاف الى شن حرب . واذا ظهر أن الانجليز هم بالفعل وراء

المخطط فان ثقة ابن سعود فينا ستتعرض الى كارثة . وعندها سيكون لدى بيفين سببا جيدا كي ينتابه القلق من أي تسريب لاخبار تتعلق بدعم بريطانيا لمخطط عبدالله .

لم يكن ابن سعود وحيدا في شكه بالنوايا الانجلو - هاشمية . فقد تُرك كننغهام المندوب السامي في القدس في دائرة التجاهل الرسمي حول الاتفاقية الانجلو - هاشمية والمتعلقة بتدخل الجيش في فلسطين عند انتهاء الانتداب (بالرغم من مسؤوليته الاسمية عن شؤون فلسطين وشرق الاردن معا) .

ففي ١/٢٧ ، ابرق الى وزارة المستعمرات بطلب فيها تعليمات جاء فيها :

(تشيرون الى امكانية تدخل شرق الاردن . . ان فحوى المعلومة الرسمية الاخيرة التي اطلعت عليها تقول بأن وزارة الخارجية ترى فائدة عظيمة في تدخل عبدالله . وانا متأكد انكم توافقونني الرأي عن اهمية اطلاعي على ما يحدث بهذا الشأن وفي اسرع وقت ممكن) . .

وليس من الواضح ما إذا تم ابلاغ كننغهام بتفاصيل محادثات بيفين - ابو الهدى ، لكن في نهاية شباط ، ظهرت النوايا الاردنية واضحة بالنسبة لكبار الرسميين في الادارة البريطانية بفلسطين . وعلى سبيل المثال ، فقد توقعت «نشرة الاستخبارات» التي توزع كل اسبوعين على وحدات الجيش البريطاني المنتشرة في فلسطين أن الهزيمة الجديدة التي مني بها جيش التحرير العربي في تيرات زفي - وهو جيش من المتطوعين الذين ارسلوا من قبل الجامعة العربية لمساعدة المقاتلين الفلسطينيين غير النظاميين - قد تدفع بهؤلاء المجاهدين الشرفاء الى الرحيل عن فلسطين . وهذا ما سيلائم تماما رهان الملك عبدالله . . (لأن هذا يعني) تقليص المعارضة لتوليه السيطرة على فلسطين .

وكان تفكير المندوب السامي نفسه شبيها بهذا ، وقد تنبأ في وقت متأخر من شباط بأن العرب لن يستطيعوا منع انبثاق دولة يهودية (سيكون اليهود قادرين على احكام قبضتهم على السهل الساحلي) . . . وبهذا يمكن ان ينتهي الامر الى تقسيم اقرب الى الخطوط التي نعتبرها مشروعة ، مع بقاء الترتيبات الاكثر احتمالا وهي أن يؤول الجليل الشرقي الى سوريا ، والسامرة والخليل الى عبدالله ، والجنوب لمصر ، وقد تتم عمليات دمج على هذا النمط . . .

وفي ٢٢ /٣ ، تعمد بيفين ابلاغ مجلس الوزراء متأخرا عن تفاصيل محادثاته مع الزعيم الاردني . وكان مجلس الوزراء قد ابلغ أن اليهود قد يحاولون خلال الاسابيع اللاحقة انشاء «دولة يهودية» في المناطق التي خصصت لهم في خطة التقسيم ، وان ملك شرق الاردن قد يسعى للسيطرة على الاجزاء الاخرى من فلسطين . . . وقد اعلن مجلس الوزراء (كما ورد في محضر الجلسة) بأنّ على السلطات المدنية والعسكرية في فلسطين أن تقوم بأي مسعى من شأنه عرقلة قيام دولة يهودية او معارضة تحرك جيش الاردن الى داخل فلسطين . . . بقي بيفين خلال الاسابيع اللاحقة على ولائه للخطة التي تمخضت عن السيناريو المرسوم في اجتماع ٧ /٢ . فقبل ايام من الجلاء البريطاني عن فلسطين والغزو العربي ابرق الى كيركبرايد بما يلي :

(اني مهتم الى ابعد الحدود باقتراحك . . . ان القادة العرب قد يقنعون انفسهم بحماية المناطق العربية في فلسطين ضد أي توسع يهودي اضافي . ويبدو أن هذا هو الطريق المعقول الذي يمكنهم تبنيه في ضوء ميزان القوة العسكرية الحالي . كما يمكن ايضا أن يجعل موقفهم من الناحية الدولية افضل كثيرا مما لو قاموا بمهاجمة اليهود . ولعل حفاظنا على علاقاتنا الحميمة مع الدول العربية سيكون اكثر سهولة اذا قاموا بسلوك هذا السبيل . . . يمكن أن يكون من الافضل أن نقول شيئا ما (لقادة العرب) في الايام القليلة المقبلة . . . ضمن (هذه) الخطوط . . . باشر بيفين الاستعلام من مراكزه المختلفة في الشرق الاوسط ما إذا كان يجب تقديم هذه النصيحة الى القادة العرب في كل بلد عن طريق المنتدبين الانجليز (مع انه يظهر بأن الفكرة لم تنفذ على الاقل من الناحية الرسمية) . وفي منتصف شهر أيار أي بعد غزو الفيلق العربي وتصادمه مع فرقة الهاجانا الاولى في محيط القدس ، بعث بيفين الى نظيره الاميركي الجنرال مارشال بالبرقية التالية : (لقد فهمنا انه تم اعلام اليهود بأن الفيلق العربي قد يدخل المناطق العربية من فلسطين ، وان هذا لم يكن غير مرحب به بالنسبة لهم . وقد ساد لدينا اعتقاد دائم بأن قيام ترتيب بين الهاجانا والفيلق العربي حول مسؤولية حفظ النظام في مناطق عدة من فلسطين سيعود بفائدة كبيرة على القانون والنظام . ان الفيلق العربي لم يدخل أي جزء من المناطق التي تم تخصيصها للدولة اليهودية . . . ولعل قيام الفيلق العربي بشن هجوم على اجزاء من القدس جاء نتيجة مباشرة لانتهاك وقف اطلاق النار من قبل اليهود .

التحضير للغــزو

بعد أن اكمل جزئيا ترتيب اطرافه السياسية ، بدأ غلوب الآن الاعداد عسكريا للحملة الوشيكة . كانت المشكلة الوحيدة هي تحديد موقف السكان في الاجزاء المختلفة من المناطق التي ستعرف لاحقا «بالضفة الغربية» من الغزو القادم ، ومن الحكم الهاشمي اللاحق المتوقع . وقد تذبذبت الآراء في كل مدينة ومقاطعة شهرا بعد شهر بتناغم التطورت السياسية والعسكرية المحلية ، كما توجب ايضا جمع معلومات جغرافية بشأن الطرق والاهداف من اجل وضع خطة تقدم الجيش . حلت نهاية كانون الثاني ١٩٤٨ ، وكان قد مر شهران على الحرب الاهلية المستعرة في فلسطين ، حين التقى احد ضباط غلوب الانجليز وجيها فلسطينيا من اهل المدن وكتب التقرير التالي :

يأمل الشيخ بأن يقوم الملك عبدالله بالاستيلاء على فلسطين . . . وقال انه وجد الناس في عمان اكثر رغبة للحرب من الفلسطينيين . . . واضاف بأن سكان غزة وبئر السبع والخليل يتلهفون على الارتباط بالاردن . . . اعتقد أن يافا تشايع الآن الملك عبدالله ، كذلك ستفعل نابلس . منذ شهرين فقط كان أي حديث عن دخول الملك عبدالله يقابل بمعارضة شديدة من قبل كثير من الاشخاص ، ولكنه قد يصبح مقبولا وسط شعور سري بالارتياح من قبل الاغلبية . . . وهذا لا يعني عدم وجود رفض لاقامة وطن قومي لليهود . ولكنه يعني فقط ، على رأي الشيخ ،ان الشعور لدى سكان فلسطين لم يصل الى حد «نكون او لا نكون» كما أراد زعماؤهم لهم ان يفكروا ويشعر الشيخ بأنه إذا استمر الوضع الاقتصادي في التردي وعدم الوضوح . . . مع تزايد الاعتداءات المسلحة ، فان الاغلبية ستشعر بالراحة اذا تم اجراء أي تسوية مع اليهود ، أو قيام حكومة عربية راسخة ببسط السيطرة وفرض النظام حتى لو لم تقم هذه الحكومة بمحاربة اليهود .

وقد ايدت التقديرات اليهودية هذا الاستنتاج . ففي كانون الثاني ١٩٤٨ ، ساد الاعتقاد لدى مخابرات الهاجانا ان (الفلسطينيين) العرب لديهم ثقة تامة وامال عالية في جنود الفيلق العربي ، وقد تطابقت مع تلك التقديرات معلومات تقول ان رؤساء بلديات المدن العربية على العموم يؤثرون بسط سيطرة الفيلق العربي على حكم المفتي ، وان المفتي يدرك تماما هذه النزعة الموالية للملك عبدالله . . . كان محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل يجسد الرأي الموالي للهاشميين في ذلك الوقت ، وقد ذكرت مخابرات الهاجانا في تقاريرها بأنه كان ينظم معارضة مؤيدة للتعاون مع الملك عبدالله . وفي الحقيقة كان

الجعبري قد قام في اواخر كانون الثاني ١٩٤٨ بتنظيم عريضة تدعو الى تدخل واسع من قبل عبدالله . وفي وقت متأخر من شهر شباط ، قام بعض الوجهاء والزعماء العرب مثل موسى العلمي ودرويش المقدادي ويوسف هيكل رئيس بلدية يافا بزيارة عبدالله في عمان طالبين منه المساعدة . وروى هيكل فيما بعد انه حالما تعلن الهيئة العربية العليا التابعة للحسيني عن قيام حكومة عربية فلسطينية ، فسيعلن عبدالله بأن منطقة مثلث رام الله ونابلس هي تحت الحماية الاردنية . وفضلا عن ذلك فقد روي أن عبدالله قد حصل على موافقة فوزي القاوقجي قائد جيش التحرير العربي على هذا الضم ، وكان هذا الاخير ينشر وحداته المقاتلة في المثلث في ذلك الوقت .

في كانون الثاني ١٩٤٨ طلبت هيئة اركان الفيلق العربي من الجيش البريطاني تزويدها بثلاثين خريطة لمدن فلسطين (بما فيها جميع البلدات اليهودية) ومن المفترض ان تكون الخرائط قد سلمت لهم على الرغم من عدم معرفة الهدف الذي طلبت من اجله تلك الخرائط .

خلال الاشهر السابقة للغزو ، قام غلوب . مصحوبا بهيئة ضباط بزيارة فلسطين مرارا وتكرارا . وفي كانون الثاني زار يافا واللد والرملة وقرى عربية صغيرة اخرى ، وحسب روايته فقد توسل اليهم أن يستعدوا للدفاع عن انفسهم . كما أن الفيلق سلَّم للمواطنين اسلاكا شائكة وكل ما استطاع توفيره من الاسلحة . وفي آذار زار غزة وعقد اجتماعات مع وجهاء وقادة المليشيا المحلية ، ثم زار مجدل «عسقلان» والخليل ورام الله وبئر السبع . ودعا غلوب الى حشد التأييد المحلي لعبدالله وللسيطرة الهاشمية القادمة . وايد العديد من القادة المحليين بمن فيهم هيكل دعوة غلوب (ومن خلاله عبدالله) ارسال الفيلق من اجل انقاذ بلداتهم في اسرع وقت ممكن . ووفقا لمخابرات الهاجانا ، قام غلوب في ٢٠ /٤ بزيارة قرية المسمية الكبيرة ووعدهم بمساعدة الملك عبدالله وطلب من المواطنين تأييد الملك ووافق المواطنون . وبدون شك كانت زيارة غلوب تهدف ايضا في جزء منها الى اعداد استخباراتي عسكري عملي لمعرفة طرق تقدم الجيش ونقاط المقاومة المحلية المحتملة لدخول الجيش الى البلاد .

اما المعيار الآخر للاعداد فقد شمل تأمين حماية الجسور على نهر الاردن حتى قبل انتهاء الانتداب مع ابقاء العيون مفتوحة على أية محاولة تخريب قد تقوم بها الهاجانا

للطرق الحيوية المؤدية الى فلسطين . وخلال الاسابيع الاولى من عام ١٩٤٨ظلت مفرزة طوارئ من الفيلق العربي تعبر نهر الاردن الى داخل فلسطين ليلا وتقوم بحراسة الاطراف الغربية لجسري الشيخ حسين وداميا ، وهما جسران حيويان بالنسبة لشرق الاردن . ولكن هذا الاجراء لم يكن كافيا . وكان جسر اللنبي الواقع الى الشرق من اريحا مصدر قلق لغلوب . وفي وقت متأخر من شهر آذار حذر غلوب رئاسة اركان الجيش الانجليزي في فلسطين . . من أنه بامكان سيارة مسلحة يهودية أن تشق طريقها بسهولة وتصل الى الجسر كما حصل في الشهر الماضي عند جسر الشيخ حسين . وطلب غلوب بأن يسمح للفيلق ايضا بتأمين حماية جسر اللنبي من الجانب الفلسطيني على النهر .

واكثر من هذا ، فقد اصر غلوب مع اوائل شهر نيسان بأن لا تبقى وحدات الفيلق التي تقوم بتحصين متاريس الطريق على الطرف الغربي من الجسر داخل الاراضي الفلسطينية تحت امرة السلطات العسكرية للانتداب ، وبالرغم من انزعاج سلطات الانتداب الا أنها وافقت على هذا الترتيب .

لم يعلن غلوب بصراحة بأن الجسر يجب أن يكون محميا من اجل تمكين طوابيره من العبور الى فلسطين يوم ١٥/ أيار ، لكن هذا ما قصده بالطبع . وقبل خمسة أيام من الغزو اعدت مخابرات الهاجانا تقريرا جاء فيه بأن جسر اللنبي كان محميا من قبل ٢٠٠ جندي من الفيلق مع معداتهم الثقيلة . واشار غلوب في مذكراته ايضا الى تمهيد او ترميم تم بسرية تامة بواسطة عمال فلسطينيين خلال شهر نيسان واوائل ايار لطريق او طريقين توصل وادي الاردن بمنطقة السامرة الجبلية من اجل جعلهما ملائمتين لسير عربات ذات دفع رباعي . وقد قام غلوب بدفع تكاليف الاشغال التي بلغت ٤٠٠٠ باوند من اعتمادات «كانتين» الفيلق .

وقد استخدمت هذه المحاور فيما بعد من قبل الفيلق في طريق عبوره الى داخل فلسطين خلال الاندفاع الحيوي الاساسي عبر التلال باتجاه رام الله في اليوم الاول من الغزو .

الا أن تحضير غلوب الاكثر اهمية للغزو كان بالطبع هو اعادة تنظيم الفيلق وتعزيزه من ناحيتين رئيسيتين :

أ - تحويل قوة سرايا الحراسة التي تعوزها الحركة الى كتائب ميكانيكية وجعلها مؤهلة للمقاومة العنيفة .

ب - زيادة كبيرة في المكننة وقوة النيران ، باضافة قطع مدفعية ومئات الشاحنات وتركيب مدافع على العربات لحاجة الفيلق في المعركة .

وبموازاة التفاهمات التي تمت نهاية عام ١٩٤٧ بشأن احتلال شرق الاردن للاجزاء العربية من فلسطين بعد الجلاء البريطاني وقرارات هيئة غلوب الحربية واجتماعات ابو الهدى - بيفين في كانون الثاني وشباط ١٩٤٨ تحرك غلوب والجيش الانجليزي معا لتعزيز قوة الفيلق .

كان عدد الجيش (بما فيه البوليس) قد تراجع من حوالي ٨٥٠٠ الى ٧٥٠٠ خلال تشرين الاول ١٩٤٧ . وفي ايار ١٩٤٧ قدم غلوب خطة من اجل اعادة تنظيم القوة اللازمة دون الحاجة الى زيادة كبيرة في القوة العددية ولكن بتعزيز القدرات القتالية للفيلق بشكل جوهري .

وكانت الخطة تقضي بأن يتم توسيع اللواء الموجود حاليا باضافة ثلاث كتائب ليصبح لواءين (كل مع كتيبتين) اضافة الى لواء ثالث في المستقبل بعد تفعيل القوات الاحتياطية .

كما اقترح أن يكون هناك زيادة في الآليات المدرعة والمدفعية . على أن تزاد الدفعات البريطانية من ٢ مليون الى ٣,٥ مليون اضافة الى ١,٣ مليون اخرى تخصص للمعدات الاضافية .

ظلت اقتراحات غلوب لمدة تزيد على نصف السنة تجمع الغبار في درج المكتب الحربي ، لكن قرار الامم المتحدة بالتقسيم وتزايد احتمالات تدخل الفيلق في فلسطين جعلها الآن مسألة ملحة .

ففي السادس من كانون الثاني ١٩٤٨ التقى المسؤولون في الخارجية والحربية والمالية لبحث توسيع الفيلق . وقام ممثلوا الخارجية بشرح الخلفية السياسية وفقا لما يلي :

(ان انسحاب قواتنا من فلسطين يضعف تأثيرنا المباشر في الشرق الاوسط ولكن هدفنا يبقى المحافظة على روابطنا مع الاطراف المؤيدة لنا في الشرق الاوسط وتعزيز قوتها ومن هذه الاطراف ملك شرق الاردن عبدالله . كذلك من المهم جدا لمصلحتنا أن تعود

احوال الأمن في فلسطين الى سابق عهدها باسرع ما يمكن بعد انسحابنا . واذا وافق الملك عبدالله والقادة العرب الآخرون على استخدام الفيلق العربي في ذلك الجزء من فلسطين المخصص للعرب من قبل الامم المتحدة ، فان اعادة النظام والقانون الى ذلك الجزء من فلسطين يجب أن يتم باسرع وقت ممكن . . وهناك اعتبار يقول بأنه لو وقف الملك عبدالله بعيدا عن فلسطين فان الخطر على أمنه الداخلي سيزداد كثيرا . .

كان القصد من الاجتماع هو زيادة حجم وقدرات الفيلق .

وخلال الفترة من شباط وحتى ايار ، تم تحويل كميات ضخمة من المعدات والذخائر الى الفيلق العربي من القواعد البريطانية في منطقة قناة السويس . وقد نُقل معظمها عن طريق رفح . وكانت الشحنات الرئيسية تتألف من عشرات العربات المصفحة نوع مارمون هارنجتون (٢٩٢) .وعدة عشرات من مدافع عيار ٦/رطل و ١٢ أو ١٦ قطعة مدفعية عيار ٢٥/ رطل و ٤٠ عيار ٢/ رطل و ٦٠ مورتر ٣/ انش .

ومع حلول شباط كان الفيلق قد تسلم ذخائر تكفي لعشرة أيام متواصلة من الاشتباك على ان يستلم حصة ثانية في أيار تكفي لثلاثين يوم ، ولكن لم يصل من الحصة الثانية الموعودة سوى جزء تم تحويله الى العقبة تقدر كميته بمائة وخمسين طنا من الاسلحة معظمها ذخائر اسلحة صغيرة وقذائف ٢/ رطل . وكانت الشحنة الرئيسية ٦٥٠ طنا من قذائف ٢٥/ رطل وقنابل مورتر ٣/ انش قد تمت مصادرتها من السفينة رمسيس بالسويس من قبل المصريين في عمل من اعمال الخداع العربي المتبادل . وباقتراب موعد البدء للغزو ، كان لدى الفيلق العربي وفقا لعبدالله التل احد كبار ضباط غلوب ٢٤ مدفعا عيار ٢٥/ رطل (وهو المدفع الذي تم استخدامه بفعالية ابان حرب عام ١٩٤٨) و ٣٨ مدفعا عيار ٦/ رطل و ٤٠ مورتر عيار ٣/ انش .

كذلك لم يتم تجاهل القوة العددية ، فمع حلول منتصف أيار ١٩٤٨ كان عديد الفيلق قد وصل الى حوالي ٩٠٠٠ رجل ، مع أن غلوب في مذكراته ذكر رقم ٦٠٠٠ في عام ١٩٤٨ و ٤٥٠٠ في الميدان في شهر أيار .

ومع تسابق الزمن نحو شهر أيار ١٩٤٨ ، بذل الفيلق جهودا جادة لتجنيد الاختصاصيين من الجيش البريطاني المغادر ، وقد التحق به العشرات من الضباط الانجليز السابقين وضباط الصف قبل وبعد ١٥/ ايار مباشرة . وروى تقرير لمخابرات الهاجانا

في آذار بان الفيلق حاول تجنيد خبراء بريطانيين في اصلاح الاسلحة النارية وخبراء اتصالات وكهربائيين وميكانكيين . . .

وخلال الاشهر السابقة للغزو والاسابيع التي تلت بدايته ،اعيد تنظيم الفيلق بصورة جوهرية وفقا لخطوط ارشاد خطة غلوب في أيار ١٩٤٨ .

ومع حلول شهر أيار ١٩٤٨ ، كان عدد الفيلق قد وصل الى ثلاثة افواج قتالية واثني عشر سرية حراسة ضُمت لتصبح اربع كتائب قياسية كتيبتي اركان للواء الواحد تعملان ضمن مراكز قيادة فرقية .

ومع نهاية شهر حزيران توسع الفيلق اكثر ليصل الى ثلاث الوية (ستة كتائب) .

ووفقا لغلوب فقد تم مع حلول تشرين الثاني ومن خلال تجنيد موسع وتدريب سريع رمى بأي تحفظ مالي الى الهواء مضاعفة حجم الجيش تقريبا . وفي كانون الثاني ١٩٤٩ وصل عدده الى (١١١٤٣) رجلا وفقا لمذكرات غلوب .

تسبب وجود الضباط الانجليز في الفيلق العربي خلال الفترة الزمنية التي سبقت الخامس عشر من أيار ، وايضا بعد بدء الغزو بمشكلة سياسية - دبلوماسية للوايتهول .

وكان الاستمرار في استخدام هؤلاء الضباط يعتبر حيويا فيما يتعلق بأي اداء فعال للفيلق العربي . الا أن هذا الامر بدا وكأنه توريط لبريطانيا في غزو عبدالله والذي يمثل ظاهريا على الاقل انتهاكا صارخا لقرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ١٨١ . كان هناك ٣٧ ضابطا انجليزيا في الفيلق العربي بتاريخ ٥/٢٦ ، اضافة الى عدة عشرات آخرين من مراتب اخرى . كان بعضهم ضباطا عاملين في الجيش البريطاني ومعارين للفيلق العربي وآخرين كانوا يعملون كمدنيين في حكومة فلسطين والبقية كانوا جنودا سابقين يعملون بموجب عقود خاصة مع عمان . وكانت بريطانيا قبل وبعد ١٥/ أيار قلقة بشأن احتمال مشاركتهم في احتلال الضفة الغربية . وما كان يقلقها اكثر هو احتمال تورط هؤلاء البريطانيين في قتال ضد الاسرائيليين أو الاراضي الاسرائيلية والذي يمكن أن يضع الوايت هول في موقف صعب مع واشنطن (التي وان لم تقم بتزويد الدولة اليهودية بالاسلحة الا انها كانت من ضمن مؤيديها السياسيين الرئيسيين) .

وقبل ١٥/ أيار ظل كيركبرايد يجادل ضد سحب الضباط البريطانيين في حال سارت عملية احتلال المناطق العربية الفلسطينية دون قتال . ويبدو انه كان مدفوعا جزئيا

باعتبار ان وجود ضباط انجليز منضبطين قد يلجم بعض افراد الفيلق العربي المتحمسين من التهور في اطلاق العنان لنزعاتهم القومية ومهاجمة قوات ومناطق يهودية ، ويبدو ان كيركبرايد تمكن من اقناع بيفين بهذا الامر . ولكنه كان مدركا انه في حالة ظهور تغير في الوضع وتورط رجال الفيلق في اشتباكات مع اليهود او هجمات على المناطق اليهودية فقد يصبح من الافضل سحب البريطانيين من ميدان المعركة ، والا فإن بريطانيا قد تتعرض لاتهامات بالتورط مباشرة مع الجانب العربي في الحرب ضد اسرائيل . وخلال الاسابيع السابقة للخامس عشر من ايار ، تم انهاء خدمات عدد من ضباط الجيش البريطاني المعارين . وتم سحب بعضهم من فلسطين واعادتهم الى شرق الاردن ٣٠ - ٣١ أيار (انسجاما مع قرار مجلس الامن في الامم المتحدة الصادر بتاريخ ٥/٢٩ والذي يحظر تقديم المساعدة الخارجية سواء مساعدات حربية او بشرية الى اطراف النزاع) .

كما صدرت تعليمات لضباط آخرين بمغادرة شرق الاردن أو عدم المشاركة في الغزو وتمت ازالة اسماء الآخرين من كشوفات القوات المسلحة للحكومة البريطانية .

وفي احدى المرات اتهم بيفين بعض البريطانيين بمن فيهم غلوب بأنهم قد يكونوا في حالة انتهاك لقانون التجنيد الخارجي لسنة ١٨٧٠ .

ابدى غلوب استياءه من هذا الامر فكتب الى كيركبرايد رسالة طويلة غاضبة ختمها بقوله : (ما لم تعد حكومة صاحب الجلالة باعطاء ضباطها حصانة ضد أي تهم اجرامية فانه سيستقيل من منصبه على الفور) . كان غلوب منزعجا من التباين الواضح في تنفيذ اسرائيل وبريطانيا للحظر المتعلق بالافراد . فقد طلبت بريطانيا من مواطنيها الذين يعملون في الفيلق أن ينسحبوا في حين أن جيش الدفاع الاسرائيلي ظل يستخدم مئات من المواطنين الاجانب مثل العقيد ميكي ماركوس (ستون) في صفوفه . وهذا الوضع جعل من السهل على غلوب أن يحتال على الوضع عن طريق ابلاغ لندن (مع الغمز من قناتها) بأن البريطانيين قد تم سحبهم الى عمان في حين انه لم يتم سحبهم في الحقيقة . او انهم في احسن الاحوال قد سحبوا لأمد قصير فقط لتتم اعادتهم بسرعة عبر النهر وينضموا الى وحداتهم .

ومع ذلك فقد بدا غلوب في بعض الحالات (ما زال اولئك الضباط من الناحية

الرسمية اعضاء في الجيش البريطاني) وكأنه قد استجاب تماما دون أي مضايقة للفيلق العربي . فسحبه للضباط الانجليز في النصف الثاني من شهر أيار كان زوبعة قد تناثرت .

وقد شمل السحب جميع ضباط الاركان ،مثل قادة الكتائب وثلاثة ضباط من افواج المشاة اضافة الى بعض ضباط المدفعية .

ولكن غلوب كتب لاحقا ،وربما بقليل من المبالغة :

(وفي الواقع ، ان جميع الضباط تقريبا الذين يخدمون في فلسطين في النصف الثاني من أيار وحزيران ١٩٤٨ لم يتم نقلهم او انهم نقلوا لمدة يوم او يومين فقط مما مكن بيفين أن يصرِّح (ربما بصدق) امام البرلمان يوم ٥/٢٧ بانه قد تم نقل الضباط الانجليز جميعا الى خارج فلسطين) .

وفي سنوات لاحقة اعترف كيركبرايد ودزموند جولدي احد كبار ضباط الفيلق ، بأن الفيلق قد تجاهل في الواقع الاوامر الرسمية التي اصدرتها وزارة الخارجية بهذا الصدد .

وفي الحقيقة ، وكجزء من عملية توسيع الفيلق خلال الاشهر الاولى من الحرب ،قام مكتب ارتباطه في لندن فعلا وبشكل سري بتجنيد مستخدمين انجليز جدد من الضباط والاشخاص الذين عملوا كفنيين سابقين في الجيش البريطاني ، وظهر أن العشرات من هؤلاء المجندين قد وصلوا الى عمان ، ومن ثم التحقوا بوحدات الفيلق في الضفة الغربية خلال الاسابيع اللاحقة .

وكان موضوع ضباط الجيش الانجليزي المعارين للخدمة مع وحدات الفيلق العربي بالضفة الغربية يثار من حين لاخر من قبل اعضاء برلمان مؤيدين لاسرائيل وفي الصحافة وقد تسبب بازعاج متكرر لطبقة الرسميين في بريطانيا خلال الاشهر اللاحقة .

وعلاوة على ذلك فقد ظل حضور غلوب الشخصي كمواطن بريطاني وعمله كقائد للجيش الاردني وايا كانت انتماءاته المؤسسية يشكل ارباكا مستمرا للوايتهول .

وفي الحقيقة فقد وصف احد ممثلي رئيس الاركان البريطاني مرة غلوب واثنين من كبار مساعديه هما نورمان لاش ورونالد برودهيرست كمرتزقة من التابعية البريطانية .

وفي يوم ١٩٤٨/٥/٢٠ بلغ الوضع اشده حين ظهر بيفين وبكل بساطة ليُنْكِرَ (بطريقة

منافية للعقل) بأن غلوب باشا كان يقود الجيش الاردني في فلسطين .

قبل ١٥ أيار كان اسم غلوب ما يزال رسمياً ضمن كشوفات اسماء ضباط الاحتياط النظاميين في وزارة الحربية ، وأيضاً ضمن كشوفات وزارة المستعمرات كموظف في الخدمة الفلسطينية معاً . ومع انتهاء الانتداب ، انقطعت الخدمة المدنية الفلسطينية عن الوجود . وكذلك انتهى وضع غلوب فيها . اما بالنسبة لقوائم وزارة الحربية ، فقد أزيل اسم غلوب منها في منتصف أيار باشارة من وزارة الخارجية ، لكن لا شيء من هذا أبطل حقيقة استمراره في الواقع بخدمة حكومة صاحب الجلالة (بريطانيا) ومصالحها (كما كان يدرك هو وعدد كبير من العاملين في الوايت هول) اضافة الى عبدالله ومصالحه .

اندلعت الحرب الاهلية بين العرب الفلسطينيين والجماعات اليهودية على اثر تمرير الجمعية العامة للامم المتحدة للقرار ١٨١ . أي تقريبا في الفترة من اواخر تشرين الثاني ١٩٤٧ وحتى نهاية آذار ١٩٤٨ . وتلقى العرب الفلسطينيون شحنات من الاسلحة من الدول العربية إضافة الى وحدات جيش الانقاذ العربي المؤلفة من متطوعين من العراق وسوريا بقيادة فوزي القاوقجي والتي قامت بمهاجمة سيارات النقل اليهودية والمستوطنات الريفية والاحياء المدنية ، وإثر ذلك ردَّت الهاجانا (والـ IZL و LHI) بضربات انتقامية . وكان الجيش البريطاني ما يزال ينسحب تدريجيا من فلسطين ، وقد حاول في البداية المحافظة على القانون والنظام وغالبا ما ساعد بعض المهاجمين (من اليهود) ولكنه بوجه عام حافظ على موقف حيادي ،وكان هدفه أن يغادر فلسطين بأقل قدر ممكن من الخسائر ، وان يبقى على مصالح بريطانيا السياسية والاستراتيجية والاقتصادية في الشرق الاوسط سليمة .

اخذ اليهود ينظمون انفسهم من اجل اقامة الدولة ومن اجل الحرب التي كان زعماؤهم يظنون أنها اصبحت اكثر احتمالا مع الدول العربية . وفي بداية نيسان واثر تتابع الاحداث التي شملت تزايد الخسائر لدى اليهود في الرجال والمعدات خلال دفاعهم عن القوافل على طول الطرقات ، وتسارع انسحاب القوات البريطانية المسلحة من مناطق مختلفة ومن فلسطين على وجه العموم ، وتعاظم قوة الهاجانا بعد اعادة تنظيم الوحدات ووصول شحنات الاسلحة السرية من تشيكوسلوفاكيا اضافة الى الاشارات الصادرة من واشنطن حول امكانية سحب تأييدها للتقسيم واقامة الدولة اليهودية - تحولت الهاجانا الى حالة الهجوم .

وقامت خلال الاسابيع الستة التالية بسحق الميليشيات الفلسطينية تدريجيا واخضعت مدن بيسان وعكا العربيتين والاحياء المدينية في طبريا وحيفا وصفد .

والتفت حول القرى العربية على طول الطريق الى القدس والى الغرب من وادي جزريل وحول حيفا والجليل الشرقي وقد دمرت في هذه الهجمات العشرات من القرى العربية وتمت تسويتها بالارض ، كما تم تهجير مئات الالوف من القرويين وسكان المدن الذين فروا من بيوتهم باتجاه الاجزاء العربية المتبقية من فلسطين او الى خارج البلاد تماما إلى المنفى .

يجب رؤية التحول في سياسة الاردن وفعالياته بين اواخر تشرين الثاني ١٩٧٤ ومنتصف أيار ١٩٤٨ على خلفية ما حدث في هذه الفترة .

ففي اواسط تشرين الثاني ١٩٤٧ ، اتفق الملك عبدالله مع غولدا مائير على مبدأ تقسيم اردني - يهودي لفلسطين . وعلى قيام الفيلق العربي ببسط سيطرته بشكل كامل على الاجزاء العربية من البلاد واعلان اليهود عن قيام دولتهم فوق المساحة الباقية . الا أنه خلال الفترة من شباط واوائل أيار ١٩٤٨ اتخذ التفاهم الضمني بين شرق الاردن واليهود مسلكا خطيرا وبدا أنه قد تم الغاؤه ولم يتضح الامر الا لاحقاً إذ تبين ان الاتفاق قد صمد جوهريا . وان عبدالله مثله مثل ربان سفينة وسط العاصفة قام بعد أن وضع استراتيجيته السياسية لتقسيم فلسطين بينه وبين اليهود بقيادة سفينته وسط بحر عاصف تضرب امواجه ذات اليمين وذات الشمال ، واقتحم الضغوط المتبادلة (عربية يهودية بريطانية) وتمكن بادارة سفينته نحو خط سيرها الاساسي الى أن تمكن من ايصالها بسلام الى الشاطئ البعيد .

كان يمكن توقع هذا الامر وخلال الفترة من شباط الى ١٥/ أيار ١٩٤٨ وتحت تأثير الاحداث في فلسطين بدا كل شيء وكأنه يتطاير في الهواء .

كما بدت الصدامات اليومية العنيفة لليهود والعرب في مدن وقرى فلسطين وكأنها امتحان لولاءات عبدالله ووعوده الى اقصى حد .

هل سيلتزم باتفاقية عدم الاشتراك فعليا في الحرب ؟

هل يمكن أن يقيد نفسه بالاحتلال الكامل للمناطق العربية في فلسطين ويحجم عن مهاجمة المناطق والقوات اليهودية؟

خلال نيسان واوائل أيار تلقت مخابرات الهاجانا سيلا من التأكيدات الراسخة بأن عبدالله قد عقد النية فعلا على الالتزام بالتفاهم السابق ووفقا لاحد المصادر فقد قام عبدالله في ١٩/نيسان بابلاغ جماعة من فلسطين بأنه لا ينوي دخول المناطق اليهودية . وفي ٢٢/ نيسان اوضح مسؤول بريطاني رفيع المستوى بعد زيارة لعمان كما يبدو بأن عبدالله نفسه يوافق على انشاء الدولة اليهودية .

وفي ٥/ أيار نقلت خدمة مخابرات الهاجانا عن المحادثات المتواصلة بين القادة العرب في عمان أن «الملك وعد بحماية المقاطعات العربية من هجوم يهودي» . . ملمحا الى أنه لن يقوم بمهاجمة المناطق اليهودية . ووفقا لمصادر أخرى فقد عاد وفد من وجهاء قلقيلية في ذلك الوقت خائب الرجاء بعد اجتماعه مع عبدالله في عمان ،لأن الوجهاء فهموا ان الملك ليس في نيته مواجهة اليهود على ارض المعركة . وفي مناطق معينة ادت المناشدات التي ارسلت الى عبدالله الى وقوع نزاعات بين مؤيدي الهاشميين ومؤيدي المفتي .

ولكن الاسابيع والايام التالية التي اقتربت من تدخل عربي شامل في فلسطين اظهرت وكأن التفاهم اليهودي الهاشمي اصبح على وشك الانهيار حتى أن يعقوب شيموني احد مسؤولي القسم السياسي في الوكالة اليهودية والمعروف بدفاعه القوي عن الارتباط الهاشمي وايمانه بوفاء عبدالله لنذوره قال في ٢٢/ نيسان : «حتى يومين او ثلاثة مضت كنت على اعتقادي بأنه (يعني عبدالله) يود اخضاع المنطقة العربية متجنبا المواجهة مع قواتنا ، وأنه بعد احتلاله للمنطقة العربية سيقوم بالتفاوض معنا . ولكن بعد الاحداث الأخيرة (يعني استيلاء الهاجانا على طبريا العربية وحيفا العربية) تبين لي بديهيا بأن هذا ليس هدفه البعيد» .

وبالنتيجة ومع اقتراب نهاية شهر نيسان قامت خدمة مخابرات الهاجانا بمضاعفة مراقبتها لتحركات وحدات الحراسة التابعة للفيلق العربي التي بقيت في البلاد .

ووفقا لغلوب فقد ادى تطوران في الاحداث الى جعل بسط سيطرة شرق الاردن التي خطط لها ان تتم بهدوء وسط المنطقة العربية المأهولة بالسكان والتي ستعرف قريبا «بالضفة الغربية» عملا يكتنفه الغموض :

- التطور الأول كان الانسحاب البريطاني التدريجي والمبكر من معظم ارجاء فلسطين مما مكن القوات المسلحة اليهودية وفي المقام الاول الهاجانا ليس فقط من حماية

معظم اجزاء المنطقة المخصصة لليهود فحسب ، بل وانتزاع مناطق اخرى وفي الدرجة الاولى تلك المناطق الواقعة على طريق تل أبيب - القدس ومناطق في غرب القدس ، كانت قد افردت للسيادة العربية او للادارة الدولية .

- والتطور الثاني : كان قرار الجامعة العربية الذي أخذ يتبلور تدريجيا نحو غزو فلسطين ومهاجمة اليهود ،جزئياً . من اجل انقاذ العرب الفلسطينيين .

وخلال الاسابيع السابقة للغزو وَقعَ عبدالله تحت ضغط متزايد وقوي فعلا للمشاركة - بل في الواقع لقيادة - جيوش الدول العربية الاخرى في الهجوم على اليهود .

تسبب الانهيار التدريجي للمجتمع العربي الفلسطيني تحت ضربات مطرقة الحرب الاهلية في الفترة الممتدة من تشرين الثاني ١٩٤٧ وحتى أوائل أيار ١٩٤٨ والى حد بعيد ، اضافة الى التحول في اعتداءات الهاجانا في نيسان واوائل ايار بإطلاق الرحيل الجماعي الكبير للفلسطينيين ، وزاد ذلك من توتر الاتفاق الهاشمي - اليهودي واشتد الضغط على عبدالله مع كل نجاح يهودي جديد ومع كل انهيار وتهجير جديد للفلسطينيين .

وكان ساسون قد كتب سابقا الى عبدالله في ١٩٤٨/١/١١ فيما يتعلق :«بالمذابح والمجازر الجماعية التي كانت تدفع فلسطين بسرعة نحو الفوضى الكاملة والتي قد تؤثر ضمنيا على الاتفاق الصريح والنبيل الذي كنا قد توصلنا اليه قبل شهرين» . وعبر ساسون عن قلقه موجهاً حديثه الى عبدالله «بان هناك مؤامرات قد اخذت تدور في العالم العربي لتدفع بك وبحكومتك وبجيشك الى داخل المرجل من اجل تحويلك الى خانة اعدائنا» . .

وفي وقت مبكر من شهر أيار لخصَّ كيركبرايد ما اظهرته الاحداث خلال الشهر السابق :

اصبحت عمان الآن تكتظ بالناس وقد استقبلت موجة جديدة من اللاجئين من فلسطين مفعمة بقصص غاية في الوحشية . . وظهر ضغط شعبي مفرط يحث الملك عبدالله وحكومة شرق الاردن على إدخال الجيش العربي حالاً الى فلسطين . . الا أنه تم اقناع سلطات شرق الاردن وبكل صعوبة بالامتناع عن التدخل .

إستُهل شهر نيسان بقنابل تم زرعها بالقرب من منزل غلوب (واصيبت زوجته بجروح

طفيفة) بالقرب من مكان اقامة رئيس الوزراء .

لكن الحادثة العصيبة كانت بدون شك هي الاستيلاء يوم ٤/٩ على قرية دير ياسين العربية الواقعة في ضواحي القدس الغربية ، من قبل عصابات شتيرن والارغون الغير نظامية ، (بدعم عدد قليل من رجال الهاجانا) كجزء من «عملية نحشون» للهاجانا التي اعدت لتفريغ المنطقة الواقعة على طول الطريق من تل ابيب الى القدس ، وكان الاستيلاء مصحوبا تماما وربما متبوعا بالقتل والتمثيل بالجثث والاغتصاب لعشرات من المدنيين العزل من السلاح ، وقتل في العملية ما يقارب مائة وعشرة قرويا غالبيتهم من النساء والاطفال وكبار السن .

واكدت التقارير البريطانية واليهودية والعربية فيما بعد على بشاعة الحادثة واسهامها في دفع الفلسطينيين الى الفرار من القرى والمدن المجاورة والبعيدة ، وتفجير المشاعر الانتقامية والنضالية لدى الجماهير ولدى النخب السياسية في الدول العربية ضد الصهيونية . وفي شرق الاردن تركت المذبحة اثرا هائلا من النقمة والسخط وقدرا مساويا من الحذر . . كما نقل كيركبرايد .

ووقع السياسيون على طول الوطن العربي بمن فيهم الاردنيين تحت ضغط شعوبهم للتدخل من اجل «انقاذ الفلسطينيين»» وبدأ الضغط فورا على عبدالله كي يفعل «شيئاً ما» باستخدام جيشه الاسطوري واخذ الوجهاء الفلسطينيون يضغطون باستمرار على القصر الاردني .

وكتب احدهم بعد المذبحة بيومين مناشدا سيد القصر لمساعدة عرب فلسطين على الخروج من بلواهم والاستعجال بارسال الجيش الى فلسطين سواء لبسط السيطرة وحماية المناطق العربية أو الاستيلاء على المناطق اليهودية من البلاد ايضا . وقد توجه العديد من الوجهاء الفلسطينيين الى عمان للتأثير على الملك من اجل التدخل .

وقَدَّمت مجموعة من وجهاء قلقيلية حيث كان «الخوف كبيرا بعد دير ياسين» عريضة الى الملك في ٤/١٨ يناشدونه فيها المساعدة في الدفاع عن البلدة ، وفي ٤/٢٣ قدموا الى عمان لمناشدته بالذات ، وابلغ الوفد الملك بكل وضوح بأن وزراء الجامعة العربية لا يفعلون شيئا سوى التردد (مثل مكوك الحائك) من اجتماع الى اجتماع فيما كان عرب فلسطين يُذبحون ، واذا كانت الدول العربية تنقصها القوة فعليها ان تقول هذا الى عرب فلسطين الذين قد لا يجدوا بدا من ان يوافقوا على قرار التقسيم (يعني

القبول باقامة دولة يهودية وانهاء الاشتباكات) . فاجاب الملك بأن الجيش العربي اضعف من أن يجابه اليهود منفردا ، وان دولا عربية اخرى قد تشارك في الحرب بعد ١٥/ أيار مما قد يمكّن من هزيمة الصهاينة ، لكن وفد قلقيلية لم يقتنع بتلك الحجج وعاد الى الوطن محبطا الى حد كبير ، كما نقلت مخابرات الهاجانا .

وبعد المجزرة مباشرة سأل بيفين كيركبرايد حول نوايا عبدالله :

وهل ما زال يعتزم ارسال الجيش العربي الى فلسطين بعد ١٥/ أيار ؟ فاجاب كيكبرايد بأن نية عبدالله في بسط سيطرته على المناطق العربية من فلسطين بعد ١٥/ أيار بقيت بدون تغيير . الا أن غلوب فسر الامر كما يلي :

(تتمحور الفكرة العامة حول القيام بتثبيت وحدات من الفيلق العربي في الخليل ورام الله ونابلس كخطوة اولى ، وبعد ذلك يتم اقرار أية تحركات ابعد على ضوء الاحداث . من المفهوم لدى الجميع ان القدس تمثل مشكلة اكبر من ان يستطيع الفيلق العربي التعامل معها منفردا ،كما ان الجليل الغربي اصبح بعيد جدا ولا يمكن الاتصال معه الا من خلال المنطقة . . اليهودية . . وتتجه النية حاليا الى تجنب الصدام مع اليهود ، ولكن هل سيكون هذا ممكنا ؟ سننتظر لنرى) .

اضاف كيركبرايد بأن وجهاء مناطق غزة والخليل ورام الله ايدوا بشكل صريح احتلالا اردنيا . كما ان بئر السبع التي روعتها هجمات اليهود أصبحت على استعداد للترحيب بأي منقذ فيما بقيت نابلس حذرة مع وجود قوات القوقجي على ابوابها ، وظلت يافا واللد والرملة مروعة من قبل اتباع المفتي الذين هددوا بقتل أي شخص يتعامل مع الفيلق العربي .

(وفي مقابلة مع جريدة الاهرام اليومية المصرية في ذلك الوقت تحدث غلوب بكثير من الغموض عن أن الفيلق العربي سيدخل الى فلسطين بعد ١٥/ أيار من اجل الحفاظ على «الامن والنظام» إذا طلبت منه الامم المتحدة أن يفعل هذا) .

دفعت مذبحة دير ياسين والضغوط التي اثارتها بالملك عبدالله الى ان يطلب من الانجليز السماح بنقل بعض وحدات الفيلق الباقية في فلسطين من منطقة الى اخرى للدفاع عن القرى المعرضة للهجوم .

لكن كان هناك العديد من القرى كما اشار كيركبرايد - يوجد في فلسطين حوالي

٨٠٠ قرية - وليس لدى الفيلق العدد الكافي من الرجال لتغيير الصورة العسكرية بشكل مؤثر .

الا أن الانجليز رفضوا السماح لرجال الفيلق بالتحول عن المهام الاصلية المرسومة لهم وهي الدفاع عن القواعد الانجليزية وخطوط الاتصالات .

توترت العلاقات الهاشمية - اليهودية إثر مذبحة دير ياسين مباشرة وللتخفيف من آثار التوتر ارسلت الوكالة اليهودية بسرعة بالغة رسالة الى عبدالله تكرر فيها ادانة الوكالة لحادثة دير ياسين ، كعمل وحشي وهمجي . . لا ينسجم مع روح الشعب اليهودي وإرثه الحضاري فاجاب عبدالله «بأن الوكالة اليهودية تقف على رأس شؤون جميع اليهود داخل فلسطين وخارجها وتتسبب في وقوع (هذه الاحداث) - يعني ان الوكالة هي المسؤولة عن مذبحة دير ياسين - وقد يسفر استمرارها على هذا النهج عن عواقب وخيمة» .

وفي مواجهة خلفية هذا الانهيار العام لمعنويات العرب في فلسطين بموازاة الهزيمة التي لحقت بقوات القاوقجي في معركة مشمارها عيمك (٤ - ١٥/نيسان) ، بادر عبدالله بارسال برقية الى اللجنة السياسية في الجامعة العربية يطلب فيها انقاذ فلسطين . . بواسطة الفيلق العربي . فردّ عزام باشا الامين العام للجامعة العربية بشكل فوري وذلك بارسال الجنرال اسماعيل صفوت رئيس اللجنة العسكرية بالجامعة العربية الى عمان ليبحث مع الملك عبدالله الاجراءات الضرورية الواجب اتخاذها لتحرير العرب المحاصرين ومنع حدوث المزيد من المذابح .

وفرضت الجامعة على عبدالله بأن يجيز للفيلق العربي القيام بواجبه لم يكن عزام يُعوّل كثيرا على امكانية اندفاع الفيلق الى داخل فلسطين او حولها في تحد لحكومة الانتداب البريطاني التي كانت لا تزال الحاكم الاسمي للبلاد . كذلك لم يكن لعزام اية مصلحة عملياً في اعطاء الفيلق يدا طليقة في فلسطين . وقد اعلم صحفيا بريطانيا (قام بابلاغ غلوب الذي قام بدوره بابلاغ كيركبرايد) بأنه (أي عزام) وافق لشرق الاردن على التدخل في فلسطين في حال تخطيطه فقط لبسط سيطرته على كامل فلسطين - مما يعني ضمنا انه لم يوافق على تدخل الفيلق دفاعا عن المناطق والتجمعات العربية فقط .

وخلال الايام التي تلت تركت الضغوط الشديدة والمتضاربة عبدالله متأرجحا بين تعهده السابق لليهود وبين مطالب زملائه العرب . وفي تصريح للصحافة يوم ٤/١٧ ،

صرح رئيس البلاط الملكي لدى عبدالله : (بأن شرق الاردن يعارض التقسيم بقوة (مما يعني معارضة قيام الدولة اليهودية) ويعتبر فلسطين والمملكة الهاشمية (مثل) وحدة واحدة من شاطئ البحر حتى البقاع الداخلية) .

كان هذا يعني ضمنيا بأن نية عبدالله توجهت الى بسط السيطرة على كل فلسطين وربما دمجها مع شرق الاردن .

ولكي يعطي وزنا اضافيا لهذه النوايا لدى عبدالله ارسل كننغهام تقريرا يقول فيه بأن مصدرا عربيا موثوقا ابلغه بأن عبدالله طلب من العراقيين ارسال فرقة عسكرية بهدف حماية مؤخرة الفيلق لدى عبوره الى داخل فلسطين من اجل السيطرة على حيفا ويافا وغزة ، وقد فهم ضمنا ان عبدالله قرر نهائيا بسط السيطرة على المناطق اليهودية بالاضافة الى فلسطين العربية .

ومع سقوط طبريا العربية في يد الهاجانا في ١٧ - ١٨/نيسان والهجرة الجماعية لسكانها (جزئيا الى شرق الاردن) ازداد الضغط على عبدالله من داخل فلسطين وخارجها معاً للتدخل فوراً وعدم الانتظار الى حين انتهاء الانتداب . وكان على كيركبرايد أن يستخدم كل قواه لإقناع عبدالله بالتزام الهدوء - على الرغم من أن العرب لا يكونوا عادة على استعداد للاصغاء للمنطق عندما يكونون في حالة سخط او تحفز . . ولا ضرورة للقول بأن عبدالله ، حتى بدون محاولات كيركبرايد لكبح جماحه كان على علم بعدم وجود امكانية لتدخل اردني قبل ١٥/ أيار فلم يكن هذا الامر تحديا يستطيع الانجليز السكوت عنه .

لكن سقوط حيفا في ٢١ - ٢٢/ نيسان جعل موقف عبدالله اكثر سوءا بين العرب وزاد من حدة عباراته المضادة للصهيونية بشكل لافت للانتباه .

وفي عرض للصحافة صرَّح : (انه بعد دير ياسين وطبريا وحيفا لم يعد لديه خيار سوى التدخل اذا استدعى الامر هذا وقال : لا يزال بامكان اليهود الوصول الى حل سلمي للنزاع في حال موافقتهم على حكم ذاتي في مناطقهم لكن تحت سيادة عربية .

ومع اوائل ايار تضاعفت الضغوط السياسية مع ضغوط اقتصادية ولّدتها موجات اللاجئين المتدفقة عبر النهر وافادت مخابرات الهاجانا بأن تكاليف المعيشة (في شرق الاردن) اخذت ترتفع من يوم ليوم . وان اسعار الوقود قد زادت بشكل مروع اذ وصل سعر تنكة النزين الى ٢,٢٥ جنيه فلسطيني . وأدى هذا الارتفاع في تكاليف الوقود الى

توقف جزئي في حركة المرور كما أُجبرت مطاحن الدقيق على العمل يوما واحدا في الاسبوع ، وارتفعت اسعار المواد الغذائية الاساسية في الاسواق .

واستجابة لهذه الضغوط قام عبدالله بالسماح بارسال مئات المتطوعين الاردنيين الى فلسطين في الايام الاولى من أيار وكان العديد من هؤلاء المتطوعين يعملون جنودا سابقين في قوات شرق الاردن او في فرقة الفرسان التابعة للجيش ، وكان الهدف هو تعزيز ميليشيات المقاومة الفلسطينية . وفي وقت سابق بدأ الجيش رسميا بتجنيد جنود اضافيين وتدريبهم وتزويدهم بالسلاح والملابس وقام بدفع اموال الى القرى التي تمركزت فيها وحدات الجيش ، ومع حلول نيسان ، روي ان خمسين متطوعا من هؤلاء قد تم تجنيدهم في الخليل كما تم تجنيد اعداد اقل في غزة وبيت جبرين وحلحول .

لكن الجيش نفسه لم يستطع الزحف قبل ١٥/ أيار ، وقد اعطى عبدالله متنفسا لاحباطاته وكشف عن اهدافه بشكل غير مباشر - وكتب رسالة لكننغهام المندوب السامي البريطاني يعلمه فيها عن الشعور العربي في داخل شرق الاردن وخارجه في اعقاب احداث دير ياسين وخربة ناصر الدين وطبريا وحيفا وجاء فيها :

(الرأي الشعبي في الاردن اصبح مستفزا ومحبطا ، ولا شيء يستطيع ضبطه سوى تصحيح الاوضاع) . وقد قصد الملك بهذا بسط السيطرة الاردنية على القدس والناصرة وبيت لحم مع نهاية الانتداب وقبول اليهود للسيادة العربية في كل فلسطين «وهذه الوقفة كما قال عبدالله - كانت التعبير عن مشاعر كل شرق اردني يمتلك شهامة ورجولة» .

شدَّ كيركبرايد وغلوب على اعنتهم خلال الاسابيع التي سبقت الغزو . وفي ١٧/ نيسان قدَّم ضابط كبير من سلاح الجو الملكي كان قد تناول غذاءه مع الملك التقرير التالي :

(ان الاحداث الجديدة في فلسطين قد جعلته (أي الملك) قلقا اكثر من أجل اتخاذ اجراء فعال مع الفيلق العربي) . الا أن كيركبرايد وغلوب قد نجحا حتى الآن في ممارسة عملية اللجم اللازمة .

وكتب كيركبرايد تقريرا بعد احداث طبريا وحيفا يقول فيه :

(تمخض الوضع عن ضغط شعبي هائل يمارس على الملك وعلى عبد الاله الوصي على عرش العراق للتدخل فورا بقوات عسكرية في فلسطين ، والحقيقة أن عمان تمتلئ

الآن باللاجئين ، كما ان التقارير التي تتحدث عن وقوع هجمات يهودية في القدس لن تجعل المسائل اكثر سهولة . لكن القادة العرب كانوا ابعد ما يكون عن التفاؤل حول نتائج التدخل المحتمل . هناك هبوط عام في المعنوية العربية ونزعة لاطلاق العنان لاتهامات مضادة بدلا من التخطيط للتعامل مع الموقف . وبدأ الملك عبدالله يفقد اعصابه . وقد ترك الوصي على العرش في العراق لدي انطباعا بأن هدفه الرئيسي كان تهدئة الرأي العام في العراق اكثر منه انقاذا لفلسطين العربية . كما أن رئيس وزراء الاردن وزملاءه ينصحون بالتعقل ويقاومون بطريقة رائعة المطالب الهستيرية التي تنهال عليهم من اجل التدخل المسلح ، وقد قمت باضافة نصيحتي الى نصائحهم .

أمطر الممثلون البريطانيون في عمان الملك عبدالله بوابل من التهديدات والتحذيرات بأن عليه ان يبقى بعيدا حتى ١٥/ايار .

وقد سمح الملك عبدالله لنفسه بالاقتناع . لكن آخرين في العالم العربي ، كانوا اقل مجاملة لحاجات بريطانيا واحاسيسها . ففي اجتماع القادة العرب الذي انعقد في عمان صباح يوم ٢٩ / نيسان ، وحضره الوصي على العرش العراقي ، وعزام ، وانضم اليه بعد يوم واحد رئيس وزراء سوريا ورئيس الاركان ، ورئيس وزراء لبنان رياض الصلح ووزير دفاعه ، وممثل عن الاركان العامة للجيش المصري ، قرَّر القادة العرب من حيث المبدأ ادخال الجيوش العربية النظامية في معركة فلسطين .

وكان عزام في اليوم السابق قد ابلغ الدبلوماسيين البريطانيين بصورة شخصية ان الضغط الجماهيري في كل الدول اصبح لا يقاوم ، وان قادتهم ، بمن فيهم هو شخصيا قد يتعرضون للاغتيال اذا لم يفعلوا شيئا . وقال (لاحظ عزام بنفاذ بصيرته ان اليهود كانوا قادرين على استيراد اسلحة ساعة يشاؤون برغم الحظر الدولي على الاسلحة ، وكان متشككا جدا في مدى جدية الحظر على اسلحة اليهود . وقال ان الحظر يطبق فقط ضد العرب ، وهم لم يحصلوا على الاسلحة ، حتى تلك التي وعدوا بها بموجب عقود قائمة) .

وضغط معظم القادة الذين اجتمعوا في ٢٩ / نيسان من اجل عمل فوري ، بالنظر الى التقدم المطرد للهجمات اليهودية الناجحة والانهيار الفلسطيني المتواصل . وكان عزام قد ابلغ كيركبرايد بصورة سرية بأن هناك كتيبتين مصريتين قد وضعتا على الحدود

في رفح ، وسأل ما إذا كانت القوات البريطانية المرابطة في رفح ستتدخل اذا تحرك المصريون الى داخل فلسطين . فكان رد كيركبرايد بان البريطانيين سيكونوا ملزمين بمقاومة أي تحرك قبل نهاية الانتداب .

واقترح بعض القادة العرب في مؤتمرهم ، ان يتحرك الفيلق العربي اولا وبشكل منفرد الى داخل فلسطين حيث انه الجيش العربي الوحيد المجهز للعمل الفوري . وتفادى ابو الهدى رئيس وزراء الاردن الرد على الاقتراح بقوله ان الاردن لا يمكنه العمل بشكل مستقل بعد أن قررت الدول العربية التدخل المشترك . على اية حال ناقش عبد الله بأن الاردن لا يستطيع التحرك قبل ١٥ / ايار مهما حدث ، وامام تفوق الجيش العربي بين القوات العربية الاخرى ، بقي موقف الاردن حاسما وراسخا .

وامام تبعيات الرفض الاردني للاندفاع في الغزو قبل الاوان ، وامام هزائم الفلسطينيين المتلاحقة اصبح عدد من القادة العرب يميلون ببطء نحو تبني الموقف الاردني المؤيد لقيام دولة يهودية وان تكن اصغر من تلك المحددة في قرار تقسيم الامم المتحدة ، ولاول مرة لمح عزَّام الى أن دولة كهذه يمكن ان تكون مقبولة من العرب ، حاثاً كيركبرايد على تقديم هذه الملاحظة الى بيفين على انها تغير ملموس عن الهدف السابق الذي كان ينادي باحتلال كامل فلسطين .

بقي الاردنيون مخلصون لتعهداتهم التي قدموها الى «غولدا مائير» في تشرين الثاني من عام ١٩٤٧ ، وكذلك لتعهداتهم الى بيفين في شباط ١٩٤٨ .

وقبل اسبوع تماما من الغزو العربي المشترك ، رفع كيركبرايد التقرير التالي :

(ان الخطة التي وضعها الملك ورئيس الوزراء معا بقيت في جوهرها كما قُدِّمت لكم (أي : بيفين) وتنص على ان لا يقع أي هجوم ضد المناطق اليهودية وعلى الرغم من البيانات المعدة لاغراض دعائية ، فان نوايا الملك ورئيس وزرائه ابو الهدى بقيت على ما هي عليه دون أن يتمكنوا في الظروف الحالية من ان يظهروا للعالم العربي انهم في الواقع يقبلون بالتقسيم .

وامام تبعات الاحتلال الصهيوني والانهيار الفلسطيني والتهجير والارتباك الشامل الذي اجتاح بلاد العرب اصبح من الضروري ملاحظة الاحداث التالية :

كانت العواطف الطبيعية لرجال الفيلق في فلسطين تميل على نحو لافت للنظر نحو

اخوانهم العرب الذين ادمتهم المعارك وقد بقي هؤلاء الرجال بشكل عام وحتى منتصف أيار خارج القتال العربي - اليهودي . وقد وجد عبد الله ان الحكمة تقضي بعدم اعاقة مرور جنود وتجهيزات جيش الانقاذ العربي عبر شرق الاردن الى داخل فلسطين خلال الفترة من كانون الثاني وحتى آذار ١٩٤٨ . كما قام بعض ضباط الفيلق المتمركز في فلسطين ومع اقتراب منتصف شهر ايار ١٩٤٨ باعطاء الميليشيات المحلية تدريبا عسكريا اساسيا (وفي بعض الاحيان الرصاص والقنابل اليديوية الزائدة) الا أن الفيلق بقي خارج الحرب الاهلية .

مع ذلك وبشكل كان يتعذر اجتنابه في ضوء التوترات القائمة وقرب المواقع من بعضها البعض وقعت سلسلة من الاشتباكات بين اليهود والفيلق العربي .

كانت هناك سبعة سرايا من الفيلق معارة للجيش البريطاني منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وتخدم كحراسات على طول طرق فلسطين ، وفي قواعد عسكرية مختلفة لسلطة الانتداب . وخلال الفترة من كانون الاول ١٩٤٧ الى ايار ١٩٤٨ بقيت هناك نقاط تماس مختلفة واحتكاك مع الهاجانا التي كانت تنظر الى رجال الفيلق على انهم وبطبيعة الحال جزء من الجيش البريطاني .

ومع ذلك ، فان الاشتباكات التي وقعت كانت على وجه العموم هجمات من قبل الفيلق العربي على اليهود وليس العكس (فقد كان اليهود على علم بأن هجومهم على رجال الجيش قد يورطهم في اعمال عدائية غير مرغوب فيها مع الانجليز) . وقد وقعت غالبية هذه الصدامات خلال شهر كانون الاول ١٩٤٧ ، وهو الشهر الاول لبداية الاعمال العدائية ، وقد تناقص عدد هذه الاشتباكات وقل تكرارها مع ازدياد الانضباط الذي فرض على رجال الفيلق من قبل ضباطهم الانجليز والجيش البريطاني . وفي التاسع من كانون الاول ، قام احد رجال الفيلق باطلاق النار من شاحنة عسكرية على المارة في شارع الميناء بحيفا وجرح ثلاثة يهود وبعد ذلك بيومين أي في ١١/ كانون الاول ، قام خفير حراسة على بوابة المستشفى العسكري الثاني والاربعين في حيفا باطلاق النار وقتل يهودي .

وفي ١٤/ كانون الاول قام عشرات من رجال الفيلق وفي اسوأ حادثة تذكر باطلاق النار من معسكرهم في بيت نبالا على قافلة يهودية مارة في طريقها الى بيت شيمين ،

فقتلوا ١٤ يهوديا وجرحوا ١٩ . وبرر رجال الفيلق عملهم هذا بقصة غير محتملة تقول ان اليهود قاموا بالقاء قنابل على المعسكر مما حرضهم على اطلاق النار ، ولم يصب احد من رجال الفيلق في الحادثة .

ولكن صدام بيت شيمين لم يكن الاخير .

ففي ١٩٤٨/٢/٢٣ قامت احدى وحدات الفيلق باطلاق النار على قافلة يهودية كانت مارة بالقرب من بوابة الاسود خارج المدينة القديمة . وفي ١٩٤٨/٢/٢٥ اطلق رجال الفيلق من داخل المدينة القديمة النار على مدرسة يهودية وجرحوا طفلين .

وفي ٤/١٨ قامت سيارات مصفحة للفيلق العربي بمهاجمة مستوطنة نيفي يعقوب اليهودية شمال القدس مباشرة بعد ان قام المدافعون عنها بتكرار اطلاق النار على السيارات العربية والبريطانية على طريق رام الله - القدس . الا انه وبوجه عام ، بقي الفيلق خلال الفترة من تشرين الثاني / ١٩٤٧ وحتى وقت متأخر من شهر نيسان / ١٩٤٨ منضبطا دون انحياز لاحد خلا بعض الصدامات النادرة مع مجموعات يهودية أو تقديم مساعدات لرجال الميليشيات التي يقودها الحسيني .

ورغم أن ضباط الفيلق في فلسطين لا يحملون عواطف اتجاه اليهود الا انهم استوعبوا بدون شك ، أن ملكهم يعتبر الحسيني ومناصروه أعداءً رئيسيين للاردن .

لكن هذا الموقف تغير بعض الشيء على الاقل بسبب انشاء الدولة اليهودية واقتراب دخول الجيش العربي الى داخل فلسطين .

ووقع اول اشتباك خطير خلال الفترة من ٢٧ - ٢٩ / نيسان عندما قامت الكتيبة الرابعة في الفيلق انتهاكاً لتفاهم عبدالله - مئير لشهر تشرين الثاني ١٩٤٧ (وللقانون الدولي) بنصب مدفع مورتر وقصف مخفر شرطة نهاراييم (جسر المجامع) التابع للهاجانا اضافة الى كيبوتز غيشر المجاور للمخفر على الجانب الفلسطيني من الحدود الدولية .

كان الهجوم وفقا للاردنيين رداً عاجلا على مقتل واحد او اكثر من افراد الفيلق في الموقع من قبل قناصة الهاجانا . وجاءت رواية اخرى لتقول بأن الهجوم كان نتيجة سوء تفاهم محلي وقام غلوب بعدها بتأديب قائد كتيبة الفيلق المسؤول حابس المجالي . ووفقا للهاجانا فقد وقع الاشتباك بسبب احتلال الهاجانا لحصن بوليس نهاراييم الذي اخلاه

الجيش البريطاني مبكرا في ٢٧ / نيسان .

وليكن ما يكون فقد يكون للهجوم الاردني هدفا استراتيجيا مباشرا (سواء تم من قبل المجالي أو باذن من قبل عبدالله نفسه) وهو ازالة أي عقبة تقف في طريق تقدم الجيش العربي الوشيك نحو فلسطين من خلال اقصاء الهاجانا عن واحدة من النقاط الرئيسية التي سيتم عبورها على نهر الاردن . (في ١٥/ايار كانت نهاراييم وغيشر هدفا لغزو الجيش العراقي الذي امضى الايام الخمسة او الستة التالية محاولا وبدون نجاح احتلال الكيبوتز والحصن المجاور) .

وسواء كان هناك قنص من قبل رجال الهاجانا او لم يكن ، فقد بدأ الهجوم عندما فتحت مورترات الجيش ومصفحاته النيران على الحصن وعلى الكيبوتز ليلة ٢٧/ نيسان ، مضاعفة في اليوم التالي من حجم النيران . الا أن الفيلق لم يعبر النهر للانقضاض على المستوطنة او الحصن واحتلالهما . (اشار كيركبرايد بأنه كان له يد في تحجيم عمليات الفيلق) . وتحولت كثير من مباني المستوطنة الى انقاض (قطع حجارة صغيرة) لكن اعضاء الكيبوتز وقوات الهاجانا المحلية واصلوا بغير انقطاع اخلاء الجرحى . وفي صباح يوم ٤/٢٩ ، وخلال توقف للقصف ظهر في المشهد ضابط من ضباط الفيلق وطلب باسم عبدالله بأن تخلي الهاجانا الحصن وان تقوم بتسليم المستوطنة واسلحتها لكن المدافعين رفضوا ذلك ، وفي الوقت الذي احتجت فيه الوكالة اليهودية لدى كننغهام الذي توسط بدوره لدى عبدالله (عن طريق كيركبرايد) ، كان افراهام داسكل احد موظفي الوكالة اليهودية والذي كان على علاقة حميمة مع الملك في الاردن قد اجرى بصورة مستقلة اتصالا مباشرا مع القصر ، بعدها قام عبدالله (او غلوب) بوضع حد للقصف .

وقد تسببت عمليات الفيلق بوقوع ارتباك كبير في الوايت هول لأن أحد حلفاء بريطانيا قام بقصف مستوطنة يهودية مقامة على ارض مدارة من قبل بريطانيا نفسها ، وكانت هذه المستوطنة قد خصصت من قبل الامم المتحدة لتكون تحت السيادة اليهودية ، وقد دفع هذا الامر ببيفين الى توجيه تأنيب قاس للوزير الاردني في لندن وفي نفس الوقت كان كيركبرايد قد تسلم تعليمات تنص على تعنيف عبدالله بسبب الاعتداء على ارض فلسطينية . ولفت بيفين الانتباه الى أن بريطانيا قد وضعت الآن تحت ضغط شديد من اجل تفسير لماذا بررت لنفسها التدخل ضد هجوم العصابات اليهودية المتزامن على

يافا في حين كفت يدها عن التدخل ضد هجوم ارني على غيشر ؟

أما الحادثة الثانية فقد كانت اشد خطورة ، إذ قام الانجليز خلال شهر نيسان والنصف الاول من ايار تدريجيا باعادة معظم سرايا الفيلق التي كانت تقوم بمهمات حراسة في فلسطين الى شرق الاردن كجزء من عملية الجلاء ، وكانت خطط الانجليز تقضي اساسا بسحب كامل وحدات الفيلق واعادتها الى شرق الاردن مع نهاية نيسان . الا أنه بسبب تأخيرات الدقيقة الاخيرة قام الجنرال غوردون ماكميلان القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين بتأجيل الموعد النهائي الى ١٢/ أيار .

لكن غلوب كان مهتما بالابقاء على بعض القوات في الضفة الغربية ، حتى الى ما بعد ذلك التاريخ ، لتحضير الطريق واستقبال الفيلق بالترحاب عند عبوره للنهر ، كما أن من المحتمل ايضا ولاسباب تقنية - وفقا لغلوب - ان عددا من السرايا لم تكن قادرة على الانسحاب في الوقت المحدد ، وقد ظلت مرابطة في فلسطين (لتقديم التحية فيما بعد لجسم الفيلق الرئيسي عندما يعبر الاردن في ١٥ - ١٦/ ايار . وعلى أي حال ، فقد تخلف ما بين ٢ - ٦ سرايا تقريبا من الفيلق عند مغادرته فلسطين مع حلول ١٤ / ايار (رغم ان غلوب اورد في مذكراته ذكر واحدة فقط في الخليل) .

وهناك دليل وافر على أن سرايا او فصائل مستقلة بقيت في المؤخرة في رام الله وضواحيها تحسبا للفرق الزمني بين رحيل الجيش البريطاني ودخول الجيش العربي الى ريف السامرة ويهودا .

وخلال الاشهر التي سبقت الخامس عشر من ايار ، ظلت السيارات المدنية العربية والانجليزية وناقلات الجيش العسكرية على طول الطريق بين الخليل والقدس تتعرض على نحو دوري لاطلاق النار من قبل رجال ميليشيات الهاجانا المتمركزين في تجمع كيبوتزات عتصيون الذي يتألف من اربع مستوطنات هي : كفار عتصيون وريفاديم وماصئوت يتسحاق وعين تزوريم - وقد زرعت هذه المستوطنات خلال عقد الثلاثينات من القرن العشرين جنبا الى جنب غرب الطريق التي تربط بين الخليل وبيت لحم . وكانت خطة تقسيم الامم المتحدة قد خصصت هذه المنطقة للدولة العربية ، الا أن قيادة الهاجانا اصرت على عدم اجلاء المستوطنين عن هذه المنطقة كونها تمثل شوكة حادة مزروعة في قلب منطقة عربية خالصة . وكما عبر عنها الضابط عبدالله التل حيث قال : انها عائق كامن على طول خط تجمعات عربية رئيسية . وابان الدفاع عن المستوطنات تم

نشر ٤٠٠ - ٥٠٠ من رجال الهاجانا حول المكان ، وقد كان بالامكان وضع هؤلاء لتعزيز القوات التي تحرس القدس اليهودية . ولكن كان يسود شعور لدى الهاجانا بأن وجود هؤلاء هنا سيؤدي الى اجبار العرب على استخدام قوات كبيرة من اجل حصارهم او التغلب عليهم وهي قوات كان من الممكن ان تستخدم في القتال الدائر حول القدس .

وخلال شهر نيسان والايام الاولى من ايار استخدم الانجليز سرايا الحراسة التابعة للفيلق العربي في تأمين الطريق الرئيسة التي اعتزموا سحب رجالهم ومعداتهم على طولها . وشملت هذه طريق القدس - الخليل - بئر السبع وقد رابطت سرية من الفيلق العربي في الخليل . كان الجيش الانجليزي والفيلق العربي يبديان حساسية استثنائية اتجاه طرق منطقة القدس . وكان انسحاب الانجليز افرادا ومعدات من المناطق الساحلية يتم نسبيا من خلال ميناء حيفا مباشرة او عبر رفح الى قناة السويس .

لكن الانسحاب من القدس سواء كان باتجاه حيفا او باتجاه الجنوب الى رفح يعني اجتياز مناطق مختلطة ومعرضة للمعارك . مما يشكل خطرا في حال وقعت طوابير الجلاء الانجليزي وسط وابل من تبادل النيران .

اما بالنسبة للفيلق العربي فقد كانت حساسية منطقة القدس تنبع من اهمية القدس الدينية والسياسية ، ومن كون عبدالله عازم على احتلال الضفة الغربية في اعقاب الجلاء البريطاني .

وفي نهاية نيسان عززت بريطانيا وبشكل كبير وجود الفيلق العربي جنوب القدس ، ووفقا لمخابرات الهاجانا وصل في الرابع والعشرين والخامس والعشرين من شهر نيسان ما بين ٥٠٠ - ٧٠٠ من رجال الفيلق العربي الى الخليل وبيت لحم (مع احتمال أن تكون الارقام مبالغا فيها) .

ووفقا لمخابرات الهاجانا أيضاً ، فقد قام النقيب عبد الجواد قائد الخليل بجمع رجاله في منطقة وسط المدينة لابلاغهم بأن الجيش العربي سوف يهزم اليهود وان هذه السرية قد اعدت لاحتلال تجمع مستوطنات عتصيون . . وخاطب سكان الخليل وحثهم على مساعدة الجيش في الهجوم .

وفيما كان اهتمام الانجليز منصبا على تعزيز قوة الامن على طول الطريق ، كان غلوب في الواقع يفكر اساسا في ترتيبات الغزو الوشيك . وكان الناظر من عمان يرى

التطورات السياسية والعسكرية غامضة تنطوي على مخاطرة، والنوايا باتجاه تجمع مستوطنات عتصيون غير واضحة حتى لضباط الفيلق في المنطقة. وفيما بعد، اخبر احد ضباط الفيلق صحفياً اسرائيليا بان مركز قيادة الفيلق في منطقة الخليل. اراد أن يستلم زمام الادارة في كل منطقة الخليل بعد مغادرة الانجليز مباشرة. وقد تم رسم خطة محددة مع بداية شهر ايار تتعلق ببسط السيطرة من منطقة الخليل وحتى الاطراف الجنوبية للقدس، لكن الخطة وفقا للضابط لم تشمل الاستيلاء على تجمع عتصيون وانما كان هدفها تحييده وعزله. ويبدو ان وحدات الفيلق في منطقة الخليل قد تسلمت في هذا الوقت اوامر متضاربة من عمان.

وفي الايام الاخيرة من الانتداب، ووفقا لمذكرات غلوب، امرت بريطانيا الجيش ان يسحب كمية من الذخيرة والعربات من مصر.

وكتب غلوب يقول «وعلى ذلك فقد قررنا ازالة مستعمرات كفار عتصيون قبل ان تحاول تحطيم قوافلنا وعزلنا عن الخليل». الا أن هذا الحديث لم يجب بدقة على السؤال: كيف ولماذا تم اخيرا الهجوم على تجمع عتصيون؟

فعلى الرغم من تصريحات عبدالله التل المناقضة تماما، فانه من المرجح ان يكون غلوب نفسه هو من أمر بالهجوم. ويؤيد هذا القول ارشيد مرشود قائد كتيبة الفيلق الاولى الذي دون في كانون الاول ١٩٤٨ ان الامر قد صدر من قبل رئيس هيئة اركان الفيلق (غلوب).

كذلك فان ميزة الانضباط الشديد في الفيلق العربي تجعل من غير المحتمل أن يقوم التل قائد الكتيبة المسؤولة عن طريق القدس - الخليل او قائد السرية المتمركزة في الخليل بالتصرف دون اذن من غلوب.

وبالطبع عندما اندلعت الاشتباكات في ١٢/ايار اصبحت موافقة غلوب ضرورية من اجل استمرارها ومن اجل التقدم للاستيلاء النهائي على المستوطنات في اليوم التالي.

ووفقا للتل، فقد تلقى تعليمات دقيقة من غلوب في ٦/نيسان « بتجنب الصدامات مع اليهود او مضايقتهم بأية طريقة ».

ولكن المدافعين عن تجمع مستوطنات عتصيون وبناء على تعليمات من مركز قيادة الهاجانا في القدس ظلوا يطلقون النار بصورة متكررة على قوافل العرب، بما فيها نقليات

الفيلق العربي على طول الطريق . ووفقا لوثائق الهاجانا ، فان وحدات تجمع عتصيون قامت بمهاجمة قوافل عربية ومركبات للأفراد في ٦ ، ١٢ ، ٣٠/نيسان وفي ١ ، ٣/ ايار من اجل تخفيف الضغط على القدس (اليهودية) ولمنع وصول الاسلحة والمسلحين غير النظاميين الى المدينة . وقد شملت هذه الهجمات نصب كمائن لوحدات الفيلق العربي في ١٢/ نيسان و ٣/ أيار قتل وجرح فيها حفنة من رجال الفيلق .

وبحسب تحليلات جيش الدفاع الاسرائيلي ، فان هذه الكمائن دفعت بريطانيا الى اعطاء الفيلق يداً طليقة من اجل القيام بعمل عدواني اتجاه تجمع مستوطنات عتصيون .

ووفقا لاحد المصادر ايضا ، فقد دفعت هذه الكمائن بالفيلق العربي الى تغيير سياسته اتجاه التجمع ، فبدلا من عزله بكل بساطة ، اتخذ الفيلق قرارا بتدميره .

كانت الهاجانا قد أُخطرت بالهجوم . وفي يوم ٤/ أيار وهو اليوم التالي لكمين رجالها ضد قافلة الفيلق ، قامت قوة مشتركة من القوات البريطانية والفيلق العربي وعدد من المسلحين غير النظاميين مدعمة بدبابات وعربات سلحة ومدافع مورتر بشن هجوم عقابيٍ شديد على كفر عتصيون ومواقعها الامامية وتراجعت قوات الهاجانا مخلية مركزاً او اثنين . الا انها بشكل عام ثبتت في مواقعها وانسحب المهاجمون . وتكبدت الهاجانا ١٢ قتيلا ونحو ٣٠ جريحا . لكنها اعادت احتلال المراكز . وقتل عدد مماثل من الفيلق واصيب العشرات بجروح .

من غير المحتمل ان يكون المهاجمون قد اعتزموا الاستيلاء على المستوطنات ، لكن اهل منطقة الخليل ووحدات الفيلق المحلية اعتبرت الهجوم اخفاقا ، وتركهم هذا الشعور متعطشين اكثر للثأر والنصر . وخلال اليوم التالي أو بعد يومين ، وقع هجوم آخر للهاجانا على قوافل عربية . ووفقا لاحد مصادر الفيلق ، فقد اجتمع الضباط مساء يوم ٥ أو ٦ / أيار ووضعوا خطة الهجوم النهائي لتدمير تجمع عتصيون عسكريا بشكل تام . واخذ رجال الفيلق بتدريب الجنود الاضافيين المحليين والتحضير للمعركة النهائية .وضغط الوجهاء المحليون على ضباط الفيلق لشن الهجوم قبل أن يرحل الانجليز .

كان لكل من السكان المحليين ورجال الفيلق مصلحة في حماية الطريق - وبناء عليه اصبح من الضروري اجتثاث التجمع الاستيطاني - قبل أن يعبر جيش عبدالله نهر الاردن ويحتل المنطقة . لقد كانت مسألة لوجستية (امنية ذات علاقة بنقل الجيش

والتموين) . الا أن عبدالله وبدون شك اراد ايضا زيادة هيبته قبل الغزو وكسب التأييد المحلي لبسط السيطرة الوشيكة الحدوث ، وكان اهل الخليل هم من ناشدوا عبدالله التحرك الى المنطقة ومنع سيطرة الحسيني ، كما ان هؤلاء الوجهاء في الخليل بقيادة الجعبري كانوا مدفوعين بالتنافس مع زمر الحسيني المتمركزة في جبال القدس ، كما انهم رغبوا ايضا في اظهار استعدادهم للقتال واحراز نصر على الصهاينة .

وعندما استلم التل قيادة الكتيبة السادسة ، قام فورا باعطاء تعليمات لوحداته بأن تكون جاهزة للعمل .

وفي يومي ٩ و ١٠/أيار ، لاحظت مخافر الهاجانا الامامية ضباطا من الفيلق يستطلعون محيط كفار عتصيون ويأخذون بعض القياسات .

وعند بزوغ فجر يوم ١٢/أيار ، قامت عناصر سريتي مشاة من الفيلق العربي (السرية السادسة والسرية الثانية عشر) مع ما يزيد على اثنتي عشرة عربة مصفحة من الكتيبة الاولى وسرية الحماية الثانية بنصب مدافع ٢/ رطل وبطارية مورتر ٣/ انش وبدعم من مئات المسلحين المحليين ، وبدأت هجومها على كفار عتصيون ومخافرها الامامية .

وكان غلوب حينها قد أُعطيَ معلومات مضللة عن اشتباك على مستوى خفيف ، فوافق عن مضض على ارسال التل مع تعزيزات لمساعدة رجال الفيلق . وقام رجال الفيلق المنظمون جيدا باستخدام مهاراتهم الفائقة في قوة النيران ، وبالتدريج دمروا التحصينات الخارجية للهاجانا التي لم يكن لدى رجالها ما يردون به على قوة ومدى الدروع والمدفعية والمورتر ، وقبل ظهر يوم ١٣/ أيار ، تمكنت قوات الفيلق من اختراق دفاعات كفار عتصيون ، والدخول الى قلب المستوطنة عازلين مخافرها الخارجية عن بعضها البعض ، وسلَّم المدافعون بالهزيمة ، وقام العشرات منهم بالانبطاح على الارض والزحف على ايديهم واخذوا يتجمعون في ساحة المستوطنة ، وفجأة فتحت النيران بغزارة على الرجال المحتشدين ، فركض الذين لم يصابوا منهم طلبا للحماية ، الا أن العرب اخذوا يقتلونهم «وفقا للتقليد العربي» كما ورد في كلمات مؤرخ جيش الدفاع الاسرائيلي بهذا الشأن :

(اندفع العرب بقوة الى داخل المستوطنة من جميع الجهات وشرعوا بقتل الاحياء والجرحى وهم يصيحون «دير ياسين» ثم تحولوا مباشرة الى السلب والتخريب . (وقد

قتل عدد من القرويين بسبب انفجار الالغام الارضية خلال اندفاعهم الى داخل المستوطنة للسلب) .

وقامت عربات الفيلق المصفحة باطلاق النيران من الرشاشات الآلية إما للمشاركة في المجزرة او من اجل وقفها (كما اخبر الاسرى اليهود فيما بعد) . وباشر المسلحون غير النظاميين بتدمير المستوطنة . وتمكن ثلاثة من المدافعين الذين كانوا في الساحة من الفرار - وقد فر واحد منهم الى مستوطنة ماصئون يتسحاق فيما وقع الآخران في اسر ضباط الفيلق وحاول اثنان من العرب «من غير الواضح ما إذا كانا من رجال الفيلق أو من القرويين» اغتصاب احدى نساء المستوطنة إلا أن ضابطا من الفيلق تدخل واطلق عليهما النار فارداهما قتيلين قبل ان يأخذها اسيرة ، الا انها شهدت فيما بعد بأن الضابط نفسه اطلق النار من مسدسه على عدد من جرحى اليهود الذين كانت تبدو عليهم علامات الحياة فارداهم قتلى اثناء اخذه اياها الى شاطئ الأمان . وقد اكد كل من المرأة والرجل الذي فرا الى ماصئون يتسحاق في شهادتيهما لاحقا «بأن افراد الفيلق شاركوا بصورة فعلية في المجزرة» .

لكن مؤرخ جيش الدفاع الاسرائيلي يستشهد بحديث احد ضباط الفيلق الذي اوضح بأنه لم يكن هناك استسلام رسمي منظم ، وانه في حين استسلم بعض المدافعين واصل آخرون اطلاق النار على العرب ، وأن القرويين قاموا فعلا بذبح بعض الذين استسلموا من اليهود ، كما أن رجال الفيلق قتلوا عددا من القرويين ، وقد اصيب جنديان بجروح بليغة اثناء دفاعهم عن ثلاثة من الاسرى اليهود الذين اقتيدوا بعد ذلك بعيدا من قبل القرويين وتم قتلهم .

وفيما يتعلق بالمجزرة فقد علل المؤرخ بانها نجمت أولا وقبل كل شيء عن عقلية متوحشة وتعطش للثأر من اليهود . وكانت وريثة للمجزرة التي ارتكبت في الخليل عام ١٩٢٩(ضد جالية اليهود الارثوذكس المتشددين والتي قتل فيها ما بين ٦٤ - ٦٦ يهودي) . وذبح في كفار عتصيون ١٢٧ يهودي من بينهم ٢١ امرأة .

كانت رواية الفيلق ، كما نقلها كيركبرايد الى وزارة الخارجية في ١٤/ ايار مختلفة الى حد ما . فقد كان كيركبرايد قد تعرض لضغط شديد من اجل تفسير سبب مشاركة وحدات الفيلق المعارة للجيش البريطاني في مهاجمة وتدمير اربع مستوطنات يهودية قبل ساعات من انسحاب بريطانيا . وقد كتب كيركبرايد في معرض رده بأن المدافعين

عن المستوطنات هم الذين تسببوا في وقوع الهجوم بسبب تكرار مهاجمتهم لنقليات الفيلق على طريق الخليل . وروى (بصورة مضللة) أن عدد من الرجال المسلحين المحليين غير النظاميين استبقوا وصول الجيش الى المستوطنات للقيام بالقتل والسلب ولكن الفيلق العربي منع وقوع المذابح ، واوقف اعمال السلب التي كان يمكن ان تحصل لو تركت الامور بأيدي المحليين .

هزَّ سقوط كفار عتصيون بشكل خطير معنويات المدافعين عن المستوطنات الثلاثة الاخرى والتي اصبح الدفاع عنها متعذرا ،لذا تم ترتيب الاستسلام للمستوطنات المتبقية في المفاوضات اللاحقة التي جرت خلال الليل بين الانجليز والصليب الاحمر والقادة العرب المحليين ، وفي وقت مبكر من صباح يوم ١٤/ أيار دخلت الى مستوطنتي عين تزوريم وريفادين قافلة للصليب الاحمر يرافقها عدد من ضباط الفيلق والتقطت الجرحى ، أما الرجال والنساء الاقوياء البنية فقد اخذوا اسرى لدى الاردنيين ، وبعد ساعات قليلة استسلمت مستوطنة ماصئون يتسحاق ، واخلي اقوياء البنية منها ايضا الى الاردن . وبالاجمال فقد وقع حوالي ٣٥٠ من سكان المستوطنات الاربعة ومن المدافعين عنها اسرى حرب لدى الاردنيين . وكتب طبيب يهودي كان يرافق القافلة مشاهدات عما رآه في ريفادين وعين تزوريم فقال : ان القوات العسكرية (ضباطا وافرادا) تصرفوا بصورة رائعة .

وفي سيرته الذاتية ، روى غلوب بألم بأنه إذا حصل ووقعت مجزرة في كفار عتصيون فهي لم تكن من تدبير الجيش العربي .

وكان عبد الله التل اقل حذرا (رغم انه لم يكن صادق تماماً) حيث قال : (واصل المقاتلون اليهود المتبقون المقاومة من مركز محصن مما اضطر جنودنا الى قتلهم جميعا ، واخذنا ثلاثة اسرى فقط ، وقتل جميع المقاتلين اليهود) .

وفي موازاة هذه المناوشات بين الفيلق والهاجانا (وربما نتيجة لها) حاول الاردن مرتين وبشكل سرّي - الاولى من قبل غلوب والثانية من قبل عبد الله - ضرب اتفاق تشرين الثاني ١٩٤٧ مع اليهود قبل الاندفاع المزمع الى الضفة الغربية - ففي يوم ١٠ / نيسان /١٩٤٨ ارسل غلوب العقيد دزموند جولدي الضابط في قيادة اللواء الأول الى العفولة للاجتماع مع أحد المسؤولين اليهود المدعو (او اسمه الحركي) باركاي على أن يقول بأنه قد جاء باسم غلوب ويطلب من باركاي أن يساعد في اعداد اجتماع مع ممثل عن

الهاجانا بين يومي ١٥ - ١٦/أيار وقال جولدي«إن الجيش العربي . . يرغب في (ذلك الحين) دخول المنطقة العربية من فلسطين وان لواءه سيكون في الطليعة ، واضاف ان التحديد الدقيق للمنطقة التي سيتم احتلالها غير واضح) ، مثلث (نابلس رام الله طولكرم) ، القدس ، عكا ؟ لكن الغرض من الاجتماع المطلوب هو بحث «عدم تبادل القتال في تلك التواريخ» يعني : الخامس عشر والسادس عشر من أيار .

وانتهى الاجتماع بقول جولدي انه سيعود الى عمان ويتصل بباركاي بعد ايام قليلة لاستلام الرد .

انعقد الاجتماع المطلوب بين الجيش العربي والهاجانا والذي بادر به غلوب (بموافقة مسبقة من الملك عبدالله على الارجح) يوم ٢/ أيار في نهاراييم موقع الاشتباكات التي حدثت قبل ثلاثة أيام بين الهاجانا والجيش العربي . وتوجه جُولدي بصحبة ضابط الاركان شارلز كوكر حيث التقيا شلومو شامير رجل الهاجاناه ، الذي كان على وشك تولي قيادة اللواء المدرع السابع المنشأ حديثا ، وناحوم سييجل (جولان) ضابط العمليات في الهاجاناه والذي اصبح فيما بعد قائدا للواء جولاني .

وكان جولدي يتلقى توجيهات من قبل اللواء نورمان لاش معاون غلوب ، اكثر من غلوب نفسه - ربما في محاولة من غلوب للنأي بنفسه عن العرض ، ومع ذلك فقد ابلغ جولدي شامير بأنه مبعوث من قبل غلوب لفتح خط للاتصال مع الهاجانا من اجل تفادي وقوع صدام بين الجيش العربي والهاجانا اثناء اندفاع الجيش الى داخل فلسطين .

وتحدث جولدي تكرارا عن الحاجة الى عقد اجتماعات لاحقة (ربما في كاليا على الشاطئ الشمالي للبحر الميت) . والى ترتيب طريقة مسبقة للاتصال . ووفقا لتقرير شامير ، فقد استهل جولدي الاجتماع بالحديث عن النقطة الرئيسية قائلا : «نحن نريد الاتصال المباشر معكم من اجل تجنب صدام معكم . هل هذا ممكن ؟» فرد شامير بانه ما دام لا يرغب الجيش في قتالنا ولا يدعم أي هجمات يقوم بها عرب آخرون (جيوش) . . فانا لا ارى سببا لحدوث صدام) .

- ثم سأل جولدي ما إذا كان اليهود قد قبلوا التقسيم في الواقع أم انهم يعتزمون الاستيلاء على كامل البلاد ؟

- رد شامير بأن حدود الدولة اليهودية المستقبلية هي قضية من اختصاص القادة

السياسيين لليهود ، فما هو ضروري لأمن الدولة سوف يتم الاستيلاء عليه ، واذا لزم الامر فسيتم الاستيلاء على كامل البلاد ايضا .

ولم يذكر في تقرير شامير كيف كان رد فعل جولدي اتجاه هذه النقطة .

- ثم انتقل جولدي لمناقشة مسألة القدس وقال :

نحن قلقون بشأن الوضع في القدس . وسأل : كيف يمكن تجنب أي تصادم بين الجيش والهاجانا هناك ؟

- وعند هذه النقطة كان شامير متحفزا تماما فقال : ما دامت سلامة القدس اليهودية مؤمّنة والطرق المؤدية لها ولمستوطناتها من تل ابيب مفتوحة وآمنة فاعتقد بأنه لا يوجد سبب للتصادم

- استطرد جولدي ليصف المأزق الاردني العام فقال :

عليك أن تفهم بأننا لا نريد أن نتصادم معكم لكننا لا نستطيع ان نظهر أمام العرب كخونة بسبب ذلك .

ما الذي في الاستطاعة عمله هنا ؟ كان جولدي يشعر بوجوب ايجاد مخرج لتجنب وقوع معركة .

وبالعودة الى الموضوع الاصلي الذي طرقه جولدي سأل الرائد كوكر ما إذا كان الهجوم على يافا التي كانت ضمن الاراضي المخصصة للعرب بموجب قرار الامم المتحدة (في ٢٥ - ٢٧٢/ نيسان) من قبل القوات الصهوينة يعتبر مؤشراً على نية اليهود للاستيلاء على كامل البلاد ؟

- رد شامير بالنفي قائلا : ان يافا قد تمت مهاجمتها لانها ازعجت جارتها تل ابيب بغارات متكررة ، وهذا امر لا يمكن تحمله .

- جاء بعد ذلك دور شامير في طرح الاسئلة ، فسأل جولدي «هل تعتزمون دخول فلسطين ؟»

- تفادى جولدي الاجابة قائلاً : «بقدر ما اعلم لم يتم اتخاذ أي قرار حتى الآن ، ربما يكون الباشا (يعني غلوب) على علم بذلك فنحن لا نعلم» .

- شامير (ضاغطا) «لكنك ذكرت الآن وجود خطة للدخول الى فلسطين ؟»

- جولدي : «حقيقة لقد خططنا لبدائل عدة ولكن لم يتم اقرار شيء حتى الآن» .

قطع شامير الموضوع واستطرد كوكر وجولدي في التعليق على الاشهر الستة السابقة من القتال .

- قال جولدي كنا نظن بأن معنويات العرب (الفلسطينيين) ستنهار لكننا لم نتصور ان يحدث الامر بهذه السرعة . . العرب ليسوا مقاتلين جيدين والوحيدون الذين يمكنني الاعتماد عليهم هم البدو فهم ينفذون الاوامر ولا يولون الادبار .

فيما بعد حدد شرتوك الهدف من مهمة جولدي او مفاتحته بأنها جاءت لتنسيق الخطط العسكرية الخاصة من اجل تجنب وقوع صدامات دون الظهور بمظهر الخونة للقضية العربية .

وحدد شامير بشكل اكثر دقة هدف جولدي بأنه ناجم عن الرغبة الاردنية - أو رغبة غلوب - في فتح قناة اتصال من اجل المستقبل ، ومن اجل كشف خطط الهاجانا واستشفاف اية نيات مبيتة في موضوع القدس التي كان الاردنيون يعطونها الاولوية بالنسبة للاتفاقيات .

ويظهر من سياق تقرير شامير ان غلوب كان على وجه العموم يحاول التحقق وقبل كل شيء من امكانية التوصل الى اتفاقية عدم تصادم مع الهاجانا قبل اندفاع الجيش الى الضفة الغربية .

أما الهاجانا من ناحيتها ، فكانت تواقة ايضا الى عدم الدخول في قتال متبادل مع الجيش كما ارادت ان تستشف نواياه .

كان اجتماع جولدي - شامير مقدمة للاجتماع السري الثاني والاخير والذي عقد بعد ثمانية أيام في ١٠/ ايار بعمان بين الملك عبدالله وجولدا مائير (مايرسون) ممثلة الوكالة اليهودية ، وكان يرافق مائير هذه المرة عزرا دانين فقط ، وقد جاءت جولدا الى الاجتماع بدفع من محمد الزباطي سكرتير عبدالله الذي كان قد نقل في وقت مبكر اقتراحات عبدالله الى الوكالة اليهودية وهي : اقامة مملكة متحدة تتألف من شرق الاردن - وفلسطين تحت حكم عبدالله مع تمتع اليهود في اغلبية مناطقهم بحكم ذاتي (مثل تل ابيب) وتمثيل برلماني متعادل (مناصفة) للجاليتين معا (لم يكن واضحا من الوثائق اذا كان قصد عبدالله ان يكون للعرب الفلسطينيين ولليهود ممثلين بالتساوي أو أن يطبق مبدأ

المناصفة على العرب واليهود معا في المملكة الموحَّدة) .

وفي اليوم التالي ١١/ ايار عادت مائير من عمان ووجدت بن غوريون في اجتماع لمركز حزب الماباي وسلمته مذكرة عن محضر الاجتماع مع عبدالله جاء فيها :

(كان اللقاء وديا وكان الملك قلقا الى ابعد الحدود وبدا في وضع مزرٍ . ولم ينكر اننا في تشرين الثاني ١٩٤٧ قد تحدثنا ووصلنا الى تفاهم على ترتيب مرغوبٍ وهو أن يأخذ الاردن القسم العربي (من فلسطين) لكنه الآن واحد فقط من خمسة (قادة عرب متحالفين) وتلك هي الخطة التي اقترحها : بلدا موحدا (يعني دولة) مع حكم ذاتي في المناطق اليهودية .على ان تصبح بعد سنة بلدا واحدا (يعني دولة شرق الاردن - فلسطين) تحت حكمه .)

وفي اليوم التالي ١٢/ أيار قدمت مائير تقريرا شاملا امام قيادة اليهود السياسية «ادارة الشعب» والتي اصبحت بعد يومين «الحكومة المؤقتة لاسرائيل» حيث قالت :

(جاء عبدالله الى الاجتماع يرافقه الزباطي ، كان وديا لكنه بدا كئيبا جدا وقلقا وعصبيا ، واخبرته بأننا لا نوافق على اقتراحه) .

فاجاب عبد الله بأنه «اراد سلاما لا تدميرا» .

وقالت مائير : «ان اليهود وعبدالله لديهم عدو مشترك هم اتباع المفتي وقد تمكن اليهود من سحقهم» .

واقترحت مائير ان يعود الجانبان الى الخطة التي كانت في متناول ايديهم منذ البدء والتي يوجد بينهما تفاهم متبادل واتفاق بشأنها . ولم ينكر عبدالله ان ذلك ما كان يريده ، لكن في غضون ذلك وقعت احداث في البلاد ، وكانت هناك مسألة دير ياسين . وكنت آنذاك واحدا أما الآن فأنا واحد فقط من خمسة . ولا استطيع [الالتزام بالاتفاق] . أنا لا املك خيارا ، ولا استطيع ان افعل غير ذلك .

فردَّت مائير بأن اليهود اصبحوا الآن اكثر قوة : «وانهم إذا وقعت الحرب فسيقاتلون بكل قوتهم . . في كل مكان وباقصى ما يستطيعون ، واذا انقلب على الاتفاقية التي وقعناها معه واصر على الحرب . . فاننا سنلتقي مرة اخرى بعد الحرب» .

وختمت مائير تقريرها الى القيادة اليهودية بالقول : «ان انخراط عبدالله في هذا

الشأن يشبه رجل انغمس في رذيلة ولم يعد يستطيع الخروج منها» .

واضاف دانين الذي حضر ايضا اجتماع الادارة الشعبية قائلا : «قد قال لنا عبدالله أنا اسف جدا وحزين بشأن الدم الذي سيراق وبشأن الدمار ، دعونا نأمل في ان نلتقي مرة اخرى وفي أن لا تنفصم عرى روابطنا» .

ولم تعرض مسألة القدس مطلقا على بساط البحث ، ربما لأن لا مائير ولا عبدالله كانا راغبين في اثارة مسألة دقيقة قد تؤدي حتما الى عدم اتفاق ، او ربما لأنه ومنذ الثامن من ايار كان هناك هدنة دولية غير رسمية في المدينة (دامت حتى ١٤/ ايار) لذلك لم يكن أي طرف يتوقع استئناف اية اعمال عدائية هناك او التورط فيها .

باختصار لقد افترق الزعيمان بعد اتفاق على الاختلاف كما جاء في عبارة كيركبرايد .

بعد الاجتماع ابلغ الزباطي الاسرائيليين على مائدة الغداء بأن عبدالله لا يريد في الواقع حربا وكذلك طلال ابنه الاكبر .

لكن الاجتماع انتهى بصورة جوهرية الى الفشل ، فقد رفض عبد الله الزام نفسه مرة اخرى بميثاق عدم الاشتراك الفعلي في القتال والذي تقرر في تشرين الثاني الماضي ، كما رفضت مائير فكرة الحكم الذاتي ضمن مملكة هاشمية متسعة . إذن سوف تقع الحرب .

وبدا عبدالله يلمِّح الى نشوب معركة بين قواته وبين اليهود . الا أنه كان يفترض ايضا انه عند انتهائها ستكون هناك دولة يهودية وستتجدد المفاوضات الهاشمية - اليهودية .

وفيما بعد اشار وايزمان بغموض في مؤتمر صحفي عقد في باريس في شهر حزيران الى الاجتماع السري بين مائير وعبدالله فسارع القصر في عمان الى نفي حدوث أي اجتماع مثل هذا .

لكن كيركبرايد في رده على سؤال من قبل وزراة الخارجية علق قائلا :

(لدي سبب للاعتقاد . . بأن السيدة التي نحن بصددها قد قابلت الملك في العاشر من ايار في عمان . . وقد اشتملت المفاوضات على طرح كل من الفريقين لقضيته وقد وافقا بعد ذلك على الاختلاف . وقالت السيدة ان اليهود سوف لن يوافقوا على شيء

اقل من خطة تقسيم الامم المتحدة . وقال الملك انه لا يستطيع ان يمضي الى ما هو ابعد من حكم ذاتي يهودي في دولة عربية) . ويبدو أن قادة اليهود قد بنوا جميع خططهم على اساس الافتراض بأن شرق الاردن سوف لن يتدخل بالقوة في فلسطين بعد انتهاء الانتداب . وفي الواقع كان جيش شرق الاردن المعارض الاشد فعالية لما يكافح اليهود من اجله ، وكانوا متوترين جدا بشأنه . وقال التل لقد علمت من اناس حضروا الاجتماع أن جولدا مائير طلبت من الملك أن يعلن سلاما مع اليهود وان لا يقوم بارسال جيشه الى فلسطين ، ووعدت من جانبها أن تقوم الوكالة اليهودية بالموافقة . . على الضم الهاشمي للقسم العربي من فلسطين .

أما عبدالله فوعد من جانبه أن لا يدخل الجيشان الاردني والعراقي في قتال مع اليهود بل سيقفان عند حدود خطة التقسيم وان لا يقوما باختراقها .

وكتب التل لاحقا كيف أن الملك عبد الله اعتاد أن يتهكم على سوقية اليهود وغطرستهم وحبهم للهيمنة .

الفصل الخامس

الغــزو

في عقود لاحقة كتب كيركبرايد : «أن الشهور الاخيرة التي سبقت نهاية الانتداب تميزت بفترة من الألم لي . وقد تملكني فيها شعور من الرعب البائس ، تماماً مثل شعور أي متفرج يشهد حادثا مروريا وشيك الوقوع ، وهو يعلم تماماً بأنه لا يستطيع فعل أي شيء لمنع وقوعه» .

الدول العربية تغزو فلسطين: ايار ١٩٤٨

دخلت جيوش مصر وسوريا والعراق وشرقي الأردن (الجيش اللبناني لم يعبر ابدا) الى فلسطين يوم ١٥ - ١٦ أيار ، دون أن تكون لها خطة رئيسية مشتركة متفق عليها . وخلال الفترة الممتدة من شباط الى نيسان ١٩٤٨ بدا أن عددا من ضباط الصف بمن فيهم ضابط شاب من شرق الاردن يدعى وصفي التل والفريق اسماعيل صفوت رئيس هيئة الاركان العراقية السابق وسكرتير اللجنة العسكرية للجامعة العربية ، قد عملوا على مسودة تشمل القيام بهجوم عراقي لبناني شرق اردني مشترك عبر عدة محاور من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب باتجاه العفولة . وكان المطلوب من الفيلق العربي أن يتقدم نحو السامرة ،ثم يغير اتجاهه الى الشمال الغربي نحو وادي جزريل . على أن تقوم القوات السورية والعراقية بعبور الحدود ، والتقدم جنوبا وغربا نحو العفولة . والسيطرة على العفولة كان يعني قطع المستوطنات اليهودية في غور الاردن ووادي جزريل عن التركيز السكاني اليهودي على الساحل .بعد ذلك تأتي المرحلة الثانية بالتقدم نحو حيفا وهي الميناء الرئيسي للبلاد . في حين يتقدم الفيلق العربي نحو الساحل الى مكان ما شمال تل أبيب . وكان على الجيش اللبناني كما يبدو أن يتقدم عبر الطريق الساحلي من رأس الناقورة باتجاه حيفا . ومع إشغال الجيوش العربية لجبهة الشمال ، كان على الجيش المصري أن يعبر الحدود عند رفح ، ويتقدم مباشرة عبر الطريق

الساحلي باتجاه تل أبيب . وضعت الخطة تصورا يشطر التجمعات السكانية اليهودية ويعزلها ، بحيث يتم الاستيلاء على اجزاء من اراضي الدولة المخصصة لليهود . لم يكن واضحا إذا ما كانت الخطة تهدف الى شيء ابعد من ذلك : مثل تدمير الدولة اليهودية او القاء اليهود في البحر .

بدت هذه الخطة وكأنها تجديد لخطة وضعها نور الدين محمد الفريق العراقي الذي عين في آخر لحظة قائداً لاركان قوات التدخل العربية . وقد تبنى هذه الخطة رؤساء الاركان العرب في اجتماعهم بدمشق يوم ٣٠ نيسان ، ولكن لم يتم بلورتها ابدا . الا انها وعلى اية حال بعد أن عُدِّلت لاول مرة من قبل محمد ودول عربية مختلفة ، تم الغاؤها تماما فيما بعد ، إثر اعلان عبدالله في آخر لحظة انه ينوي فقط الاستيلاء على اراضي العربية المخصصة للعرب في اوسط البلاد (ضفة غربية اوسع تقريبا) واثر اتخاذ الجيش اللبناني موقفا واضحا بعدم التدخل في الحرب .

وخلال تسارع الاحداث التي سبقت يوم ١٥أيار ، ظهر موقف عبدالله متأرجحا في حضور الزعماء العرب من ناحية والضباط البريطانيين من ناحية أخرى فما أن يبدي تأييده لموقف الزعماء العرب باحتلال كل فلسطين ، حتى يعود ويتراجع ليصرح بأنه لن يستولي إلا على بعض المناطق المخصصة للعرب أو جميعها . وخلال ذلك تعاظمت شكوك الزعماء في موقف عبدالله ، وادركوا انه لن يقوم بمهاجمة الاسرائيليين ، إذا استطاع تجنب ذلك .

ووفقا لاحد التقارير الاستخباراتية الواردة لمنظمة الهاجانا في الاسبوع الاخير من نيسان ، فان امارة شرق الاردن ابلغت ممثلي الدول العربية بأنها لن ترسل اكثر من ٥٠٠٠ جندي . وان حليفها العراق لن يرسل اكثر من كتيبتين . وفيما اكدت سوريا ولبنان انها لن ترسل سوى قوات رمزية في حين قال المصريون انهم لن يرسلوا أية قوات في هذه المرحلة . حاول الشرق الاردنيون اقناع الجميع أن الهجوم سيؤول الى الفشل . وعلى العرب أن يقبلوا بالتقسيم . وقد وعد عبدالله بالاستيلاء على المناطق المخصصة للعرب في فلسطين وحمايتها . وكان هذا الكلام يعني تماما انه لن يقوم بمهاجمة الدولة اليهودية .

وإذا تركنا البيانات المتقلبة جانبا ، فسنجد أن عبدالله قام باتباع نواياه الاصلية باحتلال بعض المناطق المخصصة للعرب دون مهاجمة المناطق اليهودية ، متجنبا بذلك أي

اشتباك مع الهاجانا . وفي نهاية الامر كما سنرى لاحقا ، ابتعد عبد الله عن نواياه الاصلية واتبع خطة البريطانيين التي تنص على ارسال فرقة متأخرة من الفيلق لانقاذ النصف العربي من القدس من اكتساح اسرائيلي .

وتعبر كلمات كيركبرايد في عمان عن الايام الاخيرة التي سبقت الانسحاب البريطاني والهجوم العربي :

« كانت ايام شمطاء ،لم اعش مثلها من قبل . لا استطيع أن احصي او اسجل المحادثات المتعددة التي اجريتها مع الزعماء العرب والتي طلبت منهم فيها مرارا وتكرارا التزام الحذر والصبر والامتناع عن الهجوم حتى انتهاء الانتداب . ولكن كل ذلك كان يذهب عبثا امام نداءات المساعدة اليائسة التي كانت تصل من فلسطين . او أمام الشائعات التي كانت تدور حول وصول دفعة جديدة من اللاجئين . ففي مثل هذه الاجواء ، من الصعب التفكير بما سيأتي به المستقبل » .

ومع ذلك ظل كيركبرايد يتوقع دخول الجيوش العربية الى فلسطين ولكن ليس بالحجم الكبير . فقد كان هدفهم المعلن باستعادة فلسطين يشكل مهمة صعبة بالنسبة لهم .

وربما يحاول القادة العرب قصر همومهم على احتلال المناطق المخصصة للعرب بهدف ايقاف التوسع اليهودي . ولكن بقي هناك امر واحد : القدس فقد كانت فكرة وقوع القدس في ايدي اليهود تدفعهم الى خارج حدود المنطق .

كتب كيركبرايد : لقد تلقيت التشجيع من غلوب على اتباع الخطوات التالية :

(أ) هدنة من اجل القدس . (ب) احتلال الاراضي المخصصة للعرب من قبل الشرق اردنيين لوحدهم او من قبل دول عربية اخرى . (ج) اجراء محادثات مباشرة مع اليهود (مجموعات من الرسائل غير الواضحة بهدف الوصول الى حل وسط) .

امضى عزام باشا ، الامين العام للجامعة العربية يومي ١٠ ، ١١ أيار في عمان وبدا انه اقترح بأن يحل غلوب محل محمود في رئاسة اركان الجيوش العربية . وقد أقرَّ عزام أن الفيلق كان افضل الجيوش العربية واكثرها استعدادا للانطلاق نحو فلسطين . الا أن غلوب رفض الاقتراح بكل أدب ، ربما لأنه شعر بأن عزام اراد ان يُهيأه ليكون كبش المحرقة للفشل المتوقع . او انه اراد ان يضمن المشاركة الاردنية في القتال ضد اسرائيل .

وفي حين لم يستطع عزام طمأنة غلوب بأن أيا من الجيوش العربية عدا الجيش الاردني سيطيع اوامره ، كتب غلوب في تقريره انه عشية الهجوم لم يكن لدى قيادة الفيلق العربي اية معلومات عن ماذا ستفعل الجيوش العربية الاخرى او ما هي القوة المتوفرة لها .ولم تجر اية محاولة للتعاون او الاتصال (وحتى خلال القتال) لم تتوفر لدينا اية معلومات عن العمليات المصرية رغم مطالبنا المتكررة بخصوص ذلك .

بالتأكيد كان هناك قبل القتال وخلاله شكوكا عميقة لدى كل عاصمة عربية ولدى كل جيش عربي حول نوايا الزعماء المجاورين والجيوش المجاورة واهدافهم .

كان الجميع يعتقد أن عبدالله ، ومن وراءه الاردن ليس لديه نية لقتال اسرائيل في حين كتب كيركبرايد يقول : «خلال الايام الاولى للهجوم بدا الجيش المصري وكأنه دخل في معاهدة عدم تدخل ضمنية ومتبادلة مع المستعمرات اليهودية في المنطقة التي احتلها من فلسطين ، معاهدة تشبه حالة عِشْ واترك غيرك يعيش» .

كانت تقديرات غلوب وعبدالله بأن اليهود اقوياء جدا . وان الهجوم العربي على اسرائيل سيكتب له الفشل ، وقد وقفت هذه التقديرات وراء عدم تعاونهما مع الدول العربية الاخرى . فقد تكوَّن لدى الشرق اردنيين انطباعاً بأن اليهود افضل تنظيما ويملكون عديدا اكبر من الرجال المسلحين ، (كانت الجيوش العربية تفتقر الى تجهيزات لبعض الفرق ،كما أن البعض الآخر قد ترك في الوطن لحراسة الانظمة المهتزة) وخطوطا اقصر للاتصالات وتمويلا اكبر من الخارج اضافة الى دعم القوتين الرئيسيتين - باختصار كان اليهود اقوى .

من هنا فضل عبدالله احتلال الضفة الغربية دون الدخول في قتال مع اليهود . كما أن الزحف على القدس لم يكن وارداً ضمن نواياه الاصلية او خطته ، أو كما وصَفها غلوب فيما بعد : «عبر الفيلق العربي نهر الاردن بمباركة الحكومة البريطانية لمساعدة العرب في الدفاع عن يهودا والسامرة . كان لدينا اوامر مشددة بالامتناع عن دخول القدس . ولكن قيام الاسرائيليين باحتلال اراضي مخصصة للعرب مثل يافا والخطر الذي تكَشف تدريجيا باحتلال القدس ايضا ، اضافة الى اشتداد عزم جيوش الدول العربية الأخرى على غزو فلسطين بانفسهم ، كل هذا أدى الى خلخلة الخطة الشرق اردنية ودفع باتجاه وقوع المعارك الرئيسية بين الفيلق العربي والهاجانا» .

دخلت الجيوش المصرية والعراقية والاردنية الى فلسطين يوم ١٥/ أيار . وفي اليوم التالي اندفع الجيش السوري جنوبا عبر الجليل . فيما عبر الفيلق العربي جسر اللنبي الواقع شرقي اريحا قبل بزوغ فجر يوم ١٥/ أيار . وفي اليوم الذي سبق ذلك كان الفيلق قد اتم تجهيز اربعة كتائب مقاتلة ، اضافة الى كتيبتين اخريين ستلحقان فيما بعد ، وقد تحركت هذه القوات من معسكراتها في الزرقاء مارة عبر عمان ومن ثم باتجاه وادي الاردن الى الجهة الشرقية من الجسر .

وقد لخصَّ كيركبرايد الذي لم يكن قد أُعلم بعد عن التغييرات التي طرأت في اللحظة الأخيرة لدى الجيشين اللبناني والسوري ، رغم علمه بنوايا عبدالله .

الموقف صبيحة يوم ١٤ / أيار

بينت الخطط العسكرية العربية المعدة الليلة بأن طابورا سوريا لبنانيا مشتركا سيدخل فلسطين من لبنان ،وأن طابورا سورياً آخر سيهاجم سمخ كما ستهاجم الفرقة العراقية جسر المجامع في حين سيحافظ الفيلق العربي على خطته الاصلية ويركز قواته في الخليل ورام الله ونابلس على أن يتقدم فيما بعد نحو المناطق الاخرى المخصصة للعرب .

حتى اللحظة الاخيرة ، بقي كيركبرايد يأمل بتجنب اشتباك اردني اسرائيلي فالمعارك الاخرى كانت اقل دموية ، وحتى بيفين لم يكن متأكدا من ذلك ، لذا فقد قام يوم ١٣/ أيار بالكتابة إلى سكرتير الدفاع : «في ضوء الاشتباكات التي وقعت بين الفيلق العربي والدولة اليهودية نتيجة للاعتداء الشرق اردني على الدولة اليهودية داخل الحدود التي رسمتها الجمعية العامة ،فإننا سنقوم بالطبع باصدار الاوامر الى الضباط البريطانيين بالانسحاب والخروج من فلسطين» .

وفي مذكراته وصف غلوب يوم ١٤ / أيار بينما كان جنوده يعسكرون على نهر الاردن بانتظار حلول منتصف الليل وفيما كانت تتدفق المكالمات الهاتفية على عمان من الوجهاء العرب في القدس الشرقية داعية عبدالله لانقاذ المدينة .

جلس عبدالله ومساعدوه لتقييم الوضع وقد ناقش غلوب ضد ارسال الجيش الى القدس ، فاليهود خبراء في قتال الشوارع وسيفقد الفيلق العربي افضليته في الحركة والتدريب التكتيكي ، كما أن اليهود في القدس يفوقونهم عددا .

« اننا اقل عديدا منهم ولا نملك قوات احتياط ولا نستطيع أن نقف ندًّا لهم » .

« إذا تحركنا نحو القدس ، قال غلوب لعبدالله ومساعديه : «فاننا سننشغل نصف الجيش مما يصعب علينا السيطرة على باقي البلاد . واذا احتل اليهود باقي البلاد فسيتمكن العدو من الالتفاف على القدس واسقاطها . وفي النهاية ستسقط القدس» .

وافق عبدالله على الانتظار والترقب . ولكن غلوب كان قلقاً جداً من شرٍ قادم .

« أنا اعلم مدى التجهيزات اليهودية واعلم ان العرب لا يملكون اية خطة ولا يوجد تعاون بينهم . كما أننا لم نتلق عتادا بعد والناس يتوقعون منا ان ندخل تل ابيب في غضون يومين او ثلاثة . كيف يمكن ان اتصرف وسط هذه الحماقة» . ركع غلوب وصلى .

كان على عبدالله ان يتولى هذا الامر لاحقا ، فخلال العد العكسي للجلاء البريطاني اصرَّ على غلوب ان يترك وراءه وحدات من الفيلق في القدس الشرقية من اجل الدفاع عن المدينة في وجه هجوم يهودي حتى ولو بقيت هذه الوحدات باللباس المدني ولكن غلوب رفض بعناد بحجة ان القدس هي خارج نطاق هجوم الجامعة العربية . (يعني الفيلق العربي) كما أن القطاعات العسكرية التي ظلت تعمل مع الجيش البريطاني في فلسطين حتى الفترة الاخيرة قد سحبت من المدينة يوم ١٣/ أيار .

كان غلوب يومها قد بلغ الحادية والخمسين من العمر ، وكان يوصف بالرجل القصير ذو شعر اغبر ابيض مفروق من النصف وله شارب كثيف فوق الشفة العليا وصوت لطيف ناعم . كانت هذه هي المرة الاولى التي يقود فيها جيشا في حرب . ففي الحرب العالمية الاولى قاد فصيلا من المهندسين . وفي العراق قاد مجموعة من الرجال المحليين العاملين ضمن وحدات دوريات الصحراء . وفي عام ١٩٤١ قاد كتيبة صغيرة من الفيلق عبر طريق بغداد وثم الى البصرة . ولكن تلك العمليات لم تتعدى كونها حملات استطلاع لمساعدة التشكيلات المقاتلة الكبرى للجيش البريطاني . اما الآن فان غلوب يقود جيشا في حجم فرقة بريطانية مصغرة ،هدفه احتلال منطقة كبيرة تصل مساحتها الى ٢٠٠٠ ميل مربع وآهلة بسكان مشكوك في صداقتهم . وكيف يمكن بعد ذلك الصمود امام عدد اكبر قوة مثل الهاجانا / وجيش الدفاع الاسرائيلي . ربما يتوقع الاردنيون بعض المساعدة من مجموعات استطلاعية عراقية (مشكوك في قدرتها) وسط عداء صريح من جانب جيوش الدول العربية التي قد تغزو او قد لا تغزو فلسطين . ومع ذلك تمكن غلوب في

نهاية الامر من الحفاظ على معظم اراضي الضفة الغربية وتمكن عبدالله بمساعدة حقيقية ولكن غير مقصودة في نفس الوقت من الاسرائيليين في تنظيف المنطقة من المتطوعين العرب ومن الجيش المصري والعراقيين وضم الاراضي الى مملكته ما بين عامي ١٩٤٩ - ١٩٥٠ .

وسواء كان الضم في النهاية مدمرا او معمرا لمصالح الاردنيين او للهاشميين فهذا يعتبر مسألة اخرى . ولكن نجاح غلوب أُعتبر بلا شك انجاز عسكريا رئيسيا ، بل أنه كان الانجاز الوحيد الذي حقق بعض الاهمية بين إنجازات الجيوش العربية المهاجمة . وعلى المرء أن يقول بالتأكيد ان فيلق غلوب كان الجيش الوحيد الذي هزم الاسرائيليين في النهاية وحرمهم من اللطرون ومن الضفة الغربية وحافظ على القدس الشرقية مبقيا الدرة الاساسية اي المدينة القديمة بيد العرب .

وفي معرض مذكراته وصف غلوب هجوم الفيلق يوم ١٤/ أيار : « في عمان وفي كل قرية على الطريق ، كان الناس يتجمعون ويصفقون بحماس منقطع النظير كلما مرت بهم وحدة من وحدات الفيلق . كانت اسطح المنازل ونوافذها تعج بالنساء والاطفال الذين تفوقت صيحاتهم على اصوات قعقعة العربات وجنازير الآليات وحتى على اصوات الحشود المتجمعة لتحية المقاتلين على جوانب الطريق .

اما الجنود انفسهم فكانوا في حالة ابتهاج شديد . وكان بعضهم يصفق وينشد داخل الشاحنات ، والبعض الآخر يضحك ويحيي الحشود . وكانت بعض العربات مزدانة باغصان الدفلة الخضراء بورودها الزهرية اللون . كان الموكب يشبه كرنفالا اكثر منه جيشا ذاهبا الى القتال » .

وعند ضواحي عمان ، كما يقول احد المشاركين ، وقفت فرقة الفيلق الموسيقية تحيي الجنود وتعزف انغاما مثيرة تبث الحماس في القلوب .

توجهت القوات بعد ذلك الى الشونة في وادي الاردن حيث خاطبهم عبدالله (والى جانبه عزام باشا) طالبا من الله ان يوفق طريقهم . عبر الفيلق النهر في الساعات الاولى من صباح يوم ١٥ / أيار ، وشقت طوابيره طريقها عبر اريحا وعبر الجروف الشمالية الغربية باتجاه رام الله ونابلس .

في وقت لاحق وصف كير كبرايد تلك اللحظات الحاسمة : في الدقائق القليلة

الاخيرة التي سبقت حلول منتصف ليلة ١٤ - ١٥ / أيار ١٩٤٨ ، وقف الملك عبدالله وعدد من حاشيته على الطرف الشرقي لجسر اللنبي المقام فوق نهر الاردن ، بانتظار الموعد الرسمي لانتهاء الانتداب ، وفي تمام الساعة الثانية عشرة سحب الملك مسدسه واطلق طلقة رمزية في الهواء وصاح : الى الامام . كان هناك طابورا طويلا من عربات الجيش الاردني تقف على الطريق المؤدية الى الجسر . وكانت محركات سياراتهم قد بدأت تعمل للتو ، وقد تعالت اصواتها حتى الزئير وهي تتحرك اثر تلقي الامر . عبرت اريحا وانطلقت عبر سلسلة الجبال باتجاه رام الله ، فيما تحركت بعض الوحدات الاخرى عبر وادي الفارعة الى قلب السامرة قاصدة نابلس) .

التفت الفرقة الاولى حول نابلس واتجهت الفرقة الثانية غربا نحو رام الله وكانت القوات تلقى الترحاب والتأهيل من قبل كل بلدة تمر بها . وسط حشود الناس التي تجمعت على جوانب الطرق تهتف للنصر بمشيئة الله والملك العظيم عبدالله .

بالنسبة لوضع انتشار الجيش الاردني في الضفة الغربية ، (كما هو بالنسبة لاستمرار سيطرة اسرائيل على القدس الغربية) كانت منطقة باب الواد بتجمع بناياتها التي تشمل خانا تركيا كبيرا تعتبر موقعا بالغ الاهمية ، كذلك كانت قلعة تيجارت في اللطرون على بعد بضعة كيلو مترات الى الغرب والتي بناها الانجليز لاستخدامها كمركز للشرطة ، كان هذان الموقعان يطُلان على طريق القدس - تل ابيب من الجهة الشرقية حيث يضيق السهل الساحلي الى ممر يرتفع شرقا نحو المدينة المقدسة وكانت قوات القاوقجي المعروفة بجيش الانقاذ العربي قد هجرت المكانين يوم ١٥ / أيار بناء على اوامر من الاردن كما يبدو . ولكن بقي في القلعة فصيل من الفيلق العربي من حامية السرية الحادية عشرة يساندها بضع عشرات من الجنود غير النظاميين .

وفي ليلة الخامس عشر من أيار قام غلوب الذي كان متأكدا من أن اليهود سيهاجمون باب الواد بتوجيه الاوامر الى ٤٠ رجلا من الكتيبة الرابعة من الفيلق وعدد غير محدود من متطوعي بدو شرق الاردن باحتلال الموقع . وقد تم احتلال باب الواد بشكل مناسب يوم ١٦ او ربما صباح ١٧ / ايار وفي اليوم التالي تم ارسال تعزيزات ثقيلة الى وحدات الفيلق المتواجدة في قلعة اللطرون ، وفي القرى المحيطة بها . وبدا أن الموقعين لم يكونا مشمولين في خطة انتشار الفيلق الاساسية وان غلوب قد ادرك اهميتهما خاصة موقع اللطرون ، بعد أن تم احتلالهما من قبل قواته .

تجدر هنا ملاحظة انه عندما عبر الفيلق نهر الاردن يوم ١٥ / ايار، اتجه مباشرة الى رام الله ونابلس محجما عن استخدام الطريق الاقصر (والمعبدة) عبر مرتفعات يهودا التي تصل مباشرة من اريحا الى القدس. خلال الثلاثة أيام التي اعقبت العبور استمر الفيلق بتفادي القدس والالتفاف حولها (تحديا لكل المنطق الجغرافي والاستراتيجي) في حركة دوران نحو شمال وغرب (والى درجة اقل نحو الجنوب) المدينة. كان عبدالله مترددا في دخولها للاسباب العسكرية التي حددها غلوب، وبسبب حذره من انتهاك ذلك القسم من قرار الامم المتحدة الذي اقر بتدويل المدينة. مثل هذه الحركة كانت ستسبب في حصول تعقيدات خطيرة من البريطانيين والامريكيين. ولكن عبدالله كان مغتاظا من هذا الوضع فقد كان يريد القدس التي بقيت في باله على مدى الفترة من سنة ١٩٤٦ الى ١٩٤٧ وحتى النصف الاول من سنة ١٩٤٨. كان هو نفسه مسلما متدينا يعتبر القدس مركزا مقدسا رئيسيا. ربما كانت فكرة الاستيلاء على القدس او انقاذها لصالح الاسلام مرتبطة بدور عائلته التاريخي التي كل افرادها أمناء على الموقعين الاسلاميين المقدسين (مكة والمدينة) ومرتبطة ايضا بطرد عائلته من الحجاز على يد ابن سعود، واذا لم يستطع عبدالله استعادة امانته على المدينتين المقدستين ودوره في حماية الاسلام، فعلى الاقل يمكنه وضع اليد على ثالث اقدس موقع للمسلمين (واول اقدس موقع للمسيحيين ولليهود).

مثل هذا الامر قد يعطي امارته الصحراوية المنسية وضعية مميزة، وأهمية في كل من العالم العربي والاسلامي كما في العالم اجمع. كذلك كان المسجد الاقصى في القدس يحضن قبر والده الحسين شريف مكة السابق. واخيرا كان عبدالله وبلا شك قلقا من فكرة أن المدينة يمكن أن تقع بيد الكفار من اليهود والنصارى حيث سيقع الذنب عليه في ذلك امام اقرانه من المسلمين والعرب. لم تكن رغبة عبدالله بالاستيلاء على القدس الشرقية التي تشمل القسم القديم من المدينة والمحاط بالاسوار، نابعة بالضرورة من التهديدات المكشوفة للهاجانا و (الحقيقية) باحتلال النصف الشرقي من المدينة في اواخر نيسان او اوائل ايار من عام ١٩٤٨. بدون شك كان للانتصارات العسكرية الحديثة التي حققها اليهود حول المدينة اثراً في رفع درجة التذمر واليأس لدى الشرق اردنيين حول هذه النقطة. ولكن الادلة على رغبة الملك عبدالله بالاستيلاء على القدس كانت تعود الى اشهر سبقت التهديدات والانتصارات اليهودية.

وقد اشرنا في هذا الصدد الى النقطة التي اثارها عبدالله في اجتماعه مع كننغهام اواخر كانون الثاني ١٩٤٨ حول إمكانية استيلاء شرق الاردن على القدس الشرقية. وفي اواسط شهر شباط كتب كيركبرايد أن عبدالله كان يتحدث مؤخرا بصراحة حول واجبه في حماية الاماكن المقدسة في القدس بعد انتهاء الانتداب.

كان ذهن عبد الله مركزا على القدس وظل - هذا الامر يتنامى بداخله حتى استحوذ على لبه - وتزايد مع اقتراب يوم الخامس عشر من أيار.

ويبدو انه كان قد صرح امام مراسل اليونايتدبرس العالمية، خارج النشر، قبل العشرين من نيسان انه سيرسل غلوب باشا في اول فرصة سانحة للاستيلاء على القدس. وفي اليوم الثالث والعشرين من نيسان الذي اعقب سقوط حيفا، وجه رسالة رسمية الى المندوب السامي بخصوص الوضع في القدس والناصرة وبيت لحم وهي المدن المقدسة عند المسيحيين والمسلمين والتي يتهددها اليهود يقول فيها:

« ان هذه الحقائق تفرض بالضرورة ان توضع هذه الأمانات (الاماكن المقدسة) في ايدينا عند انتهاء الانتداب، ولا يجب السماح لليهود بأن يفعلوا في هذه المدن المقدسة وفي يافا ما فعلوه في اماكن اخرى). وقد علق كيركبرايد في برقية ارسلها الى بيفين قائلاً بأن طلب عبد الله غير منطقي لانه لا يملك من القوات ما يجعله اهل لهذه المهمة. ولكنه اضاف بأن في عمان لا يوجد سوى القليل من المنطق حاليا».

لم يكن عبدالله وحيداً في قلقه على القدس العربية، كما أنه لم يكن وحيداً في تأثره بالمد العاطفي الذي اكتسح العالم العربي آنذاك. فالعرب كما كتب كيركبرايد يوم الاول من أيار بدوا وكأنهم على يقين من أن بريطانيا ستسمح بسقوط القدس في ايدي اليهود قبل انهاء انتدابها على فلسطين..

لا يوجد مسلم واحد يمكن أن يسمح بذلك. حتى رئيس الوزراء الاردني ابو الهدى الذي يعتبر الاكثر هدوءا وتعقلا بين العرب يثور عند ذكر هذا الموضوع. وقد طمأن كيركبرايد الملك عبدالله ورئيس وزرائه ان القوات البريطانية ستبقى في القدس حتى الخامس عشر من أيار. وان بيت لحم يمكن حمايتها من القدس كما ستبقى حامية بريطانية في الناصرة. كان ارتياح الملك عظيما لدرجة أنه عانقني كما يقول كيركبرايد. ولكن على الرغم من صدور مثل هذه التطمينات بقي كيركبرايد في بداية

شهر أيار خائفا من أن استيلاء اليهود على القدس الشرقية قد يدفع العرب للتدخل في فلسطين قبل انتهاء الانتداب .

وكان الخوف الاردني عائدا الى الاعتداء الاسرائيلي على القطمون وهي ضاحية الاثرياء في القدس الغربية والذي بدأ يوم ٣٠/ نيسان . وقد بلغ هذا الذعر درجة قيام ابو الهدى بتقديم اقتراح الى بريطانيا يدعوها للموافقة على تمركز وحدات من الفيلق العربي لحراسة الاماكن المقدسة كقوات امن داخلية بعد يوم ١٥/ أيار وان تقوم بريطانيا بتقديم هذا الاقتراح الى الامم المتحدة .

وقد تابع عبدالله هذا الاقتراح من خلال تسليمه رسالة الى كيركبرايد لنقلها مباشرة الى بيفين يعلمه فيها انه سيقوم فورا بالتوجه الى القدس على رأس قوة لحماية الاماكن المقدسة . وتمكن كيركبرايد من اقناع عبدالله بالغاء هذا الجزء من الرسالة ولكنه اضاف بأنه اصبح في شك من قدرته على منع مثل هذا العمل المتهور في وجه الاعتداءات المتواصلة لليهود . كان الاندفاع المفاجئ لما دعاه كيركبرايد الحالة الذهنية للملك عبدالله سببه استكمال استيلاء الهاجانا على القطمون يوم ٢/ أيار وكانت تلك الضاحية تضم القنصلية العربية وترابط فيها حامية صغيرة من الفيلق العربي . وقد انسحبت الحامية لكي تتجنب الوقوع في الاسر .

وقد حث عبدالله بيفين على ارسال قوات بريطانية لمواجهة الهاجانا . ولكن البريطانيين الذين كانوا قاب قوسين او ادنى من الانسحاب الشامل احجموا عن ذلك .و مع ذلك ، وعلى الرغم من استمرار تفادي الأمر ، فقد لقى اقتراح عبدالله حول قيام الفيلق بحماية الاماكن المقدسة بطريقة ما بعد انسحاب البريطانيين بعض القبول لدى بيفين . فقد ابرق الى كيركبرايد يوم الخامس من ايار يقول :

(ليكن معلوما لديك وضمن اعلى درجة السرية انه إذا تم عقد هدنة في القدس ، فان فكرة وضع الفيلق العربي او جزء منه والهاجانا معا تحت امرة قائد محايد لفرض النظام في المدينة المقدسة هو امر يلقى قبولا واعتبارا ولكن الوقت لم يحن بعد لتقديمه علنا على شكل اقتراح او ذكره أمام الحكومات العربية) .

المعركة من اجل القدس

كان من المؤكد ان الهاجانا قد عقدت العزم خلال الايام الاخيرة للانتداب أن تستولي على المدينة القديمة وكانت هجماتها عبر نقاط الاتصال بين غرب وشرق القدس

خلال فترة ١٣ - ١٨/ أيار (عملية كيلشون) تدل على ذلك . ففي يوم ١٣/ أيار وسعت الهاجانا دائرة سيطرتها على الحي اليهودي في المدينة القديمة ومع رحيل الادارة البريطانية وحاميتها صبيحة ١٤/ ايار ، استولت على المناطق التي اخلاها البريطانيون والواقعة في وسط المدينة بما فيها مركز البريد الرئيسي ومجمع الكنيسة الروسية . ففي ذلك اليوم اندفعت القوات اليهودية باتجاه القدس الشمالية نحو حي الشيخ جراح الذي يسكنه العرب ، واحتلت مدرسة الشرطة والبنايات المحيطة بها . واستولت يوم ١٨/ أيار على حي ابو طور العربي الواقع في جنوب المدينة .

ووفقا لما اوجزه بن غوريون لمجلس وزرائه يوم ١٦/ أيار حين قال : «لقد استولينا على معظم انحاء القدس ما عدا اوغستا فيكتوريا والمدينة القديمة» . (كان يبالغ قليلا) والاخيرة محاصرة من اليهود الآن ومن جميع الجهات تقريبا اضافة الى أن السكان العرب يعيشون الآن في رعب شديد وقد شرع العديد بالفرار من المدينة ، كما ذكرت مخابرات جيش الدفاع الاسرائيلي . وبلغ الذعر مداه حين تجمع عدد من العامة خارج مكاتب اللجنة الوطنية المحلية مطالبين السماح لهم بالمغادرة . وقد رفض المسؤولون ، إلا ان عدداً كبيراً من الناس ركبوا السيارات وانطلقوا نحو اريحا . وافادت حينها استخبارات الهاجانا أن رجال المليشيات التابعين للجنة قد أُرسلوا وراءهم لايقافهم بالقوة . ومن مفارقات الامر أن اعتداءات الهاجانا على القدس اواسط شهر أيار كانت مدفوعة في جزء منها بسبب خوف المنظمة من نية الفيلق العربي التقدم باتجاه القدس ، وربما مهاجمة القدس الغربية وباقي اسرائيل . لم يكن قادتها مقتنعين بأي شكل ، أن عبدالله سوف يلجأ الى سيناريو عدم الاشتراك في الحرب . وهو السيناريو الذي رسمته غولدا مائير في اول اجتماع لها مع عبدالله . كان يعقوب شمعوني قد اكد يوم ٢٢/ نيسان انه رغم تصديقه لهذا السيناريو في اليومين او الثلاثة أيام التي مرت بأن عبدالله سوف يستولي على المنطقة المخصصة للعرب من فلسطين فقط ويتجنب أي صدام معنا الا أن الاحداث التي وقعت في دير ياسين واستيلاء الهاجانا على طبريا وعلى مدينة حيفا العربية قد عززت الادعاء بأن مثل هذا السيناريو لم يعد له وجود (بالنسبة له) وفي اقل من ثلاثة اسابيع لاحقا أي في ١١/ أيار ابرق مدير عمليات الهاجانا ورئيس اركانها في الواقع الى كتيبة يريجوني المسؤولة عن القدس يقول : «لقد علمنا من مصدر موثوق أن جسر اللنبي سيغلق امام المدنيين وان الجيش الاردني سوف ينتشر في البلاد في عدة اماكن وبالتأكيد في القدس» .

عكست هذه البرقية ، وجود مثل هذه التوقع لدى القيادة العامة للهاجانا في تعليماتها التي ارسلتها الى جميع الوحدات تحت عنوان وثيقة رقم ٣٢ - ١/١٥ وقد دعت هذه الوثيقة الى اجراء تغييرات في الخطة د ، والتي كانت قد وضعت في آذار ١٩٤٨ للعمل بها ابتداء من ١١/ أيار ١٩٤٨ . اصبحت القيادة العامة الآن على يقين بأن الجيوش النظامية العربية قد تقوم بالهجوم على فلسطين وتوجيه ضربة حاسمة . وانها قد تتقدم في وقت واحد من الشمال والشرق والجنوب . او ان الهجوم الرئيسي سيأتي من الشرق من جهة الفيلق العربي . كانت الفرضية وراء هذا التفكير ان الفيلق لن يكتفي باحتلال المناطق المخصصة للعرب بل سينزع الى مهاجمة اليهود .

خلال الفترة من ١٥ - ١٨ / أيار غمر عمان فيض من النداءات الجياشة وحتى الهستيرية القادمة من القدس الشرقية .

فعلى سبيل المثال ، ووفقا لاستخبارات الهاجانا التي كانت تراقب خطوط البرق والهاتف ارسلت قيادة الميلشيا العربية المتمركزة في القدس في الساعات الاولى من صباح يوم ١٨/ أيار برقيات الى وحدة الفيلق العربي المتمركزة في الخليل والى الملك عبدالله تقول : (نداء استغاثة اقترب اليهود من اسوار المدينة القديمة ، ابلغوا الفيلق العربي اننا بحاجة الى مساعدة فورية) .

كما ابرقت الى القاوقجي تقول : (الوضع خطير هناك هجوما كاسحا لليهود على كافة ارجاء المدينة . اليهود يوجهون بنادقهم الى كل مكان يجب ان ترسلوا المساعدة فورا فالقذائف بدأت تتساقط على المسجد الاقصى) .

وفي مذكراته اورد غلوب البرقيات التالية : (انقذونا ، ساعدونا ، لقد وصلوا الى بوابة يافا واستولوا على الشيخ جراح وبدأوا في تسلق اسوار المدينة القديمة . انقذونا ، ساعدونا ، ذخيرتنا انتهت ولم يعد بامكاننا الصمود اكثر ، اين الفيلق العربي ؟ كما اورد غلوب التأثير الذي تركته مثل هذه البرقيات على حكام الاردن . بدا الملك عبدالله متعبا غائر الخدين فيما كان رئيس الوزراء يعاني من ضغوط شديدة .

كان تأثير هذه البرقيات يحتم قيام الفيلق بالانتشار لاحقاً .

فقد كان كيركبرايد قد افاد للتو يوم ١٥/ ايار : « ان الوضع المتوتر في القدس قد بدأ يترك تأثيرا مقلقا على خطط شرق الاردن إذ أنه من الصعب على السلطات هنا عدم

تلبية نداءات الاستغاثة التي استمرت في الوصول من العرب الذين بقيوا في المدينة» .
وفي يوم ١٦/ أيار اعطى عبدالله انذارا متوقعا الى بريطانيا وموجها الى كيركبرايد : «اكتب الى سعادتكم في وقت نعاني فيه من ازمة وطنية . انا مدرك تماما لواجباتي القومية ودوافعي الدينية تجاه فلسطين بكاملها وتجاه القدس خاصة» . واضاف عبدالله أنه يأمل في التحرك ما امكن . وتفادي أي تحرك من شأنه احراج بريطانيا ، بدا وكأنه يقول انه سيفعل ما بوسعه لتجنب أي تعقيد لموقف بريطانيا ولكنه لن يأخذ هذا الامر بعين الاعتبار فيما يتعلق بالقدس .

كذلك كان نجاح الفيلق اللوجستي يوم ١٥/ أيار في قطع النهر والانتشار بدون مقاومة في تلال الضفة الغربية بين رام الله ونابلس قد ادار الرؤوس في عمان . وقد ابرق كيركبرايد الى لندن يقول : «لا يوجد تبرير اكبر لانهيار المعنويات مما يحصل الآن ، فالعرب هنا مشحونون بالتفاؤل وليس لديهم أية نية لسماع أية نصائح . ولكن أي تغيير عكسي في العمليات التي تجري الآن على الارض من قبل الجيوش العربية سوف يؤدي بلا شك الى طرد هذا الشعور في غضون ساعات» . وفي حديث غير رسمي مع رئيس الوزراء اليوم ، أنذرته بأن شرق الاردن قد ذهب بعيدا في خطته المرسومة بخصوص المناطق المخصصة للعرب في فلسطين . ولا بد لحكومة جلالته (بريطانيا) من أن تراجع موقفها بخصوص الدعم المقدم للاردن والضباط البريطانيين المنتدبين لديه . وقد اجابني رئيس الوزراء بافتتاحية تتوقع هزيمة شاملة لليهود خلال اسبوعين . ورغم انه تقبل انذاري بروح طيبة مؤكدا بأنه والملك ملتزمان اساسا بالخطط الموضوعة سابقا ، الا انه سيكون من المستحيل لشرق الاردن ان تتوقف عند حدود الدولة اليهودية اذا قامت الجيوش العربية الاخرى باكتساح اراضيها .

وفي مثل هذه الحالة (التي قلت له أن احتمالاتها ضعيفة) فانه سوف يعفي الضباط البريطانيين من أي احراج . . واذا كان الدعم سيقطع عن شرق الاردن فانه سيقوم بالتماس الدعم من دول عربية اخرى .

لم يكن واضحا اذا كان الأمر يتعلق بنشوة انتصار (انتصار الفيلق والجيوش العربية سواء حقيقة او وهما) او ان عبدالله كان عازما على خداع حلفائه . ولكن عبدالله كتب ردا على برقية التهنئة المرسلة له من الحاج أمين يوم ١٦/أيار : (اننا نعلن ان الجيش العربي (الفيلق) قد استولى امس على مطار اللد وان برنامجه يتضمن التقدم مع جيوش

الدول العربية المجاورة حتى تحرر كامل فلسطين وتسليمها الى اهلها فواحةً بالعنبر) . وفي يوم ١٩/ أيار نقل عن عبدالله قوله لأحد الزعماء العرب : (غدا سوف استولي على القدس وفي الاسبوع القادم - تل ابيب) ، وفي الحقيقة نقل عن احد المسؤولين البريطانيين يوم ٢٦/ أيار قوله إن عبدالله الذي كان حينها معاديا لاي هدنة : «ما زلت أمل ان نستولي على القدس الغربية» وقد اوعز الى قواته بقصف الطريق التي تربط بين القدس وتل ابيب .

سواء كان هذا الامر تغييراً طرأ على تفكير عبدالله لعدة أيام او على الاقل تأرجح على حافة تحول استراتيجي رئيسي ، إلا أنه كان ظاهراً ضمنيا في تصريحاته للصحافة يومي ١٣ ، ١٤/ أيار وفي رسالته المؤرخة في ١٦/ أيار والتي سلمت الى كيركبرايد يوم ١٧/ ايار وقد نقل عن عبدالله قوله في التقرير الصحافي الأولي الى بعثة مرسلة من الزعماء الفلسطينيين انه ينوي فتح فلسطين بالتعاون مع الجيوش العربية الاخرى . كما نقل عنه تصريحه يوم ١٤ / أيار بأن انتهاء الانتداب يعني بطلان وعد بلفور : «لا يوجد أي اساس لادعاء اليهود بالاستقلال فالعرب هم الحكام الحقيقيون لهذه الارض» . كما تحدث في رسالته الى كيركبرايد يوم ١٦ - ١٧/ أيار عن واجباته القومية والدينية فيما يتعلق بفلسطين ككل وبالقدس على وجه الخصوص . وهذا الحديث كما فهمه كيركبرايد تماماً ، يتضمن نية عبدالله الآن : (أ) القيام بعملية تغطي كامل فلسطين (ب) واحتلال القدس الشرقية على اقل تقدير وقد ادرك عبدالله الأن انه عازم على القيام بعمل ينقله بعيدا عن الخطة الاساسية الموضوعية القائلة باحتلال الاردن لبعض الاراضي المخصصة للعرب في فلسطين ،كما علق كيركبرايد .

(كان كيركبرايد قد نصح الوايت هول بتحذير عبدالله بأن أي انحراف عن الخطة الاصلية سيؤدي بالضرورة الى ان تعيد الحكومة البريطانية النظر في موقفها ، وقد اوعزت الوايت هول فورا الى كيركبرايد بأن يرد على عبدالله بهذا الاتجاه مؤكدة بأن الحكومة البريطانية تستنكر أية اطالة للصراع في مدينة القدس المقدسة .

ولكن مع نهاية ذلك اليوم بدا عبدالله وكأنه قد تلقى دوشا باردا . فقد قام بزيارة جسر المجامع وعلم من هناك أن الجيش السوري قد عجز عن التقدم في سمخ وان العراقيين لم يكونوا بأحسن حالا . وفي الحقيقة ، وفقا لعبدالله فقد احجم العراقيون عن أي التزام ما لم يتلقوا الدعم من الفيلق العربي بدا له ان مثل هذا الانتصار ليس وشيك الحصول ولن يكون من السهل التغلب على اسرائيل .

وكما بدا الامر يوم ١٥ - ١٦/ أيار . ربما كان افضل للفيلق أن يلتزم بخطته الاصلية القاضية باحتلال المناطق المخصصة للعرب فقط وتجنب مهاجمة اراضي الاسرائيليين .

ولكن القدس - التي لم تكن ضمن المناطق المخصصة لليهود من قبل الامم المتحدة - كانت موضوعا آخر . وفي يوم ١٦/ أيار ابرق عبدالله بنفسه الى غلوب يقول : ان اهمية القدس في عيون المسلمين والمسيحيين العرب معروفة تماما وان أي كارثة تقع لسكان المدينة على ايدي اليهود - سواء قتلا او تشريدا سيكون لها عواقب بعيدة المدى علينا جميعا . ان الموقف لا يحمل بعد على اليأس . لذلك آمر بالحفاظ على كل ما غنمناه اليوم - المدينة القديمة والطريق الى اريحا - يمكن ان يتم هذا اما باستدعاء الاحتياط الذين يتمركزون الأن في ضواحي رام الله او بارسال قوة احتياطية اساسية ، اطلب منك تنفيذ هذا الامر باقصى سرعة ممكنة يا عزيزي .

كان غلوب غير راغب في توريط الفيلق في أي معركة في القدس ، لذلك تلكأ قليلا وعبر نهر الاردن في اليوم التالي فجرا لتفقد تنظيم قواته ولكنه ما كاد يفعل ذلك حتى انهال عليه فيض من البرقيات تحثُّه على القيام بالعمل . وقبل الظهر تلقى امرا يقول بأن جلالة الملك يأمر بالتحرك باتجاه القدس . وكان يهدف بهذا الى تهديد اليهود ودفعهم لتوقيع هدنة في القدس . بعد ذلك بنصف ساعة وصلت برقية اخرى ،هذه المرة من رئيس وزراء الاردن ووزير الدفاع ابو الهدى اسهب فيها بشرح الوضع :

«ان جلالته قلق جدا . ويصر على ارسال قوة من رام الله مدعومة بالمدفعية لمهاجمة الاحياء اليهودية في القدس . فاليهود يهاجمون بوابات المدينة القديمة بهدف اقتحامها . وان أي هجوم على اليهود قد يساهم في تخفيف الضغط عن المدافعين العرب ويدفع اليهود الى القبول بهدنة . ان جلالته ينتظر منك تحركا سريعا . ابلغنا فورا عند بداية العملية» .

ولكن غلوب استمر في التلكؤ متواريا طوال نهار ١٧/ أيار ومعظم يوم ١٨/ ايار عن الانظار بعيدا عن أي اتصال بعمان . كان كارها لادخال فيلقه العزيز في المعركة لخوفه من أن يتكبد خسائر كبيرة وغير محددة في حرب الشوارع التي لن تتحملها قدرة الفيلق على التفوق الناري والحركة . وربما كان متخوفا ايضا من فشل سياسي يشمل غضب الوايت هول الذي كان يصر دائما على تحذير عبدالله من أي هجوم على اليهود . ومن أي انتهاك وقح لقرار الامم لمتحدة رقم ١٨١ . (الذي اوصى بتدويل المدينة) ولكن الضغط على غلوب حتى من قبل قواته نفسها التي وصل الى الحد الأقصى في كبح عواطفها

كان شديداً .

وصف كيركبرايد العملية يوم ١٩/ أيار :

« دفع الرأي العام في الاردن وفلسطين ، اضافة الى الاعتداء اليهودي على الاحياء العربية في القدس والمناطق العربية في الجليل ، بالفيلق العربي الى التحرك باسرع مما كان ينوي سابقا . تفقد غلوب مواقع الفيلق في رام الله ونابلس يومي الاثنين والثلاثاء (١٧ ، ١٨/ أيار) في محاولة بالاساس للتهرب من الحاح الملك عبدالله ورئيس وزرائه اللذان كان يطالبانه بتحرك فوري . وفي فلسطين وجد الوحدات في حالة من السخط بسبب عدم صدور الاوامر لها بالتدخل لدرجة احسن بأن الامر سيخرج من يده إذا واصل الامر على هذه الحال» .

وفي شرق الاردن وفلسطين بدأ يقال ان الفيلق العربي هو فقط اداة بيد البريطانيين من اجل فرض التقسيم . وقد ذهب رئيس الوزراء بعيدا أمس حين سألني إذا كنت انا الذي اعطي التعليمات لغلوب بتفادي القتال مع اليهود . او هل إن غلوب يأخذ هذا الامر على عاتقه . تعاملت مع هذا السؤال بما يناسب . واضفت قائلا : ان هذه السرعة الهستيرية التي تخوض بها القوات العربية المعركة قد تنتهي الى كارثة الا إذا تعاملنا مع الامور بمنطق . تراجع رئيس الوزراء ولكن الامر اصبح واضحا بأن خطا ما يجب أن يرسم للعمل فورا .

بدا أن كيركبرايد قد كرر تحذير الوايت هول ضد أي تقدم باتجاه حدود التقسيم او أي مهاجمة لاسرائيل ولكن الضغط كان شديد جدا في موضوع القدس ولم يستطع عبدالله مقاومته .

كان بيفين قلقا من توقع دخول الفيلق ساحة القتال في القدس . وربما كان اهتمامه الرئيسي منصب على احتمال قيام الفيلق بالاعتداء على القدس الغربية . وربما هذا ما يفسر أيضا برقية بيفين التي ارسلها عشية ١٩/ أيار والتي أمر فيها كيركبرايد بتحذير الاردنيين ضد أي هجوم شامل للفيلق على القدس .

تجاوب غلوب تدريجيا مع الضغوطات القادمة من عمان والقدس الشرقية ،فارضا حصارا على المدينة القديمة لاطول مدة ممكنة .ومع حلول منتصف ليلة ١٧/ ايار حرك غلوب مدفعين ٢٥ رطل - نحو موقع النبي صمويل حيث يمكنه مساندة أي تقدم يؤمر

به . وفي نفس الوقت تمركزت سريتان من الفيلق هما الاولى والثامنة على جبل الزيتون ولكن الضغط استمر وكان اليهود انفسهم هم الذين يشعلونه فقد كرر رجال الهاجانا يومي ١٦ - ١٨/ ايار محاولاتهم لاقتحام البلدة القديمة مدفوعين من ناحية برغبة في تخفيف الضغط عن الحي اليهودي . وادت هذه الهجمات الى حسم الامر بالنسبة لعبدالله وغلوب والفيلق العربي بدخول مدينة القدس .

في ١٨/ ايار كتب غلوب : «يوم ١٨/ أيار كان القلق قد بلغ مداه عند الملك تخوفا من دخول اليهود الى البلدة القديمة والى المسجد الاقصى حيث دفن والده الراحل الحسين ملك الحجاز ، بدا لي ان المسؤولية كلها قد تقع علي . لقد عارضت الملك والحكومة لمدة ثمان واربعين ساعة آملا بالتوصل الى هدنة (في القدس) ولكن إذا سقطت البلدة القديمة ، فان كل الجهود ستذهب سدى . أمر غلوب احدى السرايا المتمركزة على جبل الزيتون (السرية الثامنة) بالنزول الى البلدة القديمة وقام هؤلاء بعد ساعة بتحصين الاسوار (كتب غلوب هنا ملاحظة بأن تلك الاسوار كانت تردد اصداء التاريخ حيث قام اليهود انفسهم قبل ١٩٠٠ عام بقذف رماحهم منها على جيوش تيطس) .

لقد تم القاء النرد .

ولكن السرية لوحدها لم تعط العرب في المدينة القديمة سوى ارتياحا مؤقتا . واصبح التهديد يتزايد ساعة بعد ساعة وفي ليلة ١٨ ، ١٩/أيار تمكنت وحدة صغيرة من البالماخ من اقتحام البلدة القديمة من جبل عصيون عبر بوابة عصيون فاتحة بذلك ممرا من القدس الغربية الى الحي اليهودي .

كان الامر يتطلب قوة اكبر ، اذا رغب العرب في الحفاظ على البلدة القديمة وربما تطلب الامر الاستيلاء على الحي اليهودي . تلك الليلة أمر غلوب الفيلق بأن يبدأ الهجوم في الصباح التالي ١٩/ أيار .

اثارت مجريات الاحداث علامة تساؤل حول مدى سيطرة عبدالله على تنظيم عمليات جيشه أو بكلمة اخرى على مدى استقلالية غلوب في اخذ القرار خلال الاسابيع الاولى من الهجوم . اعتقد بعض المراقبين الاسرائيليين أن التوتر المفرط الذي اصاب عبدالله خلال الاسبوع الاول كان مرده جزئيا الى شعوره بالعجز او على الاقل

ظهوره عاجزا امام سيطرة غلوب (او البريطانيين) على الفيلق . لم يكن قد ظهر بمظهر الدمية في يد البريطانيين بهذا الوضوح من قبل فقد كان غلوب باشا هو الذي يقود الحملة وكانت اوامر عبدالله ترمى في سلة القمامة . هذا على الاقل ما ذكره ضابط مخابرات الهاجاناه حاييم هرتزوغ حول الوضع في ذلك الوقت . ولكن في الحقيقة وعلى الرغم من أن غلوب قد تمكن من تأخير او تجنب الانصياع للاوامر الملكية ، الا أن الامر النهائي كان بيد عبدالله في توجيه الطلقات وتحديد خيارات الفيلق الاستراتيجية . فعبدالله وليس غلوب هو الذي وضع الفيلق على الطريق الى القدس (كيف كان يمكن لغلوب أن يتصرف لو أمره عبدالله بتجاوز حدود التقسيم التي فرضتها الامم المتحدة ؟ يبقى الجواب امرا في حكم التخمين على الرغم من أن المرء يستطيع الافتراض بأن غلوب وكيركبرايد قد ينجحا في اقناع الملك باعادة التفكير في الأمر) . ولكن يمكن تفسير هذا التعامل بين غلوب وعبدالله والفيلق في وصول الاخير الى المدينة بطريقة اخرى .بدون شك ، ظل غلوب ولاسباب تكتيكية مترددا الى ابعد حد في اقحام جيشه الصغير في القدس . كان خائفاً من أن يتم تدميره في حرب الشوارع . وعلى العكس من عبدالله فلم يكن غلوب مدفوعا باعتبارات تاريخية ودينية في رغبته للاستيلاء على المدينة لمصلحة العرب والمسلمين (على الرغم من توجهه ذهنيا نحو الامور التاريخية . الا أنه بدون شك كان يضع في الاعتبار انجازاته ونجاحاته او فشله امام عين الاجيال القادمة) ولكن على الرغم من ذلك ، قد يتساءل المرء عن مدى عمق تردد غلوب ومعارضته - كما ظهرت بتركيز في مذكراته - للدخول في معركة للدفاع عن المدينة المقدسة . ربما ومن البداية كان غلوب مثل سيده يملك عقليتين في هذا المضمار . فقد كان غلوب وقبل البدء بالهجوم يفهم تماما ولاسباب استراتيجية جيدة مدى الاهمية الاستراتيجية للمدينة .

وبالتأكيد كان مدركاً تماماً لهذا الأمر حين قرر عبور نهر الاردن . ولكن ببساطة كانت القدس هي المحور والتقاطع الرئيسي للاتصالات بين ارجاء الضفة الغربية بسبب موقعها في وسط المحاور الرئيسية بين نابلس ورام الله وبيت لحم والخليل وبين تل ابيب واريحا . وكانت السيطرة على المدينة او على الاقل على القدس الشرقية تعني تأمين تواصل التماس بين الاجزاء الشمالية والجنوبية من الضفة الغربية ، كما كانت تعني ايضا منع استخدام القوات اليهودية لأسهل طرق الوصول الى اريحا ووادي الاردن .

وكان استيلاء الهاجانا وجيش الدفاع الاسرائيلي على القدس الشرقية يعني عزل القوات العربية في رام الله ونابلس وبضربة واحدة عن تلك التي في منطقة بيت لحم والخليل ، وبدرجة اكبر كان ذلك يعني فتح الطريق امام الهاجانا للوصول الى اريحا ووادي الاردن . كما أن أي تقدم للهاجاناه نحو غور الاردن مسافة نصف ساعة بالسيارة سيؤدي الى قطع المحاور الرئيسية التي تربط قواعد الفيلق في شرقي الاردن بوحداته المنتشرة في الضفة الغربية باختصار كان الاستيلاء على القدس الشرقية والاحتفاظ بها جوهريا من اجل حماية وتأمين سيطرة الفيلق على يهودا والسامرة (تماما من اجل استمرار احكام سيطرته على القدس الشرقية) .

شعر كيركبريد ربما بعد تلقيه ايجاز من غلوب أن أمام الفيلق خياران في حالة احتلاله للسلسلة الجبلية في الضفة الغربية ، إما التوجه في عمليات الى الخارج تقوده بالنتيجة الى دخول المنطقة المخصصة لليهود (غربا نحو الساحل) او الانكفاء داخلا لحماية المنطقة المخصصة للعرب من القدس وقد اختار الفيلق بحكمة التوجه الثاني . لأن انقاذ الاماكن المقدسة في القدس يعطي لشرق الاردن افضلية اكبر في العالم العربي . كما يقدم لقواته المعركة التي كانت تطالب بها دون الخوض في مخاطر التورط في ما قد يوصف بالاعتداء على الدولة اليهودية .

تبنى الوايت هول وجهة نظر غلوب حجة وعملا ووصلت مذكرة (ربما من بيث) يوم ٢٠/ أيار تقول :

« يرى المكتب الحربي ان امام عبدالله مسارين مفتوحين ، إما أن يتقدم نحو الساحل بالتعاون مع جيوش عربية اخرى يمكنه جمعها ، قاطعا بذلك يهود تل ابيب عن يهود حيفا والشمال ، وربما محققا نصرا عسكريا من الطراز الاول . (الا أنه كان واضحا أن هذا المسار يتعدى قدرة الجيوش العربية في الوقت الحاضر) . أو أن يختار البديل الثاني وهو التركيز على حماية ما استولى عليه من القدس مما يضيف عنصرا هاما الى المعنويات العربية ويبقي العمليات ضمن وضعها الطبيعي داخل المنطقة المخصصة للعرب . وفي الوقت الحاضر كان الفيلق العربي يشق طريقه نحو القدس من الشمال» .

ولن يستطيع اليهود في الحي اليهودي من البلدة القديمة أن يصمدوا لمدة اطول . اعتقد أن من الاهمية القصوى من وجهة النظر العربية أن لا يتورط الفيلق العربي في

معركة رئيسة ضد الجسم الرئيسي للقوى اليهودية وان يبقى كما اشار كيركبرايد في برقيته ليخلص القدس العربية .

هكذا بدا وكأن غلوب ، وربما بتردده ،قد وضع حدا لمعركة شرق القدس . وقد كانت معركة كبيرة ففي اللحظات الاولى التي سبقت بزوغ فجر يوم ١٩/ ايار ، تقدمت قوة من الفيلق قوامها ٣٠٠ رجل مسلحين تسليحاً ثقيلاً ومدعمين بمدفع ٢٥ رطل جنوبا على طريق رام الله - القدس واستولت القوة في طريقها على حي الشيخ جراح عند المدخل الشمالي للبلدة ، والذي كانت قوة يهودية صغيرة قد اقتحمته وتمركزت فيه الليلة السابقة . ثم بعد ذلك تم تدعيم رجال الفيلق بوحدات اضافية في نفس اليوم . وفي اليوم التالي ، اشتبكت مع قوات يهودية عند بوابة مندلبوم وفي حي المصرارة الجنوبي . ولكن كان لا يزال هناك بعض الشكوك في مدى امكانية اقامة خط اتصال متواصل صلب ومأمون بين رام الله التي كانت تحتضن موقع قيادة الفيلق وبين البلدة القديمة . وفي يوم ٢١/ أيار امر غلوب الكتيبة الثالثة من الفيلق ، والتي كانت قد انتشرت حول نابلس منذ ١٥/ أيار بالتقدم نحو القدس . وصف غلوب لاحقا جنود الكتيبة بانهم كانوا من البدو الذين يتميزون بالبساطة والصرامة . وكان الامر بالنسبة لهم في غاية البساطة : (عليهم انقاذ الاماكن المقدسة في القدس من براثن اليهود) . ومع حلول الليل كانت الكتيبة قد وصلت الى الشيخ جراح . وفي اليوم التالي ٢٢/ أيار شقت طريقها جنوبا محققة بذلك اتصالا مع الوحدات غير النظامية ورجال الفيلق الذين يتحصنون عند اسوار البلدة القديمة .

أدّى التقدم نحو القدس الى احداث تغيير ملموس في الصورة الاستراتيجية الشاملة للهجوم العربي . وبناء على اوامر غلوب تم سحب الوحدات العراقية التي كانت تشاغل اليهود حول نهاريم (جسر المجامع) بدون تحقيق أي نجاح يذكر ، بسرعة الى الشرق . واعيد انتشارها (٢٢ - ٢٤/ أيار) حول مثلث طولكرم - جنين - نابلس في الجهة الشمالية من الضفة الغربية لتأخذ مكان وحدات الفيلق التي توجهت جنوبا نحو القدس وغربا نحو اللطرون .

عند هذه النقطة بدأت الدول العربية (غير مدركة او غير مبالية بمعركة الفيلق اليائسة التي بدأت تتضح معالمها في القدس) بممارسة ضغوطها على الاردن لكي يهاجم اسرائيل بدلا من احتلال الاراضي المخصصة للعرب فقط .

وقد قاوم عبدالله هذه الضغوط . وروى غلوب الحديث التالي :

« يخبرني الملك عبدالله انه سرعان ما تبين أن سبب الاجتماع الذي عقده معه الرئيس السوري يوم ٢١/ أيار في درعا ، كان لتوريط الفيلق العربي اكثر في المعركة ودفعه بشكل خاص للتحرك اماما لقتال الدولة اليهودية . وقد ووجه الفريق طه الهاشمي (ضابط عراقي كبير كان على رأس اللجنة العسكرية بجامعة الدول العربية) بانفجار غضب من الملك الهاشمي (تكررت هذه الانفجارات) عندما وقف ليشرح رأيه القائل بعدم استخدام الجيوش لتحقيق اهداف سياسية .

وقد اجاب الملك : (بعد العروض البائسة التي قدمتها القوات اللبنانية والسورية تبين انهم ليسوا في موضع يسمح لهم بانتقاد الفيلق العربي ولا يمكن لأحد يملك عقلا ومنطقا ان يقترح مهاجمة الدولة اليهودية مع وجود قوات يهودية ضخمة في القدس ترابط على خطوط الاتصال الرئيسية . وترك الانتشار في القدس ، المحور الشمالي من جنوب نابلس الى رام الله وحتى البلدة القديمة بدون حماية وخاصة ذلك الجزء الواقع بين شعفاط وباب الشام ، إذ ظلت تلك المنطقة تتعرض لاطلاق نار من قبل مواقع الهاجانا في المصرارة ومنحدر المصرارة المغطى باحجار دير نوتردام دو فرانس التي تشبه أحجار القلاع) .

وفي يوم ٢٣ - ٢٤/ ايار ، عاودت الكتيبة الثالثة مهاجمة الموقع واقتحمت البناية عدة مرات وهي تتقدم من غرفة الى غرفة ومن مخزن الى مخزن بالقنابل اليدوية والبنادق الرشاشة . ولكن الموقع كان عصيا . ومع حلول بعد ظهر يوم ٢٤/ أيار كان نصف افراد الكتيبة الرابعة قد سقطوا قتلى او جرحى . ولم يعد معظم ضباطها واداريبها جاهزين للخدمة . وامام عدد الاصابات وتناقص العتاد ، اوقف غلوب الهجوم رافضا تجديده وبقيت البناية في يد الهاجانا .

داخل البلدة القديمة كان رجال الفيلق اكثر نجاحا . ففي الفترة بين ١٩ و ٢٨/ ايار ، تمكنوا من دحر جميع الهجمات اليهودية على اسوار البلدة وتقدموا تدريجيا من بيت الى بيت وحاصروا مركز القيادة اليهودي الى أن استسلم عناصره من اليهود المتعصبين و٣٠٠ مدافع من الهاجانا ورفعوا الراية البيضاء . وقد سيق رجال الهاجانا الى معسكر اعتقال لسجناء الحرب أقيم في شرق الاردن وتم نقل السكان الالف والخمسمائة تحت رعاية الصليب الاحمر الى القدس الغربية اليهودية . وشوهد جنود الفيلق العربي وهم

يساعدون المرضى والعجائز من النساء ويحملون معهم اشياءهم الصغيرة . كان هذا هو الرد على دير ياسين ، كما كتب غلوب .

كتب المؤرخون التقليديون للصهاينة ، على أن الفيلق لم يقم في النصف الثاني من ايار بمحاولة الوصول الى البلدة القديمة والاستيلاء عليها فحسب ، بل حاول اكمال الاستيلاء على القدس الغربية بسكانها المائة الف وان الاعتداءات التي قام بها في مندلبوم وضد النوتردام دخلت ضمن هذه المحاولات .

هكذا كان الضباط الاسرائيليون يرون الاشياء في ذلك الوقت . وكان بن غوريون دائم الشك قائلا ان الفيلق كما يبدو قد بدأ تحركه (اعتداءه) الذي يحمل في طياته ثلاثة اهداف : الاحتفاظ بالبلدة القديمة والاستيلاء على المدينة كلها ومن ثم على ضواحيها ، وكان هدف العرب بالتأكيد يتعدى القدس الغربية الى البلاد كلها ، ووفقا للمعلومات التي تلقيناها من المصادر البريطانية والمعتمدة الى حد ما فان هذا الهجوم العربي الشامل (غزو فلسطين) كان من المفترض ان يشكل ضربة صاعقة تهدف الى تحطيم الدولة اليهودية في غضون أيام معدودة . وبالتأكيد كان بن غوريون ساخطا على الفيلق (والبريطانيين) لدرجة انه كان راغباً في تصديق تقرير - وقد مرره على اعضاء مجلسه - يقول بأن الفيلق على وشك استخدام الغاز السام .وفي يوم ٣٠/ أيار قال لزملائه : « قد استمعنا الى أمر ورد الى الفيلق قبل ساعة يوعز بالاستيلاء على القدس مهما كلف الامر . وقد ذكرت كلمة القطمون بشكل خاص . كذلك صدر امر باستخدام الغاز ، لا يوجد شك بأن البريطانيين هم الذين يعطونهم الغاز» - وعندما اقترح عدد من اعضاء المجلس بأن تقوم اسرائيل فورا بنشر هذه المعلومات ، اجاب بن غوريون «من المشكوك فيه بأن هذا الامر سيوقفهم ولن يردعهم شيء» .

بالمناسبة اشترك في هذه النظرة التي تعبر عن جنون الارتياب ، عدد من القادة الاسرائيليين الذين كانوا ينظرون الى الفيلق (مثل معظم العرب خارج الاردن) بأنه اداة بيد البريطانيين :

« أنا متلهف لتحسين العلاقات مع البريطانيين ، ولكني لا ارى الا أملا قليلا في التغيير من جهتهم . فمن حقد بيفين ، (مندوب بريطانيا في الامم المتحدة) الى فتاوى كادوغان ، الى آراء غلوب الى قصف الفيلق العربي لدجانيا (أ) والجامعة العبرية وحشد القوات للهجوم في أي مكان آخر - كل هذا يظهر وجود خط متصلب وواضح

باتجاه سحق الدولة اليهودية وتقليص مساحتها وتركها عرضة للوحوش لكي تلتهم الجزء الاكبر من فلسطين» .كان هذا نص برقية ارسلها وزير الخارجية موشى شيرتوك الى زعيم الدولة الصهيونية حاييم وايزمان» .

ولكن غلوب لم يكن في صدد مهاجمة القدس اليهودية والاستيلاء عليها . ولم يبذل فيلقه الذي كان يعاني نقصا في الرجال أي جهد بهذا الاتجاه . وبعد عام ١٩٤٨ ، ظل غلوب يؤكد ان القتال من اجل النوتردام وبوابة مندلبوم كان سببه اطلاق النار من الطرف اليهودي والحاجة الى تأمين محور البلدة القديمة . وتؤيد الوثائق الموجودة حاليا مثل هذا التوجه .

وفي يوم ٢١/ ايار ، بينما كان يتم الاستعداد للهجوم ، اعلم كيركبرايد لندن بأنه اصبح من المؤكد بناء على مذكرة غلوب بأن الفيلق لن يقوم باكثر من حماية البلدة القديمة . ولكن من اجل ان يتم ذلك ، يجب عليه القيام بمحاولة لاعادة السيطرة على مواقع اللنبي القوية (النوتردام) التي تسيطر على الزاوية الشمالية الغربية للاسوار .

وقد ايدت التحاليل الداخلية لجيش الدفاع الاسرائيلي ما حدث كما ايدت رواية غلوب عن الاحداث بأن الهجوم الذي تم بعد تردد من غلوب لم يكن مخططا له . وكان هدفه صد الاعتداءات التي تشن على القدس الشرقية بما فيها البلدة القديمة ، وحماية الطريق الى البلدة القديمة من الشمال الى الجنوب اكثر من مهاجمة القدس اليهودية بقصد احتلالها . وفي اكثر الشروحات وصفا وشمولا حول الحرب ضد الفيلق العربي ، كتب الميجر دوف شتايجر (زيون) (وهو الذي سيصبح لاحقاً صهر موشي دايان وقد تقاعد في اعوام الثمانينات من القرن العشرين بعد ان وصل الى رتبة قائد لواء) في الخمسينات من القرن العشرين يقول :

« من الواضح تماما ، انه قبل تلك المرحلة (بداية الهجوم) لم يكن لدى الفيلق أية خطة للاستيلاء على مدينة القدس باكملها . واذا استعدنا الاحداث التي جرت بعد ذلك ، نجد انه لم يكن هناك أية خطة جدية موضوعة لذلك او اية نية لاتباع مثل تلك الخطة إذا وجدت . وحتى لو وجدت مثل تلك الخطة ، فانها لم تكن مبنية على الهجوم والاستيلاء ، ولكن على الحصار من اجل اجبار السكان اليهود على الوصول الى اتفاق هدنة . لم يكن هناك أي تأكيد على أن طموحات عبدالله قد تصل الى هذا الحد . والارجح ان هدفه كان اجبار القيادة العليا الاسرائيلية على توزيع قواتها بغرض الدفاع

(من أجل ان يتسنى للفيلق استمرار احتفاظه بتلك المناطق التي احتلها في الضفة الغربية والقدس الشرقية) .

وفي احدى الاعمال اللاحقة له والتي اودعت في ارشيف جيش الدفاع الاسرائيلي ولم يتم نشرها ابدا ، ظهر شتايجر اكثر تأكيدا على هذه النقطة . «من الممكن التصريح بكل ثقة ان عبدالله لم يكن ينوي السيطرة بقواته على القدس . ولم يخطط الفيلق للاستيلاء على المدينة مثلما لم يخطط لشن أي حرب علينا . اندفع الفيلق الى فلسطين بهدف واحد فقط وهو الاستيلاء على مناطق وسط البلاد (الضفة الغربية الكبرى) التي تم تخصيصها للعرب في خطة التقسيم . حتى انه لم يكن لديه ما يكفي من القوات لانجاز مثل هذه المهمة من وجهة نظر قائد الفيلق ، فكيف بالحري الاستيلاء على مدينة كبيرة مثل القدس ؟ لذلك ظل قائد الفيلق على اعتقاده بأن الجهود يجب أن تبذل للوصول الى اتفاق هدنة في القدس وابقاء القدس منطقة منزوعة السلاح وبعيدة عن ميدان المعارك . كان هذا هو السبب الرئيسي لعدم دخول الفيلق الى القدس والى الضواحي العربية عند انتهاء الانتداب . وعلى عكس نواياه السابقة ، انشغل الفيلق بمعارك القدس وظل غلوب يأمل حتى يوم ١٧/ ايار أن تنجح لجنة الهدنة في فرض الهدوء على المدينة لكي ترفع عنه عبء الحاجة الى الدخول في معركة وسط منطقة تعج بالبنايات» .

ومع ذلك فقد تنبأ كيركبرايد بظهور بطانة سياسية فضية في ساحة المعركة غير المتعمدة مع الهاجانا . فقد كانت الدول العربية تضغط على عبدالله مباشرة بعد ١٥/ ايار من اجل دفع الفيلق الى ابعد من المناطق المخصصة للعرب . ومن اجل خوض القتال مع اليهود كذلك . ولكن المعارك المريرة التي شهدتها القدس والطريق الموصل اليها من الغرب مكنت عبدالله وغلوب من تفادي الاتهامات العربية لهما بأنهما تجنبا خوض المعركة مع اليهود وانهما تآمرا مع البريطانيين ضد العرب ، ويوم ٢٢/أيار وصف كيركبرايد الامر بالطريقة التالية :

أنقلبت الخطة الاساسية لشرق الاردن رأسا على عقب بسبب كسر الهدنة المتعلقة بالقدس (من قبل اليهود) فور انتهاء الانتداب .

وكان هذا يعني اضطرار الفيلق العربي الى توسيع احتلاله للاماكن الاخرى باسرع

مما كان مبيتا . وبدخول المعركة في القدس التي بدت وكأنها ستقع في ايدي اليهود بدا أن انشغال الفيلق غير المتوقع في معارك القدس كان ذو نفع لأنه كان سيكون من المستحيل أن يصل الفيلق العربي الى حدود الدولة الاسرائيلية ويبقى خامدا سواء من ناحية الرجال انفسهم او من ناحية الرأي العام العربي الذي كان سيصف الموقف (أي الهدوء على الحدود) بأنه مؤامرة بريطانية لتفعيل التقسيم . ولعل حقيقة ان جميع الدول العربية الاخرى قد اعطيت أدواراً أدت الى الهجوم على الدولة اليهودية فور بدء الاعتداءات ، لم تكن محض صدفة وقد ادركوا هذه الحقيقة في ذلك الحين . لقد كان فشل هجوم القوات اللبنانية والسورية والعراقية عاملا دفع بهذه الدول لتصبح اكثر الحاحا على الفيلق العربي بأن عليه أن يتقدم ايضا باتجاه الدولة اليهودية .

ومع انكشاف المعركة من اجل القدس ، ادرك غلوب بسرعة ضرورة احتلال اللطرون والتمركز فيه . وهو التقاطع الحيوي الواقع في وسط الطريق بين تل ابيب والقدس والذي يمكن ان تستخدمه القوات اليهودية في تأمين الامدادات الى العاصمة . كان اللطرون من بين الاراضي التي خصصها قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة عام ١٩٤٧ ليكون تحت الادارة العربية . وفي مذكراته يصف غلوب سبب احتلال اللطرون من قبل الفيلق يوم ١٧/ أيار في الوقت الذي احتدمت فيه المعارك في القدس ، كانت الطريق مفتوحة بين القدس وتل ابيب . وكانت الامدادات والذخائر وقوافل الرجال تصل الى القدس اليهودية من السهل الساحلي . لم يكن مستحسنا السماح بدخول قوات يهودية واسلحة يهودية اخرى الى المدينة لانهم إذا قاموا بتطهير المدينة فسيكملون الهجوم حتى نهر الاردن ويقطعون بذلك كل فلسطين . لذلك ارسلنا الكتيبة الرابعة الى اللطرون لمنع اليهود من استخدام الطريق الرئيسي الموصل الى القدس .

وفي تحليلاته التي ظهرت بعد الحرب ، للمعارك التي جرت في اللطرون تبنى قسم التاريخ في جيش الدفاع الاسرائيلي (شتايجر) رواية غلوب للاحداث . لم يكن قطع الطريق بين القدس وتل ابيب جزءا من الخطة الرئيسية للفيلق ولكن المعارك التي شهدتها القدس اجبرت غلوب كما كان يرى الامور على قطع الطريق من اجل :

أ - منع اليهود من تحريك الامدادات والمؤن الى المدينة .

ب - تحويل قوات الهاجانا بعيدا عن المدينة من اجل تمكين العرب من السيطرة عليها والاحتفاظ بها .

ويكتب شتايجر في دراسته التي اجراها عن الفيلق عام ١٩٤٨ :

" لا يوجد سبب للزعم بأن اركان الفيلق قد خططوا لمثل هذه المعارك (معارك اللطرون) مسبقا ، وعلى المرء أن يفترض بكل ثقة ان خطة الفيلق (قطع الطريق) قد ولدت وسط المعارك كرد فعل على اهدافنا» .

كان هدف الفيلق الاستراتيجي من الناحية السياسية هو السيطرة فقط على المناطق العربية التي خصصها قرار التقسيم للعرب أملا بأن نقوم نحن ايضا بالسيطرة على المناطق المخصصة لنا ولكنهم عندما لمسوا التصعيد العسكري من طرفنا والذي تعدى الحدود المخصصة لليهود ادركوا الحاجة الى أن يلجأوا الى اعمال وقائية بهدف منعنا من تحقيق تفوق عسكري .

وما جرى من اعتداءات من قبلنا ضد المعاقل العربية الممتدة على طريق القدس ، دفعت بالفيلق الى تعديل خطة انتشاره التي اعدها سابقا . ان عملياتنا ضد اللطرون ودير ايوب المجاور لفتت انتباه قيادة الفيلق الى اهمية طريق القدس بالنسبة لنا والى حقيقة ان وجودهم فقط على هذه الطريق يمكن أن يضعضع قواتنا .

هاجم رجال الهاجانا اللطرون صبيحة يوم ٢٥/ أيار بمجموعات من الكتائب الضعيفة التسلح . وكان الهدف الرئيسي من الهجوم هو احتلال قلعة تيجارت للبوليس والتي كانت تجثم على رابية مطلة على الطريق وعلى سهل أيالون الذي تمر عبره الطريق . وقد تمكن قناصوا الفيلق الرابضون على سطح القلعة وعلى التلال الشرقية المجاورة لها من قنص المشاة الاسرائيليين المتقدمين حتى قبل أن يصلوا باسلحتهم الى مدى اطلاق النار ولم يتمكنوا ابدا من الوصول الى القلعة ، بعضهم مثل ارئيل شارون تمكن من العودة خلفا الى الخطوط الاسرائيلية ، أما البعض الآخر فقد سقطوا من الاعياء والجفاف . (الحرارة كانت تتعدى ٣٠ درجة مئوية) وقد سقط آخرون بين قتلى وجرحى وبقي الجرحى في الحقول الممتدة حول القلعة . وقد قام القرويون العرب في تلك الليلة بالطواف في المنطقة للبحث عن أي معدات تركت في المكان كما اجهزوا بالمناسبة على الجرحى . وقد ابلغ الفيلق العربي بأن اليهود تكبدوا ٦٠٠ قتيلا . وفي الحقيقة سقط ما بين ٧٢ - ٧٤ اسرائيليا في ذلك اليوم . ووفقا لغلوب فان ستمائة اسرائيليا آخرون قتلوا في الهجومين الرئيسيين اللاحقين الذين شنتهما الهاجانا على اللطرون يوم ٣٠ /٣١ ايار يوم ٨ ، ٩/ حزيران . أما في الحقيقة فقد تكبد الاسرائيليون في هذين الهجومين سبعين قتيلا آخرين .

ولكن هذه الخسائر كانت تعتبر جسيمة في الحقيقة ، إذا ما اخذنا بعين الاعتبار حجم الوحدات المهاجمة وحجم الجيش الاسرائيلي ككل . وبدون شك ،كانت معارك اللطرون من اشد الهزائم التي مني بها جيش الدفاع الاسرائيلي عام ١٩٤٨ . فقد فشل في احتلال اللطرون واثبت الفيلق العربي انه سيد الموقف في ساحات المعارك . وقد اضطرت اسرائيل الى بناء طريق التفافية (دعيت بطريق بورما) حول التل من اجل تأمين الامدادات الى القدس . ولكن الفيلق ظل ملتزما باستراتيجيته الدفاعية واحجم عن تعطيل مرور اليهود على هذه الطريق الالتفافية أو عن مهاجمتهم على الطريق نفسها من اجل عدم استفزاز جيش الدفاع الاسرئيلي .

ومع حلول يوم التاسع والعشرين من ايار ، كان الفيلق قد تكبد في منطقة القدس وفي معركة اللطرون ما مجموعه تسعين قتيلا و٣٠١ جريحا . لكن موقف عبدالله من اسرائيل ومن امكانية حصول سلام محتمل بينه وبين الدولة اليهودية كان قد تغير نتيجة للمعارك التي دارت بين الفلسطينيين واليهود قبل ١٥/ ايار . ونتيجة للاعتداءات اللاحقة التي شنها جيش الدفاع الاسرائيلي مع الهاجانا على الفيلق . وبقي عبدالله في شك عميق بالنوايا الاسرائيلية على الرغم من ارساله الوزير الاردني عبد المجيد حيدر الى لندن وتفويضه مرارا بمقابلة مسؤول وزارة الخارجية الاسرائيلي الياس ساسون في باريس في شهر آب من اجل جس نبضه حول نوايا اسرائيل وموقفها حيال ضم الضفة الغربية الى الاردن .

لم يعد عبدالله يثق بالتطمينات الاسرائيلية بأنه حال انسحاب الجيوش العراقية والمصرية والسورية من فلسطين ، فإن اسرائيل والاردن يمكنها العودة الى المواقع الاصلية التي حددتها خطة التقسيم . ما الذي يضمن بعد أن تصبح الجيوش العربية خارج ساحة المعركة من أن يوجه اليهود كل قواتهم ضد الفيلق العربي ؟ اوعز عبدالله الى حيدر بأن يبلغ ساسون أن طرد السكان العرب الفلسطينيين والذرائع الاسرائيلية بخصوص القدس قد بدلت الموقف ،وان عودة اللاجئين وقبول تل ابيب استثناء القدس من الدولة اليهودية اصبحا الأن شرطين ضروريين من اجل الوصول لأي اتفاق .

ولكن وفقا لكيركبرايد ، لم تكن الاعتداءات الاسرائيلية وتغير الظروف ، الأمرين الوحيدين الذين منعا عبدالله من التفاوض مع اليهود . فقد ادرك الملك عدم قدرته (بسبب اعتبارات عربية داخلية) على الوصول الى أي اتفاق منفرد مع اليهود ولكنه لم يرغب في ابلاغ ذلك الى اسرائيل .

اطلق الهجوم العربي في فلسطين نداءات متكررة من الامم المتحدة تدعو الى وقف اطلاق النار، والى فرض حظر على شحن الاسلحة الى جميع الاطراف المتورطة في القتال بما فيها الاردن بدءا من ٢٩/ أيار /١٩٤٨ . ومع حلول يوم ٢٤/ أيار، كانت بريطانيا قد شددت من ضغوطها على عبدالله من اجل القبول بوقف فوري لاطلاق النار. وفي برقية مرسلة الى كيركبرايد يعلمه فيها عما يجب ان يقوله لعبدالله ذكر بيفين: «ان الفيلق العربي قد حقق بنجاح الجزء الاكبر من هدف هجومه . . وهو تحرير الاراضي المخصصة للعرب من فلسطين. اضافة الى ذلك فقد تورط الفيلق في قتال ضار في القدس، وقام بقطع الطريق الممتدة من الساحل الى القدس الغربية فارضاً بذلك حمايته على الاماكن المقدسة للمسلمين في المدينة. لذلك، يبدو هنا ان الهدف الذي اورده رئيس الوزراء في بيانه المرسل إليّ قد تم تحقيقه نوعا ما، واذا ما رفض عبدالله وقف النار فان بريطانيا سوف تجد صعوبة في عدم اعادة التفكير في سياستها تجاه الفيلق» .

وافق عبدالله على وقف اطلاق النار. وكان الاردن في تلك المرحلة الدولة العربية الاولى التي لبت نداء الامم المتحدة لوقف النار. وفي يوم ٢٥/ أيار دافع ابو الهدى عن الموقف الاردني في اجتماع اللجنة السياسية للجامعة العربية ضد رفض الدول العربية الاخرى بقبول وقف اطلاق النار قائلاً: «ان الفيلق وحده هو الذي بقي على ارض المعركة ضد اليهود وانه لا يمكنه القتال لوحده، واتهم الجيوش العربية الاخرى بوقف هجومها (الجيش المصري رفض التقدم» .

ولكن على الرغم من جهود بريطانيا وعبدالله ،ظلت الدول العربية تراوغ في موقفها حتى الاسبوع الثاني من حزيران بعد أن تراجعت مخزوناتها من الاسلحة والذخائر. ومع بداية حزيران، توقع غلوب انه في غياب وقف اطلاق النار. فقد يصبح لزاما على جيشه الانسحاب من فلسطين مع حلول ١٤ / حزيران على اكثر تقدير. ومع حلول يوم ٦/ حزيران ذكر كيركبرايد أن الفيلق بقي لديه من الذخيرة ما يكفي لمدة سبعة أيام من القتال وان ذخائر العراقيين اصبحت ايضا على وشك النفاذ .

أما بالنسبة لقرار الحظر الصادر عن مجلس الأمن بخصوص الاسلحة والذخائر وقطع الغيار والمقاتلين الاجانب، فقد ارسلت آخر شحنة سلاح بريطانية الى الاردن كما قيل يوم ٢٢ - ٢٤/ ايار، عندما عبرت سفينتان محملتان بالذخائر قناة السويس قاصدة

العقبة . وقد استولى المصريون على احداها وصادروا شحنة من المدفعية وقذائف المورتر . وكان المصريون يعانون من نقص الذخائر منذ بداية الهجوم . ومنذ ذلك الحين وحتى نهاية الحرب كفت بريطانيا عن تزويد الاردن بالاسلحة (عدا عن مخزون الاسلاك الشائكة) .

كما قامت بريطانيا بالايعاز الى جميع رعاياها العاملين في الفيلق بالانسحاب الى شرق الاردن وعدم الاشتراك في القتال . وكان بيفين قد طلب اساسا من الكادر البريطاني العامل في الفيلق الانسحاب مع حلول يوم ٢٦/ ايار بينما كان يخضع للمساءلة في مجلس العموم . وقد بين بيفين أن رفض الدول العربية لقرار وقف اطلاق النار الصادر عن الامم المتحدة اضطره الى اتخاذ هذه الخطوة ، فلم يكن يرغب في أن يتحدى المسؤولون البريطانيون مثل هذا القرار . وكما رأينا فقد انسحب العديد من البريطانيين فورا شرق النهر ، على الاقل لمدة محددة على الرغم من أن كيركبرايد ذكر في مذكراته بهذا الخصوص : «لم اكن واثقا إذا كانوا قد بقوا هناك (في شرق الاردن) لمدة طويلة» . ولكن مسألة الذخيرة والسلاح كانت تشكل معضلة خطيرة . وكانت بريطانيا ترغب في تجنب أي تخريب لعلاقاتها مع الولايات المتحدة . وقد واجهت الاردنيين بهذا المنطق بانها إذا قامت بتحدي الحظر الذي فرضته الامم المتحدة فان الولايات المتحدة ستفعل الشيء نفسه وتعود لتزويد اليهود بالسلاح مما سيجعلهم منتصرين في نهاية الأمر وبلا شك جاء انصياع بريطانيا للحظر نتيجة للاشتباكات الاردنية الاسرائيلية حول القدس واللطرون . فقد كان احتلال الاراضي المخصصة للعرب بدون سفك دماء يعني شيئا ولكن الانتصار على الهاجانا وجيش الدفاع الاسرائيلي في معارك التحام كان شيئاً آخر . من يعلم الى أين سيؤول الأمر ؟ ربما لمزيد من احراج بريطانيا .

ولكن من وجهة نظر الاردن (الفيلق) بدا موقف بريطانيا عدائيا وخيانياً بلا شك في اقصى حده . فقد كانت بريطانيا طرفا في خطة اندفاع الفيلق نحو الضفة الغربية وكانت تعلم المخاطر المتعلقة بهذا الامر ، وحين تحتدم المعركة ضد عدو متفوق ومتنامي القوة تقوم الوايت هول بقطع الامدادات . وكما يذكر كيركبرايد فقد اشتكى عبدالله من أن الحلفاء الذين يورطون حلفاءهم في الحروب ثم يقطعون عنهم الامدادات الاساسية ، هم ليسوا اصدقاء مرغوب فيهم .

وقد تبين أن نقص الذخائر وما رافقه من قطع المؤن قد اثر بشدة على قدرات العرب

الحربية بعد توقيع الهدنة الاولى التي استمرت من ١١/ حزيران وحتى ٨ - ٩/ تموز عندما قام جيش الدفاع الاسرائيلي بشن عدوان رئيسي (عملية داني) ضد الفيلق في جبهة الوسط .

«منذ بداية الاعتداءات ابلغت الملك والحكومة أننا لا يمكن ان نستمر في الحفاظ على اللد والرملة» - كتب غلوب - فهاتين البلدتين العربيتين تبعدان ١٠ أميال عن تل ابيب وتطُلان على طريق القدس . وقد ارتفع سكانهما الى اكثر من ٢٠٠٠٠ بسبب تدفق آلاف اللاجئين القادمين اليهما من يافا خلال الفترة بين نيسان وحزيران . وتقع البلدتان على سفح جبال يهودا الى الشمال الغربي من اللطرون وقد شعر غلوب ان بامكانه الصمود في التلال ولكن ليس في سفوحها حيث يصبح الوضع مكشوفا . كان الدفاع عن اللد والرملة كما عن اللطرون وتلال يهودا والسامرة الشرقية ، بجيش صغير مثل جيشه يعني تعريض اللطرون وباقي الضفة الغربية الى السقوط .

لقد شرحت هذا الوضع للملك ولرئيس الوزراء قبل انتهاء الانتداب وضمنت موافقتهم من حيث المبدأ أن اللد والرملة لا يمكن الدفاع عنهما .

شعر سكان البلدتين أن الفيلق الذي اقتحم الضفة الغربية وانتشر حولها لم يقم بارسال أي وحدات لحمايتهما . كما شعروا انهم مكشوفون ومعرضون للاغارة . كما أن وصول سرية من الفيلق اضافة الى مئات المتطوعين الاردنيين في اوائل حزيران لم يغير شيئا من الوضع الاستراتيجي . كذلك احجم الاردن في الاساس عن تعيين حاكم عسكري للبلدتين (كما كان قد فعل في سائر البلدان التي احتلها) . قام السكان بارسال فيض من العرائض الى عمان . ويقول تقرير كتبه الكسندروني في جيش الدفاع الاسرائيلي :

« الغريب في الامر إن تلك البرقيات العاجلة التي ارسلتها مختلف الفعاليات في الرملة مثل المحافظ والقائد العسكري والهيئات الرياضية الى قائد الفيلق والملك عبدالله والجامعة العربية كانت تدعو الى المساعدة الفورية كي لا تقع البلدة في يد اليهود وكي لا ترتكب مذبحة مثل مذبحة دير ياسين » .

خلال الهدنة الاولى ، تعاظمت قوة جيش الدفاع ، سواء في الرجال او في العتاد (اكثره من تشيكوسلوفاكيا) أما الفيلق العربي مثله مثل باقي الجيوش العربية فقد

اهدر فرصة وقف اطلاق النار التي امتدت شهرا . ذكر غلوب انه ضغط باتجاه زيادة التجنيد ولكن ابو الهدى رفض قائلاً : لا نريد المزيد من القتال ولا يوجد لدينا تمويل للعسكر ومع ذلك قام غلوب بزيادة عدد جنوده وتدريب مقاتلين جدد .

وخلال فترة الهدنة ، حافظ عبدالله على مظهر عسكري شعبي مناور ، فكان يصرح بأن العرب لن يقبلوا السلام مع اسرائيل ولن يرضوا بوجودها ومن ثم يعود الى موقفه اوائل عام ١٩٤٦ وايار ١٩٤٨ بقبول وجود اقلية يهودية تتمتع بادارة ذاتية داخل حكومة عربية في فلسطين . ولكن موقفه الشخصي تميز بنغمة مختلفة . فخلال الاسبوع الاول من تموز ، بذل عبدالله ومعه ابو الهدى جهودا حثيثة من اجل اقناع حلفائهم بقبول تمديد الهدنة وقد استخدم عبدالله حجة (كما حث ابو الهدى على استخدامها) النقص الخطير في العتاد لدى الفيلق مبينا ان الاردن لا يمكنه الاستمرار في القتال بكفاءة (جزئيا ، كان هذا هو السبب الذي دفع بعبدالله يوم ٧ / تموز - وهو اليوم الذي اتخذت فيه الجامعة العربية قرارا بالاجماع في القاهرة بعدم تمديد الهدنة - الى ابلاغ كيركبرايد انه على استعداد لقبول دولة يهودية والوصول معها الى سلام منفرد) .

وقد علق كيركبرايد على ذلك قائلا : ان عبدالله قد لا يكون قادرا على الصمود امام النقمة التي قد تظهر عند الشعب إذا قام بعقد اتفاق مع اليهود .

في ذلك الوقت ، ظهر ان غلوب قد حاول الضغط بقوة باتجاه تمديد الهدنة (والذي وافقت عليه اسرائيل) وكان غلوب يدرك ان اسرائيل قد تعاظمت قوتها في حين تراجعت قوة العرب . «لقد توسلت الى توفيق باشا ابو الهدى . . كما كتب غلوب في مذكراته أن يصر على تجديد الهدنة ولكن اللجنة السياسية للجامعة العربية قررت عكس ذلك» .

كنت اشكل وحدي اقلية ، فالاخرون جميعا ارادوا الاستمرار في القتال ، ذكر غلوب ان ابو الهدى قال له : لو قمت بالتصويت ضد القرار لدعانا الناس بالخونة دون أن نستطيع تمديد الهدنة ايضا . ولكن كيف يمكننا القتال بدون عتاد ؟ سأله غلوب .

لا تطلق النار إلا إذا اطلق اليهود النار اولا اجابه ابو الهدى .

وقال ابو الهدى : انه حين ناقش مسألة نقص العتاد ، تصدى له المندوبون العرب قائلين : أولاً ان جيوشهم ما زالت تملك العتاد . ب) ان بريطانيا لن تترك الفيلق العربي

يهزم وستقوم بتزويده بالعتاد إذا شعرت انه يكاد يسحق .ولدى عودته الى عمان قدم ابو الهدى استقالته ولكن الملك رفضها مؤكدا له ثقته الكاملة به وبأنه قد فعل ما بوسعه .

ساورت غلوب الشكوك بأن ابو الهدى يقوم بلعب دور مزدوج - فهو في القاهرة يمضي بارادته مع رأي الاغلبية الداعية للحرب وفي عمان يصر بأنه حارب باسنانه واظافره من اجل فرض تمديد للهدنة ولكن لم تتم له الغلبة .

لاحظ غلوب أن ابو الهدى : أ) هو من مواطني عكا في فلسطين وانه يقاسم الفلسطينيين (والمصريين) تلك الخصال المتطرفة غير العملية . وقدم مثالا على ذلك : كنت اشرح له في احد الايام ما الذي يمكن ان يحدث لو استطاع اليهود اختراقنا في نقطة ما وكيف سنضطر حينها الى الانسحاب من موقع مجاور .

- لا يمكنك الانسحاب . قال لي .

- ولكن إذا لم ننسحب ، فان جزءا كبيرا من الجيش سيعزل ويدمر . أجبته .

- الافضل أن يدمر الجيش من أن نسلم جزءا من بلادنا لعدو لا حق له بها . رد ابو الهدى بسرعة .

- ولكن إذا دمر الجيش فسيستولي العدو على البلاد باكملها .

جادلته وجادلني ولكن غلوب اوجز الامر في النهاية :

قد يوجد ما يثير الاعجاب في هذا القرار الداعي الى طلب الحق بغض النظر عن النتائج ، ولكن تأثير هذا الامر على مصير العرب الفلسطينيين كان كارثيا . فقد اعطيت لهم فرص كبيرة للوصول الى حل وسط والتي ربما لو قبلوها لكانت ستؤدي الى انقاذهم . ولكنهم كانوا في غاية العناد ونتيجة لذلك فقد آل بهم الامر الى الدمار .

وكطريقة لاسترضاء الاردنيين ، وافقت الدول العربية رسميا على تسمية الملك عبدالله قائدا اعلى للقوات المسلحة العربية . رغم ان الوضع ظل على سابق حاله مع بقاء الملك قائدا فقط للفيلق العربي وللقوات الاستطلاعية العراقية المنتشرة في السامرة بشكل غير مباشر . وهكذا وصل العرب الى يوم الثاني من تموز على هذا الحال . وقام المصريون في اليوم الذي سبق انتهاء الهدنة رسميا بمعاودة القتال في الجنوب . وقد ناشد بيفين عبدالله بأن لا يتورط في هذا النزاع وان يحجم عن سلوك هذا الطريق غير الحكيم

مهدداً بأنه اذا قامت الاردن بخرق وقف اطلاق النار فان الوايت هول ستوقف دعمها المادي له .

ولكن عبدالله كان قد استبق وصول مناشدة بيفين باصدار الاوامر الى فيلقه بالبقاء في حالة الدفاع وتجنب القتال في حدود المحافظة على مواقفه الحالية ما امكن . وقام غلوب يوم ١٠/ تموز بتفقد وحدات الفيلق في فلسطين من اجل وضع الترتيبات لحرب وهمية تليها هدنة وهمية كما يقول كيركبرايد ، ووفقا لاقوال بن غوريون ، فان عبدالله قد ذهب بعيدا الى حد ابلاغ اسرائيل انه ليس راغب في محاربتها لذا فإن عليها ان تتركه وشأنه ، ولكننا لم نكن لنقبل عرضه مع بقائه محتفظا باللد والرملة كما صرح بن غوريون لاحقا لاعضاء وزارته . وقد بين وزير الداخلية اسحق غروبناوم فيما بعد مدى سهولة استيلاء جيش الدفاع الاسرائيلي على اللد والرملة قائلاً : «ان كل من راقب مسار المعارك يعلم تماما ان عبدالله لا يريد أن يحارب» .

في نهاية الامر اقر كيركبرايد وغلوب بعزم الاردن على عدم مخالفة قرار الاغلبية في الجامعة العربية والقاضي بعدم تجديد الهدنة . وبين كيركبرايد انه لم يكن امام الاردن من خيار لو اراد مخالفة الامر سوى سحب الفيلق العربي من فلسطين . ولكن هذا كان سيوقع الاردن في اخطار جسيمة إذ سيؤدي الى انهيار الجبهة العربية في فلسطين والى عزل شرق الاردن عن الجامعة العربية والى عودة سلطة المفتي ونفوذه .

إثر بداية الهجوم المصري في الجنوب ، وعشية تجدد الاعتداءات الاسرائيلية الاردنية ، شاور كيركبرايد مترددا غلوب وابو الهدى . وقد اعتبر غلوب وفقا لكيركبرايد ان هناك خطرا جديا بوقوع تمرد بين رجال الفيلق العربي إذا علموا انهم سوف يتركون القوات العربية الاخرى تقاتل وحدها .

كما ابدى ابو الهدى تخوفا من وقوع قلاقل داخلية في الاردن إذ لا يمكن للاردن ان يفلت من عاقبة الانسحاب من الموقف العربي في خضم المعارك .

هاجم جيش الدفاع الاسرائيلي الجبهة الاردنية يوم ٩ / تموز منفذا عملية داني التي كانت تهدف الى الاستيلاء على اللد والرملة ومن بعدها اللطرون ورام الله من اجل تأمين الحماية لكامل الطريق بين تل ابيب والقدس . كما ظهر هنا تخوف (ليس في محله) في بعض دوائر جيش الدفاع الاسرائيلي من أن يقوم الفيلق باستخدام اللد والرملة كنقطة انطلاق لمهاجمة تل ابيب . كانت مخابرات جيش الدفاع في ذلك الوقت

تعمد الى المبالغة (بشكل كبير) الروتينية في وصفها لقوة الفيلق في تلك المنطقة .

لذلك تم نشر اربعة كتائب وخلال الايام الاولى من الهجوم (٩ - ١٣/ تموز) تمكن الجيش الاسرائيلي من احتلال اللد والرملة . ولكن المرحلة الثانية من الهجوم شهدت ايقاف الفيلق للتقدم الاسرائيلي عند سفوح جبال يهودا والسامرة كما تمكن من صد جميع محاولاتهم التي بذلوها في الهجوم لاحتلال اللطرون والتلال المتقدمة في الشمال .

ادت عملية داني وعدد من العمليات الملحقة بها الى ارهاق موارد الفيلق وانقاصها الى الحد الادنى . فقد كانت معظم قواته القتالية متمركزة في اللطرون على امتداد سفوح تلال يهودا وفي التلال الشمالية المطلة على طريق القدس تل ابيب . وفي القدس نفسها .لم يكن لديه أي احتياط (وهو اكثر المواقف سوءا بالنسبة للقائد) كما يذكر غلوب بأسى .

وفي مذكراته كتب غلوب انه كان من الجنون اضعاف حامية الفيلق في اللطرون لصالح جبهة اللد والرملة . ومع ذلك فقد تم ارسال عدة سرايا اضافية من الفيلق مع بعض المتطوعين خلال الايام الاولى للهدنة من اجل تعزيز جبهة البلدتين . ولكن ما عدا ذلك فقد بقيت دفاعات المدينة في يد مئات من رجال المليشيا المحلية ولم يكن جيش الدفاع الاسرائيلي ليبالي بهؤلاء عند استيلاء كتيبته على وسط بلدة اللد عصر يوم ١١/ تموز وفي يوم ١٢/ تموز سلم وجهاء الرملة بلدتهم دون قتال .

ادى سقوط البلدتين الى حدوث ازمة في قيادة الفيلق وفي عمان . فقد فقدت القيادة توازنها واخذت تتحسب لاندفاع جيش الدفاع الاسرائيلي شرقا عبر سلسلة جبال يهودا . امر عبدالله جنوده بالثبات على الخط الموصل بين اللطرون الى باب الواد شمالا . وفي ليلة ١١/ تموز اشتكى غلوب بأنه إذا اراد اطاعة هذه الاوامر فان الامر سينتهي الى دمار الفيلق . وكان البديل الآخر هو الاستقالة ولكن كيركبرايد حثه على الصمود لعدة أيام . كان غلوب يفكر كقائد عسكري وليس كسياسي ، بأنه مع وجود نقص في عتاد وامداد الفيلق فسيبدأ بالتراجع في الوقت الذي ما يزال يمتلك فيه ما يكفي من العتاد للحفاظ على سلامة وحداته .

بدا وكأنه يقترح الانسحاب شرقا عبر نهر الاردن . فقد هز سقوط اللد والرملة اضافة الى التحسب من تدمير الفيلق ، ليس غلوب فحسب ، بل رئيس الوزراء ووزير

الدفاع ابو الهدى ووزير الخارجية فوزي الملقي اللذان استدعيا كيركبرايد بعصبية عشية يوم ١٢/ تموز .

ومما زاد في تعقيد الامور وتوترها ، وصول عشرات الآلاف من اللاجئين القادمين من اللد والرملة الى الضفة الغربية والى شرق الاردن نفسها بعد يوم ١٢/ تموز . ودخلت ظهر ذلك اليوم عربتان او ثلاث عربات تابعة للفيلق خطأ وسط المعمعة في اللد وهي تحاول البحث عن قائد كتيبة ضل طريقه . ووقع اشتباك مع الكتيبة الاسرائيلية المحتلة وادى الاشتباك الى انفجار نيران القنص من قبل رجال المليشيات حيث رد الاسرائيليون بمجزرة اودت بحياة ٤٥٠ شخصا من اهل البلدة ومن الميليشيا غير النظامية التي كانت نصف محاصرة هناك . بعد ذلك امرت قيادة الجيش الاسرائيلي وبتفويض من بن غورويون بطرد سكان البلدتين واللاجئين المقيمين فيهما وتم تنفيذ الامر عصر ذلك اليوم ويوم ١٣/ تموز .

وتحت شمس حارقة شق ٥٠,٠٠٠ من المطرودين طريقهم شرقا باتجاه رام الله وقد قضى العشرات منهم عطشا وارهاقا . ولعل اوضح مثال على الوضع من وجهة نظر الفيلق ما ورد في اشارة مرسلة من قائد الكتيبة الرابعة يوم ١٤ / تموز ، يوجد ما يقارب الثلاثين الفا من الاطفال والنساء من بين سكان اللد والرملة متفرقين بين التلال . وقد قضى العديد منهم جوعا وعطشا . الجميع ينادي بالانتقام من الفيلق العربي ، لانهم يعتقدون أن الفيلق هو سبب الكارثة التي حلت بهم .

كان لا بد من ايجاد طرق لتهدئة الوضع مثل تزويد الهاربين بالغذاء والمأوى[٥٣٨] . وذكر كيركبرايد لاحقا كيف تدفق بعض هؤلاء الى عمان قائلا : كنت اقف في الساحة الرئيسية للعاصمة لدى وصول موجة من الهاربين البائسين . لم تكن السلطات قد اعدت ما يكفي للتعامل مع مثل هذه الاعداد من البشر .

وفي الايام التي تلت ، تمكن الفيلق من ايقاف تقدم جيش الدفاع وكبَّده الكثير من الدماء على خط السفوح الجبلية . كما منع الفيلق جيش الدفاع من تحقيق اهدافه في الوصول الى اللطرون ورام الله .

وبدأ سريان مفعول الهدنة الثانية التي فرضتها الامم المتحدة يوم ١٠/تموز ، ولكن الفيلق كان يعاني من نقص في الامدادات في قذائف المورتر والمدفعية لدرجة اصبحت

تهدد انتشاره في الضفة الغربية - ناهيك عن وجود اعداد من اللاجئين المتعبين المنهكين والذين شكلوا شاهدا حيا على الهزيمة الجزئية التي لحقت بالفيلق العربي .

أخذ العراقيون اضافة الى عدد من الوزراء الاردنيين المبادرة في توجيه اصابع الاتهام الى غلوب الذي كانت الشكوك تحوم حول دوره في تنفيذ ارادة بريطانيا او حتى في العمل لصالح اليهود . وعلى اقل تعديل كان غلوب متهما بسوء الأئتمان إما من خلال انكاره لوجود مخزونات ضخمة من الذخيرة من اجل دفع الدول العربية نحو قبول الهدنة او من خلال اخفاء وجود نقص حقيقي في الذخيرة لاسباب بريطانية مبيتة .

شخصيا ، كان غلوب الذي هزته مذابح اللد والرملة وطرد سكانهما ، يشعر بمسؤوليته عما حدث . بعد كل شيء فقد كانت هذه المجتمعات تحت حمايته ، رغم الحماية الضعيفة التي قدمها الفيلق ورغم كل ما قاله عن عدم امكانية الدفاع عنها . كما أنه اصبح هدفا للعنات اللاجئين البائسين الذين وصلوا الى الاردن حسبما ذكر كيركبرايد لاحقا : «اجتاحت الضفة الغربية وشرق الاردن موجة من المظاهرات لم يسبق لها مثيل كانت كلها تهتف ضد الفيلق وضد غلوب وضد البريطانيين ، طافت اثنتان منها في عمان حتى قبل انتهاء القتال يومي ١٦ ، ١٨/ تموز» .

ووفقا لأحد تقارير استخبارات جيش الدفاع الاسرائيلي كان المتظاهرون وبينهم زوجات واطفال جنود الفيلق يريدون أن يقتحموا قصر الملك فقد تركتهم كارثة اللد والرملة في وضع رهيب . وقد صور كيركبرايد المظاهرة الثانية قائلا :

« كنت اقوم باتصال هاتفي في القصر ذات صباح عندما شاهدت ما يقارب الألفين من الرجال الفلسطينيين يندفعون صعودا عبر التلال باتجاه المدخل الرئيسي للقصر يصيحون ويشتمون ويطالبون باستعادة البلدتين اللتين سقطتا فورا . ظهر الملك على رأس الادراج الرئيسية المؤدية الى البناية . كان شخصا وقورا قصير القامة يرتدي عباءة بيضاء وغطاء على رأسه . وقف لبرهة يراقب الحشود الهائجة أمامه ثم شق طريقه نزولا عبر صف الحرس نحو قلب المظاهرة حتى وصل الى احد الهتافين البارزين الذي كان يصيح باعلى صوته ووجه له لكمة بقبضة يده على جانب رأسه .توقف الرجل الذي تلقى اللكمة عن الصياح . وعلا عندها صوت الملك صائحا : (اذن تريدون ان تقاتلوا اليهود اليس كذلك ، حسنا ، يوجد مكتب للتجنيد خلف منزلي اذهبوا وسجلوا اسماءكم . أما

الباقون فلينزلوا من جانب التلة بحق الجحيم . نزل معظم المتظاهرين من التل . . وذهب القليل منهم لتسجيل اسمائهم) .

ووفقا لبيري غوردن فقد كان العداء موجها الى شخص غلوب وقد رشقت سيارته بالحجارة يوم ١٦/ تموز واعتدى المتظاهرون على اثنين من الضباط الانجليز .

لم تقتصر المظاهرات على عمان . ففي نابلس قام المتظاهرون من اهل البلد ومن اللاجئين بمظاهرات صاخبة تهتف ضد الحكومات والجيوش العربية ، وقد تم اسكاتها من قبل القوات العراقية . ووفقا لغلوب فان رجال الفيلق تعرضوا للرجم بالحجارة في شوارع رام الله وكان الناس ينادونهم بالخونة الأسوأ من اليهود . وقد علق غلوب وكيركبرايد لاحقا على هذا العقوق الذي ابداه الفلسطينيون . فرجال الفيلق ، وفقا لغلوب كانوا ما يزالون حتى تلك اللحظة مشتبكون في معركة من اللطرون الى دير طريف ضد اعداد من اليهود تصل الى خمسة اضعاف عددهم . وحتى الآن فقد الفيلق رجلا من كل اربعة رجال عبروا جسر اللنبي يوم ١٥/ أيار ما بين جريح او قتيل .

وكنت على علم انهم سوف يقاتلون حتى آخر رجل من اجل انقاذ تلك البلاد التي ينعتهم اهلها بالخونة . كان هناك حديث ساخن يدور بين الفلسطينيين حول اغتيال عدد من الضباط الانجليز في الفيلق وكان غلوب نفسه هدفا للتعنيف فقد نُعت بالخائن وبُصق عليه لدى مروره بين القرى . ومنذ ذلك الحين اصبح يتنقل وسط عدد من الحراس ووضعت حراسة خاصة حول منزله في عمان . لم تعد عمان كما كانت سابقا تلك الواحة العمرانية المضيافة التي يمكنه التنقل فيها براحة .

ولم يقتصر الانتقاد الموجه لغلوب على القرويين الفلسطينيين وعامة المدن . فمع حلول يوم ١٦/ تموز وصلت الاشاعة الى مجلس الوزراء الاسرائيلي أن عبدالله قام بطرد غلوب باشا . ولكن الحقيقة كانت اقل قسوة . فبعد أن كتب الملك الى ابي الهدى يحثه (هو والزعماء العرب الآخرون) على قبول وقف اطلاق النار تجنبا لوقوع كوارث اكبر للجيوش العربية .

استدعى غلوب لحضور اجتماع مع الملك ومجلس الوزراء يوم ٢٣/ تموز حيث تم توبيخه بقسوة وتم تجاهل تحذيراته السابقة بأنه لن يستطيع الدفاع عن اللد والرملة ولن يحاول القيام بذلك كما تم تكذيب رواياته عن نقص الذخائر . ووفقا لغلوب فقد خاطبه

عبدالله وهو يحملق مشدوها في وجهه : اذا كنت لا تريد أن تخدمنا باخلاص فلا حاجة لك هنا للبقاء بيننا . او بطريقة اخرى اخبر الملك غلوب في حضور جميع اعضاء المجلس انك اذا رغبت في الاستقالة فلن يمنعك احد .

طلب غلوب من بيري غوريدن ان يسأل بيفين اذا كان من الافضل ان يترك الفيلق يقاتل تحت قيادته او أن يستقيل (ويتبعه بعد ذلك باقي الضباط البريطانيين) ويترك العرب يواجهون وحدهم دمارهم النهائي .

فكر كيركبرايد أن افضل الخيارين سوءاً هو بقاء غلوب في القيادة . ونصح بيري غوردون غلوب اذا ما اقترح الملك عليه تقديم استقالته مرة اخرى ان يصر على رسالة رسمية تطالبه بذلك .

ولكن البريطانيين ابدوا قلقهم من احتمال طرد غلوب . وقد بين بيري غوردن ذلك :

« اذا لم يعد للفيلق العربي قيادة بريطانية ، فان هذا يعني وداعاً لنفوذنا في شرق الاردن وربما في سائر العالم العربي .

ان تأثير طرد غلوب على هيبتنا في الشرق الاوسط لا يمكن التنبؤ به . اذا استطاعت الدولة الدمية في شرق الاردن أن تخلع عنها الاصفاد الامبريالية ، فكم من الوقت ستأخذ الدول الاخرى مثل مصر والعراق لكي تفعل ذلك ؟ باعتقادي لن يمضي وقت طويل قبل أن تقوم العراق باشعارنا رسميا بالغاء الاتفاقية الانجليزية العراقية الموقعة عام ١٩٣٠ . كما أن مصر ستفعل الشيء نفسه» .

يغض النظر عن موقفه السابق فيما يتعلق بالبلدتين ، وجد عبدالله في غلوب شماعة يعلق عليها الملامة فيما يتعلق بخسارة البلدتين او بمعاناة سكانهما . فقد كان الملك ووزرائه تحت ضغط شديد من الزعماء العرب والفلسطينيين الذين كانوا يتهمون غلوب باشا وباقي الضباط الانجليز في الفيلق العربي ويحملونهم مسؤولية سقوط هاتين البلدتين من اجل فرض الضغوط على العرب لتقبل اتفاقية الهدنة ، وقد طالب قادة الجيوش العربية باستقالة غلوب والغاء الاتفاقية الانجليزية الاردنية .

ولكن غلوب رفض ان يصرف من الخدمة . وسرعان ما ادرك عبدالله ووزرائه عدم جواز خلع الضباط البريطانيين من مناصبهم في السلطة التنفيذية والاحتفاظ بخدمات

بعثاتهم العسكرية ، تخوفا من أن يتسبب هذا الامر باهانة بريطانيا ودفعها الى تخفيف الدعم للفيلق (وخاصة في وسط المعركة) . ولكن غلوب تجاهل نصيحة بيري غوردون وكيركبرايد وقام يوم ١٧/ تموز بتقديم استقالته الى الملك . بدا عبدالله منزعجا لاعادة فتح الموضوع وطلب منه البقاء في منصبه - رغم شكواه من أن غلوب أحبطه بكثرة توقعاته حول الفشل والهزيمة فأجابه القائد غلوب ان واجبه يحتم عليه ان يكون صريحا في كلامه .

كان كيركبرايد قد سمع عن احداث اللد والرملة وعن المشاكل التي يواجهها غلوب فيما كان يقضي اجازة مرضية في بريطانيا . وعندما عاد الى عمله ، بدا منزعجا جدا من الامر وقام على غير عادة بتوبيخ الملك .

كتب كيركبرايد : (من اول الاشياء التي فعلتها عند عودتي الى العمل يوم ٥/ آب كانت توبيخ الملك ورئيس الوزراء حول موضوع الاتهامات وما هو اسوأ منها والتي وجهت ضد الضباط البريطانيين في الفيلق العربي وضد غلوب شخصيا اثر سقوط اللد والرملة بيد القوات اليهودية . قلت له انكم لا تذكرون الضباط البريطانيين ابدا عندما تكون الامور في احسن حال ولكن عندما تسوء الامور تلقون جميع انواع الشتائم على رؤوسهم ، ليس من قبل عامة الناس فحسب بل من اعضاء مجلس الوزراء كذلك) . احمر وجه عبدالله خجلا وألقى باللوم على فريق من المبعوثين العراقيين الذين كانوا يقومون بزيارة الى عمان في ذلك الوقت ناقشت الامر مع غلوب لاحقا ولكنه لم يرغب في القيام بأي اجراء في الوقت الحاضر .

ولكن عبدالله ابدى أسفه علنا في اليوم التالي . ففي خطاب امام تجمع من الوجهاء وفي حضور غلوب امتدح الضباط البريطانيين في الفيلق على النصر الذي احرزوه ، وطلب ان يتم نقل تحياته وامتنانه لكل ضابط ورجل منهم . ويتابع كيركبرايد : (يشعر الملك عبدالله الآن انه قد اصلح علنا أي تقصير من جهته بالتحقيق في الاتهامات التي وجهت ضد اخلاص الضباط البريطانيين ووفائهم) .

ولكن ايماءات الندم التي ابداها عبدالله لم تغير جوهريا من الوضع العام . فقد تلقت بريطانيا صفعة قوية امام الرأي العام الاردني أو كما وصف كيركبرايد الأمر : (انني مصعوق بشدة من جراء الموقف المتقلقل الذي وصلنا اليه في شرق الاردن . لقد وصلت شعبيتنا الى درجة متدنية ، كنت اظن انه من المستحيل أن نبلغها قبل ستة اشهر . لم تكن المشكلة ناتجة فقط عن الانسحاب من اللد والرملة ولا بسبب تهجير

سكانهما فحسب بل بسبب الحظر الذي فرضته بريطانيا على الاردن والخوف مما يحمله المستقبل) .

أصبح الخطر الاكبر الآن يتمثل في قيام اليهود بهجوم على الفيلق العربي الذي لم يعد في وضع يستطيع معه المقاومة مع فقدان ذخائره وقذائف مدفعيته المورتر . لقد كانت التظاهرات العاتية التي خرجت ضد البريطانيين في اعقاب سقوط اللد والرملة مؤشرا على ما قد يحدث بعد ما تحل بالفيلق هزيمة كبيرة .

وقد أُلقي الضوء بشكل اكبر على الوضع المتقلقل لبريطانيا ولغلوب بالذات اثر غياب الاخير في اجازة قضاها في بريطانيا في شهري آب وايلول . وقد سربت بعض المصادر العربية خلال انعقاد مجلس الجامعة العربية في القاهرة انباء تقول ان غلوب قد استقال وانه لن يعود الى منصبه وبدا كأن تصريحاً رسمياً قد صدر تأكيدا لذلك من عمان .

انتهت عملية داني والايام العشرة (كما اعتاد المؤرخون الاسرائيليون أن يطلقوا على تلك الفترة من المعارك) يوم ١٩/ ايار عندما وضعت الهدنة الثانية موضع الفعل . ولكن من منظور عمان لم تكن الامور لتهدأ بعد ، فقد كان المصريون في استعراض سخاء (كما ورد في حديث بيري غوردون) قد قدموا الى الفيلق خلال القتال ٤٠٠ قذيفة مدفعية من تلك التي صادروها في رمسيس . ولكن هذه لم تكن الا نقطة في دلو ماء اذ لم ينقذ الفيلق سوى جرس الامم المتحدة .

في يوم ١٨/ تموز كتب غلوب ان مخزونه من قذائف المورتر وذخائر المدفعية سوف ينضب في وقت ما بين اليوم او غدٍ على ابعد تعديل ، وقد توقع غلوب حينها أن يتم اكتساح الفيلق أو أن يجبر على التراجع شرقا ، فقد كان الفيلق قد تكبد خسائر جسيمة خلال الايام العشرة وفقا لتقارير استخبارات جيش الدفاع الاسرائيلي فمن بين ١١٢٠ عنصر شاركوا في القتال ، قتل ٣٣٠ واصيب ٢٥٠ بجروح وفر ٨٠ (حسب تقديرات جيش الدفاع التي ربما يكون مبالغا فيها) .

ومع بداية الهدنة الثانية التي كان من المفروض أن تستمر حتى ١٥/تشرين الاول ، عاد القتال لينشب بين اسرائيل ومصر . وقام ابو الهدى بناء على توصية غلوب بارسال برقية الى بيفين بخصوص الوضع اليائس للفيلق ذكر فيها «انه يعاني من نضوب في

المعدات وفي كل انواع الذخائر سواء المدفعية او الرشاشة . وفي الحقيقة كان الاردن في وضع لا يمكن الدفاع عنه أمام هجوم يهودي» .

لن نستطيع الاحتفاظ بمواقعنا في فلسطين ليوم واحد فحسب بل سنجد صعوبة في حماية الطريق الى عمان . قال رئيس الوزراء واضاف بأنه إذا لم تستطع بريطانيا تزويد الاردن بالسلاح مباشرة فبامكانها تخزين الذخيرة في مستودعات سلاح الجو الملكي في عمان وتسليما الى الاردن في حالة وقوع أزمة .

تم تعزيز نداء ابو الهدى ببرقية اخرى الى لندن من بيري غوردون يؤكد فيها ان غلوب يصادق على كل كلمة قالها رئيس الوزراء . وضمن وضعه العسكري الحالي لم يكن للاردن أية نية بالانضمام الى الدول العربية فيما إذ قررت تجديد القتال . ولكن الرأي العام لم يكن يسمح للاردن أن يتنحى جانبا . والى جانب ذلك اضاف بيري غوردون ، لم يكن وضع الفيلق مكشوفا لدى الاسرائيليين لأن هذا يشجع المجموعات الاسرائيلية المنشقة على مهاجمة الفيلق . ولكن أيا من البرقيتين لم تلق اذنا صاغية لدى الوايت هول .

بعد مرور اسابيع قليلة ، قرر غلوب ان يحاول القيام بمبادرة شخصية ، ففي النصف الثاني من شهر آب سافر الى بريطانيا في اجازة شهرية ، والتقى بيفين في لندن يوم ١٩/آب وسلمَّه رسالة من عبدالله يدين فيها المجازر اللانسانية التي ارتكبها اليهود وطالب البريطانيين بتقديم وسائل لمقاومة التوسع السوفياتي (وكان يعني هنا رفع الحظر وتوفير السلاح لمقاومة جيش الدفاع الاسرائيلي) وقد لمح الملك في الرسالة وربما تعدى التلميح الى التفاهم الاردني البريطاني في شباط ١٩٤٨ والمتعلق بسيطرة الفيلق على الاجزاء المخصصة للعرب في فلسطين .

وكتب يقول : اظن أن لدينا (او كان لدينا على الاقل) تفاهما جزئيا معكم وفقا للمعلومات التي تلقيتها من رئيس وزرائي الذي كان قد قابل سعادتكم وناقش معكم هذا الموضوع . وقد قدم لبيفين مذكرتين منه شخصيا : الاولى بعنوان الوضع في شرق الاردن في ١٢/ آب ١٩٤٨ . والثانية ملاحظة من غلوب بتاريخ ١٩ / آب ١٩٤٨ - حول وضع الاردن والفيلق العربي . وقد طالب بالحصول على الذخائر والسلاح اضافة الى الاموال . (قبل كل شيء طلب غلوب ذخيرة لمدافعه من عيار ٢٥/ رطل وقذائف للمورتر ٣/ انش) .

قدم غلوب لبيفين صورة قاتمة عن الوضع ،«سوادوية مفعمة بمشاعر النقص والفشل» وفقاً للمصادر الاسرائيلية . وقد اكد غلوب أن العرب غير قادرين على شن أي هجوم ناجح . ولا يمكن لأي تميز في العدد والمعدات ان ينقذهم من هبوط العُنصر المعنوي في الحرب ، ومن عدم رغبتهم في التضحية بانفسهم ، ومن تنامي بذور الخصام بين مختلف العناصر العربية - كذلك هم ينؤون تحت عبء كبير - هو عبء اللاجئين .

باختصار ، شعر كلوب ان سياسة مناصرة العرب قد تجبر بريطانيا على بذل جهود جبارة لمنع العرب من تعريض انفسهم للخطر من خلال معاودة هجماتهم . . لأن تجدد الحرب وفقا لتقدير غلوب يعني استيلاء اليهود على كافة انحاء البلاد (فلسطين) وانحلال الحكم في معظم البلدان العربية .

رد بيفين بكلام يفتقر الى الدقة التامة ، بأن بريطانيا ليست مسؤولة عن الصعوبات التي يواجهها الاردن فنحن لم نحث الاردن على تصرفه في فلسطين ، لقد اخبرونا مسبقا انهم عازمون على هذا الفعل وقمنا نحن بذكر المصاعب التي يمكن ان يسببها لنا مثل هذا العمل مع الامم المتحدة . ولكن لم يتم ابلاغنا مسبقا بأن الفيلق العربي سيدخل القدس ، واضاف ان مثل هذه المعدات العسكرية لا يمكن تسليمها الى الفيلق بكميات كبيرة ، ولكن يمكن تجهيزها في منطقة القتال من اجل شحنها بسرعة اذا ما قامت اسرائيل بخرق الهدنة . وافق غلوب بانه لاتوجد حكمه في ارسال المعدات على الفور ولكنه تساءل كيف يمكن التثبت بسرعة من أن الاسرائيليين قد خرقوا الهدنة .

واشار الى الحاجة في الاسراع بإرسال المساعدات لأن الفيلق لا يمكنه الصمود اكثر من أيام معدودة اذا ما نشب القتال مرة أخرى بعد ذلك سألة غلوب (بإسم عبدالله) ماذا ستفعل بريطانيا إذا وصل اليهود إثر عودة القتال الى نهر الاردن .

اجابه بيفين بقوله : «لقد ظننت بأن مثل هذا السؤال لا يجب ان يطرح . لقد وقعنا اتفاقيتنا ولن نتراجع عنها ،لن نتخلى عن الاردن او نسلم اراضيه الى احد» . ولكنه حذر غلوب بأن لا يطمئن إلى هذا الأمر فيقوم بشن هجوم ، ولكن غلوب كان بعيدا كل البعد عن الاطمئنان . وفي الحقيقة ظل يسأل عن أية مساعدة بريطانية ممكنة للقوات الاردنية المرابطة في الضفة الغربية وعن مصير ووحدة اراضي الضفة الشرقية . كما ظل يتلقى جوابا ايجابيا واحداً : ان بريطانيا ستستمر في دعم الفيلق بما في ذلك تغطية الديون التي نتجت عن القتال .

إلا أن غلوب حقق بعض النجاح مع اللورد مونتغمري ، رئيس الاركان العامة للامبراطورية ، الذي وافق على تأييد انذار بريطانيا لاسرائيل بانها إذا قامت بالاعتداء على شرق الاردن فانها ستصبح في حرب مع بريطانيا . كذلك أيد مونتغمري شحنا فوريا للاسلحة والمعدات الى القواعد البريطانية في الاردن والعراق بحيث يتم تسليمها الى الجيوش المحلية عند صدور تعليمات بذلك .

وكان مونتغمري قد ابلغ غلوب وبدون شك انه كان يأمل ان يعطي ضمانات للاردن بأنه سيسعى الى مساعدته في حال تعرضه لهجوم ولكن غلوب رغم رغبته في الحصول على هذه الضمانات والتي تلقى مثلها من بيفين ، الا انه وقف وبشدة ضد إعلام اليهود عن وجود مثل هذه الضمانات . فقد شعر انها ربما قد تصعِّب الامر أمام قبول اليهود لضم الاراضي المخصصة للعرب الى شرق الاردن . كما انها تعطي اليهود فكرة ان بامكانهم الاستيلاء على كل فلسطين بدون عقاب طالما انهم لا يعتدون على اراضي شرق الاردن .

وعلى الرغم مما جرى فقد تمكن غلوب على ما يبدو من التحايل على بيفين وانتزاع منه وعدا بارسال شحنات محدودة من الذخيرة وقطع الغيار .

وفي وقت قصير بعد الاجتماع ، ابلغ باروز غلوب أن التعليمات قد ارسلت الى السلطات العسكرية البريطانية في الشرق الاوسط من اجل معاودة مسائل الصيانة للفيلق العربي بما يكفي احتياجاته الاساسية لمدة شهر . ولكن دون تقديم اية معدات اساسية او تغيير قطع رئيسية . وقد شملت المعدات آلاف القذائف عيار ٢٥ رطل الشديدة الانفجار والتي كان الفيلق في امس الحاجة اليها . على أن يتم شحنها من منطقة القنال عبر العقبة خلال اشهر الخريف (مخالفا لقرار الحظر المفروض من الامم المتحدة) . حصل ما حصل ، ولكن غلوب ، على وجه العموم لم يتمكن من اعطاء السياسة البريطانية هزة جدِّية بخصوص الحظر . فلم يتلق الفيلق اية اسلحة اضافية ثقيلة او خفيفة . ولم يتم تبديل بنادقه ومدافعه وعرباته التي دمرتها الحرب . كذلك لم يتلق اية ذخيرة بكمية تكفي لاكثر من اسبوع او اسبوعين من الاشتباكات الكلية . وقد تحججت الحكومة البريطانية ان عليها الالتزام بقرار مجلس الأمن وان أي خرق لهذا القرار سيؤدي الى افساد العلاقات مع واشنطن ، والى استثارة رد فعل اميركي يصب في مصلحة اسرائيل . ترك هذا الامر وضعا استراتيجيا مستقرا على الجبهة الاسرائيلية

الاردنية طوال خريف وشتاء عام ١٩٤٨ مع بقاء جيش الدفاع الاسرائيلي متفوقا تماما على الفيلق العربي .

عاد غلوب الى الاردن يوم ١٨/ ايلول وامضى الاشهر التالية في تعزيز الفيلق بمجندين جدد بما فيهم بريطانيين . كذلك بذل غلوب جهدا كبيرا في استعادة وضعه السابق الذي اهتز نتيجة معارك اللد والرملة (التي غطت تماما عليه وعلى الانجازات العسكرية التي حققها الفيلق من خلال احتفاظه بالقدس الشرقية واللطرون والتلال الواقعة بينهما) ونتيجة لانكشاف وجود زيادة في الانفاق غير مرخص بها من قبل الفيلق العربي .

خصصت الحكومة البريطانية ٢,٥٠٠,٠٠٠ جنيه لصيانة اوضاع الفيلق العربي خلال السنة المالية ١٩٤٨ - ١٩٤٩ . وكان غلوب قد أنفق عمليا ونتيجة للحرب ٦ ملايين جنيه .

كيف كان يمكن تغطية العجز الذي تراكم مع حلول صيف ١٩٤٨ ؟ شرح كيركبرايد الوضع على الشكل التالي :

جاء غلوب لزيارتي امس وابلغني عن حالة مالية لا يمكن تصديقها ، ولما كان يأمل بالحصول على وعد شفهي بتأمين تمويل الفيلق العربي . اعترف غلوب بوجود مصاريف تجاوزت تقديراتها السنوية بما يقارب ٤٠٠,٠٠٠ جنيه (اخشى أن يكون المبلغ اكبر) ولعل اكثر ما يثير الدهشة هو أن غلوب فعل ذلك دون أي إشارة الى الحكومة الاردنية ، إذ بقي مندوبها على جهل تام بما حدث .

وعندما تقدم غلوب بطلب الى عزام (الامين العام للجامعة العربية) ، تلقى الرد قبل أيام قليلة بأنه نتيجة لاخفاق الفيلق العربي بلعب دوره في القتال الاخير فلا يمكن صرف أي مبالغ له . جاء غلوب ليراني ولكني لم اتعاطف معه فقد كان مخطئا تماما .

كان غلوب منطقيا في تبيان أن الحرب قد فرضت مصاريف غير متوقعة كما حصل الكثير من سوء الفهم مع المكتب الحربي حول عدة مسائل . وفي النهاية قدمت الحكومة الاردنية ٣٠٠,٠٠٠ جنية ، فيما وافق الوايت هول بعد مشاحنات طويلة على تغطية العجز .

وفي نفس الوقت تحرك مجلس الوزراء الاردني من اجل فرض مزيد من السيطرة على غلوب وعلى الفيلق . وكما كان كيركبرايد يرى الامر فقد كان من الطبيعي أن

ترغب الحكومة الاردنية في السيطرة على نشاطات جيشها ففي السابق كان غلوب مطلق السراح في شؤونه . وزعم الكثيرون حينها انه يتلقى توجيهاته من الوايت هول بدلا من الملك عبدالله ، لذلك كان يتم توجيه اللوم الى بريطانيا في أي فشل او نشاط غير شعبي يقوم به الفيلق ، أما الآن فقد جاء دور الحكومة الاردنية لتتحمل مسؤولية اعمال جيشها .

خلال شهري آب وايلول ، وفي ظل صمت البنادق ، انشغل غلوب بالنقص في ذخائره وبالتنافس مع مصر للسيطرة على جنوب الضفة الغربية وهي منطقة تشمل بلدتي بيت لحم والخليل وقراهما . اضافة الى انشغاله في اظهار مشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

وكما رأينا سابقا ، تسبب النقص في الذخيرة في جعل الفيلق العربي عاجز عن معاودة هجماته . مع أن الحكومة الاردنية كانت قد اتخذت قرارا بعدم مهاجمة القوات اليهودية تحت أي ظرف - كما كتب كيركبرايد .

وكما سنرى لاحقا ، فقد بقي الفيلق خامدا خلال القتال الذي اندلع بين المصريين والاسرائيلين (في تشرين اول وتشرين ثاني وثم كانون اول من عام ١٩٤٨ وفي كانون ثاني من عام ١٩٤٩) . كما ان هذا النقص في الذخيرة كان له آثار اكثر جوهرية كما توقع كيركبرايد :

ليس امام شرق الاردن من خيارات سوى التفاوض مع اليهود . ولعل انسحاب الفيلق العربي من فلسطين وتركه السكان العرب ، كان انحيازا للافضل ولكن مثل هذا الانسحاب قد يجر معه موجات اخرى من اللاجئين لا تستطيع البلاد أن تتعامل معها . بقي الملك عبدالله على اتصال مع الدوائر اليهودية . مع أن فتح قنوات الاتصال مع اليهود سيفتح على شرق الاردن وربما علينا ايضاً ابواب السخط العربي . ولكن كل هذا في نظري سيكون اهون شرا من البقاء وسط وضع لا يمكن الاحتفاظ به في فلسطين . وقد كان غلوب مؤيدا لهذه الآراء . ولكن توقف النشاط العسكري الاردني واستئناف الحوار مع اليهود (الذي يعود تاريخه الى اتفاقيات ما قبل الحرب بين الاردن واليهود) لم يكن فقط نتيجة نقص الذخيرة ،فقد ادى فشل الهجوم العربي الشامل على اسرائيل الى زيادة حدة الخلافات والأحقاد العربية كما كان الامر قبل ١٥/ أيار وكما جرى بعده ولكن بدرجة اكثر حدة .

كان الزعماء العرب يمسكون بخناق عبدالله . وقد تراكمت عداءاتهم التقليدية مع

ظهور فورة حسد أمام صمود الفيلق العربي في وجه اسرائيل مقارنة بادائهم الذي سار من سيء الى اسوأ . وفي الحقيقة ، وخلال الهدنة الثانية وصل الأمر بغلوب الى ابلاغ الوايت هول بأن الصراعات الحادة بين العرب انفسهم تبدو في اذهان بعض السياسيين العرب اهم من صراعهم مع اليهود . ولعل عزام باشا والمفتي والحكومة السورية يرغبون أن يروا فلسطين تقع في ايدي اليهود على أن ينتفع منها الملك عبدالله .

كانت المنطقة الجبلية الممتدة من الخليل الى بيت لحم (جنوب الضفة الغربية) حيث تنتشر عدة سرايا من الفيلق العربي منذ أيار ، تشكل مادة الخلاف والتنافس بين العرب . وكان الجيش المصري قد احتلها بمساعدة بعض قوات الاخوان المسلمين منذ الاسبوعين الاولين للهجوم .

خلال المدة الممتدة من نهاية ايار حتى منتصف تشرين الاول دخلت الدولتان في تنافس خفي وغير خفي احيانا للسيطرة على المنطقة (وفي نفس الوقت قامت القوات الاردنية باستيعاب قوات الحسيني غير النظامية الفلسطينية المسلحة وتجريدها من السلاح) . بشكل عام كان السكان المحليون يفضلون الاردنيين ولكن المصريين بذلوا جهودا عشوائية للفوز بقلوب السكان المحليين وعقولهم ، وقد عيَّن كل من البلدين حكاما عسكريين على بيت لحم وعلى الخليل . وفي حين قام الاردنيون بارسال طوابع ومؤن اردنية ، اعترض المصريون بحجز المؤن احيانا وارسالها الى غزة . ودخل البلدان في صراع لكسب البوليس المحلي والمسؤولين المدنيين في الخليل مستخدمين الرواتب كاغراء لجذب الولاء . وفي اليوم الرابع من حزيران رفع المصريون علمهم فوق مركز قيادتهم الذي انشأوه داخل مدرسة خَرِبة في الخليل وقام قرويوا بيت جبرين بمناشدة عمان طرد الحامية المصرية من قريتهم بينما قام المصريون باقناع رئيس بلدية الخليل المقرب من الهاشميين محمد علي الجعبري بتأييد حكمهم ولو بشكل سطحي ومؤقت . ولكن المصريين بدأوا يثقلون على السكان وقامت السلطات المصرية في شهر تموز بجمع الضرائب مما تسبب في تحول الرأي المحلي ضدهم . ففي قرية الظاهرية جنوب الخليل قاوم السكان المحليون وسقط نتيجة لذلك عدد من السكان والمصريين قتلى في الاشتباك ، وردا على ذلك بدأ الجعبري بشن حملة تحريض ضد حكم المصريين ودعا الفيلق لفرض سيطرته على الخليل .

كما رفض القرويون في قرية يطا الجاورة دفع الضرائب للمصريين وبدا أن الجانبين قد احتكما للسلاح ووقعت بعض الاصابات بينهما .

وفي نفس الوقت امتنع الحاكم الاردني للخليل صلاح المجالي عن المطالبة بالضرائب وضاعف من دفع الرواتب للمسؤولين المحليين ورجال الشرطة .

وخلال الشهور اللاحقة ، احتفظ المصريون بالسيطرة على تلال بيت لحم - الخليل كونهم اكثر عديدا في حين استمر مناصروا الاردن من مسؤولين وجنود ورجال شرطة بشن حملة مكشوفة الى حد ما بمباركة عبدالله من اجل اضعاف قبضتهم . ولم يستطع أي من الطرفين فرض قوته على الآخر . وفي النهاية حسم جيش الدفاع الاسرائيلي الامر في عملية «يوآف» التي شنها يوم ١٥/ تشرين اول وقام بتدمير الجيش المصري في السهول الواقعة الى الغرب دون أن يستطيع الاستيلاء على تلال الخليل وبيت لحم . فقام الجنود الاردنيون اثر ذلك بتعبئة الفراغ ، وفي حين بقيت بعض الوحدات المصرية في منطقة الخليل وبيت لحم وفي شهري شباط وآذار من عام ١٩٤٩ سقط الجزء الجنوبي من الضفة الغربية بكامله في ايدي الهاشميين .

أما بالنسبة لقضية اللاجئين ، فقد اصدر غلوب يوم ٧/ ايلول ١٩٤٨ مذكرة من خمسة صفحات تميزت بوضوحها وحكمتها . ربما كان يشعر بالازدراء من العرب الفلسطينيين بشكل عام بناء على اسس عرقية أو سياسية او عسكرية . (بينما في نفس الوقت يتعاطف مع قضيتهم ضد الصهيونية) ولكنه خلال حرب ١٩٤٨ ، وفي السنين الاخيرة اصبح دائم التعبير عن تعاطفه مع محنتهم . وقد خصَّص عدة مقاطع مؤثرة من مذكراته في وصف تلك المحنة ووفقا لتقديرات غلوب ، كان يوجد هناك ٤٠٠,٠٠٠ لاجئ قَدِم ما يقارب ٢٠٠,٠٠٠ منهم من مناطق خصصت لحكم اليهود بموجب قرار الامم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين .

وهؤلاء لم يكن لهم أمل البتة في العودة الى منازلهم ، كتب يقول :

من الممكن ان يستخدم اليهود الايدي العاملة العربية مؤقتا ولأمد قصير ، لأن العرب يعلمون مقابل اجور قليلة . ولكن ما إن يستقر الوضع الاقتصادي اليهودي وحال وصول مهاجرين يهود جدد فلن يعود بالامكان توظيف الايدي العاملة العربية . . إن النصف الأخر من اللاجئين قدم من مناطق عربية تقع تحت الاحتلال العسكري

الاسرائيلي رغم كونها خصصت للعرب في قرار التقسيم . وفي اسوأ الاحوال قد تفشل منظمة الامم المتحدة في اخلاء اليهود من تلك المناطق ايضا ويبقى لزاما علينا أن نعيش مع ٤٠٠,٠٠٠ لاجئ لن يعودوا ابدا الى وطنهم . أما في افضل الاحوال فقد يستطيع هؤلاء المائتا الفا لاجئ ان يعودوا ولكنهم لن يجدوا هناك إلا هياكل بيوتهم المدمرة ، لقد نهب اليهود كل شي حتى اطارات الابواب والنوافذ . بالتأكيد لقد فقد هؤلاء الناس كل رأسمالهم (وممتلكاتهم المنقولة) . ولكن غلوب كان يفترض ضمنيا - وكان على حق ان أيا من فئتي اللاجئين لن يسمح لها بالعودة . ولكن ما لم يعلمه غلوب هو أن مجلس الوزراء الاسرائيلي كان قد اتخذ قرارا سرّيا خلال المدة الواقعة بين شهري حزيران وايلول ١٩٤٨ بعدم السماح بعودة هؤلاء اللاجئين . وهو قرار اتخذ في غياب اية اتفاقيات سلام بين الجانبين العربي والاسرائيلي مما حسم تماما مصير هؤلاء اللاجئين .

كان غلوب على حق حين تحدث عن ظاهرة النهب التي استشرت في المناطق التي احتلها اليهود . ولكنه بدا جاهلا في نفس الوقت بأن عددا كبيرا من القرى العربية الخالية من السكان قد تم تسويتها بالارض وبشكل منظم من اجل منع أي احتمال لعودة اهلها .

ادرك غلوب أن الحرب لم تنته بعد . وتوقع ارتفاعا ملحوظا في عدد اللاجئين خلال الاشهر اللاحقة . ومن الجدير اضافته هنا انه كان ما يزال هناك امكانية لخرق الهدنة ، وما أن تعود الاشتباكات حتى يبدء وصول موجات اخرى من اللاجئين العرب الى شرق الاردن ربما ١٠٠,٠٠٠ أو ٢٠٠,٠٠٠ وفقا لمسار العمليات . وفي الحقيقة كان سيصل عدد اضافي يصل الى ٢٥٠,٠٠٠ لاجئ وهؤلاء هم الذين تم طردهم من الجنوب باتجاه قطاع غزة من قبل جيش الدفاع الاسرائيلي خلال عملية "يوآف" وما تلاها في المدة بين تشرين اول وتشرين ثاني ، ومن الجليل الى لبنان في عملية "حيرام" مع نهاية شهر تشرين اول .

اقترح غلوب عددا من مشاريع الاغاثة الفورية والمؤقتة ، بما فيها التشجير وانشاء طرق التفافية وتطوير مصانع لتعليب الفواكه وتطوير الزراعة . ومع ادراكه بأن اسرائيل لن تسمح بعودتهم اقترح غلوب اعادة توطين اللاجئين في شرق الاردن وفي الضفة الغربية ، اضافة الى مصر والعراق . اذ أن من الارجح ان ترفض لبنان قبول أحد . فيما تكتفي سوريا بعدد قليل . وقد اشتكى غلوب من حقيقة أن الاردن وهو الدولة الاصغر

(لبنان اصغر بكثير) والافقر بين الدول العربية قد فرض عليه استيعاب معظم اللاجئين في حين انتقل اللاجئون الاكثر ثراء الى لبنان وسوريا ومصر .

ومع حلول منتصف عام ١٩٤٩ ، اصبحت فرضية غلوب القائلة بأن اسرائيل لن تسمح بعودة اللاجئين حقيقة واقعة . ولعل مما يثير الاهتمام انه اضاف : «انني شخصيا اعارض بشدة عودة اللاجئين العرب» . وكان يعتمد في نقاشه على أنه إذا رفضهم اليهود فانهم سوف يعكرون حياة الاسرائيليين بحيث يعاودون طردهم خلال شهر او شهرين الى الاردن .

وخلال السنوات اللاحقة ظل غلوب يقترح وبشكل دوري اتخاذ تدابير مختلفة مثل اخلاء المخيمات الفلسطينية في الضفة الغربية من اجل تخفيف محنة اللاجئين الذين تسببوا بتوتر الوضع على الحدود الاسرائيلية الاردنية نتيجة لتسللهم عائدين الى اسرائيل من فترة لاخرى .

ومن منتصف عام ١٩٤٨ وصاعدا ، شرعت الارن في ضم الضفة الغربية الى المملكة الهاشمية الى أن الحقتها بها رسميا عام ١٩٥٠ . وبذلك حقق عبدالله ولو جزئياً على الاقل طموحاته التوسعية . ولكن الضم كان يعني ايضا أن الاردن وهو بلد قليل السكان يقطنه مجتمع متجانس من البدو ، سوف يستوعب بين سكانه اعدادا من اللاجئين الفلسطينيين يفوقون سكانه الاصليين عددا . وقد ادى هذا الى فلسطنة الحكومة والمجتمع بشكل لا رجعة فيه . ومنذ ذلك الوقت اصبحت المملكة تضم قطاعا من السكان يشعر معظمه بالسخط على النظام الهاشمي البدوي وعلى الملكية بشكل عام .

وكما وصف كيركبرايد الامر فيما بعد : «لم يكن لديهم أي سبب للولاء للحكم الملكي وظلوا يشعرون بمرارة لا عودة عنها اتجاه البريطانيين والامريكيين لانهم حطموا جميع آمالهم» .

جزئيا ، كان هذا هو السبب الذي دفع الفيلق ، بعد أن اسست مصر في غزة في ايلول ١٩٤٨ حكومة فلسطينية تابعة سمتها حكومة عموم فلسطين ، وبعد أن انتشرت وحداته في الخليل خلال انسحاب الجيش المصري في الفترة بين تشرين اول وتشرين ثاني من عام ١٩٤٨ . الى تجريد المقاتلين الفلسطينيين في مناطق القدس ورام الله والخليل من اسلحتهم ، وكان هؤلاء يمثلون بقايا جيش الجهاد المقدس الذي قاده عبد القادر الحسيني وزمرته المسلحة والذي حاول المفتي احياءه في ذلك الوقت . وقد تمت عملية

سحب السلاح بناء على الحاح غلوب - لأنه بطبيعة الأمر لم يرضى بوجود فرق مسلحة منافسة في المناطق التي يسيطر عليها الفيلق - وبناء على تفويض من وزير دفاع الاردن . وقد يكون انصار الحسيني خططوا أو لم يخططوا للقيام بثورة ضد عبدالله ، كما اتهمهم الهاشميون .

بدون شك ، لم يكن غلوب يشعر بالراحة بالنسبة لاستيعاب مئات الآلاف من الفلسطينيين في المملكة ، وخلال اواخر عام ١٩٤٨ واوائل عام ١٩٤٩ ، اعاد تكرار مخاوفه من امكانية استفادة الاتحاد السوفياتي أو الشيوعيين من وجود تجمعات ضخمة من اللاجئين الفلسطينيين الساخطين .

ففي احدى مذكراته التي كتبها عام ١٩٤٩ بعنوان «اقتراح بتقسيم الحدود في فلسطين» قال «ان مجتمع اللاجئين سوف يشكل ارضا خصبة للدعاية الشيوعية التي انطلقت حاليا وبقوة دون أي نجاح يذكر» . وقد تقع قلاقل داخلية واعمال شغب ومحاولات للثورة ولن يتوانى انصار روسيا الشيوعية والعناصر القومية المتطرفة من انتهاز الفرصة لتحميل بريطانيا مسؤولية هذه المأساة باكملها .

كان الخوف من الشيوعيين في ذلك الوقت ، يجري في اذهان معظم الضباط والمسؤولين البريطانيين الذين التقطوها من امريكا حليفتهم خلال الحرب الباردة . وكان غلوب مدركا بدون شك لمدى تأثير مثل تلك التوقعات على الوايت هول . وربما كان يأمل أن تدفع الغرب لبذل جهود اكبر لحل مشكلة اللاجئين (ومن سخرية القدر أن كلوب كان ميالا الى التفكير في امكانية دخول دولة اسرائيل الجديدة في المعسكر السوفياتي . فعلى سبيل المثال كتب عام ١٩٥٠ يقول : ربما يكون من الجيد ان نتذكر أن الاحزاب اليسارية في اسرائيل والتي تحتل اليوم ثلثي المقاعد في البرلمان ، ورغم ادعاء هذه الاحزاب بأنها ليست شيوعية بالمعنى الروسي للكلمة ، إلا أنها تدافع عن تحالفها مع الروس وقد لا نُصاب بالدهشة من هذا الامر إذا تذكرنا أن الغالبية العظمى من اليهود في اسرائيل هم من السكان الاصليين لتلك البلدان الواقعة خلف الستار الحديدي .

وفي بواكير عام ١٩٤٩ ، اصبح غلوب يشير الى وجود ٧٠٠,٠٠٠ لاجئ . وهو الرقم الذي اشارت اليه ارقام وكالات الامم المتحدة خلال الاشهر الأخيرة . (في حين تحدثت الاوساط العربية رسميا عن وجود ٩٠٠,٠٠٠ أو مليون لاجئ وتحدثت اسرائيل عن ٢٥٠,٠٠٠) . كان كلوب مربكا من حقيقة توقف سيل اللاجئين او في الحقيقة من فشل

اسرائيل في طرد العديد من الفلسطينيين من الجليل خلال عملية «حيرام» التي نفذتها اواخر تشرين اول ١٩٤٨ . وقد لاحظ انه في حين استطاع اليهود ان يطردوا بالقوة سكان اللد والرملة وقرى غرب القدس والخليل وسكان منطقة بئر السبع الا انهم ولسبب ما لم يقوموا بطرد سكان الجليل او اساءة معاملتهم .

أما بالنسبة للاجئين ، فقد سكن نصفهم في الضفة الغربية وشرق الاردن وقد استُقبِل العديد منهم من قبل القرويين الفقراء الذين تقاسموا معهم لقمة العيش . وكان العبء هائلا على الاردن كما كان يشكو غلوب . فقد اضيف ٤٠٠,٠٠٠ نسمة الى سكان الاردن الاصليين البالغ عددهم اقل من نصف مليون . وقد بين غلوب ان الاردن يمكنه استيعاب ١٠٠,٠٠٠ فقط وان على الباقين أن يعودوا الى فلسطين أو أن يموتوا ، وظل غلوب يكتب خلال فترة شتاء ١٩٤٩ عندما تصاعدت جهود الاغاثة العالمية بأن موت هؤلاء سيكون بنسبة واحد من اربعة في كل شهر كما أعلمه احد الضباط البريطانيين العاملين في الصليب الاحمر . وبذا سيموت معظم هؤلاء الثلاثمائة الف نسمة على مدى الاربع سنين القادمة (وفي الحقيقة كان غلوب هنا بعيداً جداً عن الحقيقة فقد حقق اللاجئون نسبة وفيات اقل بكثير مما ذكره مقابل نسبة ولادات عالية جدا واستطاعوا الاستفادة من المساعدات الدولية التي ضمنت بقاءهم . وتضاعف عددهم على مر السنين اضعافا مضاعفة بدلا من أن ينقص . واليوم تتضمن سجلات وكالة الغوث اكثر من ثلاثة ملايين ونصف المليون لاجئ فلسطيني (ويضم هذا الرقم السكان الذين ظلوا على قيد الحياة منذ الهجرة الاولى اضافة الى ذريتهم ، في حين تزعم السلطة الفلسطينية أن العدد الرسمي الحقيقي للاجئين يقترب من خمسة ملايين) .

في ذلك الوقت كان غلوب يدرك أن اسرائيل تقوم بتغيير جذري للطبيعة الجغرافية للمنطقة بشكل يجعل من المتعذر على اللاجئين ان يجدوا شيئاً يعودون اليه ، حتى لو تم توقيع اتفاقيات عالمية بموافقة اسرائيلية . ففي جميع المناطق التي استولوا عليها تم اسكان اليهود في البلدات والقرى العربية . في بعض الاماكن تمت ازالة قرى عربية باكملها عن الوجود واقيمت مستوطنات يهودية بجوارها ، كما تم تحويل البلدات العربية الى بلدات يهودية ، وقد جرت هذه العملية بشكل محموم قبل فرض الامر الواقع الاسرائيلي . وقد حذر غلوب من القيام بتعويض اللاجئين عن أملاكهم الضائعة باعطائهم نقودا لأن هذا

الامر سيكون كارثيا : أن تعطي «١٠٠» جنية لكل عائلة معدمة لن يعود بالفائدة عليها (بل سيتركها في النهاية معدمة كما كانت) .

كانت مشكلة اللاجئين بشكل عام مقرونة بما يجري على ساحة المعركة ، فقد ترك ما يقرب من ٤٠٠,٠٠٠ لاجئ فلسطيني بيوتهم مع بداية الهجرة الثانية ثم ٣٠٠,٠٠٠ آخرون اثر عمليات يو آف وحيرام .

وفي يوم ١٤/تشرين اول ، حشد المصريون ما يقارب الاربعة كتائب في فلسطين ، تم نشرها على شكل حرف H وانتشر السواد الاعظم منها غربا مشكلاً حرف H من الشمال الى الجنوب . وتتألف هذه القوات من كتيبتين انتشرتا بمحاذاة الساحل من رفح عبر غزة والمجدل الى اسدود (مدينة اشدود الاسرائيلية حاليا) أما الذراع الشرقي من القوات فيتألف من عناصر الكتيبة المصرية المعسكرة من بيت لحم عبر الخليل وحتى بئر السبع جنوبا وقد شكلت حرف H آخر على امتداد خط شمال - جنوب . وقد تم ربط الذراعين بوحدات توازي قوة كتيبة انتشرت بشكل متعارض من الشرق الى الغرب عبر سلسلة من التحصينات التي شيدت بين المجدل وتلال الخليل وبشكل رئيسي على جهتي الطريق التي تصل المجدل ببيت جبرين . وتهدف هذه الوحدات المتعارضة الى ربط الجسم الرئيسي للقوات المصرية وطريق المؤن القادمة من مصر عبر الساحل بالقوات المصرية المنتشرة في تلال الخليل وبيت لحم ، قاطعة في نفس الوقت المستوطنات والقوات الاسرائيلية المتواجدة في النقب الشمالي جنوب الطريق عن المراكز اليهودية الرئيسية وحشود القوات في الشمال والتي تنتشر من رحبوت عبر تل ابيب الى حيفا .

كان لعملية يوآف التي شنتها اسرائيل يوم ١٥/ تشرين اول هدفا مزدوجا : الاول : الحاق الهزيمة بالجيش المصري من خلال تدمير وحداته المنتشرة من المجدل الى بيت جبرين وقطع الذراع الشرقي للتشكيلة H عن الذراع الساحلي الغربي . والثاني : اعادة إتصال النقب حيث تقع المستوطنات والقوات الاسرائيلية نصف المعزولة مع الجسم الرئيسي للدولة في الشمال .

كان رأي القيادة السياسية والعسكرية الاسرائيلية في ذلك الوقت أن الاشهر السابقة قد تركت الوضع العربي عاصفا بالخلافات بين المتحالفين وبالشكوك في دوافع ونوايا بعضهم البعض . كذلك شعرت القيادة أن السوريين والعراقيين والاردنيين قد فقدوا الادارة وحتى القدرة على القتال بسبب الخسائر الجسيمة التي لحقت بهم في

العتاد والرجال ، وبسبب النقص في الاسلحة والذخائر . ولذا فهم لن يتمكنوا من التدخل في عمليات جيش الدفاع الاسرائيلي في حالة قرر الهجوم على المصريين . وقد اثبتت الاحداث صدق تلك التوقعات .

انطلق الهجوم الاسرائيلي بادخال قافلة تموين فارغة لجيش الدفاع الاسرائيلي عبر الخط المتعارض الذي اقامه المصريون بين المجدل وبيت جبرين . وكما كان متوقعا فقد قام المصريون (وخلافا لقرار الهدنة الصادر عن الامم المتحدة والمتعلق بالسماح بادخال مواد غير عسكرية الى النقب) بفتح النار على القافلة . مما دفع اليهود الى البدء بحملتهم التي كانوا قد خططوا لها مطولا . وخلال ايام من القتال الشديد تمكن اليهود من فتح ثغرتين كبيرتين عبر الخطوط الدفاعية المصرية بين المجدل وبيت جبرين عازلين بذلك وحدات مصرية كبيرة (عرفت هذه العملية بجيب الفالوجة) اضافة الى تمكنهم من الاتصال بمستعمرات النقب ، وفي يوم ٢١/ تشرين اول استولى الاسرائيليون على بئر السبع مما ترك الوحدات المصرية المنتشرة في التلال الشرقية عبر خط بيت لحم - الخليل - الظاهرية معزولة عن الجسم الرئيسي حيث انسحبت في النهاية باتجاه جنوب شرق عبر النقب الى سيناء ، وما أن بدأت عملية يوآف حتى وجد غلوب أن امام شرق الاردن فرصة رائعة . ففي يوم ١٦/ تشرين أول مرر ملاحظة الى جولدي (تحت الملاحظة الى موقفه من الحلفاء المصريين والاعداء الاسرائيليين) يقول فيها : (إذا اقتحم اليهود بئر السبع فسوف يعزلون القوات المصرية في الخليل . واننا لا نريد أن يحتل اليهود الخليل ايضا ، لذا إذا قمنا باحتلالها نحن فسنظهر على شكل منقذين إذ اننا انقذنا الخليل من اليهود في حين ولى المصريون هاربين .

ان للهجوم الاسرائيلي جوانب سيئة وجوانب جيدة ايضا إذ أنه في النهاية يعطي المصريين درسا لن ينسوه ، ومن ناحية اخرى يجعل اليهود اكثر غرورا إذ انهم سينقلبون علينا عندما ينتهون من المصريين . لا ارى كيف يمكننا السماح لليهود باحتلال الخليل إذا استطعنا منع ذلك في نفس الوقت سوف يخوض اليهود حربهم الخاصة مع المصريين وحكومة عموم فلسطين في غزة ونحن لا نرغب ابدا في التورط بهذه المعركة ، لأن منظمة الامم المتحدة ليست راغبة في احتلال اليهود للخليل . ربما يمكننا ارسال فرقة الى الخليل) .

خلال أيام تحققت توقعات غلوب فقد تراجع المصريون وقام غلوب اثر ذلك وبناء

على اوامر صدرت من عبدالله (صدرت يوم ١٩/ تشرين اول على الفور) بتنظيم قوة من الفيلق انطلقت بسرعة من القدس لتعزيز القوات في بيت لحم وبيت جالا (التي حاول الاسرائيليون مرتين متلاحقتين اقتحامهما دون نتيجة في عمليتين اطلق عليهما اسم (عملية هاهار وعملية ييكيف) وأمر جولدي باحتلال الخليل .

وصلت طلائع الفيلق المؤلفة من كتيبة الى الجزء الجنوبي من المدينة يوم ٢١/ تشرين اول وقام غلوب في ذلك اليوم بشرح الاسباب العسكرية والسياسية والاقتصادية لهذا التحرك (الذي كان يشكل مغامرة كبرى أمام احتمال أن يقوم الاسرائيليون الاكثر تفوقا وقوة بالتقدم شرقا من محور بئر السبع - بيت جبرين ويحاولون احتلال الخليل) قال غلوب : إذا قام العدو بالاستيلاء على بيت لحم وبيت جالا فسيقطع خطوط قواتنا في الجنوب (التي ظلت في الخليل منذ ١٥/ أيار) عن الجسم الرئيسي للفيلق والمنتشر في محور القدس - رام الله - اريحا كذلك إذا استولى الاسرائيليون على هذه البلدات فسيقع اللوم مرة اخرى على غلوب وسأكون أنا الذي خنت القضية العربية وتسببت بموجة جديدة من لجوء ربما ٥٠,٠٠٠ - ٦٠٠,٠٠٠ نسمة الى شرق الاردن) .

كان توقيت غلوب في التحرك مختارا بعناية . فقد فتحت بذلك طاقة لفرصة سياسية دخلت منها الامم المتحدة لتدعو جميع الاطراف الى وقف اطلاق النار مع حلول ٢٢/ تشرين اول . كان الاردنيون خلال ذلك الوقت قد استولوا على جنوب الضفة الغربية عند السياج الحدودي . وكان من غير المحتمل أن يقوم الاسرائيليون بمغامرة تعرضهم لغضب الامم المتحدة وبريطانيا من خلال عدوان على الخليل وبيت لحم بعد البدء بالهدنة .

من ناحية اخرى ، لم يستطع الاردنيون أن يتحركوا خلافا لقرارات وقف اطلاق النار التي صدرت بعد ٢١/ تشرين اول . اضافة الى انه يجب أخذ معنويات السكان المحليين بالحسبان . فخلال الاسبوع الثالث من تشرين اول ادت الهزيمة التي مني بها المصريون وتراجعهم الى ظهور اشاعات عن هجوم اسرائيلي وشيك اثار الرعب في منطقة الخليل وقراها . وكان أي تأخير من قبل الفيلق سيؤدي الى تفريغ جنوب الضفة من سكانه يقول احد ضباط الفيلق : (بدأ السكان المحليون بمغادرة منازلهم ولولا وصول سرايا الفيلق لحماية اعراضهم والذود عن مناطق جنوب الضفة الغربية لاخلى السكان المنطقة وسيطر عليها الاسرائيليون) .

ولكن الانتصارات تولد مشاكلها معها . وقد اصبح السؤال المطروح الآن بعد أن استولت الاردن على شمال وجنوب الضفة الغربية ، هل بامكانها الحفاظ على هذه الارض ؟ أو من جانب آخر كيف يمكن لعمان ان تحبط محاولات اسرائيل لطرد الفيلق ؟ قام غلوب بنفسه بابلاغ عبدالله ومجلس الوزراء الاردن يوم ٢/ تشرين ثاني : (بعد اكمال انسحاب القوات المصرية لن يكون باستطاعة الفيلق العربي الحفاظ على مواقعه إذا ما هوجم من قبل القوات اليهودية) .

كما أن بريطانيا لن ترضى بأن تمدد اتفاقية الدفاع المشترك لكي تشمل الضفة الغربية . كان أحد خيارات الفيلق ببساطة ان ينسحب الى شرق الاردن ويخلي الضفة الغربية لتقع في يد الاسرائيليين ، ويترك الجيوش العربية الاخرى لتواجه اسرائيل لوحدها . وقد بدا هذا الخيار مغريا لغلوب وكيركبرايد في بعض الاحيان ، ولكن كانت هنا ايضا حجج قوية ضده . فقد أريق حتى الآن الكثير من الدم الاردني للحفاظ على الضفة الغربية ، فهل من الحكمة أن يتم التراجع عنها طوعا ؟ كيف ستكون ردة فعل رجال الفيلق والرأي العام الاردني امام هذا التراجع ؟ كذلك كيف سيتصرف الفلسطينيون وهم يُسَلِّمون لقمة سائغة لاسرائيل ؟ وهناك الدول العربية الاخرى التي ستسارع الى وصم الاردن بالخيانة . من ناحية اخرى فان ترك الفيلق في الضفة الغربية وحده بعد هزيمة الجيوش العربية وعجزها عن المواجهة يعتبر امرا في غاية الخطورة لانه في حالة وقوع هجوم اسرائيلي وتدمير الفيلق فان الضفة الغربية ستسقط وربما سيسقط النظام الهاشمي برمته .

واما حالة العجز العربي هذه ، والمعارضة العربية لتوسيع الاردن باتجاه الضفة الغربية اضافة الى تفوق الاسرائيليين واطماعهم التوسعية والتردد العالمي أمام مطالبة الاردن بالضفة الغربية (في النهاية تعترف بريطانيا وباكستان بضم الضفة الغربية للاردن) بقي الخيار الوحيد الذي يفرضه المنطق هو تسوية الخلافات مع اسرائيل بدعم وتبنٍّ دولي (دعم انجلو - اميركي بالاساس) .

كان غلوب قد اقترح في ايلول ١٩٤٨ على الحكومتين الاردنية والبريطانية اعادة تقاسم فلسطين مع اسرائيل بطريقة تعطي الضفة الغربية الى الاردن وتعطي بئر السبع وغزة الى مصر . وربما بهذه الطريقة يمكن اقناع العرب (ويعني مصر) بالتخلي عن المطالبة بالضفة الغربية لصالح الاردن ؟ كان غلوب يأمل بأن تتمكن الاردن من الحصول على

ميناء على البحر المتوسط ، ولكن كان يشك في قدرته على فعل ذلك مع وجود سيطرة مصرية على الساحل الممتد من غزة الى اسدود وسيطرة اسرائيلية على المنطقة الواقعة شرق هذا الخط الساحلي . وقد اقترح غلوب وبشكل تبادلي أن يتم الحاق جميع الاراضي المخصصة للعرب في فلسطين بما فيها الضفة الغربية وغزة وبئر السبع مع الاردن . وبالتأكيد كان الفلسطينيون يفضلون حكم الهاشميين اكثر من حكم المصريين . كذلك شعر غلوب بأن المصريين قد يفضلون الانسحاب الكامل من فلسطين على أن يدخلوا في صراع خاسر مع الاسرائيليين . كما أن القوة العراقية التي اصبحت الآن تحت قيادة رئيس هيئة الاركان العراقي اللواء صالح باشا الصعب كانت عازمة على الانسحاب من فلسطين بعد أن فشلت في تحقيق النصر واصبحت تواجه خطر الابادة . أما الفلسطينيون فقد ارهقتهم الحرب . ولم يجد غلوب إثر ذلك صعوبة في قيام الفيلق باحتلال مناطق شمال السامرة التي سيخليها العراقيون لاحقا ،أو مناطق الخليل - غزة - بئر السبع في حالة اخلاها المصريون إذ أن الفلسطينيين سيفضلون الالتحاق بدولة عربية واحدة بدلا من تقسيمهم بين عدة دول . الى جانب ذلك فان مثل هذا الترتيب قد يعطي الاردن اخيرا منفذا الى المتوسط .

أما كيركبرايد الذي بعث بمذكرة غلوب الى بروز ، فقد كان يعتقد أن الجنرال غلوب سجل عدة نقاط صائبة ، ولكنه كما قال كيركبرايد ظلّ يبالغ في رغبته بتوحيد الفلسطينيين مع شرق الاردن ويبخس من تأثير الحاج امين الحسيني واعوانه .

لكن وقبل أن يبدأ أي من السياسيين في لندن بتقييم خطة غلوب المختلفة ، ضرب الجيش الاسرائيلي في عملية يو آف واستولى على بئر السبع ليغير بذلك من الوضع الجيو - سياسي . وقام الفيلق بالرد عليه بالاستيلاء على بيت لحم والخليل .

بدأ غلوب الآن بوضع خطة الوضع النهائي ، اخذاً في اعتباره جزئياً على الاقل ، الوقائع الجديدة ، وقد استذكرت مسودة الخطة الجديدة في اواخر تشرين ثاني ١٩٤٨ خطط التقسيم القديم التي صاغها غلوب عامي ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ . وتمشيا مع الامر الواقع احال غلوب منطقة بئر السبع والنقب الشمالي الى الحكم الاسرائيلي ولكن خصص منطقة وسط وجنوب النقب (من جنوب بئر السبع وحتى خليج العقبة) لتكون تحت الحكم العربي (الاردني) على أن يتم الحاق الضفة الغربية بالاردن وتقاسم الخليل بين اسرائيل (الجزء الجنوبي) ولبنان (الجزء الشمالي) .

وطلب غلوب أن يقدم كيركبرايد هذه الخطة على اساس انها خطته هو ، (أي كيركبرايد) من اجل أن تحمل ثقلا اكبر . او إذا لم يرغب كيركبرايد بذلك ، فليقدمها على اساس انها خطة غلوب ولكن بدون أي تعليقات سلبية . الا ان كيركبرايد اختار خيارا ثالثا إذ نقل الاقتراح ببساطة دون أن يحدد صاحبه على الشكل التالي : (اقدم لكم الاقتراح التالي حول حل وسط) .

ظلت الاشتباكات بين مصر واسرائيل تتفجر بشكل متقطع ، واحتل جيش الدفاع الاسرائيلي بلدة اسدود ثم بلدة المجدل يوم ٥/ تشرين ثاني واستمر تراجع المصريين جنوبا عبر السهل الساحلي ، وانحشروا في رقعة ساحلية ضيقة هي التي تعرف اليوم بقطاع غزة وتمتد عبر الحدود المصرية الفلسطينية حتى العوجا في الجنوب (وهي ما تعرف اليوم بنيتانا) فيما وقف الاردنيون يشاهدون الوضع دون أي تدخل . وفي يوم ٩/ تشرين ثاني بدأ سريان مفعول الهدنة الجديدة . ولكن الحرب كما كان يدرك الجميع ، لم تكن قد انتهت بعد ، فقد كان النقب بمعظمه ما يزال تحت سيطرة العرب . ولم تكن اسرائيل لترضى بهذا الامر ، ولكن اين ستكون الضربة الاسرائيلية التالية ؟

كان غلوب وكيركبرايد قد وصلا الى استنتاج مفاده انه ليس أمام عبدالله سوى خيار واحد ، فاذا رغب في الاحتفاظ بالضفة الغربية فان عليه أن يصالح اسرائيل - حتى ولو أدى هذا الامر الى نبذ الاردن وطرده من الجامعة العربية . وبدا أن هناك تأييدا لهذا الخيار داخل الاردن ، فقد تركت الهزائم العربية رغبة لدى الاردنيين بضمان الحصول على الشروط الافضل قبل أن تصبح الامور اكثر سوءاً ، كما كتب كيركبرايد .

لم يكن كبار الضباط في الفليق يرغبون في استمرار الحرب . وفي يوم ٣٠/ تشرين ثاني وقّع الاردن مع اسرائيل اتفاقية هدنة منهياً بذلك رسميا أي اطلاق للنار . واعتبرت هذه الهدنة ، الخطوة الاولى على طريق توقيع اتفاقية هدنة شاملة والبدء بمفاوضات السلام النهائية .

وفي آخر نوبة قتال بين اسرائيل ومصر تمكن جيش الدفاع الاسرائيلي بين اواخر عام ١٩٤٨ واوائل كانون الثاني ١٩٤٩ في عملية اطلق عليها عملية «هوريف» من طرد الجيش المصري خارج شمال النقب وغزو شمال سيناء مما تسبب في حصر الجيش المصري بمعظمه في قطاع غزة الضيق تحت خطر الابادة ،ولم يتدخل أي جيش عربي آخر بما فيه الفيلق في هذا القتال .

ومع انتهاء العملية سعى المصريون بضغط من بريطانيا والولايات المتحدة الى وقف لاطلاق النار وقد بُدِئ العمل بهذا الاتفاق منذ السابع من كانون الثاني . كان الجيش المصري في ذلك الوقت في حالة تراجع فيما كانت احدى كتائب قواته معطلة ومحاصرة حول قرية الفالوجة في النقب الشمالي (جيب الفالوجة) ودخلت القاهرة في مفاوضات رعتها الامم المتحدة ووقعت يوم ٢٤/ شباط اتفاق هدنة شاملة مع اسرائيل في رودس . وقد تبعهم اللبنانيون يوم ٣٠/ آذار وابلغت العراق عمان رسميا بأنها تنوي سحب قواتها من شمال الضفة الغربية الى العراق ، واخذت هي وسوريا (التي كانت ستوقع بدورها اتفاقية هدنة مع اسرائيل يوم ٢٠/ تموز) تكمل انسحابها من فلسطين وحافظت على عدائها مع الهاشميين . وهكذا بقي الاردن وحده في مواجهة اسرائيل على طاولة المفاوضات .

شكلت المفاوضات الاردنية الاسرائيلية في الواقع عودة الحوار السياسي الذي توقف في ايار ١٩٤٨ . وكانت قد استؤنفت في تشرين ثاني ١٩٤٨ قبيل انعقاد مفاوضات الهدنة رسميا ، إذ سعت الدولتان من خلال مفاوضات سياسية سرية للوصول الى سلام نهائي وهدنة نصف معلنة . كان عبدالله تواقاً لعقد مثل هذه الاتفاقية . وقد شرح الوضع لغلوب حين قال له سوف اعطيك مثلا تركيا يقول : (إذا واجهك دب وانت تقطع جسرا مهترئا فناديه يا عمتي العزيزة) .

خلال الفترة بين شهر آب وشهر تشرين اول من عام ١٩٤٨ ، سعى البريطانيون الى وضع حد للاعتداءات بين اسرائيل والاردن ، ولكنهم لم يكونوا متشجعين لعقد هدنة ثنائية منفصلة بين الاردن واسرائيل . إذ كانت الوايت هول تخشى من أن تؤدي مثل هذه الصفقة الى زيادة عزلة عبدالله عن العالم العربي وهشاشة وضعه اضافة الى اضعاف القدرة العامة للعرب على مواجهة اسرائيل في المفاوضات . وقد كتب كيركبرايد بهذا الخصوص في اواخر آب يقول : (إنه من الخطر على الملك عبدالله ان نطرح اقتراحا باجراء مفاوضات ثنائية بين الاردن واسرائيل . رغم انه اخذ يمنّي نفسه حاليا بمثل هذه الافكار ، كما أنني اعتقد ويشاركني رئيس الوزراء الذي ناقشته في هذا الامر قبل فترة في مثل هذا الشعور ، بأن عبدالله ليس في وضع قوي يؤهله عبور العاصفة التي ستثيرها مثل هذه المفاوضات في العالم العربي) . ولكن مع حلول شهر تشرين ثاني دفع الوضع العسكري والسياسي اليائس للاردن بكيركبرايد وغلوب الى تبني اقتراح قيام الاردن بالمفاوضات إذا ما اراد الاحتفاظ بالتلال التي غنمها في الضفة الغربية بما فيها القدس

الشرقية . وفي ظل غياب التزام بريطاني بمساعدة الفيلق في دفاعه عن الضفة الغربية ، يظل بامكان الاردن الانسحاب شرقا او الدخول في مفاوضات سلام مع اسرائيل تتضمن قبولها ببقاء السيطرة الاردنية على تلك الاراضي .

وقد وافق عبدالله الذي ظل يسعى منذ سنين لمثل هذه الاتفاقية مع اليهود بسهولة على الاقتراح الا أن مثل هذا الامر تكتنفه مخاطر سياسية كبيرة - مثل اثارة غضب العالم العربي . . (وربما) طرد الاردن من الجامعة العربية . ولكن كما استنتج كيركبرايد ، كل هذه الامور تظل اخف شرا من العواقب التي قد تنتج عن محاولة الاحتفاظ بوضع لا يمكن الاحتفاظ به في فلسطين (دون اتفاق مع اسرائيل) . كان كيركبرايد مدركا للمشاكل الداخلية التي قد تنجم عن مثل هذه المفاوضات حين قال : (أنا متأكد ان رئيس الوزراء السيد ابو الهدى لن يكون طرفا في هذه المفاوضات . ولكنه قد يدفع للاستقالة قبل حدوثها لاسباب صحية . كما أن اللاجئين الفلسطينيين قد يحثون على طلب المفاوضات (دعمها) والنقطة الوحيدة التي لا تبدو واضحة امامي هي من الذي سيشكل وزارة ترضى باتباع مثل هذه السياسة الجديدة) .

كان غلوب موافقا على هذه الآراء ، ومع بداية كانون أول استكمل كيركبرايد بناء هذه الافكار وابرق الى لندن يقول : (اعتبر الآن أن بامكاننا التوقف عن دراسة اية ميول للاردن بالوصول الى اتفاق مع اليهود اذا ما استطاع ذلك) .

خلال الاشهر اللاحقة طالبت الدول العربية بأن تنسحب اسرائيل الى حدود التقسيم عام ١٩٤٧ ، ولكن هذه الاخيرة بدورها اصرت على أن تبقى الحدود بينها وبين الاردن على اساس الخطوط العسكرية التي وصل اليها الجانبان (مع بعض التغييرات لصالحها) . وان تعود الحدود بالنسبة لسوريا الى حدود ما قبل الحرب ، على أن تحتفظ اسرائيل بتلك الاراضي التي استولت عليها خلال الحرب اضافة الى الاراضي المخصصة لها ضمن قرار التقسيم والتي لم تقع في يدها بعد . وبالنسبة لمصر فقد فضلت اسرائيل الابقاء على الحدود الجديدة بين فلسطين ومصر (التي رسمتها بريطانيا والامبراطورية العثمانية عام ١٩٠٦) وهي حدود تتطابق جزئيا فقط مع الحدود التي اقترحها قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة . وكانت المشكلة الرئيسية في ذلك الوقت من وجهة نظر اسرائيل هو النقب الجنوبي الذي خصصه قرار الامم المتحدة الصادر في تشرين الثاني ١٩٤٧ لاسرائيل بينما بقي عمليا في يد العرب (في تشرين ثاني ١٩٤٨ ارسل غلوب سرية من الفيلق للقيام باعمال دورية في المنطقة) .

وقد كانت وجهة نظر غلوب واضحة في هذا الشأن حين بيَّن انه من السخرية الاعتقاد بأن اليهود ظلوا يدّعون منذ ٢٠٠٠ عام بأن القوة المسلحة لا تعطي لك أي حق . . وقد ظلوا يهاجمون مضطهديهم ويتطلعون الى عهد تسود فيه العدالة مكان القوة المسلحة . ولكنهم الآن وقد وضعوا في موضع يمكنهم من اضطهاد الآخرين يعلنون فجأة ان القوة العسكرية هي الاساس الحقيقي للتفاهم بين الامم .

هاجم غلوب (بدقة) مثل هذا التوجه واصفا موقف اسرائيل من الامم المتحدة ضمن هذا السياق ، فقد سخرت اسرائيل من حظر الاسلحة الدولي المفروض على المنطقة بجلبها كميات ضخمة من الاسلحة من تشيكوسلوفاكيا ومن الاسواق الخاصة بالسلاح . وتعرضت بالاهانة وتقييد الحركة للعديد من مراقبي الامم المتحدة الذين ارسلوا لمراقبة الهدنة . ومنذ اغتيال الوسيط الدولي الكونت برنادوت في ١٧ /ايلول/١٩٤٨ ،اصبحت كوادر الامم المتحدة تتعرض للترويع والتهديد بحيث اصبحوا يتجنبون روتينيا معاداة اسرائيل .

اوصى غلوب بانسحاب اسرائيل من الاراضي التي خصصت للحكم العربي (الفلسطيني) والتي كانت قد استولت عليها في جنوب وغرب الضفة الغربية (والحاقها بالاردن) . وهذه الاراضي تضم مناطق اللد والرملة وبئر السبع - مما يتيح المجال لاسكان ١٥٠,٠٠٠ لاجئ في تلك المناطق ، وبالمناسبة بقي هذا المطلب يتكرر دائما في المحادثات التي جرت حول الهدنة لاحقا . ربما كان الشعور بالمسؤولية تجاه سقوط اللد والرملة هو ما حرّك غلوب لطرح هذا المطلب . كما أن غلوب طالب بموافقة دولية واسرائيلية على مبدأ احتفاظ الاردن بممر ضيق عبر جنوب النقب يلتف حول العقبة ويضمن للاردن اتصالا بريا مع مصر ومع القواعد البريطانية في قناة السويس .

في نفس الوقت الذي يتيح لاسرائيل استخدام العقبة او أي ميناء جديد على خليجها . كما اوصى غلوب ولاسباب استراتيجية هامة ، بأن تبقى في العقبة والى الأبد حامية بريطانية . وطالب بوجود منفذ للاردن على البحر المتوسط مقترحا في هذا الصدد بأن توضع غزة تحت سيطرة الاردن وان تتم الموافقة على اقامة جسر بري مسيطر عليه من الاردن يربط بين غزة والخليل مرورا ببئر السبع . وقد اتخذ هذا المطلب (ممر من جبال الخليل الى الساحل) طابعا متكررا خلال المحادثات السرية السياسية التي اجريت بين الاردن واسرائيل .

وبينما كانت المفاوضات تجري بين اسرائيل والاردن حول توقيع هدنة (وربما احتمال توقيع سلام دائم بالسر) خلال شهري شباط وآذار من عام ١٩٤٩ ، قامت اسرائيل يدفعها تفوقها العسكري بقضم عدة مناطق تسيطر عليها الاردن من عدة جبهات ، وقد اعتبر غلوب عمليات القضم هذه خرقا لقرارات الهدنة المجمدة حاليا . وقد حصلت اول عمليات القضم هذه واكبرها في الجنوب ، حيث قامت كتيبتي جولاني والنقب خلال الفترة بين ٥ - ١٠/ اذار ١٩٤٩ بالتقدم جنوب بئر السبع واحتلال وسط وجنوب النقب وصولا الى ام رشراش (التي تعرف حاليا بايلات) على خليج العقبة . وقد اكدت اسرائيل انها كانت قد وُعدت بالسيطرة على تلك المناطق في قرار الامم المتحدة .

فيما اكد غلوب والاردنيون بمقياس دقيق أن هذا التقدم يعد خرقا لاتفاقية وقف اطلاق النار بين الاردن واسرائيل واستغلالاً لاتفاقية الهدنة التي تم توقيعها للتو مع مصر (والتي ضمنت عدم تدخل المصريين في حال وقوع تقدم اسرائيلي) وقد اطلق غلوب على هذا الزحف على ام الرشراش اسم خيانة فاضحة تتم خلال المفاوضات ، واكد ان الحجة الاسرائيلية التي تتعلق بتقسيمات الحدود هي حجة عقيمة لأن الجليل على سبيل المثال قد خصص للعرب بينما تقوم اسرائيل باحتلاله حاليا . وقد نقل عنه قوله ان اليهود يريدون الحصول على كعكتهم والتهامها (طبعا يمكن ان يقال مثل هذا القول عن معظم الامم معظم الوقت) . واضاف غلوب ان منطقة جنوب النقب القاحلة وغير المسكونة لم تكن فارغة تماما بل كانت تسيطر عليها مفرزة اردنية صغيرة الحجم تقوم باعمال الخفارة في منطقة تبعد ٥٥ ميلا شمال أم رشراش ولكن هذه القوات انسحبت الى شرق الاردن لكي تتجنب اجتياحها من قبل الاسرائيليين خلال تقدمهم جنوبا .

وصلت قوات جيش الدفاع الاسرائيلي الى خليج العقبة يوم ١٠/آذار .وبعد ذلك بثلاثة أيام وفي عملية منفصلة احتلت هذه القوات قرية عين جدي التي تقع في وسط الشاطئ الغربي للبحر الميت . شعر غلوب بالاحباط والسخط أمام هذه العمليات الاسرائيلية التي تجري بدون مواجهة وبدون اراقة دماء ، إذ كان يعلم تماما بأن قواته لن تستطيع مواجهتها وكتب اليه كيركبرايد يوم ٩/آذار بأنه يعتبره من اكثر الاشخاص الذين انجبتهم بريطانيا مزاجية لانه يتأرجح دائما بين اليأس والتفاؤل ، فهو يستطيع ان يترك كل ما حوله في نوبة من الاحباط ويرحل (وللحقيقة هدد غلوب بالاستقالة بعد أن رفضت الحكومة البريطانية طلبه لزيادة مخصصات الفيلق) .

وخلال الايام السابقة واللاحقة ، تقدمت القوات الاسرائيلية في عمليات قضم عبر الحدود لمناطق تقع جنوب الضفة الغربية (غرب اذنا وخربة بيت عوا) . وتحركت بين مواقع الفيلق العربي دون الاشتباك معها منتزعة اجزاء من الارض . يذكر غلوب في هذا الصدد : (لقد ووجهنا بقبضة متوحشة تقوم بقضم الاراضي بينما المفاوضات تجري حول الطاولة في رودس) .

كان المقصود من تلك العمليات اعطاء اسرائيل هامشا افضل للتفاوض ، بينما المفاوضات تقترب من نهاية وضع اتفاقية هدنة تهدف في الاساس الى ترسيم الحدود المستقبلية بين الاردن واسرائيل .

استمرت المفاوضات (مثلها مثل المفاوضات السياسية الموازية) تحت ظل التفوق الاسرائيلي ووسط صخب تهديداته العسكرية . ووفقا للصحافي الاميركي كينيث بيلبي الذي اجرى حوارا مع غلوب خلال فترة الهجوم الاسرائيلي على ام رشراش قال : لقد كان قائد الفيلق - مع ادراكه لنية العراق سحب قواته من السامرة ولنقاط ضعف الفيلق - ينزع بشكل طبيعي الى الوصول لاتفاقية سلام مبنية على حدود القتال الحالية وكان غلوب راغبا في مبادلة الاراضي التي فقدت للتو (الاراضي المخصصة للعرب والتي استولى عليها جيش الدفاع الاسرائيلي) مقابل ضمان سلامة الاراضي الاخرى المهددة . وقد اكد على شرط ضمان الحدود المتفق عليها من قبل الامم المتحدة وبريطانيا كي لا تقوم اسرائيل في وقت لاحق بالمطالبة بها او الاستيلاء على الضفة الغربية او اجزاء منها . ويتابع بيلبي في تسجيله الصحفي : (لا يوجد سبب للتشكيك في قصة) بأن غلوب ذهب حتى لمقابلة ولزستابلر القائم باعمال السفارة الاميركية في عمان من اجل التحقق من امكانية قيام الولايات المتحدة باعطاء مثل هذا الضمان .ولكن ستابلر اشار الى ان واشنطن ليست مستعدة لتقديم مثل هذا الضمان .

وخلال النصف الثاني من شهر شباط صعدت اسرائيل من ضغوطها على عمان بحشد قواتها على الحدود الشمالية للضفة الغربية . كانت الرسالة واضحة : اذا رفضت الاردن أن تتخلى لاسرائيل عن الطرف الغربي للضفة الغربية والذي يبلغ طوله مئة ميل وعرضه عدة اميال في العمق الغربي فانها ستستولي عليه وربما على اراضي اخرى بالقوة . كان رئيس اركان جيش الدفاع الاسرائيلي قلق من ضيق الخاصرة الاسرائيلية في تلك المنطقة - ١٠ أميال فقط في بعض الاماكن - التي تمتد من قلقيلية وطولكرم حتى

البحر المتوسط . إذ أن أي اندفاع للعدو داخل هذه الخاصرة يؤدي الى قطع اسرائيل الى نصفين في غضون دقائق وكان الهدف من هذه الحشود العسكرية إجبار الاردنيين على تسليم هذه الرقعة من الارض .

لم يكن الاردن ولا العراق في غمرة رغبتهما لسحب جيوشهما يرغبان في تجدد المعارك . وكان كلاهما مدركا بأن مصر وسوريا ولبنان قد خرجوا من اللعبة .

ويقول غلوب في هذا الصدد : من المستحيل استعادة مثل هذا القلق والتوتر الذي كان سائدا في تلك الايام . مقابل ذلك عرضت اسرائيل السماح للفيلق العربي بالسيطرة على السامرة بعد انسحاب العراقيين على ان تعترف عمليا بسيطرة الاردنيين على معظم اجزاء الضفة الغربية . كان واضحا لدى الاردنيين بأن أي رفض لتسليم الارض يعني تدمير الفيلق وضياع كامل الضفة الغربية . كما كان واضحا ان التخلي عن هذه القطعة التي تضم ١٦ قرية عربية يقطنها ٢٠,٠٠٠ فلسطيني وآلاف اللاجئين الذين قدموا من كل الانحاء سوف يرفع وتيرة الاحتجاج لدى الفلسطينيين والعالم العربي . كان الوضع من المنظور الاردني يبدو قاسيا جدا . طلب عبدالله مشورة غلوب الذي اجاب . . وفقا لمذكراته بأنه في حال تجدد القتال لن نستطيع الاحتفاظ بالمناطق التي سينسحب منها العراقيون كذلك فان الاسرائيليين قد يستولون على مزيد من الاراضي اكثر من تلك التي يطالبون بها .

وعلى الرغم من ذلك بذل غلوب جهدا شخصيا ، ربما بناء على توصية عبدالله لانقاذ تلك الرقعة من الارض . وقام بتقديم التماس الى القائم بالاعمال البريطاني بيري غوردون من اجل الضغط على الوايت هول لدفعها الى الاعلان عن أن اتفاقياتها المعقودة مع الاردن تغطي الضفة الغربية ، ولكن بريطانيا احجمت عن ذلك .

وصلت الازمة الى ذروتها مع نهاية الاسبوع الثالث من آذار . واطلق الاسرائيليون ما تبين انه انذاراً نهائياً في اجتماعهم الاخير مع الاردن يوم ٢٣/ آذار . وصف غلوب الاجتماع الاول الذي عقد في القدس : (طلب منا الاسرائيليون الانسحاب لمسافة ١٥كم عن الجبهة المواجهة للسهل الساحلي وكان هذا يعني منتصف الطريق بين نابلس ورام الله . كان هذا الطلب هتلريا محضا . ففي كل مرة كانوا يقدمون طلبا واحدا فقط . وبدا الامر وكأنهم عقدوا العزم على اخذ فلسطين كلها واعادتنا الى شرق النهر . وعند تجدد الاجتماع في المساء قلّص الاسرائيليون من طلباتهم . وأذعن الاردنيون ووقع

الطرفان مسودة اتفاقية . وكان من بين الموقعين المقدم كوكر وهو احد اعضاء هيئة اركان غلوب) .

وكان عبدالله قد طلب من غلوب الحضور الى الاجتماع . ولكنه رفض قائلا وفقا لاحد الشهود : انه لا يريد ان يرى وجوه اليهود لذلك ارسل كوكر بدلا عنه .

وعلى الرغم من توقيع ممثليه على الحد المرسوم الا أن عبدالله قام وفي مسعى أخير بناء على اقتراح غلوب بتقديم التماس شخصي الى بيري غوردون يوم ٢٣/ آذار ، للتدخل من قبل البريطانيين والاميركيين لرفض المطالب الاسرائيلية إلا أن الالتماس لم يجد قبولا . وفي اجتماع مجلس الوزراء يوم ٢٦ آذار وفي مراعاة لاقتراحات وزراءه ، طرح الملك السؤال مرة اخرى على غلوب حول امكانية المقاومة ، فاجابه غلوب بأنه بناء على مخزونات الفيلق من الاسلحة والعتاد وقلة عدد قواته فانه لا يمكننا أن نقاوم الاسرائيليين .

وفي اجتماع لاحق عقد في الشونة (بحضور كوكر) يوم ٣٠/ آذار ، رفض الاسرائيليون أي تغيير عَّما اتفق عليه في الاجتماع السابق ، وفي ٣/ نيسان وقع الاردن واسرائيل اتفاقية الهدنة الشاملة ، انسحب على اثرها العراقيون وتسلم الفيلق مواقعه على جبهة السامرة يوم ١٢/ نيسان وفي الشهر التالي انسحب الفيلق من الثغور الشمالية والغربية للضفة الغربية متخليا بذلك عن ٣٠٠ - ٤٠٠كم٢ للحكم الاسرائيلي . وقد لخص غلوب ما حدث بقوله : سياسة فرض قوة هتلرية بحتة .

وبسبب عدم القدرة على الوصول الى اية وثائق عربية معاصرة ، فانه من الصعب تقييم مدى مساهمة غلوب في محادثات الهدنة . والى أي مدى كانت اهمية مشورته في تشكيل المكتسبات والمواقع الاردنية ؟ ان الاجابة على هذه الاسئلة ينتظر فتح ارشيفات الدولة الاردنية (والتي مثلها مثل باقي العالم العربي تظل مغلقة على الجمهور) . ولكن يبدو بوضوح من الأدلة المتوفرة ، أن اهمية غلوب قد تقلصت في عمان اثر انتهاء الصراعات الاردنية الاسرائيلية ، وضعفت كلمته . وفي نفس الوقت استمر عبدالله وكبار وزرائه باستشارة غلوب في الامور الاستراتيجية العسكرية . كما بقي عبدالله وبدون شك يثق برأي جنراله حول المواقف البريطانية ومدى امكانية التأثير على السياسات البريطانية . وبدون شك فقد ظل كيركبرايد وخلال محادثات الهدنة يلتمس

نصائح غلوب فيما يتعلق بالفيلق وبالتهديدات الاسرائيلية . ويوجد كذلك دليل على ان غلوب استمر يقدم النصح للرجلين حول امكانية اجراء مبادلة اراضي خلال مفاوضات السلام السرية التي اعقبت محادثات الهدنة . ظل غلوب يتوجس شرا من نوايا اسرائيل المستقبلية من خلال متابعته لتصرفاتها خلال محادثات الهدنة . ففور انسحاب العراقيين واستيلاء الاسرائيليين على الرقعة الحدودية ، حذر غلوب القَلِق ممثلي امريكا وبريطانيا في عمان من هجوم اسرائيلي مرتقب للاستيلاء على باقي الضفة الغربية . ولكن تحذيراته على الأقل لم تأت مفعولها على المدى الفوري .

وكما كان متوقعاً ، فقد استنكرت الدول العربية تخلي الاردن عن تلك الرقعة لصالح اسرائيل . ولم يتقبل رؤساؤها تفسيرات عبدالله حول التهديدات الاسرائيلية . واندلعت التظاهرات في نابلس وهاجمت الحشود عبدالله والفيلق العربي الذين باعوا بلادنا مقابل النقود . وعاد رجال الفيلق ليصبحوا مرة اخرى هدفا للتحقير «كاذبين وخونة ويهود» وهبطت شعبية عبدالله هبوطا ذريعا : وفي المقاهي والبيوت في الضفة الغربية لم يعد يسمع الا ادانات للملك عبدالله وحكومته وشعبه الشرق اردني . وبدأ العرب في فلسطين يكرهون الملك وسياسته وعاداه ٨٠٪ من الشعب كما ورد في تقارير مخابرات جيش الدفاع الاسرائيلي . أما مخابرات الفيلق فقد اعطت نسبة اكثر من ذلك :

تبين ان معنويات الناس في نابلس وطولكرم وجنين قد هبطت الى الحضيض وكانت النسبة اكبر في طولكرم حيث فقد الناس معظم اراضيهم (بسبب اتفاقية الهدنة) وقد عم الكره للملك عبدالله في كل مكان ، ووصل لدرجة ٩٥٪ إن لم يكن اكثر . ووجه اليه اللوم على كل شيء : من الفشل الى سقوط القدس الغربية الى تسليم اللد والرملة وحتى الصفعة النهائية بتسليم ٣٠,٠٠٠ دونم من اراضي طولكرم وجزء كبير من اراضي جنين . كانت طولكرم في حالة سيئة وافرغت الشوارع واغلق جزء كبير من السوق . ولم يعد هناك عمل ، وبدا ان عددا كبيرا من الناس وصلوا حد الجوع اذ انقطعت عنهم معونات اللاجئين ، وقد اظهرت التقديرات ان ما يقارب «١٧٠٠٠» من القرويين ومن سكان طولكرم سيصبحون بلا مورد رزق إذا لم يستطيعوا استعادة اراضيهم .

تجاوب غلوب مع هذه العاصفة ضد الهاشميين من خلال اعلان مجهول المصدر تم

توزيعه في الضفة الغربية يقول : ان الفيلق ما يزال يدافع عن الارض المقدسة في حين اختفت جميع الجيوش الاخرى . وعندما كانت القدس المدينة المقدسة في خطر ، كان الفيلق العربي هو الوحيد الذي تصدى لانقاذها . كما أن الفيلق اوقع من الخسائر في صفوف الاسرائيليين اكثر مما اوقعه أي جيش عربي آخر وهو ما يزال في موقعه مدافعا عن الارض المقدسة من اعتداءات اليهود .

وخلال الاشهر التي تلت ، كان غلوب منشغلا بشكل غير مباشر في محادثات السلام التي جرت بين الاردن واسرائيل . لم يكن ابدا لاعبا مباشرا بسبب جنسيته وانتمائه البريطانيين . وكان عبدالله يصر على ابعاده عن الشؤون الرسمية (والا فان منتقديه العرب سيدنيون اية مفاوضات على انها جزء من صفقة البيع البريطانية) ولكن غلوب ظل طرفا من خلال نصائحه ورسائله الخطية الى كيركبرايد ومكتب وزارة الخارجية . وعلى الاغلب من خلال نصائحه المباشرة لعبدالله ووزرائه) ففي حزيران ١٩٤٩ مثلا ، حذر كيركبرايد من قبول عرض اسرائيل بتبادل مناطق القطمون والبقعة (من ضواحي القدس الغربية التي استولى عليها اليهود) بحي الشيخ جراح ومدرسة الشرطة (التي احتفظ بها الاردنيون) والتي تقع بين القدس الغربية والجيب الاسرائيلي المعزول في جبل سكوبس . وقد حذر غلوب بأنه إذا وقع حي الشيخ جراح ومدرسة الشرطة في ايدي الاسرائيليين فسيتم قطع الاتصال بين الاجزاء الشمالية والجنوبية من الضفة الغربية وبذا تصبح الطريق ممهدة امام جيش الدفاع الاسرائيلي للتقدم عبر بيت حنينا باتجاه اريحا . إن الامر يبدو لي انه شرك اسرائيلي حاذق . كتب يقول "ولا ارى أي مؤشر الى انهم سيعدلون عن عدائهم نحونا .

وفي النهاية ، لم ينتج شيء عن ثلاث سنوات من محادثات السلام السرية بين الاردن واسرائيل . رغم ان المفاوضين اصدروا عدة مسودات اتفاقيات ورغم ان غلوب صرح بلسانه : (ان الملك عبدالله كان يحبذ سلاما مع اسرائيل) . وفي تحليل واضح وضع غلوب اصبعه على المشاكل الرئيسية : (لقد فشلت جهود الملك للتوصل الى اتفاق سلام لسببين) .

الأول : كان بسبب الهيجان الشديد الذي اثاره الاعضاء الآخرون في الجامعة العربية والذي ارهب الحكومة رغم انه لم يرهب الملك .

اما السبب الثاني : (فكان ان الاسرائيليين رغم تظاهرهم بالرغبة في السلام ، ارادوا السلام فقط وفق شروطهم الخاصة ولم يبدوا استعدادا للوصول الى تنازلات مناسبة) . وقد ادرك الملك عبد الله ذلك . فاذا كان يريد ان يصنع سلاما فان عليه ان يظهر فوائده . ومع عدم استعداد اسرائيل للتنازل ، لم يبق له سوى القليل من الحجج لتحدي باقي الدول العربية . بدون شك كانت العقبة الرئيسية هي دمج الضفة الغربية في المملكة بسكانها الاصليين ، واعداد اللاجئين الكبيرة فيها ، اضافة الى اللاجئين الذين تدفقوا الى الضفة الشرقية نفسها . كان العدد الذي اضيف الى سكان المملكة بمجمله يبلغ ٦٠٠,٠٠٠ انسان مما شكل اغلبية سكانية للفلسطينيين ، وقلّص عدد السكان البدو الى اقلية (٤٠٪ تقريبا) وقد لاحظ كيركبرايد منذ البداية في اواخر عام ١٩٤٨ ، عدم وجود حماس لدى الفلسطينيين للنظام الهاشمي . واصبح هناك ادراكا متناميا في عمان ان المناطق العربية في فلسطين ستصبح عبئا اقتصاديا على الاردن وليس مصدر قوة وان سكانها سيسببون مضايقات سياسية للنظام كما كتب الى بيفين .

كان السكان الفلسطينيون في الاردن يشعرون بالمرارة والعداء اتجاه اسرائيل ، فيما لم يكن البدو الاردنيون يشعرون بذلك ، إذ لم يكن هناك سبب مباشر لكي يشعروا . كما ان العديد من الفلسطينيين كانوا ساخطين على عبدالله وكانوا ينظرون اليه كزعيم قبلي بدائي ، وخادم للبريطانيين وصديق سري للصهيونية .

وكتب غلوب في اواسط عام ١٩٤٩ ، ان الفلسطينيين يشبهون مثال الرجل الايرلندي - «مهما تفعل الحكومة فنحن ضدها» - كما حدد ثلاثة عناصر خارجية مسؤولة عن هذا الهيجان ضد عبدالله في الضفة الغربية وهذه العناصر هي : المفتي واللجنة العربية العليا . . ومصر وسوريا . . والشيوعيون الذين توجههم روسيا . وكان غلوب يعتقد ان المفتي الذي يترأس مجموعة من الارهابيين ورجال العصابات الاشداء الذين امتهنوا مخالفة القوانين منذ ثورة ١٩٣٦ ، كان يتمتع بسمعة طيبة بين القرويين الجهلة رغم وجود مناصرين قلائل له بين الطبقة المثقفة . كما كان يعتقد أن الحسيني ظل مصمماً على تنظيم العصابات من اجل القيام بثورة في فلسطين بقصد اغتيال الملك عبدالله .

ولكن في اواسط شهر تموز ١٩٤٩ ، شعر غلوب ان العداء الذي اعقب توقيع الهدنة قد تقلص في الضفة الغربية بشكل عام . وكتب يقول خلال جولة الملك في مناطق

رام الله والقدس يومي ١٤ - ١٦ آب ، كان الملك يستقبل بحماس شعبي وفقا لما قاله المراقبون . كانت هناك ثغرة سببها السياسيون ورجال الصحافة وتدفق الدعاية المعادية في سوريا ومصر اضافة الى افكار عامة الناس في فلسطين ، ولكن وفقا لتحليل غلوب كان هناك ايضا تلك الهالة التي تحيط دائما بالملوك كما كان يحصل أيام هاملت .

ومع انقضاء الاشهر بدا أن شعبية عبدالله قد اخذت بالارتفاع . فكتب غلوب بعد ثلاثة اشهر :

« لقد شعرت بالسعادة . . وانا ارى الملك يدخل البلدات في زياراته الرسمية التي كانت تنظم على يد الشرطة والمسؤولين . اذ كنت اشك في ان هذا الحماس الهائج كان جزئيا امرا مختلفاً . ولكن حين كنا نمر بشكل غير متوقع عبر القرى والبلدات الصغيرة ، كنا نلمس تصفيق المارين وابتساماتهم لنا ، لم يكن حماسا مثارا بل دافئا وصديقا . وحتى عندما مررنا عبر مخيم لاجئين ركض نحونا عدد من الناس وصفقوا لنا . بد أن الملك وبدون شك يتمتع بشعبية بين جماهير الشعب الفلسطيني» . من ناحية اخرى كان المسؤولون افراد الطبقات المثقفة في فلسطين في وضع ذهني خاص . فيما كنت تراهم بوضوح يتدافعون لتقبيل اليد الملكية ، كانوا يقلبون عباءتهم في اليوم التالي ليقدموا خدماتهم الى المفتي السابق او الى الملك فاروق في محاولة للحفاظ على وظائفهم . كان موقفهم من الحكومة الاردنية اليوم يختلف قليلا عن موقفهم من حكومة الانتداب بالامس . كان هناك تياراً متواصلاً من التقارير حول عدم ولائهم . في العام التالي ، تحسنت صورة عبد الله في قلوب واذهان الناس في الضفة الغربية ، وفي اواخر نيسان ١٩٥٠ تجول في الضفة الغربية قبل يوم او يومين من تمرير البرلمان الاردني لقرار توحيد الضفتين الغربية والشرقية (ضم الضفة الغربية) . وكان غلوب الى جانبه في بعض من زياراته فكتب يقول : (كان استقباله في كل مكان متشابهاً ومؤثرا جدا . في كل قرية كانت الحشود تتحلق حول السيارة الملكية ، وتهتف وتحيي وتصفق . وكان الجميع يبتسم ، وإن أي امرئ امضى مدة طويلة في الشرق يعرف تلك الفرحة العفوية التي تنظمها الشرطة . ولكن لم يكن هناك أي شيء اصطناعي في حماس تلك المظاهر) ، وقد تأثر غلوب الى حد الصدمة بالاستقبال الذي لقيه عبدالله في قلقيلية وطولكرم اللتان كانتا في السابق تؤيدان المفتي بنسبة ١٠٠٪ . لقد دخل عبدالله الى قلوب ٩٠٪ من الناس كما ظل ينتظر مطولا .

من المؤكد ان ضم الهاشميين للضفة الغربية قد قوبل بفرح وارتياح لدى بعض الفلسطينين ، وقد رأت فيه بعض العائلات الفلسطينية منقذا لها من ارهاب الحاج امين وقوة موازية له . فيما مثل للبعض الآخر استقرارا وحكما للقانون ظل غائبا خلال سنوات الانتفاضة ، ومع ذلك رغم تردد العديدين الا انهم تفهموا موقف عبدالله من انقاذ الضفة الغربية والقدس الشرقية من الاحتلال الاسرائيلي ، ومع مرور الزمن عدّل فلسطينيوا الضفة الغربية مواقفهم من الحكم الهاشمي .

على الرغم من ذلك ، وكما كان يدرك غلوب ، فان هناك غيمة سحابة مرعدة تعتم سماء الاردن - اللاجئون المعدمون الذين يشكلون ثلث سكان الاردن ويمكن ان يتسببوا في انهيار المملكة برمتها . وفي نفس الوقت المفتي الذي كان يقوم من منفاه في مصر بتنظيم الاضطرابات في فلسطين (الضفة الغربية) من خلال الارهاب والاغتيال السياسي . وقد تحول كرهه للملك عبدالله بعد احداث ١٩٤٨ -١٩٥٠ الى حقد عميق .

في العام التالي سقط عبد الله نفسه وسقطت معه اتفاقية السلام الاردنية الاسرائيلية العرجاء . وفي يوم ٢٠ / تموز / ١٩٥١ تمكن المتطرفون الفلسطينيون المرتبطون بالمفتي المنفي وعبدالله التل الذي نفي فيما بعد (تأمر على الملك عبدالله) من اغتيال الملك على مدخل المسجد الاقصى في البلدة القديمة من القدس حين قام مسلح واحد باطلاق رصاصة على رأس الملك قبل ان يقتل هو فيما بعد . من المحتمل ان يكون التل قد قبض مبلغاً كبيرا من المال من مصر او من بلد آخر لترتيب مثل هذه الجريمة . لم يكن الدافع للجريمة يستند الى الاشاعات عن مباحثات السلام السرية التي يجريها عبدالله مع اسرائيل فحسب بل الى الكره العميق الذي يكنه الفلسطينيون لهذا الحكم البدوي وللجيش الذي احتل جزءا من بلادهم واصبح يسيطر الآن على مستقبلهم الشخصي والسياسي .

وبالنتيجة شعر غلوب كرئيس للشرطة وللحاشية الامنية للملك بالمسؤولية تجاه ما حصل ، من المؤكد انه كان يحترس من زيارة الملك الى المسجد الاقصى لذلك عين المشير حابس المجالي لمرافقته وطلب منه التزام الحذر . ولكن محاولات المجالي لاحاطة الملك بمجموعة من الحرس واجهت رفضا من عبدالله ، واستغل القاتل وجود ثغرة في الحرس .

وخلال الجنازة انهار غلوب وراح يبكي كالطفل . وقد وصف غلوب عبدالله لاحقاً بأنه كان رجلا حكيماً وصبوراً ويتمتع بمنظور عالمي واسع «سيدنا الحبيب» . وقد رأى الياس ساسون المفاوض الصهيوني الذي كان يجري المفاوضات مع عبدالله وكان حينئذ ممثلا لاسرائيل في انقرة في مقتل عبدالله خسارة كبرى للاردن وللعالم العربي وللغرب وكذلك لاسرائيل .

وقد كتب ساسون يقول : (كان عبدالله رجل الدولة العربي الوحيد الذي ابدى تفهما لقضية انبعاثنا (الشعب اليهودي) ورغبة صادقة في الوصول الى اتفاق معنا وموقفا واقعيا اتجاه مطالبنا ومناقشاتنا . رغم كونه عربياً غيوراً ومسلماً متحمساً) . خشي الهاشميون أن تؤدي حادثة الاغتيال الى وقوع اضطرابات كبيرة في البلاد وربما ثورة فلسطينية ، لذا فقد تبنوا موقفا شديدا في كل مكان بدعم من الشرطة والفيلق العربي ، وأدرك الناس ان أي شخص يقوم برفع صوته سوف يتم اخراسه بقوة . وخلال دقائق من اطلاق النار انزل الفيلق كتيبتين من قواته في عمان . ولم يتم نهب سوى محلات قليلة في القدس . وتم اسكات المشاغبين او مثيري القلاقل المتوقعين بسرعة .

ابقى غلوب الوايت هول على اطلاع بتطور التحقيقات في عملية الاغتيال . وكان غلوب يشك في الاساس بأن عملية التحقيق لا تجري بالمستوى المطلوب بسبب تخوف الشرطة من حدوث قلاقل ، (فلسطينية او مؤيدة للفسطينين) قد يثيرها كبار الشخصيات الذين كانت الشكوك تحوم حولهم في التورط بتلك الحادثة . كذلك شكك غلوب في وجود اصبع مصري في الحادث (كان التل يعيش في القاهرة) .

كان انتقال الحكم في عمان سريعا لم يَخْلُ من المشاكل . فقد خلف عبدالله الملك المغدور ابنه طلال (توج في ١٦/ايلول/١٩٥١) الذي تولى الحكم لمدة سنة ولكن مرضه النفسي دفع بزعماء الاردن الساسيين والعسكريين الى تعيين ابنه حفيد عبدالله الاكبر حسين (الذي كان يقف الى جانب عبدالله لحظة اغتياله) بدلا منه . وقد تولت الحكم لجنة وصاية على العرش حتى بلوغ الامير ١٨ عاما حيث توج ملكا بعد ذلك .

كانت الفترة بين حادثة الاغتيال وبين تولي حسين الحكم فترة ملتهبة . فقد كان الفيلق وعلى راسه غلوب . دعامة اساسية للحكم الانتقالي . وبدون ذلك كان يمكن للبلاد ان تنزلق الى الفوضى او الى الحكم الجمهوري . أو أن يتم تقسيمها بين سوريا

والعـراق واسـرائيل والعـربيـة السـعـودية . ولفـتـرة من الوقت ظهـر الوضـع دقيـقـا وخطرا وتساءل العديد من المراقبين الاجانب عن مدى عمر المملكة .

كان عبدالله قد عين غلوب نائبا لقيادة الفيلق عام ١٩٣٠ وقائدا لهيئة الاركان خلفاً لبيك عام ١٩٣٩ . واصبح الاثنان صديقين بسرعة رغم وجود خلفية السيد والخادم في عـلاقتـهـما (اعتـمـادا على الظروف) . وبالنسبـة لغلوب كـانت حـادثة الاغـتيـال صـفـعـة شخـصـيـة قـاسـيـة له . ولكن بدلا من أن يضـعف الاغـتـيـال موقع كلوب الشخـصـي ، بدا وكأنه اعطاه دفعة قوية ، فقد برز كلوب كـمرتكز رئيسي وسط وضع خطر ملتهب . وقد بذل المراقبون الاسرائيليون جهدا مضنيا في مـلاحقة دقيقة لتأثير غلوب واهميته لدى الحكم الهاشمي . وفي حزيران عام ١٩٤٥ قال موردخاي غازيت (السكرتير الاول بسـفارة اسرائيل في لندن (عمل خلال السبعينات مديرا عاما لمكتب رئيس الوزراء) ان غلوب وفي الصحوة الفجائية التي تلت الاغتيال حاول الابتعاد عن التدخل في شؤون الدولة الاردنية . ولكن بسبب مرض جيفري فيرلونغ (الذي خلف كـيركبرايد كـسفير لبريطانيا في عـمـان) ، وبسـبب تدخل الملكة الأم وانصـارها في البـلاط الملكي ، اضـافـة الى أمور سرية كانت تدور في البلاط الملكي ، اضطر غلوب الى اظهار نشاطه السياسي وقد كتب غازيت اثر ذلك ان غلوب كان يلتقي بالملك حسين يوميا تقريبا . وكان له نفوذ كبير لدى الملك ويبـرز غـازيت مثـلا حـول قيـام رئيس الوزراء فـوزي الملقي ، وبناء على تحـريض من الملكة الأم باغلاق صحيفة الصريح المعارضة وقد تدخل غلوب وعادت الصحيفة الى الصدور بعد يومين) .

كـان تأثير غلوب كـعميل بريطاني في عمان يبدو اكثر وضوحا كـمساهم في رسم سياستها في الشرق الاوسط . ففي آب ١٩٤٥ ابلغ مسؤولون اسرائيليون ان غلوب شارك في استشارات حول انتشار بريطاني جديد في الشرق الاوسط . وان مكتب الخارجية البريطانية كان يطلب مشورته حول قضايا متعلقة بالحدود الاردنية الاسرائيلية . وقد ايدت الوثائق التي جمعت من قبل الاستخبارات الاسرائيلية مثل هذا التقييم .

وصل نفوذ غلوب فيما بعد الى شؤون مدنية مثل اقتراحه باعادة تشغيل محطة الطاقة المائية الكهربائية في جسر المجامع اواسط عام ١٩٥٣ .

الفصل السادس

معارك الحدود ١٩٤٩ - ١٩٥٦

في تقييمها المستقبلي لشكل وحجم الفيلق ، مع نهاية حرب عام ١٩٤٨ أقرَّت لجنة هيئات الاركان البريطانية - متأثرة بمذكرات غلوب وبالحوارات التي اجرتها معه - بان التهديدات الاساسية للاردن بصرف النظر عن التوسع السوفياتي المزعوم ، تأتي من اسرائيل وعدة دول عربية مختلفة بهذا الترتيب .

وبالنسبة لاسرائيل ، كتب رؤساء الاركان : ان المدى الذي يمكن ان تصله اسرائيل في تهديدها لسلامة شرق الاردن يعتمد على توجهات مستقبلية داخل اسائيل لا يمكن التنبؤ بها . كما يعتمد على التسوية النهائية لوضع الاراضي في فلسطين ، ويعتقد رؤساء الاركان أن الصهيونية المتطرفة تهدف الى ابتلاع كامل فلسطين والجزء الاكبر من شرق الاردن داخل دولة اسرائيل . كما ان هناك اكثر من احتمال بأن تصل هذه العناصر المتطرفة الى السلطة في اسرائيل وتمضي في تنفيذ ادعاءاتها .

وبقدر ما كان غلوب ينزع الى النقاش ، بمقدار كبير من التبرير ، كتب الرؤساء : بأنه إذا استمر تدفق المهاجرين اليهود على الشكل الحالي فقد تضطر حتى العناصر المعتدلة في اسرائيل تحت ضغط الوقائع الى المطالبة باراضي اكثر . وقد اضطر رؤساء الاركان الى تقديم توضيح بتوسيع الفيلق ليصل عدده الى «١٧٠٠٠» جندي ، جزئيا لتعزيز قدرته على عرقلة او على الاقل صد أي اعتداء اسرائيلي يتم في الوقت الحالي . ومنذ عقود ، يتجاهل المعلقون الاسرائيليون وعلماء السياسة والمؤرخون او يقللون من شأن اهمية الموجات المتلاحقة في توسع اسرائيل - ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ومصادرتها المتكررة للاراضي العربية داخل حدود ما قبل ١٩٦٧ ، وداخل الاراضي التي احتلت بعد عام ١٩٦٧ . ومدى تأثيرها في العامل الديمغرافي : وهو الحاجة الاساسية لدولة صغيرة يزداد سكانها بسرعة الى المزيد من الاراضي من اجل استيعاب وتوطين الموجات المتلاحقة من المهاجرين .

فالهجرة الصهيونية ،كما يفهمها ويبيِّنها المعلق العربي ، سوف تؤدي بطبيعتها الى اتباع سياسة توسعية على مدار القرن . منذ بداية عقد الخمسينات من القرن العشرين . انحصر تركيز غلوب على ما يتعلق بدور الفيلق مستقبلا ، وعندما كان يحث بريطانيا على دعم توسيع جيشه ، كان يذكر اهمية استخدام الفيلق في الدفاع عن الغرب امام الاعتداءات السوفياتية . والدفاع عن الاردن امام محاولات التوسع الاسرائيلي . ولكنه يترك انطباعا في مذكراته أن اسرائيل كانت محور اهتمامه الرئيسي . فالتهديد السوفياتي كما كان يفهمه ، لم يكن امرا فوريا . وعلى أي حال لم يكن لدى الفيلق مهما بلغت قوته سوى القليل من القدرة على مواجهة مثل تلك التهديدات . كان غلوب يرفض دائما الطرح الاسرائيلي ، أو المؤيد لاسرائيل والقائل بأن الدولة اليهودية تشكل حصنا طبيعيا ضد أي توسع سوفياتي . وانها ستقف الى جانب الغرب في حال وقوع صراع بين الشرق والغرب . وبين غلوب ان السياسيين الاسرائيليين لا يملكون قيم ايديولوجية سياسية ثابتة (اذا وضعنا الصهيونية على حدة) بطريقة او بأخرى . وان القيادة الاسرائيلية مهتمة فقط ببقاء دولتها . وستميل مع ميلان الريح في سياق وقوع مواجهة بين الشرق والغرب : (أنا لا اعتقد ان اليهود يميلون الى اية ارتباطات وجدانية مع الشرق او الغرب ، او مع الديمقراطية او الشيوعية . . فمعظمهم قادمون من بلاد استبدادية الحكم في شرق اوروبا ولا تشكل الشيوعية رعبا لاغلبيتهم . كذلك فان الاقليات في الشرق الاوسط تَتَّبع تقليدا يقضي بوضع قدم في كل معسكر) .

وفي أي لحظة ، توقع غلوب ان تقف اسرائيل الى جانب الكتلة التي يرجح انتصارها . واذا اصبح للسوفيات اليد العليا في المنطقة فإن اسرائيل ستقف معهم وتقيم حكومة مؤيدة لروسيا (كشف غلوب هنا ليس عن انحيازه ضد اسرائيل فحسب ولكن عن جهل عميق للمجتمع الاسرائيلي وللسياسة الاسرائيلية) .

وفيما يتعلق باسرائيل ، هيمنت على تفكير غلوب فكرة لازمته طوال الوقت : وهي ان اسرائيل عازمة على الاستيلاء على الضفة الغربية وعلى نقل حدودها الشرقية عبر نهر الاردن . وفي تموز ١٩٤٩ ، لاحظ ان العديد من الناس يعتقدون أن نهر الاردن هو الحدود الطبيعية لفلسطين وان الوضع الحالي لن يستمر طويلا وان اليهود عازمون على نقل حدودهم الشرقية الى النهر .

وقد بين غلوب نفسه في مذكراته بأنه تاريخيا ، وفي اغلب الاحيان ،كان الجزء

الجبلي من فلسطين (يهودا والسامره) والذي يسيطر عليه الآن الفيلق العربي - منفصلا عن السهل الساحلي (المنطقة الرئيسية التي شكلت الدولة اليهودية بعد حرب ١٩٤٨) وكان في الغالب مدمجا مع المنطقة الجبلية في شرق الاردن والتي ناداها غلوب باسمها التوراتي «جلعاد» ضمن كيان سياسي واداري واحد . (تماما مثلما دمجت شرق الاردن والضفة الغربية بين الاعوام ١٩٤٩ - ١٩٦٧) ، لذلك لايوجد حتمية تاريخية تفرض استيعاب منطقة يهودا والسامرة الجبلية الممتدة غرب نهر الاردن في اسرائيل . ومع ذلك فقد عزز فرز اجري حديثا لاوراق الدولة الاسرائيلية في الخمسينات من القرن العشرين ويشمل معلومات من جيش الدفاع الاسرائيلي ايضا من صحة مخاوف غلوب ،وجاء في الفرز : ان شرائح كبيرة من الشعب الاسرائيلي بما فيها العديد من نخبه السياسية والعسكرية أمثال بن غوريون - واسرائيل جاليلي وهو رئيس سابق لمنظمة الهاجانا من حزب اهدوت هافادا ، ومناحيم بيغن زعيم حزب حيروت وموشي دايان رئيس اركان جيش الدفاع الاسرائيلي من نهاية عام ١٩٣٥ وحتى عام ١٩٥٨ ، تظهر نزعة للتوسع . مُفضلةً الوصول الى نهر الاردن .

ولم يكن هذا المنحنى في التفكير مقتصرا على المؤسسة الحربية او احزاب اليمين المعارضة ،فقد اطلق أباايبان وهو سفير اسرائيل الى واشنطن والامم المتحدة (ولاحقا وزير خارجية ونائب رئيس وزراء اسرائيل) تطلعات متشابهة . رغم انه غلفها بتعابير سياسية وليست عسكرية . ويعتبر ابا ايبان من قيادات الليبراليين . ومن الحمائم في اسرائيل فقد صرح : « هناك اهداف وعناصر في المثلث (الجزء الشمالي من الضفة الغربية) تشكل بدايات لتوجه نحو الانفصال عن الاردن وتنحية فلسطين الى الغرب (نحو تحالف ووحدة مع اسرائيل) ويمكن لنظام فيدرالي أن يؤهل المثلث لادارة شؤونه الداخلية . . وفي مثل هذه الظروف تصبح الحدود الحالية (اسرائيل - الضفة الغربية) حدودا ادارية خالصة . . إن تركيز سلطات الشؤون الخارجية والدفاع في عاصمة اسرائيل القدس سوف يشكل في الحقيقة نوعا من الضم للمثلث الى اسرائيل وبذا تتخلص اسرائيل من حدودها الحالية الخانقة . من المناسب أن نكرس جهدنا وتفكيرنا في السنوات القادمة نحو تحقيق مثل هذا الطموح بدلا من قصره على تعزيز هذه الحدود للأبد» . وقد رد روفن شيلو ، وهو مستشار وزير الخارجية الاسرائيلي موشيه شاريت (والمؤسس السابق والمدير الاول للموساد) ، على مقترحات أبا ايبان بالتساؤل إذا كان من الجدير ان يتم

تعزيز مثل هذه الافكار الانفصالية لدى مجموعات من وجهاء الضفة الغربية) . ولكنه ابدى اعتقاده بأن مذكرة أبا ايبان تحتاج الى اعادة دراسة . وبالتأكيد فان كبار القادة الاسرائيليين بين الاعوام ١٩٤٩ - ١٩٥٦ كانوا ينظرون الى الاردن نفسه كدولة مصطنعة وغير طبيعية لا يمكنها الاستمرار . وانها في النهاية سوف تُجَّزأ ويتم استيعابها من قبل جيرانها الاقوياء على أن تعود الضفة الغربية الى اسرائيل والضفة الشرقية الى العراق . امضى غلوب معظم وقته خلال الفترة من ١٩٤٩ - ١٩٥٦ بتبني سياسة تحفظ عسكري في وجه الاستفزازات الاسرائيلية المتلاحقة ، من اجل احباط ما كان يظن انها اهداف توسعية اسرائيلية . ومن اجل حشد النفوذ البريطاني لمساعدته . وفي اواسط عام ١٩٥٠ ، حاول غلوب اقناع الوايت هول بالمساهمة في اجراء توسع جوهري للفيلق العربي . وبيَّن ان العدو الاكثر تهديدا للاردن هو اسرائيل . وقدم تحليلا لهذا الاعتقاد . ولماذا يحتم على اسرائيل دفع حدودها نحو نهر الاردن ، متوقعا ان تقوم في النهاية بالاستيلاء على الضفة الغربية . منذ البداية ، بيَّن غلوب أن الصهيونية هي حركة ديناميكية لا يمكن أن تثبت مكانها لمدة طويلة . ولعل احد اوجه ديناميتها هو نموها السكاني المتواصل من خلال تجميع ملايين اليهود المهاجرين في اسرائيل . والنتيجة الطبيعية لمثل هذه الحالة هي المطالبة باراضي جديدة بعد عدة سنين . إذا كان هذا ما يميز المسار الرئيسي للصهيونية التي حكمت اسرائيل ، فان على يمينها ، تقف احزاب متطرفة تطالب بتجديد الاعتداءات الآن . وتدعي ان اراضي طرفي النهر بما فيها اراضي المملكة الاردنية يجب أن تلحق باسرائيل . وكان حدس غلوب بأن هذه الاحزاب المتطرفة ويعني بشكل رئيسي حزب جيروت (وهو سلف الليكود الحالي) سوف تستولي على مقاليد الحكم في الانتخابات القادمة (استبق الاحداث بعدة عقود) فقد فاز الليكود برئاسة الوزراء فقط عام ١٩٧٧ ، وفي غضون ذلك كانت حكومة حزب العمل التي تمثل المسار الصهيوني التقليدي قد استولت على الضفة الغربية ، وبدأت باسكان اليهود فيها ، ووصلت بالبلاد الى حدود نهر الاردن .

امضى الليكود فترة ما بعد عام ١٩٧٧ في تعزيز سيطرة اسرائيل على هذه الاراضي وعلى الحدود من خلال اقامة سلسلة من المستوطنات .

ووفقا لغلوب ،فقد كانت هناك عوامل اخرى (أو قد يكون) تدفع اسرائيل نحو تجديد الاعتداءات والاستيلاء على الضفة الغربية بعد عدة سنوات ويقول هنا :

« استراتيجيا ، استولى اليهود على مساحة كبيرة من الاراضي في المنطقة الواقعة بين بئر السبع وخليج العقبة في الجنوب ، (النقب) وفي الجليل (من الشمال) . ولكن هاتين المنطقتين تتصلان فقط بشريط سهل ساحلي ضيق . فيما يقف الفيلق العربي مسافة اميال قليلة عن تل ابيب وحيفا . استراتيجياً أيضاً ، يشكل هذا الوضع تهديدا خطيرا ويبدو الجيش الاسرائيلي متلهف جدا لطرد الفيلق العربي بعيدا عن هذه الخاصرة الاستراتيجية الحيوية» .

ويتابع غلوب قائلا :

«كذلك ، تبدو الناحية الدينية خطرةً ايضاً ، فالتحالف الحكومي الاسرائيلي الحالي يسيطر على الاغلبية بدعم من الحزب الديني في البرلمان (اشارة الى مزرحي لاحقا وهو الحزب الوطني الديني) . وقد صرح هذا الحزب مؤخرا وبشكل علني ، ان اسرائيل لا تعني شيئا بدون الاستيلاء على القدس بما فيها البلدة القديمة وهيكل سليمان وحائط المبكى . واذا ما تمكن الحزب المتطرف (حيروت) من اقناع الحزب الديني بامكانية الاستيلاء على القدس فان تحالفهما المشترك سيهزم الحكومة الحالي» .

احيانا ، كان غلوب يضيف ان نزوع اسرائيل للحرب والتوسع يأتي بشكل غير مباشر نتيجة المأزق الاقتصادي البائس الذي تعانيه البلاد ، فقد استغلت الحكومة مسألة التهديد العربي لتشد انتباه السكان بعيدا عن كوارثها الاقتصادية .

وفي حزيران ١٩٥٢ ، كتب الى جيفري فيرلونغ ، السفير البريطاني في عمان يقول : « ان التفسير النظري لكل ما يحدث هو أن الوضع الاقتصادي في اسرائيل حرج للغاية . وترغب الحكومة في تحويل انتباه الشعب بالتهويل بوجود عدو على الابواب ، ولذا فإن على الجميع أن يقف الى جانب الحكومة في مثل هذا الوقت العصيب» . ولعل ما اثار ملاحظة غلوب ، وجود تقرير كتبه احد مراقبي الامم المتحدة ينص بأن جيش الدفاع الاسرائيلي يصَّعد من التوتر على الحدود من اجل استفزاز الاردن للرد . وبذا يعطي اسرائيل حجة للاستيلاء على الضفة الغربية . ومن الجدير ملاحظته ان شكوك غلوب حول رغبة الحكومة الاسرائيلية بتحويل انتباه الاسرائيليين بعيدا عن المشاكل الداخلية جاء انعكاساً للتفسيرات الاسرائيلية خلال عقدي الخمسينات والستينات من القرن العشرين ، حول الاسباب التي تدفع بالزعماء العرب لمعاداة اسرائيل . وفي اوائل عقد الخمسينات من القرن العشرين توقع غلوب أن تصبح اسرائيل على استعداد سكاني

وسياسي وعسكري للتوسع مرة اخرى مع حلول عام ١٩٥٥ . ولهذا السبب طالب بأن تقوم بريطانيا بتقوية الفيلق العربي لكي يصبح قويا بما فيه الكفاية للوقوف في وجه جيش الدفاع الاسرائيلي الى حين وصول القوات البريطانية الى ارض المعركة ، والحيلولة دون سقوط الضفة الغربية (ضمن افتراض غير مذكور بأن التزامات بريطانيا الدفاعية تشمل الدفاع عن الضفة الغربية) . ان وجود فيلق قوي ، يمنع اسرائيل من تقليد هتلر وستالين والقيام باعتداءاتها ، كما قال غلوب (وقد ايد فيرلونغ حجة غلوب بقوله ان اضعاف الفيلق يزيد من شوفينيه اسرائيل) واذا لم تصبح القوات الاردنية قادرة على الدفاع عن بلادها ، فان اسرائيل ستنتهز هذه الفرصة في المستقبل لافتعال حادث يؤدي الى اجتياح الاردن وفرض امر واقع جديد أمام العالم . وكما طالب غلوب ان تقوم بريطانيا بدعم الفيلق والموافقة على توسيع عديده من «١٢٠٠٠» رجل الى «١٤٠٠٠» رجل وبحيث يمكن تجهيزه مع حلول عام ١٩٥٥ ليصبح «٢٥٠٠٠» .

بقي تفكير غلوب ثابتا على هذا النهج خلال السنين اللاحقة وفي عام ١٩٥٥ كتب يقول :

«اننا نعلم ان الحكومة الاسرائيلية قلقة من امكانية نمو قوة الدول العربية بعد عشرة او خمسة عشر سنة من الآن . والجيش الاسرائيلي يتلهف بشكل رئيسي للسيطرة على كامل فلسطين حتى نهر الاردن ، لكي يضمن لحدوده خط دفاعي مثالي يمتد من بحر الجليل الى البحر الميت . وهو ينتظر افتعال نزاع مع الاردن في اقرب وقت ممكن لكي يتمكن من تحقيق هدفه هذا» .

وفي تشرين اول من عام ١٩٥٥ كتب يقول : (ان البلد الوحيد الذي تنظر اليه اسرائيل بلهفة هو الاردن . ليس لأن الاردن بلدا مشاغبا بل لأنه يمسك بنصف القدس وبما تبقى من فلسطين . عاجلا أم آجلا ستحاول اسرائيل وبشكل مؤكد تحريك حدودها الى نهر الاردن) .

خشي غلوب أن تقوم اسرائيل باستغلال احدى المناوشات الحدودية التي ظلت تسود العلاقات الاردنية الاسرائيلية عبر السنين من اجل شن مثل هذا الاعتداء التوسعي .

احيانا يتساءل المرء هل التسلل عبر الحدود يصب سياسيا في مصلحة اسرائيل ؟

هل تمسك بهذه الحجة من اجل جو ملائم لتوسعها ؟

وعندما تحين اللحظة المنتظرة ستقوم اسرائيل بالتقدم تحت غطاء حجة هتلرية تنص على ان الاردن لا يمكنه الحفاظ على الأمن وان على الجيش الاسرائيلي ان يحتل بعض المناطق من اجل حفظ النظام . لقد تم استخدام هذا الاسلوب سابقا من قبل النازيين والسوفيات وقد اصبح مألوفا لدينا .

كانت المناوشات تحصل نتيجة للتسلل المتواصل للقرويين الفلسطينيين واللاجئين عبر الحدود الى الى اسرائيل .وخلال الاعوام ١٩٥٠ - ١٩٥٣ قدرت حالات التسلل بعشرة الى عشرين الف حادثة سنويا وكتب غلوب :

«ادعى الاسرائيليون حديثا بأن «٢٠٠٠» حادثة تسلل تقع خلال كل سنة» . ولكن بما ان هذه الارقام تدخل ضمن الدعاية الاسرائيلية فان الرقم الاكثر صوابا هو «١٠٠٠» أو «١١٥٠» حادثة .

غالبا ما كان غلوب يقول وبدقة : (ان الغالبية العظمى من حالات التسلل هي للاجئين فلسطينيين يعيشون في قرى وبلدات الضفة الغربية أو في مخيمات اللاجئين الكئيبة القذرة) . ولكن عندما كان الامر يناسب اهدافه السياسية كان يزعم ان معظم حوادث التسلل قد جرت من قبل قرويين حدوديين انتزعت اراضيهم منهم نتيجة فقدان حقوقهم فيها في اتفاقية الهدنة الموثقة عام ١٩٤٩ .

وفي احد التقارير كتب غلوب (ان التسلل كان يتم بدافع الحركة من منطقة عربية الى منطقة عربية اخرى تفصل بينهما اسرائيل . (على سبيل المثال من غزة الى الضفة الغربية) او بدافع التهريب الى اسرائيل او من خلالها . مثل تهريب المخدرات او حصاد المحاصيل وجمع الفواكه والخضار (في العديد من الحالات قطع خط الهدنة البيت عن بستانه) ، ففي قرية قطّنا غرب القدس . . اذا عبر رجل باب بيته الخلفي لالتقاط تفاحة من بستانه فقد يعتبر متسللاً . وهناك دوافع أخرى مثل الحضور الى المدرسة في الجزء العربي والعودة الى البيت في اسرائيل . او أخذ اجازة أو السرقة أو الانتقام من اخطاء قديمة . وقد ذكر غلوب في هذا السياق دير ياسين ومذبحة الدوايمة في تشرين ١٩٤٨ . وقد استفزت تفسيرات غلوب التبريرية السفير البريطاني في تل ابيب فرانك ايفانز للتعليق بأن بعض المتسللين في الحقيقة كانوا يدخلون اسرائيل بدافع الحقد والانتقام .

وكانوا يتصرفون كرجال العصابات ، ولذا فإن للاسرائيليين الحق في ردهم على اعقابهم . اضاف السفير : (أن التسلل عبر اسرائيل لم يكن طريقة قانونية للتنقل من الاردن الى غزة ولكن من المؤكد أن الانتقام وليس الجوع كان الدافع الرئيسي وراء التسلل . ووفقا لغلوب فان الحل الوحيد لمشكلة التسلل يكمن في اعادة توطين اللاجئين باسلوب منظم) .

اسهب غلوب مرارا في شرح العلاقة بين لجوء الفلسطينيين ومشلكة التسلل ، وبيّن انه في البداية ،(بدءاً من صيف ١٩٤٨ وهي منتصف الطريق في الحرب العربية الاسرائيلية الاولى) كان المتسللون يعودون ببراءة وبدون سلاح ، لم يتسلل احد في تلك الايام بهدف قتال اليهود أو أذيتهم . والاغلبية تسللوا لانقاذ بعض ممتلكاتهم او للبحث عن اقارب مفقودين او (للزراعة) . الغريب في الامر ان غلوب لم يأت على ذكر أن العديد من هؤلاء المتسللين الاوائل عادوا في الحقيقة للاستقرار في قراهم الاصلية . وربما شعر ان باعترافه هذا سيضيء ناحية ايجابية من اسرائيل ، ولعل الوحشية التي تعامل بها جيش الدفاع الاسرائيلي مع المتسللين أدت الى قيام العديد من المتسللين بحمل السلاح والتسلل تحت جنح الظلام ، متسببين في سقوط ضحايا اسرائيليين . سلح العرب انفسهم وشرعوا في اطلاق النار - هكذا كتب غلوب .

تعمّد غلوب في اوصافه وتحاليه ان يقلل من اهمية أ) العنصر الارهابي في التسلل ب) التأثيرات العكسية التي خلفّتها عمليات التسلل على اسرائيل ، سواء كان تسلل بهدف الارهاب او الاجرام او الزراعة . وغالبا ما كان يقترح - او ربما يؤمن بصدق - ان اسرائيل نفسها او الارهابيين اليهود كانوا يقفون خلف قتل اسرائيليين آخرين من اجل تقديم ذريعة استفزازية للقدس من اجل مهاجمة الاردن . ففي ربيع عام ١٩٥٣ ، على سبيل المثال ، وبعد سلسلة من الهجمات الاجرامية بالقنابل اليدوية قام بها متسللون ضد المستوطنين اليهود شرق تل ابيب ، أبرق غلوب بسخف : (من المحتمل ان يكون بعض المتطرفين اليهود قد قاموا بمثل هذه الاعمال من اجل اتخاذها ذريعة لشن الحرب على الاردن) . اذا كانت الحكومة الاسرائيلية هي التي تقوم نفسها بذلك ، فقد يكون الهدف من ذلك هو زيادة كمية الدولارات القادمة من امريكا او وضع حد للاستياء الشعبي في اسرائيل من خلال ايهامه بوجود عدو على الابواب . وقد ربط غلوب بين احتمال ان تكون اسرائيل او الاسرائيليون وراء بعض الهجمات الارهابية على الاقل من

اجل دفع الاردن لتقديم سبب لاحتلال القدس الشرقية والوصول الى اريحا على نهر الاردن وربما يكون بعض اليهود قد يئسوا من دفع الاردن للقيام بهجمات ضد اسرائيل . نتيجة لذلك فهم يستخدمون الآن جماعاتهم السرية لمهاجمة اليهود اليمينيين وبذا يختلقون ذريعة ضد الاردن . وقد نقل احد الدبلوماسيين الانجليز عن غلوب قوله : (أنه يوجد في اسرائيل العديد من المهاجرين ذوي السجلات الاجرامية . والقادمين من الغيتوات الاوروبية) . ومن السهل تحديد الجرائم الارهابية الاسرائيلية ، فقد ظلت مستمرة طوال ٢٠ سنة خلال عهد الانتداب ، وتميزت باستخدام الاسلحة الرشاشة والالغام والقنابل اليدوية التي تُقذف عبر النوافذ ، والمتفجرات التي تستهدف المنازل . والأمر يلزم ممارسة وتنظيما لكي يصبح ارهابا جيدا وهي أمور لا تتوفر الا لقلة من الاردنيين ، ولكن مع حلول عام ١٩٥٧ ، وعندما نشر مذكراته اعاد غلوب التفكير بهذا الزعم فكتب يقول : وقد كشفت التحقيقات حول الهجمات الارهابية التي شنت شرق تل ابيب عن وجود حركة جديدة تكونت ضمن مجموعة من اللاجئين في دمشق ، كان معظمهم يعملون في صفوف منظمة المفتي الارهابية في فلسطين (اضافة الى ذلك) وكانت حكومة العربية السعودية تسلح هؤلاء الرجال وتمدهم بالدعم لكي يتسللوا عبر الأردن ويقتلوا اليهود) .

كان غلوب يشعر بشفقة صادقة نحو اللاجئين الذين طردهم اليهود من بيوتهم . وظلوا يعتاشون على اغذية منظمة الاونروا التي كانت بالكاد تكفي لبقائهم احياء . . كانوا يعيشون بلا عمل ، لا شغل لهم في الليل ولا في النهار . يتلقون ما قيمته ١٣,٥ شلن أي ما يعادل ثلثي جنية استرليني طوال الشهر . وهم عرضة للتسكع والوقوع في المشاكل . والذي يبعث على الدهشة في الحقيقة انهم لم يرتكبوا جرائم اخرى ، رغم الحقد الذي يملأ قلوبهم ضد اسرائيل . إن الازعاج الناتج عن التسلل هو الثمن الذي يدفعه اليهود نتيجة للوحشية التي مارسوها في طرد السكان العرب من منازلهم .

وكان غلوب متعاطفا مع المتسللين غير الارهابيين :

(يبدو أن هناك نوع من الدافع النفسي الذي يحمل الفلاح على التعلق بارضه والموت على ترابها . ان العديد من هؤلاء البائسين يقتلون اليوم وهم يقطفون زيتونهم وبرتقالهم عبر الخط الحدودي ، رغم القيمة التافهة لهذه الفاكهة . وعندما تلمحهم الدوريات الاسرائيلية تطلق النار عليهم على الفور وترديهم قتلى دون استجواب . وفي

بعض المناسبات قام بعضهم باحضار ثور ومحراث وراح يحرث ارضه بهدوء لمسافة قليلة غرب الخط ، الى ان يظهر اليهود ويردوه قتيلا) .

وفي مكان آخر كتب غلوب :

هناك مثل عربي يقول : (إن اكثر الحكام توحشا هو ذلك الذي كان عبدا من قبل) . وفي كتابه الذي نشر حديثا . يدعي الارهابي اليهودي مناحيم بيغن أن اليهود يردُّون الآن بعد كل ما عانوه . وللأسف فانهم يلقون انتقامهم على شعب من الفلاحين البسطاء المرتبكين بدلا من أن يلقوه على الالمان والروس والبولنديين .

سارت سياسة غلوب والاردن بدرجات متفاوتة من التركيز والتطبيق على قمع التسلل او على الاقل احباطه . وكتب غلوب مخاطبا اللواء وليام رايلي رئيس هيئة اركان قوات مراقبة الهدنة التابعة للامم المتحدة عام ١٩٥١ : « بامكاني أن أؤكد لك اننا نبذل كل ما في ايدينا من جهد لمنع ذلك » . وقدم لرايلي ارقام دقيقة عن عدد الاشخاص الذين قُدِّموا الى المحاكم الاردنية او الى الضباط بتهم التسلل خلال عام ١٩٥٠ . في منطقة القدس وحدها (٥٨٩) وعدد الذين اودعوا السجون او غُرِّموا (٢٤٦ ، ٢٨٠) . وقد دعمت رسالة غلوب وفقا لكيركبرايد بعدة تدابير ميدانية مما ساعد في اقناع القيادة الاسرائيلية برغبة الاردن الصادقة في تحسين الامور .

ولم تقتصر تأكيدات غلوب على رغبة الاردن في كبح جماح التسلل ،على الرسائل التي وجهها الى المراقبين في الخارج . فقد ظهر ذلك ايضا في رسائله الداخلية إذ يقول : ان أي شخص يزور السجون او قاعات المحاكم في غرب الاردن (الضفة الغربية) يرى بعينه أن معظم النزلاء يقبعون في السجن بتهم التسلل . في الحقيقة عرضَّت الحكومة الاردنية نفسها لانتقادات لا نهاية لها بسبب استخدامها لقوانين الطوارئ من اجل اعتقال اشخاص متهمين بالتسلل حتى ولو كان الدليل غير كاف . ومع ذلك فقد غطت هجمات اسرائيل التي قتل فيها قرويون ابرياء والتي اثارت سخطا ضدها على قسوة العقوبات التي فرضتها الاردن على المتسللين . ففي عام ١٩٥٢ رفض البرلمان الاردني تمرير قانون مقدم من الحكومة ينص على سجن المتسلل الى اسرائيل مدة تتراوح بين ٣ - ١٥ سنة . ولم تناقش الحكومة في عرضها هذا اذا كان الشخص الذي يعبر الحدود لقطف سلة برتقال من بستانه يستحق السجن لمدة ١٥ سنة . ولكن حجتها كانت انه حين يفعل ذلك فان اليهود يأتون ويقتلون النساء والاطفال في احدى القرى المعزولة .

وفي مذكراته ، اكد غلوب انه على الاقل خلال سنتي ١٩٥٣ - ١٩٥٤ بذل الفيلق كل ما في وسعه من اجل منع التسلل .

كما انكر كلوب ان خطأ التسلل يقع على عاتق الاردن فقال :

(هكذا هي حال الاوضاع وهذه الحال (وجود مشكلة لاجئين ، الصهيونية واسرائيل) لم تصنعها الاردن . ولكن صنعها اليهود من خلال سياسات امريكا وبريطانيا . ومن خلال مراقبي الامم المتحدة) . وفي الحقيقة ، من الصعب أن تعثر على خطأ ارتكبه الاردن في هذا المجال . فقد قبل الاردن دائما النصيحة البريطانية ، واذعن لقرارات مراقبي الامم المتحدة ، وحاول مرات عدة استرضاء اليهود ، ولكن الظروف كانت اكبر منه . ان السلطات الاردنية في حيرة من التدابير التي يجب عليها أن تتبناها . لا يمكنها منع الافراد المتسللين ليلا عبر حدود طويلة مثل هذه . كما لا يمكنها ضمان التعاون اليهودي . والمجازر التي يرتكبها الجيش الاسرائيلي تجعل من كبح التسلل مسألة اكثر صعوبة . لم تقم وكالة الغوث بعد بتنفيذ أي خطة لتوطين اللاجئين ، ويوجد في الاردن نصف مليون من هؤلاء ، يعبر العديد منهم الحدود تسللا الى اسرائيل في كل ليلة .ويتم القبض على ثلثهم من قبل الشرطة الاردنية ويودعون السجون ويقتل البعض منهم على يد اليهود أما الباقون فيعيشون ليتسللوا مرة اخرى .

كان غلوب يعتقد أن التسلل هو مشكلة يجب أن تعالجها الشرطة ، وتتطلب تعاونا بين الشرطة الاسرائيلية والاردنية عوضا عن تدخل الجنود الاسرائيليين . في المقابل كان الاسرائيليون يعتقدون أن التسلل هو مشكلة اردنية ويجب كبحه من قبل السلطات الاردنية وحدها . وعندما كان الاسرائيليون يوافقون في بعض المناسبات على التعاون مع الاردنيين عند الحدود ، كان عدد حالات التسلل ينخفض كما كتب غلوب . وكان غلوب يشك ان التغيرات التي يسمعها من الجانب الاسرائيلي ، تعكس دليلا على تحول لدى القيادة الاسرائيلية بين مكتب وزارة الخارجية المعتدل وبين الجيش الاسرائيلي . وعندما يتم الموافقة على التعاون مع الاردن ، فان الامر يعني ان مكتب الخارجية قد ربح جولة . ولكن عندما لا يتم الاتفاق وتبدأ عمليات قتل المتسللين من جديد فهذا يعني أن الكفة قد رجحت لجهة الجيش الاسرائيلي .

وقد تمكن غلوب ببصيرته المتقدة ان يكتشف مبكراً ذلك الصدع السري والمحكم التموية في الحكومة الاسرائيلية ، والذي دفع بالصراع ليصبح اكثر بروزا واكثر حدة في اواسط عقد الخمسينات بين المعتدلين الذين يقودهم وزير الخارجية شاريت وبين الناشطين او المحاربين بقيادة رئيس الوزراء بن غوريون ودايان رجل المؤسسة الحربية .

غلوب والردود الاسرائيلية على التسلل

كان غلوب يشعر بالسخط والغضب امام الوسائل التي استخدمها الاسرائيليون خلال تلك الفترة في قمعهم للتسلل «جزئياً» كان الامر يتعلق بالاخلاقيات وبنظرته الى المسلكيات التي يجب ان يتبعها العسكر ، أما من ناحية اخرى فقد كان متأثراً بوجهات نظره السياسية والعسكرية حول مصالح الاردن وتعرضه للاعتداء .

اطلاق النار بهدف القتل

«كان الجيش الاسرائيلي يقتل المتسللين الذين يعتقلهم على الفور دون محاكمة . ولعل فتوحات كورتيز وبيزارو في جنوب امريكا لم تكن اقل غطرسة وقسوة على الاهالي الأصليين مما فعله اليهود . وقد يكون من سخرية القدر انه في الوقت الذي كانت اعظم الامم في الغرب تتعهد بالتخلي عن سوء معاملتها السابقة لشعوب الشرق ، كان اليهود المضطهدون يبدأون بصنع امبريالية جديدة في آسيا» .

هكذا كتب غلوب عام ١٩٥٣ . ووفقا لاغلب الوثائق المتوفرة بما فيها سجلات جيش الدفاع والشرطة الاسرائيلية ، فإنّ في كلام غلوب مبالغة ، ان لم يكن تضليلا . ففي حين كانت حرية اطلاق النار تمارس على الحدود حيث تقوم قوات جيش الدفاع والشرطة وحراس المستوطنات باطلاق النار على أي شيء يتحرك ، لم يكن هناك شك انه حين يتم القبض على متسللين في معظم الاحيان . وفي اغلب قطاعات الحدود ،فان اغلبية هؤلاء لم يقتلوا على الفور بل كانوا يخضعون فورا او لفترة من الوقت للسجن ثم يطردون الى الدول المجاورة في حين كان عدد منهم يعتقل مصابا بجراح بليغة وتتم تصفيته على الفور .

ومن الجدير ملاحظته هنا ، انه في حين اشارت السجلات الاسرائيلية بأن رجال جيش الدفاع والقوات الامنية الاخرى قتلت ما بين ٢٧٠٠ - ٥٠٠٠ متسلل خلال الفترة من عام ١٩٤٩ - ١٩٥٦ ،كان غلوب يجادل احيانا بأن هذه الاحصائيات الاسرائيلية قد

تم تضخيمها وتفصيلها لتظهر للعالم ابعاد مشكلة التسلل التي تعاني منها اسرائيل . وفي الحقيقة كتب مرة أن عدد الوفيات بين المتسللين التي تم اعلام الشرطة الاردنية عنها تبلغ فقط ٧٪ من الاعداد التي كان الناطق العسكري الاسرائيلي يذكرها ، وبيَّن غلوب أن السلطات الاردنية كانت تعلم بشكل او بآخر عندما تقع حادثة قتل للمتسللين (فالأرملة كانت تنوح والأمر يجذب بعض الانتباه) وبيت القصيد هنا هو أن عدد المواجهات أو عدد القتلى من المتسللين ،على الأقل على الجبهة الاردنية كان أقل بكثير من العدد المعلن من قبل اسرائيل .

بين الفينة والاخرى كانت تحدث حالات يقوم فيه جيش الدفاع الاسرائيلي بالقبض على متسللين واعدامهم . وفي العادة كان يتم فرض عقوبة على هؤلاء الجنود ولو بشكل مخفف جدا .

الطـرد

مع بداية شهر كانون أول ١٩٤٨ ، اخذ الجيش الاسرائيلي يقوم بعمليات مداهمة منظمة للقرى العربية المسكونة والمهجورة داخل اسرائيل ، بحثا عن سكان غير قانونيين او عن متسللين . وكان تعريف المتسلل لدى السلطات يشمل أي شخص لا يملك بحوزته تصريحا اسرائيليا ساري المفعول او بطاقة كانت قد اعطيت فورا لجميع السكان خلال شهري تشرين اول وتشرين ثاني من العام ١٩٤٨ . (واعطيت الى بدو النقب خلال الاشهر او السنين اللاحقة) ومعظم المتسللين كانوا من سكان فلسطين في فترة ما قبل عام ١٩٤٨ ، وكانوا قد هربوا من بلادهم خلال الحرب لذلك لم يكونوا متواجدين في بيوتهم خلال الاحصاءات المتكررة (التي كانت تتم حال الاستيلاء على أي منطقة ابتداء من شهر تشرين اول ١٩٤٨) وكان هؤلاء المتسللين يُجمعون ويطردون على الفور في جماعات عبر الحدود او يلقون في السجون ومن ثم يتم طردهم لاحقا . وكان معظمهم يطردون الى الضفة الغربية . الا أن البعض كانوا يلقون على الحدود اللبنانية او يرسلون الى قطاع غزة . ولكن في يوم الحادي ولاثلاثين من ايار قام الجيش الاسرائيلي بطرد مجموعة تعد «١٠٠» عربي معظمهم من المتسللين الذين قبض عليهم عبر الحدود في وادي عربة . وهو واد مسطح حار يمتد على الحدود الشرقية للنقب . كان بعض هؤلاء قد تعرض للتعذيب في معسكرات اعتقال قبل أن يتم نقله الى وادي عربة والبعض الآخر قد تعرض للضرب في الشاحنات . وقد القي الجيش الاسرائيلي بهم على الحدود

بدون ماء وغذاء . وهام معظمهم على وجوههم تحت شمس حارقة الى أن التقطهم بعض البدو او بعض دوريات الفيلق العربي خلال الأيام التالية ، في غضون ذلك كان ٢٠ - ٣٠ منهم قد قضوا نحبهم بسبب الجفاف او الارهاق . جن جنون غلوب : لقد كان هذا عملا ساديا كما اطلق عليه . جهَّز غلوب ملفاً مفصلا أرسله الى لجنة الهدنة المشتركة والى الصحف والى البرلمانات في الخارج والى كيركبرايد وكتب في الرسالة التي ارفقها الى كيركبرايد (فيها الكثير من المبالغة لدرجة اضعاف القضية) .

(لا يوجد ادنى شك بأن العرب في اسرائيل يتعرضون للزج في معسكرات تعذيب مشابهة لتلك التي تعرض لها اليهود ابان الحكم النازي . ولكن بدرجة اخف قليلا . لست أدري اذا كان اليهود يبتغون سلاما ، قد اجرؤ على القول بأنهم كذلك ولكني في نفس الوقت اراهم مستمرين في اتباع سياسة القهر والارهاب ضد العرب الذين يقعون في قبضتهم . هناك اقلية لا بأس بها من العرب في اسرائيل واعتقد أن اليهود يريدون تهجيرهم جميعا . لذلك يحاولون دفعهم نحو الهجرة بضربهم بالعصي المطاطية وقلع اظافرهم كلما سنحت الفرصة بذلك . لا أدري اذا كانت هذه هي سياسة مجلس الوزراء الاسرائيلي . ولكنه بالتأكيد يعلم بها على الاقل . ان الوحشية التي تتم بها هذه الاعمال هي اكبر من ان تنسب الى سادية بعض الافراد العسكريين) .

ربما اعتقد غلوب ، ان القيادة الاسرائيلية كانت تسعى في الاساس الى السلام ، ولكنها تعتقد أن افضل طريقة للوصول الى هذا السلام هي في تركيع العرب واذلالهم . إذا كان الامر هكذا فهي على ضلال : (ان السخط يتعاظم في الاردن والنقمة بلغت اوجها امام هذه الحادثة) . بشكل عام اشار غلوب الى أنه بينما كانت الخروقات في الهدنة تتم على يد افراد عرب تعساء ، فان اعمال القتل والارهاب من الطرف الاسرائيلي تمارس من قبل قوات حكومية ترتدي بزات رسمية .

سياسة الانتقام

عندما وجد الاسرائيليون ان قتل المتسللين العرب لم يمنع اللاجئين من العودة الى منازلهم بدأوا باتباع سياسات انتقامية . كما كتب غلوب عام ١٩٥٤ واصفاً بدقة طبيعة وتطور الضربات الانتقامية الاسرائيلية خلال الفترة بين عام ١٩٤٩ - ١٩٥٣ . في البداية كان يدخل الى القرية العربية ثمانية او عشرة جنود سرائيليين ويقتلون شخصين او ثلاثة

ثم ينسحبون ، ومن اجل مقاومة هذه الاعتداءات تأسس الحرس الوطني ووزعت عشرة بنادق على كل قرية مما عرّض الجنود الاسرائيليين الذين يعبرون الحدود الى القتل .

وللتعامل مع هذا الوضع صعَّد اليهود عملياتهم الانتقامية برفع مستوى التدخل الى حجم فصيل . وكانت القوة التي تدخل الى القرية العربية تقدَّر بحجم فصيل وتقوم بقتل اول ستة اشخاص يواجهونها ثم تنسحب او تحاصر منزلا وتنسفه على من فيه . وفي عام ١٩٥٣ صعَّد اليهود من هجماتهم مدخلين سرايا كاملة في المعركة ، ومع حلول منتصف العام تطور الامر الى اقحام كتائب كاملة في المعركة . وخلال الفترة الممتدة بين عامي ١٩٥٥ - ١٩٥٦ كانت قوات على مستوى كتيبة تعبر الحدود وتنسف اهدافا مختارة واكثر صعوبة مثل معسكرات للجيش ومخافر للشرطة . وقد وصف غلوب اسلوب التصعيد هذا ببعض الدقة قائلا : "حيث فشلت القوة في تحقيق هدفها بادر اليهود الى الظن بانها لم تكن قوة كافية ، لذلك كانوا يقررون اعادة الكرة بقوة اكبر .

وخلال تلك الفترة ، وفي كل مذكرة اصدرها غلوب ، ظل يشير الى اعتقاده بوجود عامل نفسي آخر وراء هذه الضربات الاسرائيلية .

(قد يكون التفسير هو : ان اليهود لديهم دافع نفسي لاستخدام القوة . فالافراد او الشعوب التي عانت من الاضطهاد او التي اسُتعبدت لفترة طويلة تتوق الى الكيل لغيرها بنفس المكيال ، فاليهود الذين ظُلموا وُقمعوا لفترة طويلة ، يريدون الآن أن يبرهنوا لانفسهم انهم ليسو أحط قيمة من غيرهم من الاعراق وانهم ايضا يستطيعون ممارسة القتل والتدمير . وقد قيل ان اليهود يعانون داخل عقلهم الباطني من وجود دافع لقتل وتدمير المستضعفين كتعويض عما عانوه .ولدى الاسرائيلين رغبة لا تقاوم بان يصبحوا شعبا سيدا .وغالبا ما يصرِّحون بازدراء ان العرب لا يفهمون سوى لغة القوة ويدعَّون ان سياسة الطلعات الانتقامية ضد السكان بين الحين والآخر هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها تلقينهم درساً ليبقوا في اماكنهم) .

على ذلك اجاب غلوب : (لا يوجد عرق في العالم يفهم فقط لغة القوة . ومن السخرية التفكير باطلاق مثل هذه التصريحات في فلسطين حيث القيت الموعظة على الجبل) .

وتابع غلوب ، (في الفترة حتى اواخر ١٩٥٤ كانت هذه الردود الانتقامية دائما لا

تتناسب مع الجريمة التي اثارتها وغالباً ما مست المدنيين الابرياء من سكان الحدود في الضفة الغربية ولم تؤثر ابدا على المتسللين بقصد الارهاب او المتسللين بقصد الطعام والذين كان اغلبهم من اللاجئين) :

ولعل احدى اكثر حجج غلوب المرفوعة في وجه سياسة الانتقام هي : أن هذه السياسة لم تؤت ثمارها ، مشيرا الى انهم ومنذ اوائل عام ١٩٥١ ظلوا يستخدمون سياسة الاعتداءات الانتقامية ولمدة سنتين ونصف ، الا أن الامر اصبح اكثر سوءا اليوم . ولم تفشل هذه الاعتداءات الانتقامية في ايقاف موجة التسلل فحسب ، بل جاءت بعكس مفعولها مثيرة المزيد من العنف المضاد لها ، ويعطي غلوب مثلا على ذلك الجندي حمد حميد وهو احد افراد الفيلق والذي قُتل ابن عمه في احدى الاعتداءات الاسرائيلية على قرية بيت لقيا يوم الأول أو الثاني من ايلول عام ١٩٥٤ ،حيث قام اثر ذلك ،وتمشيا مع سياسة الرد التي اتَّبعها الاسرائيليون ، بمهاجمة القوات الاسرائيلية في بير ام ماعين وقتل اثنين منهم قبل أن يسقط برصاص دورية لجيش الدفاع الاسرائيلي .

وقد خلص غلوب الى انه إذا استمر الاسرائيليون باتباع مثل هذه السياسة ، فمن الطبيعي ان يقوم احد الافراد الذين تضرروا من هذه الهجمات بالرد . إلا أن غلوب فشل في الاشارة الى أن سياسة الرد الانتقامية نجحت بعد عام ١٩٥٣ الى الحد الذي دفعت فيه الاردنيين للقيام بمزيد من القمع لحركات التسلل . حيث قاموا بعدها بنشر وحدات الفيلق على طول الحدود ، وكان هذا احد الاسباب التي ادت الى تقليص عمليات التسلل الى أن خفت تدريجيا اواخر فترة ١٩٥٣ - ١٩٥٦ .

اكثر من مرة ،اورد غلوب احتمال أن يكون الهدف من الغارات الاسرائيلية الانتقامية ليس الضغط على الاردن لايقاف التسلل . بل لاجباره على عقد الصلح . ولكن إذا كانت الامال الاسرائيلية بهذا الاتجاه فانها بلا شك تقوم على اسس خاطئة . فقد عقد الاردن صلحا قبل سنة ونيف . ومنذ ذلك الحين تضاءلت المشاعر تجاه الصلح اكثر واكثر بشكل سبب الاعتداءات الاسرائيلية (الغارات الانتقامية في الاساس . كتب غلوب اوائل ١٩٥١) .

كما بيَّن سبباً آخر لما كان يعتقد بأنه سياسة اسرائيلية عدوانية فقال :

(الحياة في اسرائيل ليست سهلة ، فالطعام شحيح وتكاليف المعيشة عالية . كما أن

الامر لا يقتصر على التجنيد الالزامي فحسب ، بل يتعداه الى زعزعة حياة المواطنين من خلال عمليات التعبئة والمناورات المتواصلة . ومن اجل دفع الرأي العام لقبول مثل هذا الوضع ، تجد الحكومة (أو ربما قوات الجيش وحدها) من المناسب أن تردد دائماً نغمة وجود عدو على الابواب .

خلال الفترة الممتدة بين عام ١٩٤٩ - ١٩٥٣ ظلت الاعتداءات الانتقامية الاسرائيلية توجه ضد القرى الحدودية للضفة الغربية بهدف :

أ - منع السكان المحليين من سكان القرى المجاورة من القيام بالتسلل او من ايواء المتسللين وتشجيعهم .

ب - من اجل الضغط على الدولة الاردنية ودفعها لاتخاذ اجراءات ضد المتسللين .

وقد اثارت هذه الاعتداءات المشاعر البشرية الطبيعية نحو الانتقام . الا أن هذه السياسات الانتقامية كانت مدفوعة ايضا بحسابات داخلية : فقد اراد الحزب الرئيسي المهيمن «ماباي»» ان يستعرض صلابته ضد العرب (لأن الليونة تفقده التأييد الشعبي والاصوات) اضافة الى حاجة جيش الدفاع الاسرائيلي لتدريب قواته على القتال وابقاء معنويات سكان المستوطنات الحدودية عالية . ولكن في تشرين اول من عام ١٩٥٣ ، قام الجيش الاسرائيلي باعتداء ضخم على القرية الحدودية في الضفة الغربية «قبيا» اثر مقتل ام وطفليها بقنبلة يدوية القاها احد المتسللين العرب على منزل في مستوطنة يهودية قريبة . وقد قام الجنود الاسرائيليون وبناء على اوامر واضحة من القيادة المركزية ، بقتل ٦٠ قرويا ونسف ٤٥ منزلا قبل انسحابهم وادت صيحات الاحتجاج في الغرب يرافقها حظر اميركي وبريطاني وتعنيف من مجلس الأمن ، اضافة لبعض النقد الداخلي الصامت الى قيام الحكومة بتغيير سياستها الانتقامية بحيث اصبحت الاعتداءات بعد ذلك توجه ضد معسكرات الجيش ومخافر الشرطة بدلا من المدنيين .

ولعل اكثر الغارات خطرا كانت تلك التي شُنت على معسكر للجيش المصري ومنشآت ملحقة به في غزة يوم ٢٨/شباط/١٩٥٥ وقد قتل في الهجوم اربعون جنديا مصريا ، وهو اعلى رقم قتلى خلال الغارات الاسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ . وقد هزت الحادثة العصبة العسكرية الحاكمة في مصر . ودفعت المصريين الى اتباع مواجهة مع اسرائيل شملت اقامة تعاون تسليحي مكثف بين مصر والكتلة السوفياتية . ودفع

مجموعات من المقاتلين الارهابيين (الفدائيين) عبر الحدود داخل اسرائيل ، العديد منهم عبر الحدود الاردنية . ردت اسرائيل بضربات انتقامية اقوى ضد الجيشين الاردني والمصري . وهكذا فتحت غارة غزة الطريق امام دائرة فورية من العنف نتج عنها اجتياح الجيش الاسرائيلي لشبه جزيرة سيناء في شهري تشرين أول وتشرين ثاني عام ١٩٥٦ . وشكل هذا الاجتياح مساهمة اسرائيل في العدوان البريطاني الفرنسي الاسرائيلي ضد مصر عبد الناصر في حرب السويس .

وانطلاقا من نقطة زمنية في عام ١٩٥٥ ، قررت اسرائيل اثارة حرب مع مصر من اجل سحق الجيش المصري والاستيلاء على ارض استراتيجية وخلع الرئيس المصري المهدد ناصر الذي بدا وكأنه على وشك إقامة وحدة عربية موجهة ضد اسرائيل تحت إمرته تهدف ضمنيا الى التلويح بتدمير اسرائيل .

ولكن غلوب ، ومن معقله في عمان ، رأى هذا الاحتكاك المصري الاسرائيلي من منظور مختلف . فقد ظل الاردن يبذل كل جهده لكي يتجنب اعطاء اليهود ذريعة لغزو الضفة الغربية - كما كتب - ولكن تزايد قوة ناصر وقعقعته بالسلاح ، ادت بطريقة غير مباشرة الى تمكين اسرائيل من ضرب الاردن . وقد قام غلوب برسم السناريو التالي : (ستقوم اسرائيل ردّاً على التحرشات المصرية بالاستيلاء على قطاع غزة ومن ثم يرد المصريون باعتداء من قبلهم . فيما لا يبقى خيار أمام باقي العالم العربي وتحت ضغط والحاح من مصر سوى التدخل في المعركة الى جانب مصر . وهكذا تسنح الفرصة لاسرائيل لاحتلال الضفة الغربية) . وفي الحقيقة ، كان غلوب يعتقد ان عودة بن غوريون الى رئاسة مجلس الوزراء الاسرائيلي (شباط ١٩٥٥) كانت تهدف الى اعلان الحرب على الاردن . وكان هو وهيئة اركان جيش الدفاع الاسرائيلي قد قررا القيام بحرب وقائية بهدف نقل حدود اسرائيل الى نهر الاردن . والحقيقة التي كانت مجهولة لغلوب ، هي ان بن غوريون قد ترأس جلسة في اوائل نيسان من عام ١٩٥٥ دعى فيها الى احتلال قطاع غزة . ولكن مجلس الوزراء رفض ذلك . فاسرائيل لم تكن في حقيقة الامر ترغب في غزة التي تضم عدد من اللاجئين يقدر بمئتين وخمسين الفا . ولكن الاردن سيصبح بعد سقوط غزة في وضع غير مستقر . وقد كتب غلوب في هذا : انه مع قيام الاسرائيليين بقتل العديد من الفلسطينيين في غزة ، سيتعاظم الضغط على الاردن للتدخل ، وقد لا يكون هذا تماما ما تطلبه اسرائيل . فالموقف سيسوده الاضطراب لدرجة

ان اسرائيل قد تدَّعي ان الاردن هاجمها وان اتفاقية الدفاع المشترك بينه وبين بريطانيا لم تعد سارية المفعول . وعندها ستلقي بكل ثقلها ضد الاردن (في المقابل قد يبدى الاردنيون بعض التحفظ ولا يتهورون ولكن المصريين واصدقائهم السعوديين سيطلقون الصراخ ضد الاردن وبريطانيا حول خيانة الفيلق العربي) . وقد طالب غلوب بأن تقوم بريطانيا وامريكا باستخدام القوة ضد من يلجأ الى الحل العسكري وتهدده بفرض حظر اقتصادي عليه . فاذا هاجمت اسرائيل غزة ، رغم ذلك ،عندها يتوجب على بريطانيا وامريكا ارسال وحدات جوية الى ليبيا وقبرص وارسال انذار نهائي الى الطرفين . وقد ابدى اثنان من مسؤولي الخارجية (أي .ام .روز وسي . أي . شكبرغ) ملاحظة جاء فيها ان تقرير غلوب كان ساذجا وتحذيريا ولكن روز اتبع ذلك قائلا : أنا اعتقد أن افكاره تحمل وزنا . . ومن الجدير ذكره هنا أن فكرة غلوب بارسال انذار نهائي مزدوج الى اسرائيل ومصر قد تم تطبيقها من قبل فرنسا وبريطانيا عندما شنا اعتدائهما على مصر في شهر تشرين اول وتشرين ثاني من عام ١٩٥٦ .

ومع حلول شهر تشرين اول ١٩٥٥ ، ترسخ تفكير غلوب حول التوترات الاسرائيلية المصرية والسياسات الاسرائيلية المصرية مع تغيير بارز في الطريقة . فقد كانت مصر التي ظلت تكافح منذ شهر شباط ضد الجهود البريطانية والامريكية المبذولة لادخال الدول العربية ضمن حلف معاد للسوفيات اطلق عليه اسم «حلف بغداد» . تنظر الى وقوف الاردن مع بريطانيا كشوكة في جسدها ، لذلك كانت مصر ترغب بشدة في رؤية الاردن يختفي من الخريطة ، وربما كانت ترغب في ترك الاسرائيليين يتحركون نحو نهر الاردن ، واذا ما تم تقاسم الضفة الشرقية بين سوريا والسعودية ومصر فان هذا سيدفع مصر اكثر الى اسقاط العرش الهاشمي وفقا لرأي غلوب في الوضع .

وفي مثل هذه القراءة تصبح المناوشات الاسرائيلية المصرية العوبة يستخدمها ناصر لفرض هيمنته على العالم العربي .

وفي منظور مضلل جدا لخارطة الشرق الاوسط يسخر غلوب من فكرة اعتداء اسرائيلي على مصر ويصفها بأنها ابعد من الخيال ، فصحراء سيناء تشكل عائقا طبيعيا وسوف تتدخل القوى العظمى بالتأكيد قبل أن تتمكن اسرائيل من التغلب على مصر . كما ان اسرائيل لن تغامر بارسال جيشها الى مصر تاركة حدودها الاخرى مهددة من

العرب . لذلك كما يستنتج غلوب ، لا يبدو هناك خطر من وقوع حرب بين مصر واسرائيل . . كما أن اسرائيل ايضا لا تريد قطاع غزة ، ولكن مصر باستمرار صراخها وتهديدها وتكريسها للسلاح تقدم خدمة جليلة الى اسرائيل ، لأن هذا الضجيج المصري سيجعل اسرائيل اقوى واقوى ، عدا انها ستقوم بشراء المزيد من السلاح وسيزداد التعاطف معها وقد توقع اتفاقية دفاع مشترك مع الولايات المتحدة . كل هذا لن يقلق مصر ، فالبلد الوحيد الذي تنظر اليه اسرائيل بعين الشهوة هو الاردن . ولكن الفيلق العربي في الاردن لن يدخل في سباق تسلح . فالاسلحة التي حظيت بها اسرائيل نتيجة خوفها من مصر يمكن ان تنقلب في لحظة معينة لتوجه ضد الاردن . ربما نستطيع الزعم بأن غلوب كان مدركاً لهشاشة مثل هذا التحليل الجيو - بوليتيكي ، لذا فقد ادخل نوعا من الحدس المتطرف في قراءته .

غلوب والرأي العام الغربي

كان غلوب يؤمن ايمانا كبيرا بقوة الصحافة ، وكقائد عسكري في العالم العربي ، كان غلوب يقدم للصحفيين دائما ايجازا عن خلفية الاوضاع ويقيم معهم الحوارات التي تميزت رغم قلتها بصراحة مطلقة . وكما رأينا سابقا ، فقد ذكر غلوب ان اليهود سيطروا على الاعلام الغربي لكي يمدهم بتأييد الرأي العام والدعم الحكومي ، ونرى غلوب اكثر من مرة يقحم في تأملاته واحاديثه تلميحات مضادة للسامية . فخلال الاعوام ١٩٤٩ - ١٩٥٦ كان غلوب يندب باستمرار سيطرة اليهود على الصحافة الغربية ، وعدم قدرة توصيل الرواية العربية للاحداث الى آذان المستمعين .

والنتيجة كانت بالطبع ترك الرأي العام العالمي في ضبابية شاملة . وقد كتب عام ١٩٥٣ حول غارات اسرائيل الانتقامية يقول :

(ان العرب لا يعرفون كيف يتعاملون مع الاعلام . في حين يسيره اليهود على طريقتهم طوال الوقت ، فهم اكثر الناس حذقا في العالم . الا أن المرء احيانا يتساءل ما الذي يفعلونه باعتقادهم . انهم معلقون على رأس جسر متقلقل في آسيا ، يقضون وقتهم في اطلاق النار على سكان من القارة واهانتهم واذلالهم وازدرائهم واثارة نقمتهم . الى اين يظنون انفسهم ذاهبون ، انهم بحاجة الى سلام ولكنهم يريدون سلاما في ظل هيمنتهم) .

كان غلوب يؤمن ان النقد الموجه ضد تصرفات اسرائيل في الاعلام الغربي يقلص من عدوانيتها وكتب عام ١٩٥١ يقول :« النقد هو من الاشياء القليلة التي لا يحب الاسرائيليون سماعها . وهم حساسون امام الفظائع التي يرتكبها جيشهم » ولعل سماع العالم عن فظائعهم يحد من تكرارها . وقد ابدى غلوب استحسانه للملفات التي جمعها الفيلق ووزعها في الغرب حول حادثة الطرد وتعذيب المعتقلين في وادي عربة . لانها ساهمت في انهاء هذه الممارسات كما كان غلوب واثقا بعد اصدار ملف حول التمثيل بجثث العرب في تلك السنة بأن هذا سيدفع الاسرائيليين الى الاحجام عن مثل هذه الممارسات في المستقبل . « لم اتمكن من العثور على هذا الملف » .

ولكن غلوب كان اقل نجاحا في تعامله مع الصحافة الغربية ، بدا وكأنه رجل عسكري جاف متشبث برأيه . كان يتحدث بكل ما في داخله بغلو ظاهر في اغلب الاحيان ، مقيما عواطفه وآرائه في تقرير الحقائق وقد تسببت مقابلاته مع الصحافة في تلك الاعوام باحراج أسياده في الوايت هول (ولكنها قوبلت كذلك بصيحات التقدير من زملائه العرب) . وفي تموز عام ١٩٤٩ نشر صحافي يدعى لورنس جريسوولد مقابلة مع غلوب في سلسلة صحف تحالف امريكا الشمالية وفي مجلة بالستين بوست في اسرائيل ، نقل فيها عن غلوب اتهامه لليهود بانهم يتصرفون مثل فاتحين اوروبيين متعجرفين متوقعا اقصاءهم تماما عن فلسطين . إثر ذلك ، رفع وزير الخارجية الاسرائيلي موشيه شيرتوك (شاريت) شكوى الى الحكومة البريطانية متهما غلوب بتكرار التعابير التي تزخر بروح الحرب وطالبها باسكاته . كما كتبت صحيفة بالستين بوست نفسها في افتتاحيتها ليوم ٦/تموز/ ١٩٤٩ متهمة غلوب بالتحامل على روح السلام . وقد تم اجراء تحقيق من قبل مكتب وزارة الخارجية وابلغ بيري غوردون نائب كيركبرايد لندن بأن مقال بالستين بوست ملفق - لكن من الصعب على غلوب أن يستنكره لانه لاقى استحسانا كبيرا لدى العرب . وظل اليهود يحملون ضغينة خاصة اتجاه غلوب ويتقبلون أي ضربة عصا توجه له . وحقيقة الامر ان غلوب كان يظهر تحفظا شديدا في مقابلاته النادرة مع الصحفيين . . حتى أن احد الدبلوماسينن البريطانيين اضاف في هذا السياق ان مجلة بالستين بوست لا تكف عن بث حقدها السام ضد البريطانيين .

وفي النهاية تبين أن غلوب لم يعط جريسوولد مقابلة بل تكلم معه بايجاز قبل اشهر من نشر المقابلة المزعومة التي ضمت بعض ما استطاع غريسوولد تذكره او تخيله في حديثه مع غلوب .

واخيرا قرر وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطاني هكتور ماكنيل بأنه كان على غلوب ان ينكر المقابلة فورا وانه يجب ان يبلغ بهذا القرار . ولعل المقابلة الاكثر خطورة كانت تلك التي نشرتها النيويورك تايمز في عددها الصادر يوم ١٨/حزيران/١٩٥٣ والتي يشبّه فيها غلوب الاسرائيليين بالنازيين . وقد بيَّن فيها أن موجة الاعتداءات التي ارتكبت في اسرائيل نفذها ارهابيون اسرائيليون بهدف استفزاز الاردن تحت علم السلطات الاسرائيلية . كما جادل بأن الاعتداءات الاسرائيلية على الحدود تخفي من ورائها رغبة الاسرائيليين باثارة نزاع واسع يمكنهم من خلاله توسيع رقعة حدودهم . وان استمرار وتيرة هذه الاعتداءات القائمة على الحدود قد خدمت اهداف القيادة السياسية في اسرائيل في صراعها مع اليمين المتطرف وجلبت لها المزيد من التبرعات من اليهود الامريكيين .

واخيرا حاول غلوب ان يوحي في مقابلته ، ان ما يقف خلف هذه الاعتداءات الاسرائيلية هو رغبة نفسية لدى الاسرائيليين لنفث غضبهم على الآخرين ودفعهم الى المعاناة ردا على معاناتهم السابقة عبر القرون . كذلك تكلم غلوب عن وصول العديد من المهاجرين اليهود ذوي السجلات الاجرامية قادمين من غيتوات اوروبا .

ولعل ما دفع غلوب على اجراء هذه المقابلة مع المراسل الصحفي كينيث لاف وادلائه بما ادلى به من الحديث ، هو مقال صهيوني متطرف صدر في الاسبوع السابق تحت عنوان «حروب اسرائيل الصغيرة على الحدود» بقلم دانا ادفر سميث في مجلة نيويورك تايمز عدد ١٤/حزيران/١٩٥٣ والذي صدر في الاسبوع السابق .

وفي يوم ٢٢ /حزيران اشتكى السفير الاسرائيلي في لندن الى مكتب وزارة الخارجية متهما غلوب بالمحاباة وعدم الصدق . وبأنه يشجع المتطرفين ومثيري القلاقل في الاردن ، كما أن الشعب الاسرائيلي ينظر الى غلوب على انه عميل بريطاني ويعبر عن سياسة بريطانيا في المنطقة . وقد طالب السفير الحكومة البريطانية بالنأي بنفسها عن تلميحات الجنرال غلوب . وعلى هذا اجابت وزارة الخارجية بأن الاردن تعرض للشتم باستمرار من قبل الناطق الاعلامي الاسرائيلي ، لذا فليس من المفاجئ ان تجيب عمان بهذه الطريقة ، ومع ذلك فقد اقرت الحكومة البريطانية بأن تصريحات غلوب هي في غير محلها .

وفي دوائره الخاصة ، اكد توني مور النائب البريطاني الذي ترأس بعثة الى تل ابيب ان غلوب قد ذهب بعيدا في الكلام وخاصة في قوله ان الحكومة الاسرائيلية تدرك بأن الاعتداءات التي تتهم الاردن القيام بها هي في الحقيقة صنيعة ارهابيين تابعين لها . وقال مور ان ما نسب الى غلوب من قول يلمح بأن الحكومة الاسرائيلية لا تستغل مثل هذه الجرائم فحسب بل تشجع على القيام بها . واتهم مور غلوب بأنه لا يملك خيطا واحدا من الادلة لدعم مثل هذه الاتهامات ، كما أن نتائج التحقيقات التي اجرتها لجنة الهدنة التابعة للامم المتحدة لا تدعم هذه التكهنات ايضا ، كذلك وصف مور تصريحات غلوب المعادية للسامية بأنها وقحة وخاصة اشارته الى الغيتوات الاوروبية وتشبيه السياسة الاسرائيلية بسياسة النازيين ، واخيرا اكد بأن قول غلوب بأن هذه الاعتداءات تخدم سياسة الحكومة ضد معارضيها من المتطرفين اليمينيين قد ادى الى تفاقم المشكلة نتيجة كون غلوب من التابعية البريطانية ، ويعمل قائدا للفيلق العربي ، جيش العدو والمدعوم من الحكومة البريطانية . وقد اوصى مور بأن تقوم الصحافة البريطانية في عمان وغلوب نفسه بتغيير الناطق الاعلامي .

ولكن هذه المشادات التي رافقت ظهور غلوب في الصحف والتي اخذت مكانا بارزا بمختلف الطرق ، شكلت فقط جانبا من المشهد ، فالموضوع الرئيسي كان اشتباكات الحدود ، وبدون شك فقد ساهم تواصل الاعتداءات الاسرائيلية ضد الاراضي الاردنية والمدنيين الاردنيين في اضعاف الموقف البريطاني في الاردن . وبالتالي اضعاف مكانة الضباط البريطانيين في الفيلق العربي . وقد نددت القيادات السياسية الاردنية مرارا بسياسة عدم التدخل والسكوت التي تنتهجها بريطانيا ازاء اسرائيل وخاصة عدم تحريك الوايت هول لاتفاقية الدفاع المشترك بين الاردن وبريطانيا . ومع حلول منتصف عام ١٩٥٣ حذر غلوب الحكومة البريطانية بأن تغييرا شاملا قد طرأ على موقف الاردن من بريطانيا ، ففي حين ظل الاردنيون في السابق يتباهون بكونهم الحليف الوفي لبريطانيا خلافا لباقي الدول في الشرق الاوسط ، فقد اختفت جميع هذه المظاهر في عام ١٩٥٣ واصبح الاردنيون اليوم ينظرون الى صداقة بريطانيا لاسرائيل بموازاة صداقتها معهم . اذ أن بريطانيا تأخذ موقف الحياد كلما اندلعت الاشتباكات على الحدود الاردنية الاسرائيلية ، والتي تكون اسرائيل عادة هي البادئة فيها ، وذلك على الرغم من وجود اتفاقية للدفاع المشترك موقعة مع الاردن وليس مع اسرائيل . كذلك فان الاردن مرتبط تلقائيا مع باقي العرب . وقد حذر غلوب بأنه إذا استمرت بريطانيا بابعاد نفسها عن

الوضع فانها ستخسر في النهاية صداقة الاردن وبالتالي الفيلق العربي نفسه .

ولكن في النهاية ، تم طرد غلوب من قيادة الفيلق العربي ، وتقلص نفوذ بريطانيا في الشرق الاوسط عامة ، مباشرة على الاقل ، نتيجة تصرفات اليهود او الصهيونية او اسرائيل . فمنذ مطلع عام ١٩٥٥ ، حاول ناصر ومؤيدوه من الاردنيين - خليط من القوميين والعروبيين والجمهوريين - ان يقلبوا العرش الهاشمي في عمان جزئيا من اجل منع الاردن من دخول حلف بغداد الذي كانت بريطانيا (والى جانبها واشنطن) تقف وراء اقامته بهدف تكوين سلسلة من الدول المسلمة والعربية الحليفة لها في مواجهة تدخل سوفياتي او هجوم محتمل من قبله على الشرق الاوسط . كذلك كانت الشكوك تحوم لدى ناصر بأن بريطانيا تهدف من وراء ذلك الى تعزيز النظام الهاشمي في العراق على حساب نفوذ مصر في الشرق الاوسط ، كان القوميون العرب (والعديد من الاسرائيليين) يعتبرون الاردن المدعوم من بريطانيا والذي يقود جيشه ضابط بريطاني مكرّسٌ فقط للمصالح الامبراطورية البريطانية ، وقد ادى اللغط الذي ثار حول حلف بغداد الى دفع هذه الامور الى الواجهة ، وتصاعد التحريض والتشهير ضد الحلف وضد الهاشميين بتنسيق من اذاعة صوت العرب في القاهرة والسفارة المصرية في عمان ، حتى وصل ذروته في كانون الاول من عام ١٩٥٥ بعد زيارة رئيس هيئة اركان الامبراطورية البريطانية الجنرال جيرالد تمبلر الى الاردن ، والذي جاء لترويج الحلف واعداً الحكومة الاردنية بدعم بريطاني لتعزيز الفيلق . قدم اربعة وزراء قادمين من الضفة الغربية استقالاتهم من الحكومة الاردنية ، واندلعت يوم ١٦/كانون اول المظاهرات المؤيدة لناصر لتهز عمان وسائر مدن المملكة . ولما لم تتمكن الشرطة من ردعها ، استدعي الفيلق لقمع المتظاهرين الذين شرعوا بحرق المباني العامة ونهب المتاجر . كان هذا العمل مؤلما بالنسبة لرجال الفيلق فقد تعرضوا للاهانة مرارا واطلقت عليهم شعارات «اليهود» والخونة . كما يذكر غلوب ورغم ذلك فحيث كان يطلب منهم اطلاق النار كانوا يظهرون ثباتا وانضباطا ، وبعد شهر عادت الامور الى نصابها ولكن المملكة وعلى رأسها ملكها الشاب حسين كانت قد تعرضت الى هزة شديدة وبدا للجميع ان حلف بغداد قد ذهب ادارج الرايح .

ادَّى قمع المظاهرات الى احباط مؤيدي ناصر والسياسيين والناشطين المحليين الذين اعتقدوا الوقت من الاوقات انهم على وشك الامساك بزمام السلطة . لذلك قام هؤلاء

بحث القاهرة على تكثيف دعايتها ضد غلوب وضد الفيلق . وخلال الاسابيع التي تلت وقع الحسين تحت ضغط شديد من اعداءه وحتى من اصدقاءه لتعريب الجيش العربي وطرد كبار الضباط البريطانيين منه ، والذين بدوا وكأنهم يمثلون الخنوع الاردني امام دكتاتورية بريطانيا .

كان غلوب يصر دائما على أن الفيلق هو جيش عربي بقيادة هاشمية وليس ذيلا للامبراطورية البريطانية . وحقيقة كون كبار ضباطه من البريطانيين خلال الاعوام ١٩٤٨ - ١٩٥٦ ، كانت نتيجة عدم وجود ضباط عرب مؤهلين لملء شواغره وخاصة في الامور التقنية والاسلحة المعقدة . ولكن عندما كان يتم تدريب عرب ، كان هؤلاء يحتلون مقاعد زملائهم البريطانيين كما بين غلوب ، ووفقا لغلوب فقد كانت الترقيات والرتب في الفيلق تمنح على اسس الكفاءة بغض النظر عن العرق .

ولكن منذ عام ١٩٤٩ ، ادرك غلوب ضرورة تعريب المجموعات العليا من الفيلق ، وكتب كيركبرايد عام ١٩٥٠ : (اظن انني احاول البحث باستمرار عن طرق لتخفيض اعداد البريطانيين في الفيلق) ، كان هذا عندما وصل عدد البريطانيين الى «٤٨» . ولكن غلوب كان يخشى من أن تؤدي الترقية السريعة للعناصر الشابة العربية التي لم تكن تملك الخبرة الكافية الى هبوط كفاءة الجيش . ومع ذلك فقد كان تعريب الجيش يتم تدريجيا . واشار غلوب الى انه من بين افواج المشاة العشرة العاملة في الفيلق ، كان هناك اربعة فقط بقيادة ضباط بريطانيين وخلال سنتين او ثلاثة لن يبقى هناك ضابط بريطاني واحد كما اكد غلوب . ويمكن من خلال تلك الامثولة ملاحظة اننا نسير على مبدأ تبديل الضباط البريطانيين بضباط عرب اكفاء متى وجدوا . ولكن غلوب اعترف بأن مثل هذا الوضع لم يكن متوفراً لدى سلاح المدفعية وفروعه في الهندسة والاركان فقد بُدئ للتو فقط بتدريب العرب والحاقهم بهذا السلاح .

وبشكل عام ، ابقى غلوب على الفيلق كنموذج لجيش متعدد الاعراق (وهذا الامر وحده يعتبر اعجوبة في زمن وفي بقعة من الارض تتسم بالتعصب العرقي وكره الاجنبي) . ولكن هذه الضغوط من داخل الاردن باتجاه تعريب الفيلق قوبلت بضغوط متواصلة من المؤسسة البريطانية العسكرية ، فقد انذرت الوايت هول غلوب مرارا بأن الابقاء على الدعم البريطاني للفيلق يعتمد على كفاءة الفيلق . وهذه الكفاءة تعتمد بدورها على الوجود المستمر للضباط البريطانيين ذوي الكفاءة العالية في الفيلق ، كما أن

تبديل هؤلاء بعرب اقل كفاءة نتيجة لضغوط مهنية أو قومية من الداخل سيؤدي بالتالي الى تقليص كفاءة الفيلق ومنفعته لبريطانيا في حال نشوب حرب وبذا، فقد وجد غلوب نفسه خلال الفترة من ١٩٤٩ - ١٩٥٦ عالقا بين الحاجة للحفاظ على جيش كفؤ بقيادة بريطانية وبين الضغوط من اجل تطعيم هذا الجيش بضباط عرب من المرتب العالي .

وفي خضم الاحداث المتأزمة عام ١٩٤٨ ، اصبح من المحتّم ان يُنظر الى غلوب وزملائه من الضباط الانجليز من قبل الاردنيين والعرب المتشككين خارج المملكة على انهم عملاء للامبريالية البريطانية (واحيانا بسخف على انهم صهاينة) تحيط شكوك كثيرة حول ولائهم للاردن . وظل هؤلاء موضع شك حتى خلال الاعوام ١٩٤٩ - ١٩٥٦ . وبعد كل اعتداء يقوم به جيش الدفاع الاسرائيلي كان السياسيون الاردنيون والزعماء العرب يتساءلون . لماذا لم يتدخل الفيلق ؟ لماذا لم يرد على الاعتداءات ؟ وكان اصبع الاتهام دائما يشير الى غلوب (واحيانا الى كيركبرايد كذلك) وكان جواب كل سؤال عن : لماذا لم تستخدم القوة ضد الاعتداء ؟ هو : لقد قمت أنا او غلوب بمنع ذلك ، هكذا كتب كيركبرايد عام ١٩٥٠ وتابع يقول : كان من المعتقد انني ، أنا وغلوب نقوم بتنفيذ تعليمات حكومة صاحب الجلالة (بريطانيا) التي كانت تحابي اليهود ، لقد شعرنا بالقلق أنا وغلوب امام هذا التوجه المتنامي . وقد وجهت اتهامات مماثلة ضد الفيلق وضباطه خلال السنوات الستة التي تلت . وفي الحقيقة كانت هنا همهمات تدور داخل الفيلق نفسه احيانا حول احجام الاردن عن الرد على الاعتداءات الاسرائيلية .

وبلا شك فقد كان هناك العديد من الضباط العرب الساعين للحصول على ترقية والذين كانوا يرون في الضباط البريطانيين حجر عثرة في طريقهم . ومع نهاية عام ١٩٥٥ وبداية عام ١٩٥٦ ، اختلطت هذه الاعتبارات مع التيارات المعادية للغرب وللامبريالية وللملكية والتي هزت المملكة . وساعدت هذه الهزة في زعزعة مكانة غلوب الى أن أمر حسين في الأول من آذار عام ١٩٥٦ بطرد غلوب وترحيله فورا من البلاد . وقام حسين بمواكبة ذلك بطرد عدد من كبار الضباط البريطانيين (احدهم كان اللواء باتريك كوجهيل قائد استخبارات الفيلق) وعدد من الضباط العرب الذين يكنون الولاء المطلق لغلوب . وقد اضطر حسين بدفع من الضباط الشباب في الفيلق الى الاصغاء اكثر للمطالب القومية كما جادل العديد من الناس بأن تعريب الفيلق كان ضروريا لحماية

المملكة من انتقادات الناصريين وانصار الجمهورية .

اتسمت عملية طرد غلوب الى حد كبير بالصلف واللامبالاة وعدم الامتنان . فقد تم ابلاغه عن طريق رئيس الوزراء آنذاك سمير الرفاعي بأن لديه ساعتين لمغادرة المملكة . احتج غلوب معارضا ولكن الرفاعي وبعد فترة من المماحكة وافق على منحه سبعة ساعات حتى الصباح . كان غلوب يعتقد ان حسين طرده بسبب :

أ - سوء تفاهم حول مخزونات الذخائر والاسلحة (حيث اعتقد الملك بانها هبطت دون المستوى المعقول) .

ب - رغبة الملك في اظهار سلطته متحررا من مشورة ناصح حذر في مقتبل العمر .

ج - اعتقاد الملك بأن تحدي بريطانيا سيعيد اليه شعبيته .

د - شعور وطني اصيل .

كما ان حسين وغلوب كانا قد اختلفا حول مسألة انتشار الفيلق العربي في الضفة الغربية ورغبة غلوب في اقصاء عدد من الضباط غير الجديرين . وقد بين غلوب في كتاب السيرة انه كان يشعر برغبة حسين في طرده منذ سنة على الاقل .

لم ينجح تدخل السفير البريطاني في عمان شارلز ديوك ورئيس الوزراء انتوني ايدن في اللحظات الاخيرة في تغيير قرار الملك ، وبعد صدور قرار الطرد ، ارسل ايدن رسالة شديدة اللهجة الى الملك وصف فيها هذا الأمر بأنه صفعة قاسية موجهة للثقة التي بنيت عليها العلاقات الاردنية البريطانية ومحذرا من ان عواقبها قد تكون مدمرة . أمل البريطانيون أن يقوم حسين بمراجعة قراره ، ولكن غلوب نفسه وقف موقفا سياسيا رافضا لذلك وحث الوايت هول على ضبط النفس ، ورفض كيركبرايد اثر استدعائه لحضور اجتماع لمجلس الوزراء البريطاني يوم ٩/ آذار أي انسحاب بريطاني من السياسة الاردنية لأن ذلك سيؤدي الى سقوط حسين وتعرض المصالح البريطانية في العراق للخطر . وبعد فترة انقطاع تولى فيها اللواء راضي عناب قيادة الفيلق ، عين اللواء علي ابو نوار يوم ٢٤/ آيار/ ١٩٥٦ رئيسا لهيئة الاركان .

وكان علي ابو نوار وهو ضابط شاب راديكالي يعمل ملحقا عسكريا في سفارة الاردن بباريس ولاحقا ضابطا معاونا لحسين . وبدون شك كان هذا الرجل من بين الاشخاص الرئيسيين الذين تآمروا على خلع غلوب . استمرت بريطانيا في دعم الاردن ولكن ليس فترة طويلة ، فقد كان طرد غلوب مؤشرا على نهاية هذه العلاقة الخاصة في

اجل منظور . وكما وصفها احد المؤرخين : كان يوم الأول من آذار فاصلا عميقا في تاريخ المملكة الهاشمية في الفترة بين ١٩٤٨ - ١٩٥٧ . فقد شهد انعتاق الاردن من الوصاية البريطانية . لم يعد بعدها الاردن معتمداً على بريطانيا . ونتيجة لفشل العدوان الثلاثي الفرنسي البريطاني الاسرائيلي على مصر بين تشرين اول وتشرين ثاني ١٩٥٦ ، انحسر نفوذ بريطانيا في الشرق الاوسط انحسارا شديدا ، كما أن فشل بريطانيا في خلع ناصر عن الحكم - وهو احد اهداف العدوان - أدى الى تعزيز قوة ناصر ومكانته وبالتالي تعزيز نفوذ الناصرية ومشاعر معاداة الامبريالية في العالم العربي .

وفي يوم الرابع عشر من آذار عام ١٩٥٧ انهت الاردن من جانب واحد المعاهدة البريطانية الاردنية موقفة بذلك دعما بقيمة ١٢ مليون جنية كان يذهب معظمه على تطوير الفيلق وصيانته . وفي الشهر التالي قامت مجموعة من الضباط الشباب يقودهم علي ابو نوار بمحاولة انقلاب لخلع الملكية ولكن الرد السريع والشجاع من حسين وبدعم من انصاره الاوفياء جاء ليفشل المحاولة ، حيث تم اثر ذلك طرد ابو نوار ونفيه من الاردن ، وفي تموز من السنة التالية ١٩٥٨ ، وبعد انقلاب اطاح بالنظام الهاشمي في بغداد ، ارسلت بريطانيا كتيبتي مظلات لحماية عرش حسين .

ولكن ضمن الحسابات العملية ، كانت العلاقة الخاصة بين الاردن وبريطانيا التي تمثلت بقيادة غلوب للفيلق ، قد انتهت الى غير رجعة . ورغم بقاء الاردن مملكة الا أنه اصبح دولة عربية عادية تتأرجح تحالفاتها العربية مرة مع سوريا ومرة مع العراق ومرة مع مصر حسب الدعم السياسي المقدم لحسين .

في نفس الوقت استفاد الاردن من صفقات الدعم السياسي والمالي الاميركي ومن تغطية الاستخبارات الاسرائيلية وربما المساعدة العسكرية احيانا . ولكن ايام النفوذ الغربي والسيطرة الجزئية على الاردن ، ايام غلوب كانت قد انتهت .

استنتاجات (ما بعد عام ١٩٥٦)

بقي غلوب رغم طرده المذل من عمان نصيرا مقتنعا بالقضية العربية . وفي الحقيقة ، فان حبه للعرب الذي تلازم مع عدائه للصهيونية ، بدا وكأنه قد تعاظم مع مرور الزمن وبعد المسافة عن الشرق الاوسط . وخلال أواخر اعوام الخمسينات واوائل الستينات من القرن العشرين ، ركز غلوب على نشر سيرة حياته وبعد ذلك نشر سلسلة من الكتب التاريخية ، ونادرا ما أجرى مقابلات مع الصحافة او كتب الى الصحف (بالتأكيد كان هدوئه هذا اذعانا لحساسيات الحكومة البريطانية ورغباتها) .

ولكنه بعد عام ١٩٦٧ ، وتحت تأثير حرب الايام الستة ، والمأساة الاخيرة في سلسلة المآسي الفلسطينية التي اعقبت الحرب ، اصبح غلوب داعية قوي الحجة في نصرة العرب وقد أصدر كتابه الاول ، « قصة الفيلق العربي » في عمان قبل اندلاع الحرب العربية الاسرائيلية الاولى ونشره عام ١٩٤٨ . ولم يرد في الكتاب أي جدل معادٍ للصهيونية او للسامية او ما شابهه .

وخلال فترة التسع سنوات التي تلت ، انشغل غلوب في صناعة الحرب والدفاع ضد الاعتداءات الاسرائيلية ، الا أنه كتب عددا هائلا من المذكرات السياسية والعسكرية ، دون ان يتطرق الى اية كتابات تاريخية . وخلال العقود الثلاثة التي اعقبت طرده من عمان عام ١٩٥٦ ملأ غلوب وقته بالكتابة معززا بذلك دخله من معاشه التقاعدي الذي يحصل عليه من الحكومة البريطانية (رفض الاردنيون اعطاءه معاشا تقاعديا) وقد كتب خلال تلك الفترة ما لا يقل عن ٢١ كتابا وموضوعا مطولا .

تميز غلوب بكونه متحدثا مرغوبا في الدوائر البريطانية المهتمة بالشرق الاوسط . كما تميزت كتاباته ومحاضراته خلال العقود الثلاثة الاخيرة من حياته بمناقشات معادية للصهيونية في بعضها ومعادية للسامية في بعضها الآخر . ولكن غلوب كان حريصا على الاقل بأن يترك في كتاباته مظهرا منصفا وموضوعيا (وقد ذكر حول كراسته المؤيدة للعرب « ازمة الشرق الاوسط : تفسيرات شخصية » والتي تم نشرها مباشرة بعد حرب الايام الستة . لقد كنت انوي ان اكون موضوعيا تماماً بين العرب والصهاينة) .

اكتسب غلوب سمعة جعلته ناطقا رئيسيا ضد اسرائيل . وبدا أن تورطه الطويل في الشرق الاوسط قد ساهم بتأمين سعة اطلاع ومعرفة واسعة بشؤونه . وفي نفس الوقت كانت تصرفاته المحافظة وغير الواثقة ولغته الانجليزية المبسطة كضابط جيش ، وصلابته وجدارته بالثقة ، اضافة الى عمره ومنزلته كمتقاعد ، تعمل كمؤشر على انه اصبح الآن فوق المعركة .

في كتابه « ازمة الشرق الاوسط » يقول غلوب اصبحت رجلا عجوزا ولم اعد استطيع ان اقبل مثل هذه المشهد المهلك . لعشر سنوات خلت وانا احاول أن اتجنب هذا النزاع العنيف وان أوجد لنفسي ملجأ هادئا اتابع فيه دراساتي التاريخية . لا لم يعد لدي اية عواطف او كراهية او حسد او طموحات . أنا لم اعد اكره احدا . . لا السوريين ولا اللبنانيين ولا المصريين ولا الاسرائيليين .

ولكن في الحقيقة ، اصطبغت جميع كتابات غلوب بعد عام ١٩٥٦ بدرجة أو بأخرى بغطاء وقصد واضحين . كما ظهرت كراهياته إن لم تكن احقاده الحقيقية بشكل بارز . وقد وصف غلوب حرب الأيام الستة - التي عجل بحدوثها خرق مصر الكبير للامر الواقع الذي ينص على تجريد سيناء من السلاح ، وطرد قوات الطوارئ وقوات حفظ السلام التابعة للامم المتحدة من سيناء واغلاق خليج ايلات امام السفن الاسرائيلية - بأنها جاءت نتيجة للمكائد السوفياتية وللاستغلال الاسرائيلي للغباء العربي البرئ . كذلك جاء اجتياح الجيش الاسرائيلي للضفة الغربية خلال حرب الايام الستة نتيجة لقصف جيش عربي ضعيف التسلح وغير معادٍ بقنابل النابالم - لم يذكر غلوب حقيقة ان الاردنيين كانوا هم البادئين باطلاق النار وان اسرائيل طلبت منهم مرارا التوقف عن ذلك قبل أن تشن هجومها فكان جوابهم تجاهلاً ورفضا لتلك الطلبات .

وتصبح نبرة غلوب اكثر حدة في ذكره للفظائع التي ارتكبتها اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ حين يقول : عندما يرفض اعداؤها الاستسلام تعود اسرائيل لممارسة قسوتها ، فتطرد ضحاياها من بيوتهم وتدمر قرى بكاملها وتقصف مخيمات اللاجئين والبلدات والقرى في الدول المجاورة لها . مرة اخرى يغفل غلوب عن ذكر الاعتداءات العربية التي ادت الى قيام اسرائيل بالرد من خلال تدمير منازل الارهابيين المشتبه بهم وقصف قواعد الفدائيين الفلسطينيين الواقعة داخل او على حدود المخيمات مع ما يصاحب هذا القصف من دمار .

ولا يغلظ غلوب في القول اتجاه تصرفات الفلسطينيين إلا حين يترافق الامر مع اعتداء فلسطيني على النظام الهاشمي شارحا الامر بأنه نابع من تشابه اوضاع الفلسطينيين والاسرائيليين . وفي الحقيقة ، وصف غلوب الثورة الفلسطينية التي قام بها الفلسطينيون ضد نظام حسين عام ١٩٧٠ - « الذين قامت جيوشه بحمايتهم من اعتداءات جيش الدفاع الاسرائيلي - بأنها نتيجة جيناتهم اليهودية - » ويتساءل غلوب - هل يمكن بأن يكون هؤلاء الذين يسمونهم عرب فلسطين اليوم هم انفسهم ولدرجة معينة متحدرون من سلالة اليهود الذين دافعوا عن القدس ضد غزو تيتوس ؟ .

مرة أخرى تعود ذاكرة غلوب المحشوة بطبقات متعاقبة من الاحداث والدعايات الجديدة ، لتصبح أقل واقل جدارة واعتمادا ، فذكرياته عن عام ١٩٤٨ على سبيل المثال ، تصبح مع الوقت اكثر عداء للصهيونية واقل دقة . ففي عام ١٩٥٧ كتب غلوب : (لا يجب أن ننسى ان جميع مشاكل هؤلاء اللاجئين المحبطين كانت نتيجة عملية التهجير القاسية التي قام بها الاسرائيليون ضد العرب جميعا عام ١٩٤٨) .

وبعد عقد ونصف كتب يقول : (ليس صحيحا أن العرب قاموا بغزو اسرائيل عام ١٩٤٨ . بل ان فحصا دقيقا للتواريخ يبين أن اسرائيل هي التي كانت البادئة بالاعتداء . . . مثل هذه الروايات تحتوي على تحريفات وتشويهات مثيرة للسجلات التاريخية) .

وفي خطاباته العامة القليلة وحواراته ومقالاته ورسائله الى المحرر ظل غلوب يدافع باصرار عن مواقف الاردن وحكامه (على الرغم من المعاملة المذلة ونكران الجميل اللذان لقيهما من الملك حسين) . ففي احدى رسائلة الى المحرر في شباط ١٩٦٨ - على خلفية الغارات التي شنها رجال العصابات الفلسطينيون من الاردن داخل الضفة الغربية واسرائيل والردود الانتقامية التي قام بها جيش الدفاع الاسرائيلي ضد الاردن - انكر غلوب وجود أي عدوان اردني ضد اسرائيل او حتى قيام رجال العصابات الذين اتخذوا من الاردن قاعدة لهم لمهاجمة اسرائيل . فكتب يقول : (لقد قدم المخربون من سوريا عابرين الاردن في طريقهم الى اسرائيل . لقد شد الاردن كل عصب فيه لمنع التسلل من سوريا ومع ذلك بقي عرضة لغارات انتقامية اسرائيلية خطيرة) .

ولكن محور دعاية غلوب عبر عقود الستينات والسبعينات من القرن العشرين ظل مرتكزاً على الفلسطينيين وبشكل اخص على اللاجئين الفلسطينيين . لا يوجد ادنى

شك بأن غلوب قد صعق لهذا الاكتساح الاسرائيلي السريع عام ١٩٦٧ .

وكان غضبه صادقا ، وهو يلاحظ التصرفات الاسرائيلية التي اعقبت اجتياح الضفة الغربية وقطاع غزة (ضم الاراضي تدريجيا الى اسرائيل من خلال مصادرة اراضي الفلسطينيين وانشاء المستوطنات وتدمير بيوت الفلسطينيين وترحيل زعمائهم وناشطيهم الخ . .) ولا شك ان المآسي التي حلت بالفلسطينيين وبوجودهم اثرت عليه وربما كانت مسألة اللاجئين هي الأداة الاكثر اقناعا وتأثيرا في مجال دعايته القائمة على دحض اسرائيل وتعنيفها في الصحافة الغربية . والاحتمال الاكبر هو : أن كل هذه العوامل مجتمعة قد لعبت دورا في مناصرة غلوب التي لم تلن لقضية اللاجئين . « ان مليون ونصف مليون من سكان فلسطين الاصليين قد تم اقصاءهم عن منازلهم » كتب في كانون ثاني ١٩٦٩ (وفي الحقيقة كان العدد ٧٠٠ . ٠٠٠) - لقد كانت هذه هي المشكلة الرئيسية التي شكلت لب الصراع في الشرق الاوسط . وقد بين غلوب ان الفلسطينيين قد شدوا انتباه العالم الى مأساتهم من خلال اعمال العنف التي قاموا بها على الصعيد الدولي . ان أي تسوية بين اسرائيل والدول العربية لا تأخذ في حسبانها حل مشكلة اللاجئين لن تدوم . . كما استنتج غلوب .

وفي معرض حديثه عن الفلسطينيين ، ظل غلوب يستخدم لغة عاطفية تميل الى المبالغة وتشويه التاريخ . فكتب في رسالة الى المحرر اواخر عام ١٩٦٩ يقول : (الفلسطينيون هم السكان الاصليون لفلسطين منذ آلاف السنين وفي عام ١٩٤٨ تم طرد هؤلاء الفلسطينيين الابرياء من بيوتهم واقصائهم عن بلادهم) .

لماذا ابرياء ؟ - فبعد كل شيء هم الذين رفضوا قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة في تشرين ثاني ١٩٤٧ ، وهم الذين شنوا الغارات (ولو عشوائيا) التي انتهت بطردهم . وبعد عام ١٩٤٨ - ظل العديد منهم رغم طردهم من بيوتهم يعيشون في بلادهم فلسطين (الضفة الغربية وقطاع غزة) . وقد استنتج غلوب في فاتحة رسالته : « لا اكتب بصفتي داعية لقضية بل بصفتي محب للسلام وللأرض المقدسة ، لذلك انا اناشد الحكومة الاسرائيلية ان تدرك بأن هذه المشكلة لا تحل بالقوة الوحشية وحدها دون النظر الى عدالتها . لست أبالي بالصخب الذي يثيره ناصر ، ولكن الحقيقة تظل أن الفلسطينيين قد عانوا الكثير من الظلم ، والعلاج لا يكون بجعل حياتهم اكثر مأساوية ولكن برفع الظلم والمأساة عنهم » .

وتظهر نغمة مشابهة في رسالة بعث بها مباشرة بعد عملية جيش الدفاع الاسرائيلي «الليطاني»» في آذار ١٩٧٨ والتي احتلت فيها اسرائيل جنوب لبنان وقتلت وطردت المئات من المسلحين الفلسطينيين . يبين غلوب ان العملية وبمعيار ادق ، كانت تمثل تنفيذاً لخطة بن غوريون التي وضعت منذ الخمسينات من القرن العشرين (والتي شملت اقامة حكومة مسيحية في بيروت وتوقيع اتفاقية سلام بين اسرائيل ولبنان وضم اراضي تقع جنوب الليطاني الى اسرائيل) . ومن الجدير ملاحظته ، ان العمليات الاسرائيلية الاخيرة لم تنفذ ضد الفلسطينيين ولكنها مسَّت مواطنين لبنانيين ودمرت بلداتهم وقراهم بحيث لم يعد لهم مكانا يرجعون اليه .

لقد كانت هذه هي الطريقة التي اتبعتها اسرائيل في العام ١٩٤٨ من اجل طرد السكان من فلسطين .

وعندما يتحدث عن اللاجئين الفلسطينيين ، يمتنع غلوب في العادة عن تفسير ما يعنيه بكلمة اصلاح . ربما فكر في الخمسينات والستينات - من القرن العشرين باستخدام مصطلح اعادة اللاجئين الى وطنهم ولكن مع حلول بداية السبعينات ، بدا وكأنه استسلم لحقيقة وجود اسرائيل ولم يعد يعلق أية آمال على عودة جماعية للاجئين الى اسرائيل الحالية . الا أنه بدلا من ذلك لَّمح الى أن حل المشكلة عبر دعم اعادة التوطين بشكل منظم يقع على عاتق الاردن والضفة الغربية بعد انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ .

كتب عام ١٩٧٢ يقول :

الشرط الضروري لتحقيق السلام هو اعالة هؤلاء اللاجئين عبر وسائل متفق عليها بين القوى الدولية :

١) يجب أن تنسحب اسرائيل الى حدود عام ١٩٦٧ وبذا يتم اسكان عدد كبير من اللاجئين في الاراضي التي تم اخلاؤها .

٢) يجب تطوير الاراضي الواقعة شرقي نهر الاردن على أن تقدم الدول الكبرى رؤوس الاموال اللازمة .

٣) بهذه الطريقة اعتقد انه يمكن توطين اللاجئين واعطائهم املا جديدا في حياتهم مما يخفف من حدة معاناتهم .

في الكلمة التي القاها في تأبين غلوب يوم ١٧/نيسان/١٩٨٦ في كنيسة ويستمنستر

قال الملك حسين : (كان جنديا متواضعا رقيا وشهما ، عاش ببساطة وقام بالمهمات المنوطة به من قبل بلده الثاني الاردن بهدوء وتواضع في لحظة حاسمة من تاريخ تطوره) .

حملت هذه الكلمات في مضمونها اسقاطا مزدوجا لغلوب ، فقد صور فيها غلوب كمجرد خادم مطيع وكمرتزق بريطاني في بلده الثاني . ربما يقبل غلوب من قبيل التواضع تمرير التعبير الاول في وصفه له ، ولكنه بالتأكيد كان سيتصدى للصورة الثانية التي وضعت له .

ومن المؤكد أن من بين جميع البريطانيين الذين عبروا الى الشرق الاوسط في القرنين السابقين ، كان غلوب الاكثر تأثيراً والاكثر بروزاً في التاريخ من خلال عمله كمستشار وكمؤسس وقائد لقوات عسكرية محلية . كان تأثيره هائلا على تطور الاردن وسياسته حتى عام ١٩٥٦ ، وقد خلف أثرا في تاريخ المنطقة لا يمكن انتزاعه . ولكن بقي هناك في صميم دوره ومساهماته لغزا محيرا (القى الملك حسين عليه الضوء في اشارته الى البلد الثاني لغلوب) ففي الفترة بين الاعوام ١٩٤٧ - ١٩٥٦ وهي الفترة الاكثر اهمية في تاريخه ، كان هناك من يتساءل : هل يقوم غلوب بخدمة بريطانيا ام الاردن ؟ فاذا كان الجواب كليهما (كما كان يعتقد بالتأكيد) فأيهما كان يحظى بالولاء الاكبر ؟ بعض المؤرخين ، بمن فيهم مؤرخوا فترة انحطاط الامبراطورية البريطانية كانوا سيتبنون مقولة آفي شلايم التي يقول فيها : (كان غلوب باشا قنصلا امبراطوريا رغم كل تأكيده بأنه كان يخدم العائلة الهاشمية وليس بريطانيا . . فقد بقي ولاؤه الاول لبريطانيا . وبقي الذم يوجه اليه من قبل الوطنيين العرب والاردنيين وغيرهم خلال فترة خدمته في عمان على انه عميل بريطاني . وتبعهم في ذلك معظم الصحافيين والمؤرخين العرب في العصر الحديث) .

ولكن غلوب ظل يؤكد خلال سنين عمله في الفيلق ، ان ولاءه الكامل هو للهاشميين وللاردن ، ويكاد المرء يميل الى اعتبار اقواله التي جاهر بها بعد طرده من عمان بأن ولاءه الاول كان لبريطانيا كنوع من الدفاع التبريري . ففي كتابه « جندي مع العرب » . . الذي ضمنه سيرة حياته يؤكد غلوب ان الاردن كان دائما بلدي تماما مثلما كانت بريطانيا ، ولكنه كتب ايضا مازجا بين حبه للاردن وحبه لله « ان هذه البقعة من الارض قد ساهمت في تقريب الجنس البشري الى الله اكثر مما ساهمت جميع القارات الواسعة التي تمتد حولها » .

وكتب ايضا : (لقد امضيت في خدمة العائلة الهاشمية اكثر من ثلاثين سنة ، وكنت اشعر انني احد كبار تابعيها . لقد رأيتهم جميعا يكبرون ويشيخون . . ان مثل هذه العلاقة الحميمة لا يمكن ان تخلو من الاخلاص) . وكان غلوب يرتدي دائما كوفية الرأس البدوية ، ويبدأ عباراته في خطبه العامة بقوله نحن العرب . وعبر النهر قال عنه موشيه شرتوك (شاريت) في منتصف شهر تموز ١٩٤٨ لقد كان غلوب عربيا اكثر منه بريطانيا .

يبدو لي أن شاريت قد اصاب القول اكثر من العرب الذين انتقدوا غلوب وحطوا من قدره . لأنه في المفاصل التاريخية الهامة كان يقف خادما وفيا للعرش الهاشمي اكثر من وقفته كعميل للوايت هول . ففي الاعوام ١٩٤٦ - ١٩٤٧ أيَّد غلوب (مثل سيده عبدالله) تقسيم فلسطين - ولاشهر سبقت ظل الوايت هول يحاول ادراك مدى قابلية او حتمية مثل هذه النتيجة . وفي اواسط شهر ايار من عام ١٩٤٨ ارسل غلوب قواته لتحتل القدس الشرقية . وهي خطوة تحمل معان استراتيجية عميقة ظل وزير الخارجية بيفين ومسؤولوه يحذرون من عواقبها لعدة اشهر ، وفي آذار ١٩٥٦ وعندما تصادمت المصالح البريطانية والأردنية ساعة طرد غلوب لم يحرك غلوب ساكنا واحجم عن مهاجمة الملك الشاب حسين ، وكان هذا مؤشرا اكيدا على ذلك الوفاء الحميم الذي يقفه تابع مخلص للعائلة .

بالتأكيد ، وعبر معظم تاريخ عمله في العراق وشرق الاردن ، ظل غلوب يشعر بأن المصالح البريطانية والعربية تتقارب وتتقاطع - كل ما فعله كان في خدمة كل من لندن والعرب . كان هناك تعريفاً كاملا للمصالح ، وعندما كانت تلك المصالح تتنافر كما حدث في احدى فترات ربيع عام ١٩٤٨ ، وقف غلوب الى جانب عبدالله . وخلال الاربعينات واوائل الخمسينات وحتى عام ١٩٥٦ ظل غلوب يقدم للوايت هول معلومات استخباراتية حول الاردن ومشورة تتعلق بمتطلبات السياسة البريطانية . وفي الحقيقة حاول غلوب في بعض الاحيان ان يساهم في تشكيل السياسة البريطانية : مثلما حدث عام ١٩٥٣ عندما دعا البريطانيين الى محاولة صياغة قرار في الامم المتحدة يدعو كلا من الاردن واسرائيل الى سحب جيشهما من المناطق الحدودية لتجنب حدوث صدام . وكان ينجح احيانا في المساعدة في صياغة شكل سياسي معين مثلما فعل عندما اقنع بيفين ومكتب وزارة الخارجية في اواخر عام ١٩٤٧ واوائل ١٩٤٨ بدعم احتلال الفيلق

للضفة الغربية وبتقسيم فلسطين بين الاردن واسرائيل . ولكن في النهاية بقي غلوب خادما مطيعا ووفيا للهاشميين وقائدا عسكريا من انجح قادة العرب .

ترعرع غلوب في وسط مهني مثقف وارستقراطي ريفي تشوبه بعض الاعراف المعادية للسامية التي تتطلع الى اليهود على انهم اغراب لا يلتزمون تماما بمبادئ الشريعة اليهودية ، يمارسون خفية اعمال غير قانونية ، ويتميزون بتعاملهم الحاد ، واستغلال الآخرين ، والجري وراء الربح الفاحش ، ولم يكن هناك اختلاطا شخصيا بين هذا الوسط وبين اليهود . ربما صادف غلوب واحدا او اثنين من اليهود في المدرسة او في صفوف الجيش في فلاندرز . ولكنه لم يأت على أي ذكر لهم في كتاباته .

يبدو أن الاتصال الاول لغلوب مع المجموعات اليهودية كان في الشرق الاوسط . ولا يعرف شيء عن علاقاته في العشرينات مع أي يهود في بغداد . ولكنه بدا من منظوره الخاص انه شاهد ما يكفي منهم في فلسطين في الثلاثينات والاربعينات من القرن العشرين .

كانوا موجودين هناك لسرقة إرث الفلسطينيين العرب . وكانوا يفعلون ذلك بمزيج منتظم من الخداع (شراء الاراضي وطرد المزارعين المستأجرين ، بينما كانوا ينكرون اية نية لهم للسيطرة على فلسطين وانهم يريدون فقط التعايش مع العرب) والبطش والوحشية (١٩٤٨) هكذا كان غلوب يرى اساسيات الصراع العربي الصهيوني .

وعلى النقيض من العرب الفلسطينيين ، فقد كان غلوب على معرفة وادراك قريبين للتاريخ اليهودي والارتباطات التاريخية اليهودية بارض اسرائيل (فلسطين) في القرنين الاول والثاني قبل الميلاد .

وربما كانت هذه المعرفة في تلك الايام (أو الوقت المتأخر بالتأكيد) ستؤدي الى جعله اكثر تعاطفا مع المزاعم الصهيونية ، إلا أن ذلك لم يحصل بل على العكس اختار غلوب أن يبحث . ويؤكد في قوله أن الجذور العربية (الكنعانيين والفلستينيين) سبقت وصول العبرانيين الى فلسطين . كما تجاهل غلوب بشكل عام دوافع الصهيونية المعاصرة - معاداة السامية في شرق اوروبا وروسيا - والمذابح التي ارتكبت بحق اليهود والهولوكوست التي شكلت (وقد شهدها العالم الغربي كله في اواخر الاربعينات) الاسس الاخلاقية للمزاعم الصهيونية باعطائها شرعية اقامة الدولة اليهودية في ارضها القديمة ومن المثير للدهشة ، أن غلوب كرس مساحة كبيرة في كتبه لوصف اضطهاد

المسيحيين لليهود في اوروبا عبر القرون . ولكنه لم يكتب كلمة واحدة حول قتل الالمان لستة ملايين يهودي . وبدا أن غلوب لم يضع في ذهنه ما حدث ليهود اوروبا عندما كان يلعب دور الجندي مع العرب في الشرق الاوسط . وبالتأكيد لم يضع في ذهنه مأساة الهولوكوست التي وقعت لليهود بالطريقة التي استوعب فيها الماساة التي حصلت للفلسطينيين في عام ١٩٤٨ والتي ظل دائما يرثيها ويندبها .

وليكن ما كان ، فقد ادت المواجهات والمناوشات مع الاسرائيليين في ساحات المعارك الى جعل مشاعر غلوب المعادية للسامية أشد واكثر حدة . وفي مذكراته التي ارسلها الى كيركبرايد والى بيفين ومكتب وزارة الخارجية عقب حرب عام ١٩٤٨ ، ظل غلوب يصور اسرائيل واليهود • (ولم يكن دائما بدون سبب) على انهم منافقون وشرسون يصبون انتقامهم على السكان العرب من اجل اخطاء ارتكبها ضدهم المسيحيون عبر القرون ، وفي نفس الوقت كانت كتاباته حول محمد والاسلام والشرق الاوسط دون المستوى ، وغالبا ما كان يُحرّف تاريخ المجتمعات اليهودية البائسة والمأساوية تحت الحكم العربي والاسلامي متجاهلا سوء المعاملة التي كان يواجهها اليهود من قبل العرب والمسلمين عبر القرون ، ومتجاهلا ايضا المذابح التي رافقت وجودهم في المغرب واسبانيا وايران والعراق .

وتُجادل مورين هيني مورتون ان تأييد غلوب للتقسيم لم يدخل من باب حماية المصالح العربية بل من باب تعزيز وضع الامبراطورية البريطانية . أظن أن الحقيقة هي اكثر تعقيدا . فمع دخول عقد الثلاثينات في نهاياته كان غلوب قد وصل تدريجيا الى الاحساس بأن البراغماتية ، إن لم تكن العدالة تتطلب ان تقسم فلسطين وان يأخذ اليهود جزءا من اراضيها لاقامة دولة لهم . ومع حلول عام ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، كان غلوب مقتنعا تماما بأنه يجب تقسيم فلسطين بين الدول اليهودية وبين مملكة عبد الله وليس بين اليهود والفلسطينيين ، وسواء جاء الامر من باب الوفاء لعبدالله والاردن او من تقدير واقعي للخيارات المتاحة ، فقد اصبح غلوب مدافعا قويا عن مثال هذا التقسيم ، وقاد بنجاح بعد ذلك في ايار ١٩٤٨ الفيلق العربي الذي مثل اداة التقسيم الى داخل الضفة الغربية والقدس الشرقية . ويشكل وصف تفكير غلوب واعماله يوما بيوم وضربة بضربة خلال الفترة من اواخر ١٩٤٧ وحتى أيار ١٩٤٨ ، اغناء قويا للحجة التي يقدمها محللون عسكريون مثل دوف شتايجر (زيون) ومؤرخون مثل آفي شلايم (لقاء عبر الاردن) ويواف

جيلبير (فلسطين ١٩٤٨) بأن الاردن قام بغزو فلسطين ليس بهدف مهاجمة اسرائيل ، بل بهدف انقاذ المناطق الشرقية من فلسطين التي يسكنها العرب من أي اجتياح اسرائيلي وبالتالي ضمها اليه . كان عبدالله يهدف الى تحقيق توسع اقليمي على حساب عرب فلسطين وليس على حساب الدولة اليهودية .

تشكل القدس بقسمها العربي (القدس الشرقية) جزءا من خطط الغزو عند غلوب ، ولم تدخل مسألة الهجوم على القدس الغربية بالتأكيد في أي مخطط آجل لدى غلوب او لدى عبدالله . فكلاهما كان مدركا ان الفيلق لم يكن بالقوة الكافية لتحقيق ذلك . ولكن في النهاية ، وما بين ١٨ - ٢٨ أيار ، قام عبدالله ومعه غلوب ، رغم تردده ، بارسال الفيلق للاستيلاء على القدس الشرقية بما فيها البلدة القديمة ، لانقاذها من الاجتياح الاسرائيلي . ومرة اخرى لانها تشكل موقعا محوريا هاما في انتشار الفيلق في الضفة الغربية .

وقد ادرك غلوب عبر مسار الغزو انه إذا وقعت القدس في يد الهاجانا / جيش الدفاع الاسرائيلي ، فسيتلوها سقوط باقي الضفة الغربية . وبالنسبة لاحتلال القدس الشرقية ، فقد كان عبدالله مدفوعا ايضا باسباب شخصية ودينية تتعلق بوجود قبر ابيه فيها ومكانتها المقدسة في الاسلام .

وجدت اهتمامات عبدالله الروحية واسباب غلوب الاستراتيجية حول القدس ما يوازيها لدى بن غوريون ، فعدا عن كون القدس عاصمة تاريخية ومركزا روحيا ، ظل بن غوريون يخشى أن يؤدي سقوط القدس الغربية بسكانها اليهود المائة الف (سدس مجموع السكان اليهود) الى تحطيم معنويات اليهود وتدمير الجهد الحربي برمته . وهذا يفسر لماذا بذل بن غوريون جهودا حثيثة (على عكس نصيحة الهاجانا وجيش الدفاع) للاستيلاء على اللطرون .

كذلك يجب أن ينظر الى الدفاع المستميت الذي ابداه الفيلق عن اللطرون ضمن الاهمية الدفاعية التي يشكلها نتوء اللطرون في خطة انتشار الفيلق في الضفة الغربية والقدس الشرقية . فسقوط اللطرون كان سيؤدي الى تعريض كلا المنطقتين او احداهما للخطر ، وعلى أي حال ، كان اللطرون يقع ضمن المنطقة المخصصة للعرب في قرار التقسيم وليس ضمن السيادة اليهودية . وقد مثلت المعارك الثلاثة التي وقعت من اجل السيطرة على اللطرون بدءاً من يومي ٢٤ - ٢٥ أيار ١٩٤٨ عدوانا من قبل الهاجانا

وجيش الدفاع الاسرائيلي على اراضي مخصصة للعرب وليس اعتداء من قبل الاردن على الدولة اليهودية . الحق يقال ان الاردن لم يقم في أي لحظة بالاعتداء على ارض للدولة اليهودية او الاستيلاء على مناطق تابعة لها (لعدة اشهر قبل نهاية الحرب ظل الفيلق يسير دوريات في الجزء غير المسكون من النقب والذي كان مخصصا للدولة اليهودية) .

واذا حصل وان دخل الاردن مع اسرائيل خلال حرب عام ١٩٤٨ في أي اتفاقيات سرية غير مكتوبة او متفاهم عليها لمصلحة الطرفين ، فالحق يقال ان اسرائيل هي التي خرقت تلك الاتفاقيات في ايار وحزيران ومرة اخرى في تموز وتشرين اول وليس الاردن .

كل هذا يطرح في النهاية السؤال الاكثر عمومية حول هدف أو اهداف الدول العربية من غزوها لفلسطين عام ١٩٤٨ . هل قامت هذه الدول بالغزو من اجل رمي اليهود في البحر وتدمير الدولة اليهودية ؟ هل كانت اهدافها اكثر تواضعا وتعقيدا ؟

وهل يستطيع المرء أن يتحدث عنهم ضمن مصطلح " هم" بعد كل هذا فنحن نعلم الآن انه على الرغم من الدعاية الاسرائيلية واللبنانية في ذلك الوقت ، فان الجيش اللبناني لم يعبر الحدود الاسرائيلية ابدا في ايار ١٩٤٨ . ربما قدَّم لبنان التموين لجيش الانقاذ العربي او دعمه ببعض المتطوعين غير النظاميين وبعض قطع المدفعية . ولكن لبنان احجم عن المساهمة في أي غزو عربي لاسرائيل مهما ادعت اذاعته في ذلك الوقت . اما بالنسبة لدول مصر والعراق وسوريا التي عبرت قواتها الى داخل الاراضي الاسرائيلية خلال الغزو ، فهناك سؤالا يظل معلقا حول حقيقة اهدافها . هل كانت تنوي رمي اليهود في البحر (او حشرهم في تل ابيب) وتدمير دولتهم . هل كانت قياداتهم السياسية والعسكرية تؤمن بواقعية مثل هذا الهدف ؟ او هل كانوا يهدفون الى قضم بعض الاراضي الصغيرة لايقاع الاذى باليهود واحراز بعض المكاسب السياسية ، او مواجهة واحباط أية توسعات اردنية متوقعة ؟ يمكن معرفة الجواب الصحيح فقط من خلال فتح ارشيفات الدول العربية - التي ظلت للاسف مغلقة في وجوه الباحثين . كل ما يمكننا قوله في هذه اللحظة ، ومن خلال ادلة قد تقدمها نظرة فاحصة الى الادوار التي لعبها غلوب والاردن ، ان الغزو الاردني الذي تم بموافقة بريطانية ودرجة من التعاون مع اليهود لم يكن موجها لتدمير اسرائيل بل الى احتلال اجزاء من فلسطين ، وان الاردن كان يشكل خشبة الاعدام السياسية والعسكرية وسط كل هذا الغزو .

بلا شك سيكون هناك مؤرخون - مؤرخون قدامى - يقومون بمتابعة مناقشة هذه الصورة، ولكني اعتقد ان الدليل واضح وان النتيجة لا يمكن تغييرها. وما سينبثق بحكم الظروف هو صورة اكثر تعقيدا تحمل ظلا اكبر من الفروقات حول الحرب العربية الاسرائيلية الاولى واسبابها ونتائجها.

اما السنوات ١٩٤٩ - ١٩٥٦ فتبقى اقل جدلا بكثير، وقد جادل البعض بأن غلوب لم يبذل ذلك الجهد المطلوب الذي اظهرته وثائق بريطانية ووثائق الفيلق في كبح جماح التسلل الى اسرائيل، ولكن لا يوجد أي منازع في انه لعب دورا رئيسيا في كبح جماح كلاب الحرب من خلال عدم رده على اعتداءات اسرائيل الانتقامية، بحيث شهد عام ١٩٥٦ مجابهة اسرائيلية مصرية بدلا من مجابهة اردنية اسرائيلية. وبعمله هذا، انقذ غلوب وبدون شك ضفة الاردن الغربية لعقد كامل، وقد يشعر المرء ان الغضب الذي اظهره غلوب بعد عام ١٩٦٧ في كتبه ونشراته ورسائله الى المحرر، قد يعزى جزئيا على الاقل الى شعوره بالاحباط امام سرعة اجتياح الضفة الغربية والقدس الشرقية على يد الجنود الاسرائيليين في حرب الايام الستة. فما نجح هو في تحقيقه بالعض على اسنانه وتناول فطيرته المتواضعة خلال الاعوام ١٩٤٩ - ١٩٥٦ سقط في عدة ساعات في حزيران ١٩٦٧، ورغم كل الثورات الفلسطينية التي تلت فما زال جيش الدفاع الاسرائيلي وبعد مضي ٣٥ سنة على هذه الاحداث يجلس متربعا على ضفة نهر الاردن.

آخر الباشوات

غلوب باشا، فلسطين واليهود

يعتبر الجنرال السير جون باغوت غلوب، آخر ممثّل للإمبراطوريّة البريطانيّة في المشرق العربيّ، شخصيّة مثيرة للجدل لعبت أدواراً مهمّة في تاريخ المنطقة؛ فهذا الرجل، الّذي وضع سيرة للنبيّ محمّد (ص) تعتبر مرجعاً للمؤرّخين، كان أيضاً متديّناً وصاحب نكتة، إلى جانب كونه قائد «الفيلق العربيّ» الّذي أصبح لاحقاً الجيش الأردنيّ في المرحلة ما بين ١٩٣٩ و ١٩٥٦. وكان غلوب نموذجاً للشخصيّة الاستعماريّة البريطانيّة بكلّ متناقضاتها، فقد كان شديد الإعجاب بالبدو الّذين كان يعتبرهم «العرب الأصليّين»، ولم يخفِ كراهيته واحتقاره للفلسطينيّين والسوريّين واللبنانيّين الّذين يعتبرهم مشرقيّين من أعراق مختلطة، ومهووسين بإيذاء الآخرين. وفي هذا الكتاب قام المؤرّخ الإسرائيليّ المعروف بيني موريس، الّذي كشف دور المؤسّسة الصهيونيّة في تهجير الفلسطينيّين عمداً أثناء حرب ١٩٤٨، بوضع سيرة غلوب باشا، واستعرض فيها آراءه بشأن الصراع العربيّ الصهيونيّ، فقد كان غلوب باشا يعتبر مشكلة اللاجئين العقبة الكبرى في وجه إقامة السلام في المنطقة، وكان يأمل في أن ينجح الأردنّ في ابتلاع العراق وسوريّة لإقامة دولة عربيّة كبرى كتكفير عن دور بريطانيا في تسهيل طرد الهاشميّين من الحجاز على أيدي السعوديّين. ويشير المؤلّف إلى دور غلوب في ضبط الفيلق العربيّ ومنع أفراده من المشاركة في الانتفاضة الفلسطينيّة الكبرى في الثلاثينات، وفي إجهاض ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق، إذ كان يرى أنّ المصالح الأردنيّة والبريطانيّة متطابقة، لذلك صدم عندما اضطرّ الملك حسين إلى طرده من منصبه في العام ١٩٥٦

الأهلية
للنشر والتوزيع

المملكة الأردنية الهاشمية - عمان / وسط البلد
خلف مطعم القدس / ص.ب ٧٧٧٢ - هاتف ٤٦٣٨٦٨٨
فاكس ٤٦٥٧٤٤٥ ◆ منشوراتنا في العام ٢٠٠٢م
◆ الغلاف: زهير أبو شايب. سمك سيو